



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



قسم التاريخ - جامعة محمد بوضياف - المسيلة
قسم التاريخ والجغرافيا - المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

العمران في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة والحديثة دراسة في التركيبة الإثنية والحضارية

أعمال مهداة للمرحوم
الأستاذ الدكتور مبارك بوطارن

تقديم وتصدير / أ. د. أحمد مريوش
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
إشراف:

أ.د/ رضا بن علال
قسم التاريخ والجغرافيا
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ عبد الغني حروز
قسم التاريخ
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

جمع وتنسيق: أ/ أحلام لغريب
قسم التاريخ - جامعة محمد بوضياف - المسيلة

ديسمبر 2024
جمادى الآخرة 1446هـ



العمران في المغرب الأوسط خلال الفترة

الوسيطة والحديثة

أعمال مهداة للمرحوم

الأستاذ الدكتور مبارك بوطارن

الطبعة الأولى

إصدارات دار أحلام 2024

ISBN: 978-9969-553-91-8

الإيداع القانوني: ديسمبر 2024

الكاتب: إشراف: أ.د/ عبد الغني حروز - أ.د/ رضا بن علال

عنوان الكتاب: العمran في المغرب الأوسط خلال الفترة

الوسيطة والحديثة أعمال مهداة للمرحوم الأستاذ الدكتور مبارك

بوطارن

تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد محمد عزوز

المدير العام: أسماء سنجاسي

الناشر: دار أحلام للنشر

إيميل: editionahlem@gmail.com

هاتف: 0794813011/0698370013

شارع الإخوة بوجدة بلدية أولاد شبل بئر تونة الجزائر العاصمة

جميع الحقوق محفوظة © لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة
إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو أية وسائل
أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل
من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات
القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.





فرقة أعلام الحضنة والذاكرة الوطنية
البحث في الرواية الشفوية
والمخطوطات والأرشيف



مخبر الدراسات التاريخية
والسوسيولوجية للتغيرات
الاجتماعية والاقتصادية

سلسلة الكتب الأكademie لفرقة بحث (prfu)
أعلام الحضنة والذاكرة الوطنية
البحث في الرواية الشفوية والمخطوطات والأرشيف

العمران في المغرب الأوسط

خلال الفترة الوسيطة والحديثة

دراسة في التركيبة الإثنية والحضارية

أعمال مهداة للمرحوم

الأستاذ الدكتور مبارك بوطارن

إشراف:

أ.د/ رضا بن علال أ.د/ عبد الغني حروز

قسم التاريخ والجغرافيا	قسم التاريخ
جامعة محمد بوضياف - المسيلة	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

إهداء

هذا الكتاب مهدي إلى روح الأستاذ
الدكتور مبارك بوطارن رحمه الله



نطبيـل

كلمة في ذكرى رحيل زميلنا البروفيسور بوطارن مبارك

الأستاذ الدكتور: أحمد مريوش رئيس قسم التاريخ والجغرافيا

بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة - الجزائر

هي وقفات من ذلك الزمن الجميل، والأجمل منه هوان يقيم الإنسان نفسه من حين لآخر حتى يعي جيداً بمحتوى مساره بحلوه ومره، ووقتها يتذكر كل منا الشيء الكبير مما أنجزه، بل وقد نلجم أحياناً إلى إعادة النظر فيما أنجزناه برفقة زملاء وأصدقاء كانوا شركاء معنا في مشوارنا المهني منهم من يزال في ميدان البذل والعطاء، ومنهم من فارقاً إلى الدار الآخرة وهي مصير الجميع.

وأذكر من بين هؤلاء الذين فقدانهم من زملاء المهنة: البروفيسور عثمان حشلاف أستاذ الأدب العربي، والبروفيسور حليمي عبد القادر أستاذ الجغرافيا، والبروفيسور محمود يعقوبي أستاذ الفلسفة والبروفيسور مرسلی محمد أستاذ الجغرافيا، والبروفيسور الجيلالي أعطاطفة أستاذ اللغة الفرنسية، والبروفيسور بوطارن مبارك أستاذ التاريخ الوسيط، ونحن اليوم على مقربة من أحياء ذكري وفاته لأولى، إذ لا يقدر قيمة الرجال إلا الرجال.

فعلاً لقد فارقنا الرجل في غفلة من أمرنا ونحن منغمسين في أمور الدنيا ومتاعب المهنة، وأتذكر أنه قبيل وفاته بأكثر من شهر صادفته في فناء المدرسة وهو في طريقه لحضور دروس اللغة الإنجليزية التي فرضتها الوزارة على أساتذة الجامعة، وقلت له هل تحضر في أن تجادلنا باللغة الإنجليزية، فابتسم كعادته وقال لي لقد أتعجبنا مشاغل الدنيا على كبرنا، وأرغمونا على دراسة هذه اللغة. ووقتها لم أكن أعلم بها يعانيه من المرض الذي لم يعطله عن أداء مهامه البيداغوجية.

وبعدها تغيب عن حصص التدريس لأسبعين وهي ليست من عادته، واستفسرت عن ذلك الغياب من أحد المقربين من عائلته فأخبرتني عن حالته الصحية الغير مرحبة التي كانت سبباً في ذلك حتى وفاته. ونزل خبر الوفاة كالصاعقة على محبيه من أساتذة وموظفين وعمال وطلبة لما عرف به من تواضع وأخلاق ومهنية شريفة. وقد لمسنا كل ذلك في معاشرته، واشتركت شخصياً مع الفقيد في أعمال بحثية وكانت ناجحة بامتياز، وكان معنا ضمن فريق الخدمات الاجتماعية وقدمنا الكثير إلى من يستحقون من خدمات، ورافقت الفقيد في خرجات علمية إلى البلاد الأجنبية والعربية وكان خير الرفيق.

نعم لقد فارقنا الزميل إلى الدار الآخرة بعد أن ترك فراغاً بيننا كأساتذة قدماه أسهمنا في خدمة المؤسسة وتكوين المكونين في ظروف صعبة جداً ليست كما هي اليوم، وكما قلت سابقاً لا يقدر قيمة الرجال إلا الرجال والفقيد قيمة كبيرة تذكر وتشكر وندعوه بالرحمة والمغفرة، ونتمنى من المولى القدير الاستجابة.

بوزريعة في: 20 / 11 / 2024.

شهادات عن المرحوم
البروفيسور مبارك بوطارن
(رحمه الله)

قراءة في السيرة الذاتية للأستاذ المرحوم: مبارك بوطارن (1960-2023م)

(رحلة عمر ملؤها العلم والأخلاق والتضحية والابتسامة)

الأستاذ الدكتور عبد الغني حروز

قسم التاريخ جامعة محمد بوضياف المسيلة



لا يجادل اثنان في كون رحيل الإنسان أكبر خسارة يمنى بها محبوه، فقد ألف الله تعالى بين قلوب الناس على نحو جعل الروابط فيما بينهم تبني على الألفة والمحبة والمصالحة المشتركة، حتى إذا انفطر عقد مجموعة بشرية معينة بفعل موت أحدها أو بعضها ساد الحزن والتفسع والإحساس بما يشبه الخسارة، قد تفوق الخسارة المادية التي يحرص الإنسان كل الحرص على تفاديه .

هذا الوضع هو الذي عاشه الأساتذة و الطلبة الذين عرفوا الأستاذ الفقيد مبارك بوطارن، الذي فارق الحياة بشكل مفجع ومفاجئ يوم 4 سبتمبر 2023 ليترك آثارا لا تمحى في نفوسهم، لهذا فكر زملاؤه وأصدقاوؤه وطلبه في دعوة الذين عرفوه على مستوى قسم التاريخ والجغرافيا بالمدرسة العليا للأساتذة بوزيرية الجزائر وكذا قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، وعلى مستوى مختلف جامعات الوطن وخارجها، ومن مختلف التخصصات الإنسانية والاجتماعية إلى للمُساهمة في الاستكتاب الجماعي لإنجاز كتاب أعمال مُهداة للأستاذ مبارك بوطارن، تكريما له ولمساره البيداغوجي والعلمي، الذي ساهم من خلاله في تخريج عدة دفعات، ومناقشة

و تأثير عدد هائل من الطلبة المُتخرّجين، بالمدرسة العليا للأساتذة منذ بداية عمله بها و
إلى غاية وفاته رحمه الله
و فيها يلي نعرض لكم ما تيسّر لنا من سيرته العطرة الحافلة بالعلم والأخلاق
والتصحية:

- الاسم: مبارك.
- اللقب: بوطارن.
- تاريخ الميلاد: 0 1960 م بيانته.
- الحالة العائليّة: متزوج.
- الماضي الشوري: ابن شهيد.
- المؤهل: دكتوراه دولة.
- الرتبة أستاذ التعليم العالي.
- مكان العمل: المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.
- تخرج من معهد الآثار، جامعة الجزائر سنة 1985 م، متّحصلاً على شهادة الليسانس.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الإسكندرية سنة 1991 م.
- حصل على شهادة دكتوراه دولة من جامعة الجزائر سنة 2007 م.
- عمل أستاذاً مساعداً بالمدرسة العليا للأساتذة منذ سنة 1992 م.
- عمل أستاذاً مشاركاً بمعهد الترجمة، جامعة الجزائر.
- عمل أستاذاً بقسم التاريخ، جامعة الجزائر.
- عمل أستاذاً مشاركاً بجامعة التكوين المتواصل.
- عمل أستاذاً زائراً بجامعة محمد خيضر، بسكرة.

- عضو هيئة التدريس لطلبة السنة الأولى ماجيستير منذ 2002 م.

المسؤولية داخل الهيكل البيداغوجي:

- أشرف على تنظيم ملتقيات المرشحين لشهادة التبريز.
- عضو اللجنة العلمية على مستوى قسم التاريخ والجغرافيا بالمدرسة.
- عضو اللجنة المشتركة لوضع البرامج بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة التربية الوطنية.
- عضو اللجنة البيداغوجية الوطنية للتاريخ.
- عضو المجلس العلمي بالمدرسة.

شارك عضواً مشرفاً ومتدخلاً في عدة ملتقيات علمية نذكر منها:

- الندوة الوطنية حول المدارس العليا للأساتذة يومي 5-6 ديسمبر 1999 م.
- الملتقى الوطني حول تعليمات العلوم الإنسانية أيام 22-23-24 ماي 2000 م.
- تحليل الخطاب في العلوم الإنسانية أيام 8-9-10 ماي 2001 م.
- اللسانيات ودورها في العلوم الإنسانية يومي 05-06 ماي 2001 م.
- واقع تدريس التاريخ والجغرافيا في المنظومة التربوية يومي 13-14 أبريل 2003 م.
- الملتقى العربي الأول المقربة في التعليم والتعلم الجزائري يوم 9-10 ماي 2004 م.
- المنتدى المغاربي حول نحو إطار مغاربي موحد للتقدير في المؤسسات الجامعية لتكوين المكونين الجزائري يومي 5-6 ماي 2010 م.

- رئيس تحرير مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا التي يصدرها خبر التاريخ والحضارة بالمدرسة.

- عضو هيئة التحرير لمجلة المبرز التي تصدرها المدرسة.

- رئيس اللجنة البيداغوجية بالقسم.

تأثيرات البحوث العلمية:

- شارك في مناقشة مذكرات تخرج طلبة ما بعد التدرج المتخصص.
- أشرف وناق وترأس لجان المناقشة لمذكرات طلبة شهادة الليسانس.
- أشرف على مذاكرات الماجستير.
- أشرف على رسائل الدكتوراه وعضو في عدد من لجان تقييم الماجستير والدكتوراه.

نشاطات البحث:

- عضو فرقه بحث موضوعها :تطور المجال العمراني في الجزائر.
- عضو فرقه بحث موضوعها :التعليم و المراكز العلمية في العصر الإسلامي مع التركيز على المغرب.
- رئيس فرقه بحث موضوعها :المراكز الحضارية في الصحراء الجزائرية.
- عضو فرقه بحث الشعب في معركة: الوكالة الوطنية لترقة البحث الجامعي.
- عضو فرقه بحث :المراكز الحضارية والثقافية بالغرب الأوسط المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية.
- عضو فرقه بحث موضوعها :الدور التجاري لمدن الصحراء الجزائرية.
- عضو فرقه بحث :التعليم وأهميته في تاريخ الجزائر الحديثة من خلال المخطوطات.

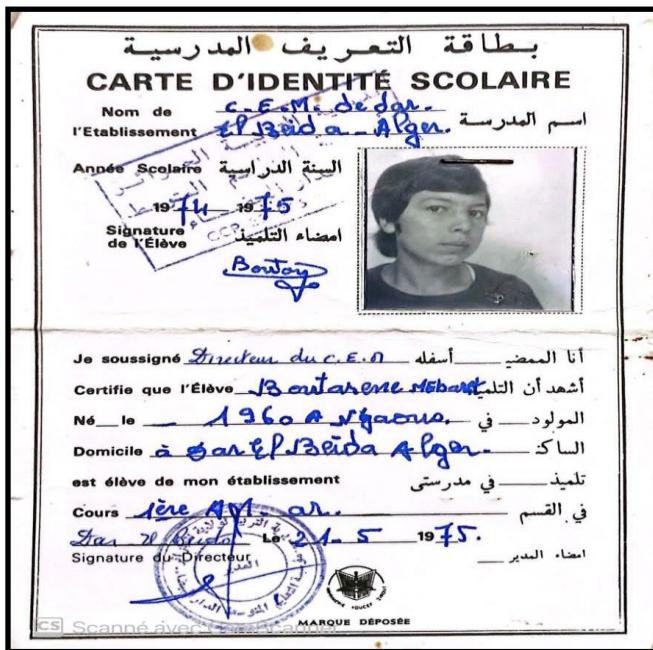
- رئيس فرقة بحث :معجم الواقع التاريخية في الجزائر بالعصر الوسيط.
- رئيس فرقة بحث :المراكم التجارية في المغرب الأوسط ودورها في ازدهار المنطقة.
- نشر عدد من المقالات العلمية في مجلة معهد الآثار جامعة الجزائر ومجلة المبرز التي تصدرها المدرسة العليا للأساتذة – ومجلة حوليات إدارية.

نشاطات إدارية:

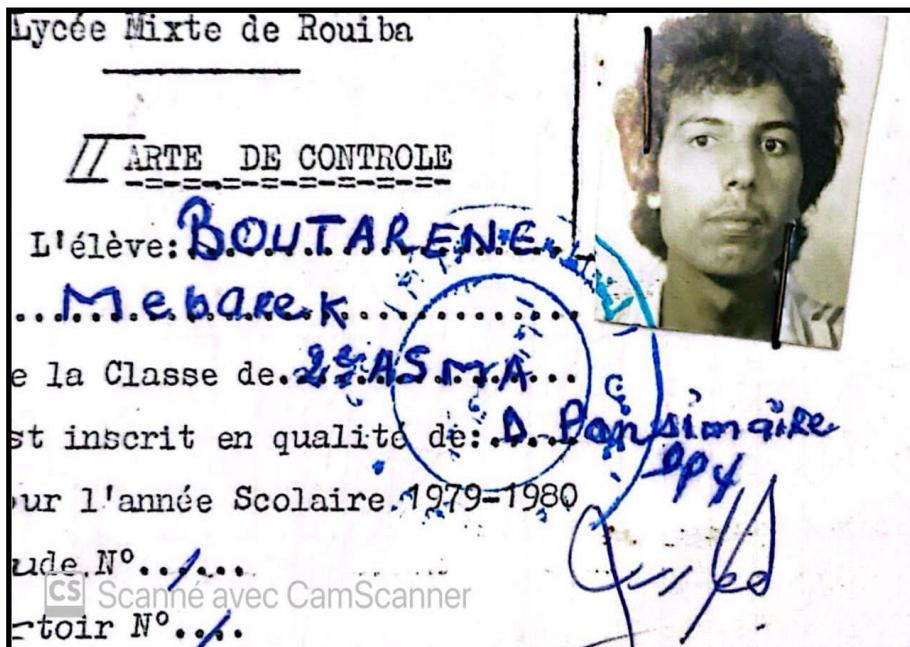
- عمل كرئيس دائرة التبريز منذ 1992-09-13 م إلى غاية 20-03-1997 م.
- عمل كرئيس دائرة البحث العلمي منذ 1998-10-05 م إلى غاية 2007-02-20 م.
- عضو بالمجلس العلمي للمدرسة.
- نائب مدير المخبر بالمدرسة منذ 2001 م.
- رئيس قسم التاريخ والجغرافيا بالمدرسة منذ 22 ماي 2010 م إلى سبتمبر 2015 م.
- شغل منصب مدير مساعد للدراسات في التدرج والشهادات منذ سبتمبر 2015 م إلى شهر أكتوبر 2018 م.
- شغل منصب مدير مساعد لأنظمة الإعلام والاتصال والعلاقات الخارجية منذ 2019 م إلى اليوم.

وكان لا يزال يهارس عمله أستاذًا المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة. إلى أنه وافته المنية يوم 04 سبتمبر 2023.

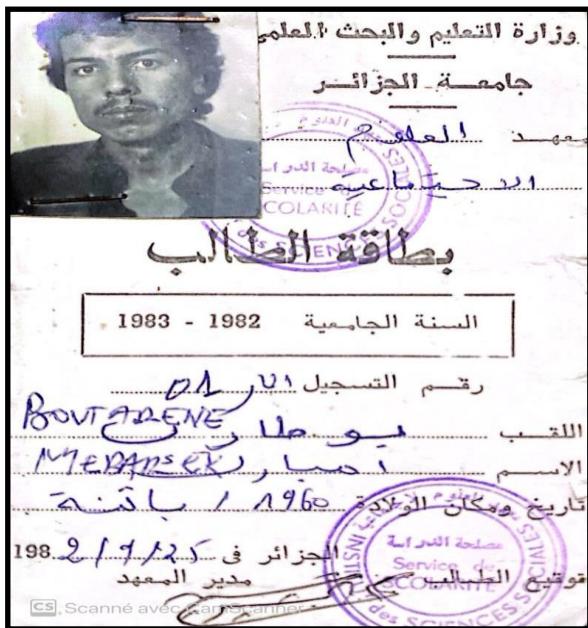
رحم الله أستاذنا العزيز وجعل الجنة سكنا له مع الصديقين والنبيين والشهداء.



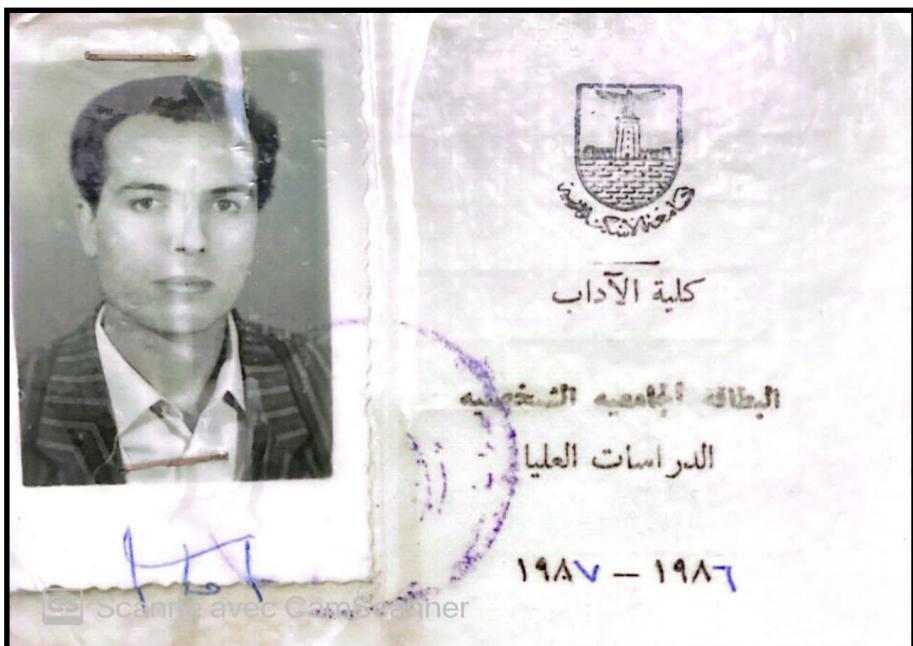
الدكتور مبارك بوطارن في المرحلة المتوسطة سنة 1975



الدكتور مبارك بوطارن في المرحلة الثانوية سنة 1980-1979



الدكتور مبارك بوطارن في المرحلة الجامعية سنة 1983-1982



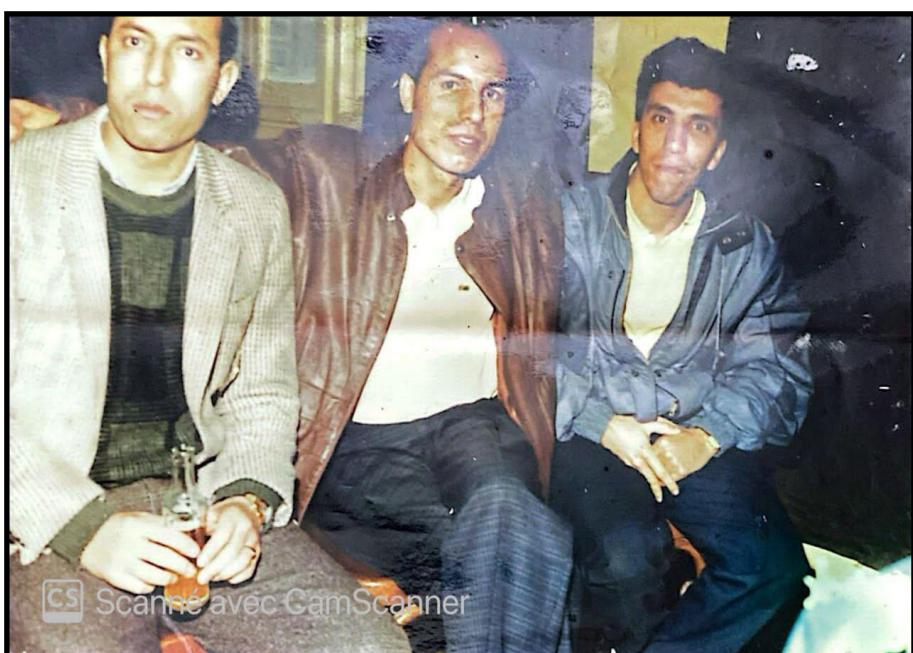
الدكتور مبارك بوطارن منتسباً لكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE		ALGERIE	98/4275
		CATÉGORIE	Carte n°
  <small>Scanned with CamScanner</small>	Accès au oeuvres universitaires		
CARTE D'ADMISSION DANS LES RESTAURANTS (Personne autorisée)			
NOM : <u>BOUTARENNE</u> PRENOMS : <u>MOHAMED BAREK</u> CROUS DIVISION DE VIE ETUDIANTE <u>15/08/98 au 31/07/98</u> <u>Accueil</u> <u>Etudiants</u> <u>Strangers</u> <u>15/08/98 au 15/08/98</u>			
Cette carte est strictement personnelle, toute infraction donnera lieu à des sanctions. Elle doit être présentée à l'appui de toute demande formulée auprès du Centre Régional des Oeuvres.			

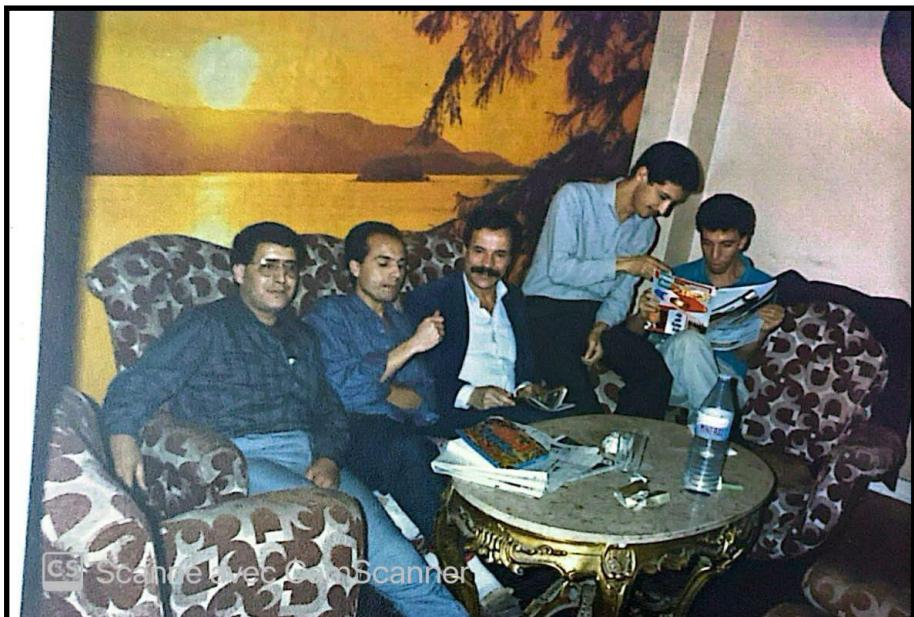
الدكتور مبارك بوطارن في مرحلة الأستاذية سنة 1998



الدكتور مبارك بوطارن مع صديقه الدكتور أحمد مريوش



مع الزملاء الأساتذة...



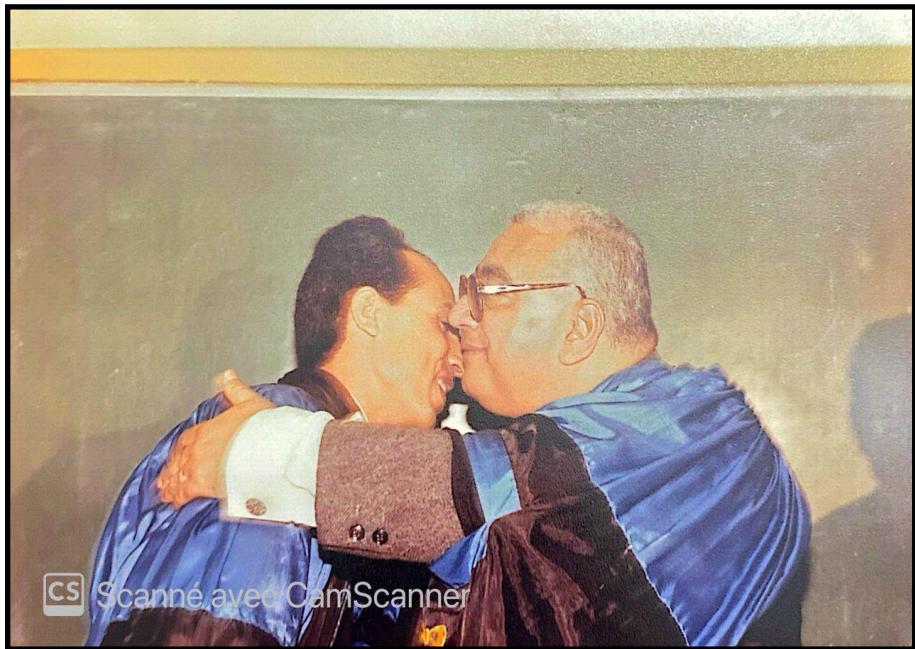
الدكتور مبارك بوطارن مع مجموعة من أصدقائه



الدكتور مبارك أمام اللجنة العلمية أثناء مناقشته رسالة الماجستير



يُنصلات... أمام اللجنة العلمية المناقشة



الدكتور مبارك بوطارن يتلقى التهنئة من رئيس اللجنة العلمية



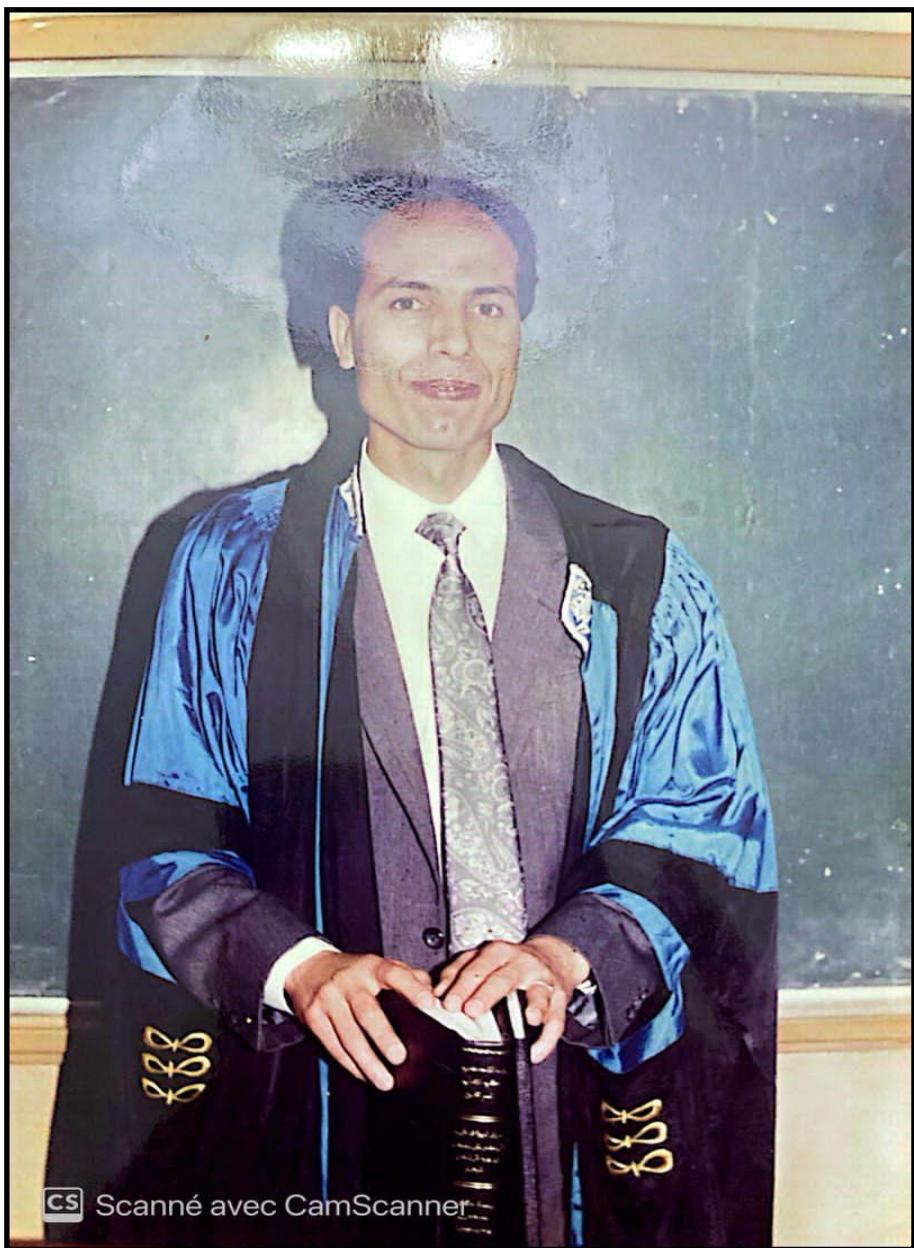
مع اللجنة العلمية... وصورة تحفظ الذكرى



الدكتور مبارك بوطارن مع الزملاء بعد المناقشة



الدكتور مبارك بوطارن يحضر مناقشة رسالة علمية لأحد أصدقائه



Scanné avec CamScanner

اكتمال المهمة ...



الأصدقاء يشاركون صديقهم الأستاذ بعد نجاحه



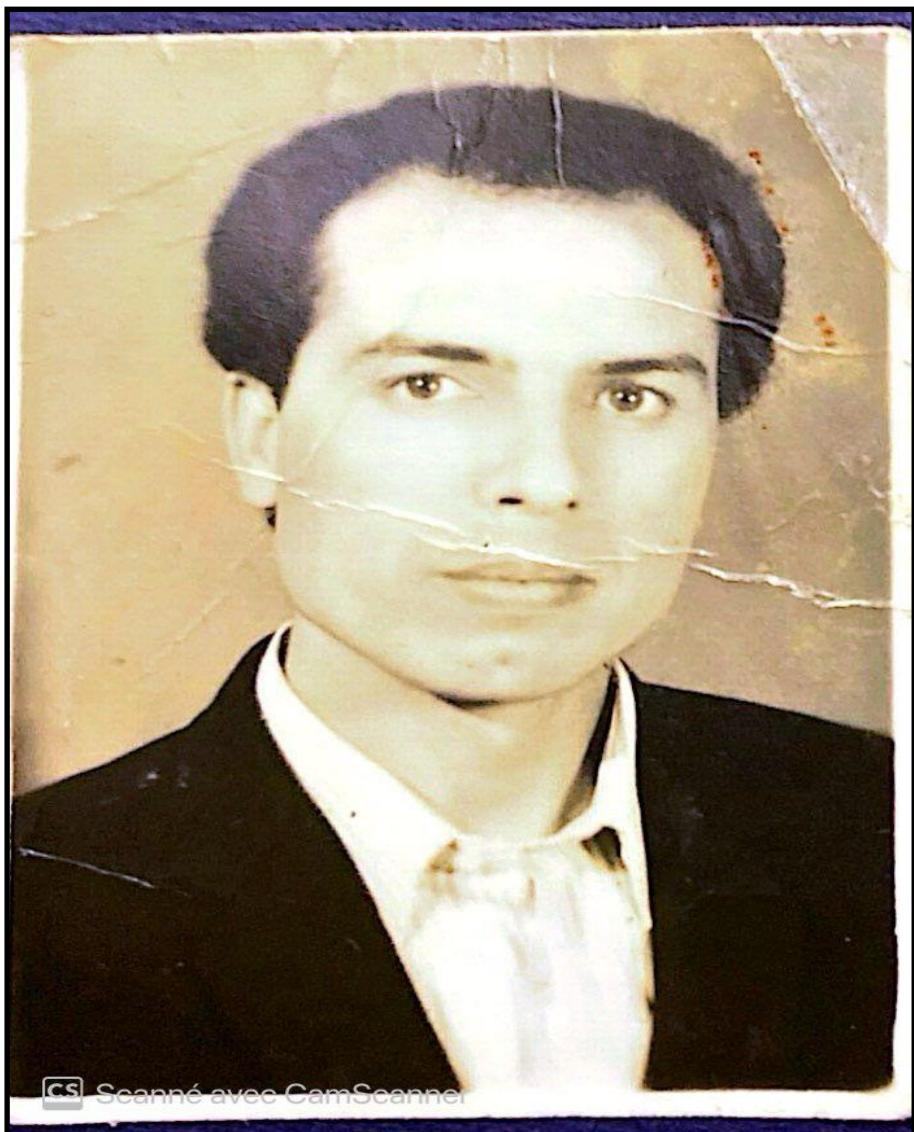
الدكتور مبارك في جولة بلبنان



الدكتور مبارك بوطارن في البقاع المقدسة



الدكتور مبارك بوطارن يحتفي بصديق بعد مناقشته أطروحته



الأستاذ الدكتور مبارك بوطارن في شبابه

البروفيسور بوطارن مبارك كما عرفناه

الأستاذ الدكتور أحمد مريوش

المدرسة العليا للأساتذة: بوزرعة



سيرة ومسار لآخر عزيز على قلوبنا عرفناه عن قرب، شاركناه في الكثير من المحطات، فارقنا فجأة من دون ان نحضر انفسنا للوعة الفراق، ومع ذلك يذهب الرجال ويبقى الأثر، فكثيرهم أولئك الذين اسهموا في تثمين حركة التغيير المجتمعي نحو الأفضل، ومنهم مبارك الذي كان دوما قريبا من فعل الخير بلا هواة وبدون حساب بطرائقه المختلفة منها وسيلة التربية والتعليم وغرس مفاهيم القيم النبيلة في عقول الناشئة بين طلبه بغرض وضع الإضافة الإيجابية للمساهمة في تشيد المجتمع الجزائري ما بعد الاستقلال، هذا المجتمع الذي ورث عن الاستعمار العنصري الاستيطاني إرثا ثقيلا قوامه ظاهرة التشرد ونشر الأمية وفرض المجاعة على الساكنة مما تسبب في انعدام دفع العائلة الكبيرة بعد ان اسهم في فكك او اصرها المجتمعية، وتلك أحاسيس قليلة من الكثير، بل و جامعه شعرنا بها نحن جيل الاستقلال، ومن بيننا شخص بالذكر أخيانا مبارك الذي شاركنا في تلك المشاعر ووجد نفسه يتحمل ذلك العبء من جهة، ويشعر من جهة أخرى بالمسؤولية الثقيلة التي تتظرنا للمساهمة نحو الأفضل، وهي خصال تعليمناها عن غيرنا من جيل الثورة ونحن طلبة مبتدئين خلال مسيرتنا الدراسية.

ومن دون شك أن زميلنا الدكتور مبارك قد عاش هو الآخر تلك المرحلة البائسة بكل حيويتها وهو ابن شهيد والمصطلح لا يحتاج إلى الشرح ووالده قد أدى الواجب لتحرير الوطن، فما كان عليه إلا أن يكون خير خلف لخير سلف كما هو في تربية ذلك الزمان، وقد لمست فيه تلك الخصلة منذ أن تعرفت عليه حينها توظفت بالمدرسة العليا للأساتذة ولم تجتمعنا مرحلة التلمذة ولا مرحلة الجامعة كطالبة، بل جمعتنا هموم المرحلة وما كنا نسعى لتقديمه خلال مرحلة التدريس من بذل وعطاء للتقليل من ارث الاحتلال وتفعيل جيل المستقبل نحو طموح أفضل وتكوين جيل لا يعترف بالهزيمة.

ويشاء القدر أن فقدنا بالأمس الأخ العزيز على قلوبنا مبارك في يوم الاثنين المبارك، وكان وقع الخبر فاجعة على قلوب من عرفوه ولو أنه قضاء القدر المحسوم وكل ما مآل القبر، قلت فارقنا هذا الزميل بعثة بعد مرض عضال دام شهور الرزمه الفراش، وكنا وغيرنا من يعرفه ندعوا له دوما بالشفاء في صلاتنا حتى يتعافى ويواصل معنا المشوار والعطاء خدمة لتكوين اجيال الغد، ولكن المحسوب عند الخالق لا يغيره المخلوق، وكان قدر الله وما علينا سوى أن نتحلى بالصبر ..

تكلمنا عنه و هو في الحياة حتى لا نوصف بالمتملقين و يحق لنا اليوم ان نقول عنه شهادة الحق و هو في مثواه الأخير، لقد عرفناه و تعاملنا معه عن قرب كأستاذ و كمسؤول منذ خريف 1994 حينما كنا نعمل معا في جامعة الخروبة بحسين داي قبل انتقال إدارة المدرسة العليا الى مدرسة بوزريعة أي قرابة 30 سنة من ذلك التاريخ الى كتابة هذه الاسطرون، و كان وقتها الفقيد هو من يتولى متابعة تكوين طلبة التبريز الذين كانوا يلتحقون بالمدرسة كمتدربين من قطاع التعليم الثانوي بوزارة التربية الوطنية،

و كانت المدرسة في جنينها ولم يلتحف بها بعد طلبة البكالوريا، و قد تولت مهمة تكوين المكونين لنيل شهادة الأستاذ المبرز، و قد تم تكوينهم بالمدرسة و نجح بعضهم في تخصصات مختلفة، بل واصل بعضهم دراساته العليا حتى أصبح فيما بعد ضمن طاقم الأساتذة الجامعيين بالمدرسة، و ترقى بعضهم حاليا إلى رتبة أستاذ التعليم العالي، وكانت المسيرة كلها في العطاء و بذل الجهد خدمة للتحسين البيداغوجي.

وبعد ان تكفلت إدارة المدرسة بتكوين طلبة ما قبل التدرج للطلبة الجدد الحاصلين على شهادة البكالوريا بدرجة مشرفة بغرض تكوينهم كأساتذة لوزارة التربية بعد خضوعهم للمقابلة الشفهية، كان زميلنا مبارك من الأوائل الذين اشرفوا على العملية و قدم الدعم للإدارة وبالخصوص بعد موسم الاقبال الواسعة من المتسبين للمدرسة والذين توافدوا عليها بكثرة للحصول على شهادة أستاذ التعليم في الأطوار الثلاثة الثانوي و المتوسط و الابتدائي على الرغم من العجز في المقاعد البيدagogية.

و كانت وقتها المهمة صعبة لتحضيرهم و الاشراف عليهم بين ما هو نظري و تطبيقي حتى يصبحون أساتذة مكونين مع قطاع وزارة التربية الوطنية، ولم نقصر وقتها على الرغم من النقص الملحوظ في وسائل التكوين وكذا العجز الواضح في عدد الأساتذة الدائمين واللجوء إلى التعاون مع أساتذة التاريخ من جامعة الجزائر وكذا أساتذة الجغرافيا من جامعة باب الزوار الذين لم يدخلوا علينا بما لديهم من خبرة في التأطير و صياغة البرامج و تتبع الخرجات الميدانية للطلبة.

و لم يكن ذات يوم زميلنا مبارك بعيد عن هذا المسار التكويني وتقديم للخدمة وقد شاركنا في إنجاز البرامج لتكوين الطلبة في ملامح مختلفة، كما شاركنا أيضا في السعي لفتح خبر التاريخ والحضارة و الجغرافيا التطبيقية بالمدرسة و يعد من أولى

المخابر لها، وكانت له المساهمة في التأسيس لفرق البحث بغرض تنمية معارف الأستاذ الباحث، بل أكثر من ذلك مسعاه الكبير في فتح التكوين فيما بعد التدرج أي الدراسات العليا وإعطاء الفرص التكوينية للطلبة المخرجين من داخل المدرسة أو خارجها، ولدينااليوم من الأسماء الكثيرة من هم في رتبة أستاذ التعليم العالي سواء بالمدرسة و حتى بالعديد من جامعات الوطن ..

لقد فارقنا هذا الطيب العزيز بما عرفنا عنه من طيبة وحسن الخلق والمواطبة على العمل، كان يبتسم في وجوه الكثير من تلقاء كعادته، كان كائناً لغضبه الذي يشوبه أحياناً في وجوه البعض من كانوا يزعجهونه في بعض الحالات، كان غير حاسداً بل وخدوماً لغيره بحسب المستطاع حتى قال البعض عنه أنه استغلت طيبيته من بعض الطفيليين من لم يرقوا إلى مقامه وهم كثُر في حياتنا المهنية اليومية..

ولم نسمع عنه ذات يوم أن تفوته بكلمة سوء أخلت من مهنته وحياته، كان قربه من خالقه واضحًا من خلال سلوكه وتعامله وأدائه لفريضة الصلاة في موعدها كما عرف عنه بالمدرسة، تولى تعداد المهام البيداغوجية والادارية بالمدرسة واضحًا عليها بالإضافة، وكانت أبواب مكتبه مفتوحة أمام الجميع، كل ذلك رفع من تواضعه وسمعته بين اسرة التدريس وطلبة القسم واسرة المدرسة عموماً واعطى كل ذلك الفضل الكبير في تكريس التوازنات والتقليل من عواقب التناizzaة ومرض الائتمانية الذي امتهنه البعض لتوسيع الهوة بين اسرة التدريس بالمؤسسة، و كان دوماً يرجح البحث عن الوفاق وقول الصدق والمصالحة لتنمية النهج التربوي والحفاظ على خصال الأستاذ المربى.



صورة من الزمن الجميل التقrott بفناء المدرسة ويظهر فيها من اليمين الى اليسار الأستاذ: بكار العايش، أيت طالب مراد، سيفور عز الدين، بوطارن امبارك، مريوش أحمد، بن علال رضا

هكذا عاش بينما هذا الآخ الخلوق فيحيطه الجامعي، وقد عرفنا عنه أيضا تلك الحالات أثناء سفرنا معا إلى البلاد العربية أو الأجنبية و كان دوما بطيته المعهودة، و كم كان سعداء حينما نسترجع ذكريات مسار تلك السفريات العلمية التي جمعتنا وبالخصوص قضاء الأوقات الطويلة في مكتبة الأسد الوطنية وأحيانا في المكتبة الظاهرية من دون اكل حتى العودة إلى فندق الزهور بساحة المرجة بوسط دمشق.

تلك بعض الذكريات من الزمن الجميل لرفقاء المدرسة، و ستبقى خالدة في الذاكرة، و حين العودة من السفر كنا دوما نتذكر حشياتها التي عززت من صداقاتنا فيما بيننا وأن الصديق المثالي تعرفه خلال السفر كما يقول الكثير، و كان ذلك واضحا حين سفرنا إلى الخارج سواء إلى بلاد المشرق بدمشق وحلب أو إلى مصر بلاد الكنانة التي

درس بها فقيتنا مرحلة الدراسات العليا بجامعة الإسكندرية وتحصل منها على درجة الماجستير في الآثار الإسلامية.



صورة أمام مدخل مكتبة حافظ الأسد الوطنية بدمشق سنة 2000
ويظهر فيها على اليمين الأستاذ بوطارن امبارك و بجانبه الأستاذ مريوش احمد.

وبحسب شهادة أخيه المادي الذي استفاد هو بدوره من منحه للدراسة بمصر فإن مبارك كان مواظباً على دراسته وإتمام اطروحته في وقتها المحدد، ولم تلهيه مغريات الدنيا كغيره من بعض زملائه من الطلبة الجزائريين وذلك لما كانت تعرف به المدن المصرية من الصخب الليلي وبالخصوص القاهرة التي لا ينام سكانها إلا مع بزوع فجر الصباح، فكان عفيفاً مترفعاً عن بريق اللهو ومحافظاً على واجبه الذي سافر من أجله.

لقد فارقنا هذا الزميل وهو في اعز البذل والعطاء العلمي، وكان رحمة الله كلها
التثبت به يقول لي إن توقيت مسؤولية الإدارة قد افقدتنا نكهة البحث وابعدتنا كثيراً عن
الكتابة والتأليف، كما قلل من آدائنا البيداغوجي أحياناً، وتلك هي مهماتنا الأساسية
التي توظفنا من أجلها، وهو اعتراف منه بالشعور المهني الذي قلماً نجده لدى البعض
من هم في المهنة، وهي معيار من خصال الأستاذ الناجح، وكان دوماً يقدم الكثير
لطلبه على مستويات مختلفة بيداغوجية وتربيوية وخلقية، ولم نسمع عنه ذات يوم ما لا
يرضيه ويقلل من شخصيته في الحرم الجامعي ..

فارقنا مبارك، وقد ودعناه بالنظرة الأخيرة في غرفة بمنزله بالعاصمة وطلبنا من المولى القديير أن يغفر له خططيه و الكمال لله، وودعناه بعد صلاة المغرب في مقبرة العاليا وهو الى جوار ربه بعد ان استمعنا الى كلمة تأبين خالدة أدلی بها أحد أساتذة المدرسة حول الراحل عرج فيها الاخ البروفيسور نواسة عن حياة الراحل أبكت القلوب وأحيت الذكريات وهي ليست برثاء عابر بل كانت موعظة لنا جميعاً ينتظرنا كلنا، هكذا كان الوداع الأخير للزميل والاخ وسيبقى مبارك مبارك في قلوبنا دوماً رحمة الله عليه.

أبحاث ودراسات تاريخية

الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي

The Social Conditions of the Maghreb before the Islamic Conquest

أ.د/ مبارك بوطارن – رحمه الله / د. مرزاق بومداح

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة

ملخص:

يتناول موضوع هذا المقال الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي؛ حيث تطرقنا فيه إلى أهم عناصر سكانه كالبربر والأفارقة واليهود والسودان والروم والفرنج، ثم عالجت هذه الدراسة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب حيث تناولنا الديانة التي كانت يعتنقها هؤلاء السكان، ثم ذكرنا السياسة المتغطرسة التي انتهجها الاحتلال البيزنطي اتجاه سكان بلاد المغرب من خلال فرض الضرائب الباهظة، واتباعه سياسة التمييز العنصري باعتبار البيزنطيين هم أصحاب الطبقة العليا والنفوذ، وما دونهم يعتبرون في نظرهم من الطبقات الوضيعة، بالإضافة إلى الاضطهاد الديني الممارس من قبل السلطات البيزنطية من خلال فرضهم للمذهب المنوئلي بالقوة على سكان المنطقة، فكان ظهور الفاتحين المسلمين وما يحملونه من مبادئ سامية وعادلة سبباً في تخلصهم من نير الاحتلال البيزنطي، وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، واعتناقهم الدين الإسلامي الحنيف، والتخلص من الديانة الوثنية وغيرها من الديانات المحرفة كاليهودية والنصرانية.

الكلمات المفتاحية: البربر؛ بلاد المغرب، السكان؛ الأوضاع الاجتماعية؛ البيزنطيون؛ الفتح الإسلامي.

Summary:

The subject of this article deals with the social conditions of the Maghreb before the Islamic conquest. In it, we touched on the most important elements of its population, such as the Berbers, Africans, Jews, Sudanese, Romans, and Franks. Then this study dealt with some aspects of the social life of the inhabitants of the Maghreb, where we discussed the religion that these populations professed, and then we mentioned the arrogant policy that the Byzantine occupation pursued towards the inhabitants of the Maghreb by imposing taxes. It was exorbitant, and followed a policy of racial discrimination, considering that the Byzantines were the owners of the upper class and influence, and those below them were considered in their view to be among the lowly classes, in addition to the religious persecution practiced by the Byzantine authorities through their forceful imposition of the Monothelite doctrine on the inhabitants of the region. Thus, the emergence of the Muslim conquerors and the principles they carried Sublime and just means of freeing them from the yoke of Byzantine occupation, improving their social conditions, embracing the true Islamic religion, and getting rid of paganism and other distorted religions such as Judaism and Christianity

Keywords: Berber; Maghreb countries, Population; Social conditions; Byzantines; Islamique conquest.

مقدمة:

كانت بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي خاضعة للاحتلال البيزنطي ، وكان البربر هو العنصر الغالب على المنطقة، ومن هنا يتبدادر إلى الذهن الإشكالية التالية: كيف كانت الأوضاع الاجتماعية لسكان بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية، ومن أهمها ذكر ما يلي:

ما هي الحدود الجغرافية لبلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي؟ وفيما تمثل أهم العناصر المكونة لسكانه؟ وما هو الدين الذي كان يعتنقه المغاربة قبل وصول الفاتحين المسلمين؟ وهل كانت سياسة البيزنطيين اتجاه السكان عادلة؟ ولماذا قام البربر بخوض عدة حروب ومعارك ضد الاحتلال البيزنطي؟

أولاً: جغرافية بلاد المغرب:

عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة؛ فأطلق القرطاجيون لفظ أفري (Afri) على أهل البلاد الذين يسكنون حول مدينتهم طاقة (Utica) (المدينة القديمة)، وعاصمتهم قرطاجة (المدينة الحديثة)، وسمى هيرودوت النطاق الجغرافي من شمال إفريقيا الممتد من غرب مصر حتى البحر الكبير باسم ليبيا، وأطلق على سكانه البيض اسم الليبيين تمييزا لهم عن جاورهم من بلاد الصحراء بالأثيوبيين السود، مع العلم أن الإغريق أخذوا اسم إفريقيا من القرطاجيين فأطلقوه على أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، ومن ثم سميت هذه المنطقة أفريقيا أي بلاد الأفري، واستعمل هذا الاسم للدلالة على هذه

المنطقة، وأطلق هيروdot لفظ إفريكا على كل ما يلي مصر غرباً من البلاد حتى
المحيط الأطلسي⁽¹⁾.

وبعد احتلال الرومان لقرطاجة في سنة 146ق. م أطلقوا اسم إفريقيا أو ولاية إفريقيا البرو فنصلية (Africa proconsularis) للدلالة على المناطق التي كانت تبعيتها مباشرة للقرطاجيين، ونوميديا للدلالة على المنطقة المتوسطة التي تليها، وكانت آنذاك مستقلة، وموريطنانيا للدلالة على المنطقة الغربية المتطرفة، وكانت هي الأخرى مستقلة عن الرومان، وبعد الاحتلال الروماني لنوميديا في سنة 46ق. م وموريطنانيا في سنة 40م؛ تجزأت نوميديا إلى قسمين أحدهما شرقي والآخر غربي، وغدت موريطنانيا قسمين: موريطنانيا القيصرية وعاصمتها شرشال وموريطنانيا الطنجية وعاصمتها طنجيس (طنجة)، ثم أضيفت إليها فيما بعد موريطنانيا السطايفية (سييفيس) وعاصمتها سطيف-جريا على سياسة الرومان المؤسسة على التجزئة والتفتت للوطن وللسكان، كما أنه لا يستبعد أن يكون اسم إفريقيا (Africa) الذي

(1)- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ص ص 1-2؛ شارل أندرى جولييان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعریب: محمد مزالى والبشير مزالى، مؤسسة تاوات الثقافية، 2011م، ص 7؛ موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 14؛ عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة-مصر، 1427هـ/2007م، ط 1، ص 11؛ عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط-المملكة المغربية، 1388هـ/1968م، ج 1، ص 2؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر، 1999م، ص 39؛ هيروdot، تاريخ هيروdot، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1421هـ/2001م ص ص 353، 365، 369.

استخدم أثناء الاحتلال الروماني مشتقاً من التسمية المحلية بزعمهم للإله "إفري"⁽¹⁾ قبل أن يتم تعميم الاسم على كامل القارة⁽¹⁾. وفي العصر البيزنطي اتسع مدلول الكلمة إفريقية، ليصبح شاملًا لكل المنطقة التي تمتد من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً⁽²⁾.

وأما في الفترة الإسلامية فقد اختلفت آراء المؤرخين العرب وال المسلمين حول مدلول الكلمة إفريقية؛ فابن عبد الحكم (ت. 257هـ/871م) وهو من أقدم وأوثق مؤرخي الفتح يشير إلى أن قرطاجنة كانت مستقر سلطان إفريقية تغلب عليها جرجير (جريجوريوس)، وكان نفوذه يمتد من طرابلس إلى طنجة، وأما البكري (ت. 487هـ/1094م) فيصف لنا إفريقية بقوله: "وحد إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى مدينة طنجة الخضراء غرباً، واسم طنجة مرطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان"، وبعض المؤرخين استثنى إقليم بنطابلس (المدن الخمس) الذي جعله جزء مستقلًا عن مصر تارة، وإفريقية تارة، وألحق بمصر إدارياً تارة أخرى، فيذكر البلاذري (ت. 279هـ/892م) أنه قد بلغه أن أطربالس بينها وبين إفريقية تسعة أيام، وأما ابن أبي دينار (ت. نحو 1110هـ/1698م) فيذكر أن إفريقية هي بلد القيروان وهي أوسط بلاد المغرب، ثم يقول في موضع آخر: "وحد إفريقية بالطول من برقة إلى طنجة، وعرضها من البحر الشامي إلى الرمال التي أول بلاد السودان قاله

(1)- محمد البشير شنيري، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق. م-40م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعة، الرغایة-الجزائر، ط 2، ص 41؛ لقبال، المرجع السابق، ص 13-14؛ مريم صليحة، "مقاطعة السطايفية حدودها وسر وجودها"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر، ج 6، العدد 16، 2018م، ص 219.

(2)- لقبال، المرجع السابق، ص 14.

غير واحد، قلت: في زماننا هذا لا يعبر إفريقيا إلا من واد الطين إلى بلد باجة"، وأما ياقوت الحموي فحدد إفريقيا بقوله: "وحد إفريقيا من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية، وقيل: إلى مiliانة، فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف⁽¹⁾.

ويرتبط تاريخ ظهور مصطلح المغرب في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير (ت. 630هـ/1233م) في تاريخه، ويظهر أنه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي كان يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاوره من الناحية الأخرى، المشرق الإسلامي الذي كان يشمل العراق وفارس وبلاط ما وراء النهر⁽²⁾.

وأما اطلاق مصطلح المغرب على نطاق شمال إفريقيا أو جزء منه فأغلب الظن أنه لم يقع قبل القرن الثالث الهجري أي في عصر ابن عبد الحكم (ت. 257هـ/

(1) - عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ، ص 210؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والمالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م، ج 2، ص 672؛ أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الملال، بيروت-لبنان، 1988م، ص 223؛ محمد بن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ط 1، ص 15-16؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، 1986م، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ط 2، ج 1، ص 228. ص 143؛ لقبال، المرجع السابق، ص 14؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 2.

(2)-علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م، ط 1، ج 2، ص 689؛ لقبال، المرجع السابق، ص 15.

(871م) الذي أشار في حديثه عن نشاط وال المغرب معاوية بن حدیج بقوله: "ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد معاوية بن حدیج التجهییی سنة أربع وثلاثین"⁽¹⁾.

واختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمين في تحديد مدلول المغرب، فجعله البعض منهم يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى الأندلس، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، مثل جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينيا وكورسيكا وجزر البليار أو الجزر الشرقية وهي ميورقة ومنورقة وبياسة، وجعل المقدسي مصر من بلاد المغرب بقوله: " ويمتدّ المغرب من تخوم مصر إلى البحر المتوسط" ، وبعضهم قلص من الحدود الشرقية من المغرب فجعلها من الإسكندرية شرقاً إلى المتوسط كابن حوقل (ت. بعد 367هـ/978م): " حدّه من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية من أرض إفريقيا مقلا على أرض اطربلس وبرقة إلى الإسكندرية" ، وقسم الاصطخري (ت. 346هـ/957م) المغرب إلى قسمين شرقي ويشمل برقة وإفريقيا وتأهرت وطنجة والسوس وزويبة، وغربي وهو الأندلس، وتبعه في ذلك ابن عذاري (ت. نحو 712هـ/1312م) بإدخال الأندلس مع المغرب وجعله جزء منه بقوله: "إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلا... وببلاد الأندلس أيضاً من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به"⁽²⁾.

(1) - ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 220؛ لقبال، المرجع السابق، ص 15.

(2) - إبراهيم بن محمد الاصطخري، المسالك والمالك، دار صادر، بيروت-لبنان، 2004م، ص 36؛ أحمد بن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط 1، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1983م، ص 7.

ويذكر الزهري المتوفي في أواسط القرن السادس الهجري أن حدود بلاد المغرب تبدأ أولاً من جبال برقة وجبال أسوان في المشرق، وهذه الجبال على آخر عمل مصر وأول عمل القيروان، وآخره أقصى السوس، ويقسمه إلى ثلاثة أصقاع: فالصقع الأول إفريقياً ويمتد من جبال برقة إلى جبال نفوسه وجبال الونشريس، والصقع الثاني المغرب الأقصى من جبال الونشريس إلى جبال أشبرتال الداخل في البحر الأعظم، والصقع الثالث السوس الأقصى وحده في المشرق الصحراوي المتصل ببلاد متوسطة المرابطين مع الصحراء الجنوب وحده في الجنوب، وببلاد نول في الغرب، ومدينة أزقي في الشرق، وحده في الشمال الجبل الأعظم المسمى بجبل درن⁽¹⁾.

وقسم الناصري (ت. 1315هـ / 1897م) بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام وذلك بقوله: "ثم هذا المغرب يشتمل على ثلات ممالك: مملكة إفريقيا وهي المغرب الأدنى وقاعدتها في صدر الإسلام مدينة القيروان، وفي هذا العصر مدينة تونس، وسمى أدنى لأنه أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز ثم بعد إفريقيا مملكة المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان وجزائربني مزغنة... ثم بعد ذلك مملكة المغرب الأقصى، وسمى الأقصى لأنه أبعد المالك الثالث عن دار الخلافة في صدر الإسلام، وحد هذا الأقصى من جهة المغرب البحر المتوسط، ومن جهة المشرق وادي ملوية مع جبال تازا، ومن جهة الشمال البحر الرومي، ومن جهة الجنوب جبل درن"⁽²⁾.

(1) - محمد بن أبي بكر الزهري، الجغرافية، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد-مصر، د. ت. ط، ص 117-106.

(2) - أحمد بن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء-المملكة المغربية، د. ت. ط، ج 1، ص 127.

يمكنا القول أنه على الرغم من كل هذه التقسيمات السالفة فإن جمهور المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين اتفقوا على تحديد كلمة المغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة من غرب مصر إلى المحيط الأطلسي، فهناك المغرب الإفريقي، وهناك المغرب الأندلسي لأن كلمة مغرب أو مغاربة قد تعني أيضاً الأندلس وأهله⁽¹⁾.

ثانياً: التركيبة السكانية لبلاد المغرب القديم

سكن بلاد المغرب منذ القديم عناصر سكانية عديدة كالبربر والأفارقة والسودان واليهود والرومان والوندال، وسنحاول التطرق إلى ذلك بما يلي:

1-الأفارقة: هم خليط من بقايا المستعمرين لبلاد المغرب كالروماني والوندال والبيزنطيين، وبقايا الشعب القرطاجي القديم، ونفر من البربر من استقر ودخل في طاعة البيزنطيين، وتتضح التفرقة بينهم وبين البربر من قول جوتيه (Gautier) " وعلى أي الأحوال يسمى الأهالي الشائرون بأسماء قبائلهم، أو يسمون المور، أو البربر جملة، ولكنهم لا يسمون الأفارقة أصلاً، إن هذه التسمية قصر على خصومهم حماة النظام وهم أهل قرطاجة أو رعایاها"؛ ومن خلال نص جوتيه (Gautier) يدل أن العرب أخذوا هذه التسمية عن المؤلفين اللاتين⁽²⁾.

ومن خلال الاطلاع على المصادر العربية والإسلامية نجد أن ابن عبد الحكم (ت. 257هـ / 871م) والبكري (ت. 487هـ / 1094م) يذكراً أن الأفارقة نسبة إلى فارق بن بيضر أو فارق بن مصريم، وأن فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقيا، فالأفارقة سميت إفريقية، ويذكر ابن عبد الحكم (ت. 257هـ / 871م)

(1) - أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د. ت. ط، ص 10.

(2) - مؤنس، المرجع السابق، ص 5.

وابن خلدون (ت. 808هـ/1406م) أن الأفارقة كانوا خدماً للروم أقاموا على صلح يؤدّونه إلى من غالب على بلادهم، وأما البكري (ت. 487هـ/1094م) فيذكر لنا أن بعض الأفارقة كان مقيماً ببرقة: "و حول مدينة برقة قبائل من لواثة ومن الأفارق"، كما يصف ابن عذاري (ت. نحو 712هـ/1312م) سكان إفريقيا بالأفارقة، وذلك عند حديثه عن غزو ابن أبي السرح لإفريقيا وهزيمته لجر جير في معركة سبيطة⁽¹⁾، وهناك تعبير عجم إفريقي أو الأفارقة الأعاجم الذي يعني أيضاً الأفارقة كما ذكر ذلك ابن عبد الحكم (ت. 257هـ/871م) وابن خرداذة وابن عذاري (ت. نحو 712هـ/1312م)⁽²⁾.

وسكن الأفارقة بصورة رئيسية في المدن الساحلية، وبخاصة في مقاطعة إفريقيا البروتنصلية، حيث عُرفت مدينة قابس حتى بعد الفتح الإسلامي بمدينة الأفارقة الأعاجم، وهناك أدلة تشير إلى أن الأفارقة استوطنا في برقة، وفي نفزاوة بمدينة يقال لها بشرة، ونوميديا، وفي بعض المناطق الداخلية الغربية كمدينة فاس. وأما عن لغة الأفارقة فكانت رطانة ليست بعربية ولا ببربرية ولا عجمية ولا قبطية، فكان لا

(1) - ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 197، 212؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 650، 671؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 12؛ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1988هـ/1408م، ط 2، ج 2، ص 573.

(2) - ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 229؛ عبيد الله بن خرداذة، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت-لبنان، 1889م، ص 38؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 38.

يفهمها غيرهم، وفي هذا الصدد يذكر البكري (ت. 487هـ / 1094م): "ولهم كلام
يتراطون به ليس بعربي ولا عجمي ولا ببرسي ولا قبطي لا يعرفه غيرهم"⁽¹⁾.

2- السودان: هم أصحاب البشرة السوداء، وسماهم هيرودوت بالأثيوبيين⁽²⁾،
وكانت واحات الصحراء هي همسة وصل بين المغرب والسودان، وفي هذا الصدد
يدرك الإصطخري مانصه: (وليس لها اتصال بشيء من المالك والمعارات إلا من وجه
المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم)، وقد وصف المؤرخون العرب
والمسلمون بعض المدن الصحراوية كعدامس وزوويلة وأوجلة وسجلماة بأنها
أبواب السودان، وتعود جذور هذه العلاقة إلى ما قبل العصر القرطاجي والروماني،
وكان عامل استخدام هؤلاء في الخدمات الخاصة كالحراسة والفلاحة هو أساس
جلبهم بكل الوسائل إلى بلاد المغرب⁽³⁾.

(1) - ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 229؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 39؛ محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1409هـ، ط 1، ج 1، ص 297؛ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْيَعْقُوبِيُّ، الْبَلْدَانُ، دار الْكِتَبِ الْعُلُومِيَّةِ، بَيْرُوتُ-لَبَّانُ، 1422هـ، ط 1، ص 189؛ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 656؛ أوكييل، المرجع السابق، ص 29؛ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، 2004م، ط 1، ص 40.

(2) - هيرودوت، المصدر السابق، ص 369.

(3) - الإصطخري، المصدر السابق، ص 40-41؛ البكري، المصدر السابق، ج 1، ص 15؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 18؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 183؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1993م، ج 1، ص 108؛ حمودة، المرجع السابق، ص 20.

وقام سكان الصحراء المتشرون في المدن والواحات بدور كبير في ربط بلاد المغرب بأرض السودان عن طريق التجارة، أو تسهيل حركة مرور التجار وغيرهم بالمنطقة الصحراوية، ويدرك الدكتور سعد زغلول أن الجماعات السودانية لم يكن لهم كيان خاص ببلاد المغرب، مما يعني أن الدماء السودانية القادمة من الجنوب كانت تذوب أول بأول في دماء أهل بلاد المغرب، كما هو الحال الآن، ولذا خلى ذكرهم من قبل المؤرخين العرب والمسلمين⁽¹⁾.

3-الروم والفرنج: كان للاحتلال الروماني لبلاد المغرب مدة طويلة، ثم من بعده الاحتلال الوندالي ثم البيزنطي أن يكون للروم والوندال وجود بهاته المنطقة، ورغم أنه حدث اختلاط وتزاوج بين الروم والوندال والبيزنطيين والبربر لكن هذا الامتزاج كان محدوداً، ولذا ظل الروم والوندال والبيزنطيين يكونون جماعات منفصلة عن البربر، وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى الروم المستوطنين بالمغرب، ومن ذلك ما ذكره ابن عذاري (ت. 712هـ/1312م) عند مسیر حسان بن النعمان إلى قرطاجة: "فسار نعمان حتى نزل عليها وكان بها من الروم خلق لا يحصى كثرة"، ويدرك في موضع آخر عند حديثه عن حسان بن النعمان والكافنة: "فدلوه على امرأة بجبل أوراس يقال لها الكافنة وجميع من بأفريقيا من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون"⁽²⁾.

4-اليهود: لا يعرف بالتحديد متى قدم اليهود إلى بلاد المغرب، وإن كان ذلك في عهود سحرية، ويدرك بعض المؤرخين أن قدوم اليهود إلى المغرب كان عقب هدم

(1) - زغلول، المرجع السابق، ص ص 108-109؛ حمودة، المرجع السابق، ص ص 20-21.

(2) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص ص 34-35؛ زغلول، المرجع السابق، ج 1، ص 109؛ أوكيل، المرجع السابق، ص 29.

الميكل الأول في سنة 586ق.م من قبل الملك البابلي بختنصر ودخوله بيت المقدس؛ فقام بتشريدهم منها، فجلوا منها، وعرف هذا الجلاء بجلاء بابل أو الجلاء الأول، وتوجه بعض اليهود على قوارب فينيقية إلى قرطاجة التي كان قد أسسها الفينيقيون سنة 814 ق. م، وتفق معظم الدراسات على أن الهجرات المكثفة إلى بلاد المغرب بدأت أوائل القرن الثالث قبل الميلاد في عهد بطليموس الأول، وخصوصاً برقة (قرورنائية) للسيطرة البطلمية، وفي عهد الرومان أضحت إقليم برقة منطقة جذب لليهود حيث سمح لهم الرومان بحرية التنقل في حوض البحر المتوسط وفقاً للسلام الروماني، واستقرت جالية يهودية في العصر الروماني بمنطقة وليلي، ويبدو أن اليهود بوليلي ظلوا بها حتى بعد الفتح الإسلامي، واستمرت الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب خاصة بعد تحطيم الميكل على يد الرومان في سنة 70م؛ فاستقروا في برقة وقرطاجة، وتشير الروايات إلى زيادة الهجرة اليهودية في المغرب الأقصى حيث توغلوا غرباً حتى بلغوا منطقة درعة⁽¹⁾.

واستمرت الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب في العصر الوندالي في سنة 430م حيث تمنع اليهود بهدوء نسبي، لكن بعد خصوصي المغرب للسيطرة البيزنطية في سنة 533م أجبر اليهود على اعتناق الديانة النصرانية، وأدت اضطهادات البيزنطيين

(1)- عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم- مصر، ط1، ص 53- 56؛ أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، شركة دار الوّاق للنشر، بيروت- لبنان، 2014، ط1، ص 126؛ زغلول، المرجع السابق، ص 106؛ حودة، المرجع السابق، ص 24؛ حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالغرب، ترجمة أحمد شحلاوي عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء- المملكة المغربية، 1986م، ط1، ص 9؛ ابن منصور، المرجع السابق، ص 259.

لليهود إلى فرار الكثير منهم إلى عمق الأقاليم الجنوبية لبلاد المغرب، وبعضهم توجه إلى المغرب الأقصى، واندجوا مع البربر الذين سكنوا الصحراء والجبال والأودية؛ فتخل اليهود عن سكناً المدن تحت وطأة الاضطهاد الروماني خاصة بعدهما وجدوا ترحيلاً من هذه القبائل، وتزايد عدد اليهود في المغرب نتيجة لاعتناق بعض القبائل البربرية للديانة اليهودية في نهاية الاحتلال البيزنطي⁽¹⁾.

وأخذت منطقة المغرب الأقصى عدداً من اليهود، وانتقل إليها النازحون من بلاد الأندلس هرباً من اضطهاد القوط خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين؛ فعندما اعتنق الملك القوطي ريكارد الأول (Reccared I) المذهب الكاثوليكي سنة 589 م اعتبار اليهود من المهاقطة، ومن ثم شملهم الاضطهاد، وكان مجمع طليطلة الدينى الذى انعقد فى سنة 694 م قد فرض على اليهود التنصير، ومن لا يتنصر يصبح عبداً وتُصادر أملاكه، كما يُنزع منه أولاده بعد بلوغهم السابعة، ويربون تربية نصرانية، وقد أدى ذلك إلى فرار أعداد كبيرة من اليهود إلى المغرب الأقصى⁽²⁾.

5- البربر: هم سكان البلاد الأصليون كما يلقبهم الرومان، وذكرت النصوص الهيروغليفية الشعوب القاطنة إلى غرب نهر النيل تحت اسم الليبو، كما ورد اسم الليبيين في التوراة، وأطلق الإغريق اسم الليسيون على السكان القاطنين على سواحل إفريقيا الشمالية من حدود مصر إلى المحيط، والأثيوبيون على السكان القاطنين جنوب

(1) - بشير، المرجع السابق، ص 57؛ حمودة، المرجع السابق، ص 25.

(2) - عطية القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة-مصر، 1422هـ/2001م، ص ص 129-130؛ بشير، المرجع السابق، ص ص 57_58؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الحانجي، القاهرة-مصر، 1417هـ/1997م، ط 4، ج 1،

هذه المنطقة، وقد أطلق الإغريق أيضا لفظ البربر (Barbaroi) والرومان لفظ (Barbarus) باللغة اللاتينية التي تقابلها باللغة الإنجليزية (Barbarian) على الشعوب الخارجة عن نطاق الحضارة الرومانية والتي تعتبرها همجية، وفي هذا الصدد يذكر قزال (Gsell) أن البربر هم الأهالي المستعصين عن الحضارة اللاتينية، وأما المؤرخون المسلمين كابن خلدون فيذكر أن أحد ملوك التبادعة يقال له أفريقش بن قيس لما غزا المغرب وإفريقية رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعي اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك فقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر⁽¹⁾.

ويذكر علماء النسب أن البربر يجمعهم جدمان عظيماً، وهما برنس وماذغيس. ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتار، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معاً ابنا برنس. وبين النسبتين خلاف هل هما لأب واحد؟ فابن ابن حزم نقل لنا عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنها لأب واحد على ما حدّثه عنه يوسف الوراق. وقال سالم بن سليم المطاطي وصابي بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لوا، وهم نسبة البربر: إن البرانس بتار، وهم من نسل مازينغ بن كنعان. والبتار بنو بر بن قيس بن عيلان، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد، إلا أن رواية ابن حزم على رأي ابن خلدون أصح لأنه أوثق⁽²⁾.

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 117؛ أصطيافان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط -المملكة المغربية، 2007م، ج 1، ص 271؛ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، د. ت. ط، ص 21-26.

(2) - ابن حزم، المصدر السابق، 195؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 117.

ويرى البعض أن المسلمين هم من أطلق اسم البرانس والبتر على القبائل البربرية، فأطلقوا اسم البتر على القبائل البربرية التي يرتدي أبناؤها لباسا قصيرا، واسم البرانس على القبائل البربرية الذين يرتدون اللباس المسمى بالبرنس⁽¹⁾. كما يرى بعض المؤرخين أن القبائل البرنسية هي القبائل المتعدنة والمستقرة بالمدن الذين يعيشون على الزراعة، أما القبائل البربرية فهي تلك القبائل البربرية التي سكنت البداية واختارت حياة الترحال والتنقل وممارسة مهنة الرعي⁽²⁾. ويبدو أن تقسيم القبائل

(1) - تقسيم البربر إلى قسمين باعتبار اللباس مردود لسبعين: أو هم أن قبائل صنهاجة الجنوب وهم من فروع البرانس قطعا، ومع ذلك فهم لا يلبسون البرنس ولم يثبت أنهم لبسوه في يوم ما ثم هجروه إلى غيره، كما أنه يصعب إيجاد علاقة ما بين غطاء الرأس في البرنس وبين اللثام عند قبائل صنهاجة الجنوب، ثم إن البرنس في وقتنا سمة الفروسية ولباس للفرسان المحليين وهؤلاء أغلبهم من البتر، ومن يتخدونه لباسا اليوم إنما هم أولئك الذين ينسبون بأصولهم إلى فرع البتر، وأخصهم فروع زناته مثل بني يفرن في وقتنا. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص ص 6-0.

.6 1

(2) - يرى الأستاذ لقبال بأنه قد اتسعت الافتراضات وتشعبت الآراء حول هذا التقسيم البدائي لسكان المغرب، فهل أن أساس التقسيم هو ملاحظة اختلاف أساليب الحياة الاجتماعية بين مجموعتين كبيرتين من السكان، وهنا يلاحظ أن أغلب قبائل البتر تعيش وفق أنماط وأساليب المجتمع البدوي من النقلة لانتاج الماء والكلأ، وسكنى الخيام، وامتلاك التووق والجمال، والميل إلى قطع السابلة والإغارة على مراكز الاستقرار والعمران والاعتصام بالصحراء، أو بالأماكن النائية عن مراكز السلطة السياسية في قمم الجبال أو فوق المضائق والتلول. وبعكس البتر، البرانس فأغلبهم مستقرين في القرى الساحلية أو التلية، ومنتشرون في السهول للفلاحية وللغراسة، ويحترفون سائر المهن التي اعتاد ممارستها المستقرون ومنها مزاولة النشاط التجاري والصناعي. والبرانس بحكم استقرارهم هم قرييون من مراكز السلطة السياسية ومن ثم فهم يتأثرون بكل ما

البربرية إلى قبائل مدرية ووبرية مرجعهم إلى الكلمتين اليونانيتين: (Botros)؛ التي تعني البدو، والرعاة، ثم (Barano) برانوس التي يقصد بها أولئك الذين اختاروا حياة الاستقرار، ومع أن هذا التفسير فيه الكثير من الصحة في شكله العام؛ إلا أنه لا ينطبق على كل القبائل البترية، حيث ثبت أن بعض القبائل البترية اختارت حياة الاستقرار وسكنى المدر، منها بطون من: نفزاوة، ومطغرة، ولواته، وكومية، ومغيلة، ومديونة... إلخ⁽¹⁾.

البربر البرانس: يرى ابن خلدون أن البرانس نسبة إلى بني برب سحو بن أبزج بن جموح بن ويل بن شراط بن ناح بن داوح بن مازيغ بن كنعان بن حام⁽²⁾. ومن أهم بطون البرانس ذكر ما يلي:

أ-إزاجة: تعرف أيضاً باسم وزداجة، ولم تذكر لنا المصادر في حدود ما اطلعنا عليه اسم أيهم أو سلسلة النسب التي توصلتهم إلى أيهم بنس، ويرى بعض



يطرأ على البلاد من هجرات وثقافات وحروب. واعتبر الأستاذ لقبال أن هناك جملة من الملاحظات حول هذا التقسيم: ومنها أن العرب المسلمين لم تجر عادتهم في مثل هذه الحالات بـملاحظة الأسس الاجتماعية سواء في تصنيفهم لأنفسهم أو لغيرهم من الشعوب. ثم إن ظاهري التقلة والاستقرار بالنسبة لقبائل البربر مسألة نسبية قد تكثر هنا وتقل هناك حسب الظروف، وقد اشتهرت بعض قبائل البتر بـالاستقرار ومارسة الزراعة واحتراف المهن كقبيلة كومية بفروعها الثلاثة ندرومة ووصعارة وبني يلول، وقبيلة جرواة. أنظر: لقبال، دور كتابة، ص 58-60.

(1) - بوزياني، المرجع السابق، ص 176، 476-477؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 117-118؛ سالم، المرجع السابق، ص 51؛ حمودة، المرجع السابق، ص 17؛ زعلول، المرجع السابق، ص 86.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 124.

المؤرخين كابن خلدون أن إزداجة ووزداجة قبيلتان متبaitان؛ فإزداجة تنتسب إلى قبيلة زناتة البتية، وزداجة تنتسب إلى قبيلة هوارة البرنسية، ومن أهم بطون إزداجة ذكر: مسطاسة، ومسكن أو مسكن. ويعلمنا ابن حزم (ت. 456هـ / 1064م) أن من قبائل وزداجة: مسطاسة. ولزناتة بطون عظيمة كبني بزال، وبني دمر، ومغراوة، وبني صغمار، وغيرهم⁽¹⁾. وكانت مواطن قبيلة إزداجة كما يذكر ابن خلدون بالغرب الأوسط بناحية وهران، وفي بعض القرى المنتشرة بحوض وادي سبو⁽²⁾.

ويذكر بعض الرحالة أن من مضارب مسطاسة وهي إحدى بطون قبيلة إزداجة في الطريق بين سبتة وفاس، ومن مراكز استقرار إزداجة ذكر بلد نكور، وأيضاً في إقليم باجة⁽³⁾.

بـ-أوربة: هم أولاد أورب بن برنس، وكانت قبيلة أوربة من أكثر القبائل البربرية قوة وغلبة أيام الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهم بطون كثيرة، ومنها: بجایة ونفاسة ونعجة وزهکوجة ومزياتة ورغيوة وديقوسة. وكان أميرهم بين يدي الفتح الإسلامي ستدير بن رومي بن بارزت بن بزريات⁽⁴⁾.

ومواطن قبيلة أوربة في أوليلي بالمغرب الأقصى، وفي بلاد الأوراس بالمغرب الأوسط، والريف بالمغرب الأقصى، ومن شمال تيهرت إلى وهران، وفي غرب فاس⁽⁵⁾. ويذكر لنا لقبال أن لقبيلة أوربة أوزاع أخرى في عدة جهات من بلاد المغرب، وقد

(1) - ابن حزم، المصدر السابق، ص 498.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 191؛ بوزياني، المرجع السابق، ص 484.

(3) - البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 763، لقبال، دور كتمامة، ص 96.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 192.

(5) - بوزياني، المرجع السابق، ص 492.

اشتهروا بأنهم كانوا نصارى ومتأثرون بالحضارة البيزنطية، وكانت لهم صلات مع الروم، ومع الأفارقة، وربما كان لهم نوع من الزعامة على بني قومهم في العصر البيزنطي، والتي استمرت حتى بعد مجيء طلائع الفتح الإسلامي إلى البلاد، حتى كان لهم في وقت ما ممارسة الزعامة لا على حلف البرانس فقط، وإنما على حلف البتر أيضاً، وما ذلك إلا لقوة بأسهم وكثرة عددهم، وحكمة ومروره أمرائهم. ومن أشهر أمراء أوربة في أول الفتح الإسلامي سكرديد بن زوجي (روماني) بن مازرت بن بربزيات الذي قيل أنه توفي في سنة 71هـ/690م بعد ولاده استمرت ثلاثة وسبعين سنة دون أن تشير مصادر الفتح أثناء هذه المدة إلى حركة يكون قد قام بها، أو دور يكون قد مثله إما لفائدة أو ضد العرب المسلمين، وقد آلت زعامة قبيلة أوربة وحلف البرانس إلى كسيلة بن لمزم ربما لأن سكرديد قد أصبح شيخاً كبيراً طاعناً في السن، وأصبح لا ينهض بأعباء الحكم⁽¹⁾.

ج- صنهاجة: ذكر السيوطي (ت. 911هـ/1505م) عند حديثه عن قبيلة صنهاجة بقوله: "الصنهاجي: بالكسر والسكون وجيم إلى صنهاجة قبيلة من حمير بالغرب، وذكر ابن خلدون نسب صنهاجة بقوله: من ولد صنهاج، وهو صناك بالصاد المشمة بالزاي والكاف القرية من الجيم. إلا أن العرب عرّبته وزادت فيه اهاء بين النون والألف فصار صنهاج، وهو عند نسبة البربر من بطون البرانس من ولد بنس بن بُرّ، وذكر الطبرى (ت. 310هـ/922م) أن صنهاجة من قبيلة حمير، وبذكر ابن خلدون (ت. 808هـ/1406م) أن بعض النسبة يزعم أنه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن مصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر بن

(1) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 28؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 142؛ لقبال، المرجع السابق، ص ص 72-73.

سباً، كذا نقل ابن النحوبي من مؤرخي دولتهم وجعله ليحصب. وقد مر ذكره في أنساب حمير وليس كما ذكر والله أعلم. وأما المحققون من نسبة البربر فيقولون: هو صنهاج بن عاميل بن زعزع بن قيمتا بن سدور بن مولان بن مصلين بن يربين بن مكسيلة بن دقيوس بن حلحال بن شرو بن مصراتم بن حام. ويذعمون أن جزول واللمط وهسكور إخوة صنهاج، وأن أحدهم الأربعة بصكي وبها يعرفون وهي بنت زحيك بن مادغيس، ويقال لها العرجاء فهذه القبائل الأربعة من القبائل إخوة لأم والله أعلم⁽¹⁾.

ومن بطون قبيلة صنهاجة نذكر: بلكانة وأنجفة وشرطة ولتونة ومسوقة وكداة ومندلسة وبنو وارت وبنو يتين، ومن بطون أنجفة: بنو مزوات وبنو تثليب وفشتالة وملوقة. هكذا يكاد نقل بعض نسبة البربر في كتبهم، وذكر آخرون من مؤرخي البربر أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا⁽²⁾.

وفي الحقيقة فإن صنهاجة لم تكن مجرد قبيلة، بل كانت حلفاً عظيماً تعددت قبائله، تحت كل فرع منها عماير، وبطون، وأفخاذ، ومن أهمها في بلاد المغرب الأوسط: تلكانة، وكانت لهم الزعامة علىسائر فروع صنهاجة الشمال، ولم ينزلة بينها أشبه بتلك التي تبأتها لتونة، وأظهر فروع تلكانة بنو مناد بن منقوس، ومنهم الزرييون والحماديون، ومن آثار هؤلاء بناء المدن التالية: أشير، مليانة، المدية، جزائربني مزغنة، ومتيجة، وبجاية، وبجاية هي إحدى فروع قبائل صنهاجة، ومن فروعها بنو ورياكل،

(1) - جلال الدين السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت-لبنان، د. ت. ت، ص 316؛ ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 201؛

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 202.

ومضاربهم حول ضاحية ملالة، ويظهر أن رهطا من بجاية هاجروا إلى تونس، لأننا لاحظنا في شمال تونس اسم بجاوة، والسبة إليهم كالسبة إلى بجاية (بجاوي)⁽¹⁾. وبقرب بجاية وفي المنطقة بينها وبين مدينة تizi وزو الحالية يوجد بقايا من قبيلة صنهاجة: كفرع بنى خليل وعرفوا في تلك الجهات باسم "بني خليلي"، كما ذكر بعض الرحالة فرعا منهم باسم بنى أبي خليل في منطقة الونشريين، ويوجد بنو جعد قرب حمزة (البويرة حاليا)، وبنو وارث وهم بنو وارثن بالبربرية يوجد أثرهم بجهة بجاية ويعرفون بمشتاهم آيت وارث واعلي، وقد أشار البكري (ت. 487هـ / 1094م) إلى فرع منهم بين تامدلت وأودغاست في الطريق من درعة إلى الصحراء، وهم مندجون في إطار أبناء عمومتهم صنهاجة اللثام. وبنو عمران على مقربة من بجاية وهم من صنهاجة أيضا، وهم في دوار أبارين ومنهم في قرية الأربعاء وقرب برج منايل، أما بنو عمران الجبالة والسفلية فهم قرب مرسى جيجل غير بعيدين عن مضارب قبيلة كتامة. وبطيوة وآثارها توجد مدينة أرزيو ناحية وهران، بالإضافة إلى وجود قرية وقبيلة بهذا الاسم في نفس الجهة. وهناك قبيلة تاركة حم توark (طوارق) وهم من بقايا صنهاجة اللثام، وآثارها في جبل المقار بالغرب الأوسط، ومن كبرى قواعدهم الآن تمنراست، ويختفظون حتى الآن باسم التوارق، وبهم سميت مدينة ترغة وهي مجال إقليم سجلماسة. وأما قبيلة جزولة فتوجد بقاياها في جهات من المغرب الأوسط، ويدل عليها شيوخ لقب الجزوبي، وأشار الجغرافيون والرحالة إلى وجود جبل باسم جزول أو كزول تقع عليه أو في سفحه مدينة تاهرت⁽²⁾.

(1) - الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 26؛ لقبال، دور كتابة، ص ص 87-88.

(2) - لقبال، دور كتابة، ص ص 88-89.

ومن فروع وبقايا قبيلة صنهاجة أيضاً قبيلة وانوقة وقد اندمجوا في إحدى القبائل ومنها قبيلةبني مكلا قرب قرية يسر، وتذكر بهذه القبيلة كتلة جبلية حول مدينة سور الغزلان تعرف بجبال وانوقة. وقبيلة متنان أو منه التي تضرب عشيرتها بقرية عين بسام (ولاية تيطري)، ويوجد فرع آخر لها هاجر في ظروف غير محددة في الطريق الذي يربط بين طنجة وسبتا، ويحتفظ بنفس الاسم التاريخي القديم. وفرع مزغنة من صنهاجة كان يضرب حول الأخضرية، ومدينة الجزائر قبل تأسيسها، ولذا أخذت المدينة نفس اسم القبيلة، وُعرفت عند الرحالة بجزائربني مزغنة (مزغناي أو مزغان)، وتندمج مزغنة في قبيلةبني سليمان الشرقاية، مع احتفاظها بالاسم القديم، وتضرب الآن على ضفة وادي يسر غير بعيدة عن قرية الأربعاء. وفرع ملواته (أيلوانة باللهجة المحلية) ويوجدون قرب مدينة الجزائر. ويوجد فرعبني حميد في إطار قبيلة يسر الغربي شرقي الجزائر، وربما فرعبني عثمان أيضاً، أما بقايابني سليب فتوجد آثارها في ناحية قالمة من مضارب كتمامة، كما أن فرع مليانة على العدوة الشرقية لوادي الشلف، وفرعة لمدية في جبال التيطري، والزناكة في تلمسان، وبني دركول بناحية زمورة قرب غليزان، وبني زروال (بني رزوبل أحياناً) بقرب من البيض⁽¹⁾.

يمكننا القول أن مواطن صنهاجة كما يذكر لنا ابن خلدون أنه لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى زعم بعضهم أنهم يشكلون ثلث سكان البربر، وينقسم الصنهاجيون حسب مواطنهم ونظام حياتهم إلى قسمين: صنهاجة الشمال (سكان التلول والجبال)، وصنهاجة الجنوب (سكان الصحراء)، ومن أعظم قبائل صنهاجة الجنوب ذكر: لمونة، ومسوفة، وجدة، ومتند

(1) - المرجع نفسه، ص 90.

مواطنهم جنوب مفازة الصحراء الكبرى، وحتى بلاد السودان، وهم من أهل الوبر⁽¹⁾. والميزة الأخرى التي تضاف إلى ما سبق ذكره هي قوة الرابطة الدموية بين فرعى صنهاجة في الشمال والجنوب بسبب إحساس القوم بوحدة الأصل واللهجة والترااث⁽²⁾.

د- عجيسة: هم من بطون البرانس، من ولد عجيسة من برنس، ومدلول هذا الاسم البطن، فإنّ البربر يسمّون البطن بلغتهم عدّس بالدال المشدّدة، فلما عرّبتها العرب قلبت دالها جيماً خفّقة، وكان لهم بين البربر كثرة وظهور، وكانوا مجاوريين في بطونهم لقبيلة صنهاجة⁽³⁾.

ومن آثار وبقايا عجيسة ببلاد المغرب الأوسط، أن هناك قبيلة تحمل نفس الاسم القديم جنوبي غربي بجاية، على ستة وعشرين ميلاً، ثم قبيلة أخرى باسم عجيسة في أرضبني تيللان، وتقع بين مدینتي القل وقسّسطنة وهي مضارب قبيلة كتامة، وقبيلة أخرى في منطقة الحضنة الشرقية تحمل نفس الاسم القديم، وهي تقع بالتحديد في دوار الجزار (مشتبى) مركز أولاد سليح الآن بقرب مدينة بريكة الحالية أو مدينة طبنة القديمة، وقبيلتنا الأعراش والساحل القبلي ضمن دوار الكركور بالغرب الأوسط، وقد أسس حماد في وقت لاحق في أعلى قمة جبل تاقربوست في مضارب

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 201؛ بوزيانى، المرجع السابق، ص 555.

(2) - لقبال، دور كتامة، ص 84.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 192.

قبيلة عجيبة عاصمة لدوله الجديدة التي سماها القلعة لأنها مكانها قلعة أبي طويل القديمة⁽¹⁾.

هـ-كتامة: ذكر السمعاني (ت. 562هـ/1167م) نسب قبيلة كاتمة بقوله: "الكتامي بضم الكاف وفتح التاء المثلثة باثنين من فوقها وفي آخرها الميم هذه النسبة إلى كاتمة، وهي قبيلة من البربر نزلت ناحية من بلاد المغرب"⁽²⁾. وهذا القبيل من قبائل البربر بالغرب وأشدّهم بأسا وقوه، وأطوطهم باعا في الملك، وهم عند نسابة البربر من ولد كاتام بن برنس، ويقال: كتم ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبي والطبرى⁽³⁾. ويدرك لنا ابن منصور: بنو كاتام أو كتم من برنس، وهم عرب حميريون⁽⁴⁾.

وبطون قبيلة كاتمة كثيرة يجمعها كلها غرسن ويسمّوذة ابنا كتم بن يوسف، ومن قبيلة يسمّوذة: السبد ودنهاجة ومتrosse ورسين، وكلّهم بنو يسمّوذة بن كتم. وإلى دنهاجة ينسب قصور كاتمة بالغرب لهذا العهد. ومن غرسن مصالحة وقلان وماوطن ومعاذ بنو غرسن ابن كتم، وهيفة وجبلة ومسأله وبينو بناوة بن غرسن، وملوسة من إيان ولطایة وإچانة وغسمان وأوباست بنو تيطاسن بن غرسن وملوسة من إيان غرسن بن

(1) - البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 723؛ ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص ص 70-71.

(2) - عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، ط 1، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م، ج 5، ص 31.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 195.

(4) - ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 303.

غرسن. ومن ملوسة هؤلاء بنو زيدوي، وعد ابن حزم (ت. 456هـ / 1064م) منهم زواوة بجميع بوطنهم، وهو الحق على ما تقدم⁽¹⁾.

ويذكر ابن خلدون أن قبيلة كاتمة كانت تنتشر قبل الإسلام في كل جهات بلاد المغرب، وعلى رأي لقبال فإن هذا الرأي إن صحيحة فإن هذا يقتصر إلى حد ما ببقاء جيوب كاتمية في أرض غير إفريقية، والمناطق الشرقية من بلاد المغرب الأوسط الآن، حيث مضاربهم الأصلية التي اشتهروا بها منذ عصر الفتح الإسلامي⁽²⁾.

وذكر بوزياني أن مواطن كاتمة تمتد من تخوم بجاية غرباً إلى بونة غرباً، ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى جبال الأوراس جنوباً، وهذا ما ذكره ابن خلدون بقوله: "موطنين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غرباً إلى جبل أوراس من ناحية القبلة. وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم، وبين ديارهم ومحالات تقلّبهم مثل أبکجان وسطيف وباغية، وبفاس وتلزمه ويتکست وميلة وقسنطينة والسيكرة والقلل وجیجل من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة... وكان من هذه البطون (الكاتمية) بالغرب الأقصى كثير متذبون عن مواطنهم"⁽³⁾.

ويعتقد لقبال ابن خلدون عند ذكره مواطن كاتمة بأن عيب هذا التحديد أنه يترك الحد الشرقي لمنطقة كاتمة دون توضيح، كما يجعل منطقة زواوة خارجة عن هذا الإطار، مع أنه يقرر هو نفسه أن زواوة جزء من كاتمة، ويعني ذلك أن ما بين هذه

(1) - ابن حزم، المصدر السابق، ص 501؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 196.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 195؛ لقبال، ص 97-98.

(3) - بوزياني، المرجع السابق، ص 729-730؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 195.

الحدود التي عبر عنها ابن خلدون بأرياف قسنطينة هي مجالات كتامة ومصارب فروعها المختلفة منذ الفتح الإسلامي للمنطقة حتى القرن الثامن الهجري⁽¹⁾.

ويمكن تحديد امتداد منطقة كتامة شهلا بخط وهي على الساحل يبدأ من نقطة ما قرب مرسى الخزر (القالة) إلى ما وراء تدلس (دلس حاليا) في أرض زواوة، وفيها بين الحدين توجد موانئ القالة، عنابة، القل، سككدة، جيجل، بجاية، دلس. أما الحد الجنوبي فيمكن اعتبار جبال أعلى الناس من سلسلة جبال الأوراس، وهو مركز أنوغيسن قرب أرييس، وبه حمامات قرب خنشلة، ثم جبال الحضنة الشرقية حدودا ينتهي عندها امتداد منطقة كتامة، أما في جهة الشرق فالحد يبدأ في نقطة ما على الساحل قرب القالة، ويمر عبر جبال النهاية في اتجاه الجنوب تاركا تبسة ومسكيانة خارج الحد. أما في الغرب فالحد يبدأ في نقطة ما على الساحل تقرب من دلس ثم ينزل بحذاء جبال تيري حيث مصارب صنهاجة، تاركا كتلة جرجرة التي تعرف بجبال زواوة داخل مجالات كتامة وضمن فروعها. وفي داخل هذا العمق توجد قرى زواوة الجبلية، ومرانز ومدن كتامة، وهي: قملة، سوق أهراس، سطيف وإيكجان، ميلة، قسنطينة، هذا عدا القرى الجبلية والسهبية والقصور المنتشرة هنا وهناك⁽²⁾.

و-جزولة: أضاف نسبة البربر سابق المطاطي وأصحابه لطة وهسکورة وجزولة أو كزولة إلى قبائل البرانس، ويعتقد الأستاذ لقبال هذا الرأي بقوله: "أما القول بأن سابق المطاطي هو من نسبة البربر قد أضاف إلى بطون البرانس: لطة، وجزولة، وهسکورة، فقول ليس بجديد وبشيء من التأمل يتضح أن هذه البطون الثلاثة إنما هي فروع لحف صنهاجة الكبير مثل غمارة وهرغة وتيمل بالنسبة لحلف

(1) - لقبال، دور كتامة، ص 98.

(2) - المرجع نفسه، ص ص 98-99.

مصمودة الكبير" ، ويدرك ابن خلدون أن جزولة إخوة لصنهاجة ولطة وهسکوره، من أهمهم المسماة تصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس، وأما عن أب جزولة ولطة وهسکوره فيذكر ابن حزم أنه لا تتحقق في نسبهم، وبطون كزولة كثيرة، ومنهم بطون يسمى يزدكتن، ومعظمهم يستقر بأرض السوس، ومحاوريين لقبيلة لطة، ويتوزعون أيضاً في بلاد المغرب الأوسط إذ ينسب إليهم جبل جزول القريب من تيهرت⁽¹⁾.

ز-لطة: وهو نفس نسب كزولة الذي ذكرناه آنفاً، وقد ذكر ابن خلدون ولهم شعوب كثيرة، وأكثراً هم ظوا عن أهل وبر، ومنهم بالسوس قبيلاتاً زكن وخش، ومنهم من اختار الصحراء موطنًا، ومنهم من ساح في السهوب الجنوبيّة لتلمسان⁽²⁾.

ح-هسکوره: هم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهن بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة، وبطون هسکوره هؤلاء متعدّدون فمنهم مصطادوة وعجرامة وزمراوة وانتيفت وبنو نفال وبنو رسكونت، وهناك من قسم هسکوره إلى قسمين: هسکوره القبلة وفيها سبعة أفراد وهم: ايزمراون (زمراوة)، وايفسيسين (فسفيسة)، وايكرنان (كرنانة)، وايمغران (مغرانة)، وايونيلن (نيلة)، وآيت ووارت (بني واوارت)، وآيت يلفتن (بني يلفتن)، والقسم الثاني هسکوره الظل، وهي أحد عشر فخذًا وهم: ايزمراون ((زمراوة)، ايسايوين (سايوية)، ايصاد (صادة)، ايجدامن (غجدامة)، ايتيفت (هنتيفت)، آيت سسکور

(1) - ابن منصور، المراجع السابق، ج 1، ص 302؛ لقبال، المراجع السابق، ص 8؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 271؛ بوزياني، المراجع السابق، ص 730.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 270، بوزياني، المراجع السابق، ص 741؛ ابن منصور، المراجع السابق، ج 1، ص 302.

(بنو سكور)، اين لسيد (لسيدة)، اين ماصوص (ماصوصة)، آيت مصطاو (مصطاوة)، اين ميموننة (ميموننة)، اين ولتان (هلتانا)⁽¹⁾

ط - مصمودة: يكتف نسب مصمودة بعض الغموض، في بينما يتجاهل ابن حزم ذكر تسلسل نسبهم، مخالف بذلك عادته، التي اتبعها مع جل القبائل البتية؛ ونراه مع ذلك يتطرق إلى نسبهم بصورة موجزة مع بعض الاضطراب، فيذكر لنا: أنهم أبناء مصمود بن يونس بن ببر. ثم يذكر بعض بطونها. كبرغواطة، غمارة، وأهل جبل درن، وعند الحديث عن أهل جبل درن يذكر أسماء قبائل مصمودة وهي: آصادن، تينمل، حاجة، دكالة، ركراكة، غمارة، كدميرة، كنفيسة، هرغة، هزميرة، هتناتة، هيلانة، وريكة، واوزيكت، وفي مواضع أخرى يضيف إليهم: برغواطة، كلاؤة، هزرجة، علما بأنه يصر على كون برغواطة قبيلة مصمودية⁽²⁾.

وبمقابلة أسماء القبائل المصمودية التي وردت عند ابن خلدون، مع ما جاء في كتاب المقتبس في معرفة الأصحاب، وما ورد في كتاب قبائل المغرب لابن منصور، يتضح لنا الآتي: فالنسبة لقبيلة إلى قبيلة آصادن يذكر ابن خلدون أن من بطونهم مسفاوة، وмагوس، مع احتمال اتساب غمارة، ورهون، وأمول إليهم أيضاً، أما صاحب كتاب الأنساب، فيصنفهم مرة ضمن قبيلة هسكورة، ومرة أخرى ضمن فقرة القبائل باسم: آصادن (صادة). وإليهم تنسب المدينة آصادة التي أعلمنا البكري

(1) - بوزياني، المرجع السابق، ج 1، ص ص 808-809؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 271.

(2) - ابن حزم، المصدر السابق، ص ص 501-500؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 370؛ بزياني، المرجع السابق، ص 743-744.

أنها تقع في جنوب مدينة يُجاجين، التابعة لبني مسارة من مصمودة، وأما قبيلة تينملل فذكر صاحب كتاب الأنساب أنها تتفرع إلى إحدى عشر فخذًا⁽¹⁾.

وأما عن مواطن مصمودة فهي تمتد في شمال المغرب الأقصى من جهة الشرق إلى المحيط الأطلسي من جهة الغرب، ثم تمتد مساحلة إلى الجنوب شاملة سهول أزغار (الغرب) وتمامنا (الشاوية) ودكالة والحووز، حتى تصل جبال الأطلس الكبير، ثم تسير شرقاً من رؤوسها الداخلية في المحيط الأطلسي إلى ملتقاها بجبال الأطلس المتوسط بين تازة وتادلة عند ثنية المعدن المعروفة ببني فازاز إلى أكرسلوين بسجلهاة بجوار قبائل صنهاجة⁽²⁾.

ي-أوريغة: يرجع نسب هذه القبيلة إلى ريع الذي يقال له أوريغ وهو ابن برنس، وترك أوريغ أربعة أبناء وهم: هوار وهو أكبرهم، ومغر، وقلدن، وملد، ويتفرع عن هؤلاء بطون كثيرة وكلهم ينسبون إلى هوار. فمن بطون هوارة: غريان وورغة وزكاوة ومسلاة ومجريس. ويقال إن ونيفن منهم. فمن بطون مغر: ماوس وزمور وكياذ وسواي، ومن بطون قلدن: ماصه وورصطيف وبيانة، ومن بطون ملد: مليلة وسطط وروفل واسيل ومراتة⁽³⁾. وأما ابن حزم فيذكر أن من ولد قلدن (قلدن) قمبانة، وورصطيف، وبيانة، وبل، ويقال إن صنهاج ولط إنما هما ابنا امرأة يقال لها تزكى، لا يعرف لها أب، تزوجها أوريغ؛ فولدت له هوار؛ فهم إخوة لأم.⁽⁴⁾

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 118؛

(2) - ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 322.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 184.

(4) - ابن حزم، المصدر السابق، ص 498.

ومن أهم مواطن قبيلة أوريغة كانت مواطن الجمهور من هوارة هؤلاء، ومن دخل في نسبهم من إخوانهم البرانس دوالصمعر لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودي والبكري. كانوا ظواعن وآهلين، ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاؤزوا لطة من قبائل المثلمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه إفريقية، ويعرفون بنسبهم هكارة، قلبت العجمة واوه كافا أعمجمية تخرج بين الكاف العربية⁽¹⁾.

-البربر البتر: تنقسم قبائل البر إلى أربع قبائل كبيرة⁽²⁾، وهي:

أ-قبيلة أداسة: وهم أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الأبت. ومن بطونها ذكر: أندارة، أو طيطة، ترهونة، صنبرة، هداغة، هنزولة، شتاتة. وكانت مواطنبني أداس قبيل الفتح الإسلامي في جهات طرابلس وما يليها إلى برقة، وكان بعضهم مستقراً في أوساط مديرية، وبعضهم أهل وبر وظواوغن طلباً للنجعة، وعليه فقد توغلت أحياه منهم في القفار، ويدرك ابن خلدون أن بني أداس كلهماليوم في قبيلة هوارة⁽³⁾.

ويذكر ابن منصور أن قبيلة أداسة قد اختلطت بقبيلة هوارة البرنسية، لأن أم أداس تزوجها بعد زحيك ابن عمه أوريع بن برنس والد هوارة على القول بأن مدغيس وبرنس أخوان، ويذكر لنا وشتابة وهي فروع قبيلة أداسة قد استقرت بالجبال

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٥.

(2) - سالم، المرجع السابق، ص 52-53؛ حمودة، المرجع السابق، ص 17؛ زعلول، المرجع السابق، ج 1، ص 86.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 119؛ ص 138.

القريبة من نهر مجردة بالقطر التونسي، وكانت فرقة منها تسكن جبل زالخ المشرف على مدينة فاس، وإليها ينسب الموضع المسمى بباب وشتاتة⁽¹⁾.

ب-قبيلة ضريسة: تتسبّب هذه القبيلة إلى ضري بن زحيك بن مادغيس الأبر. ومن بطونها: بني فاتن، وبني يحيى، ومن بني فاتن تتفرّع إلى أفالخاذ ومنها: درنة وصديرية وصفطورة وهذه الأخيرة عرفت فيما بعد باسم كومية، ولماية، مدionate، مطغرة، مطحاطة، مغيلة، ملزوزة، كشاتة. ومن بني يحيى تتفرّع إلى: زناتة، زواوة، مكناسة، زواغة⁽²⁾.

وزناتة هم أبناء ورصفط بن يحيى بن ضري، وذكر ابن خلدون أصل لفظة زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كله، وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم. وهم إذا أرادوا الجنس في التعميم الحقووا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات. وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل إلى السين، ويقرب للسمع منها بعض الصفير فأبدلواها زايا مخصة لاتصال مخرج الزاي بالسين، فصارت زانات لفظاً مفرداً دالاً على الجنس. ثم ألحقوها بهاء النسبة وحذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفاً لكثرة دورانه على الألسنة والله أعلم⁽³⁾.

وهم على حسب رأي ابن حزم ثلاثة أحياط: الديديت، ورسيج، فريني، وأما ابن خلدون فذكرهم باسم: الديرت، ورسيك، فرنبي، وابن خلدون عندما تكلم عن قبيلة زناتة يصفهم بـالجليل، كما يصفهم باسم الشعوب، وهذا لضخامة زناتة، وكثافة

(١) - ابن منصور، المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(2) -ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 155؛ ص 139.

(3) -ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٠-١١.

أحيائها وتشعبها، ومن بطون زناتة نذكر: جراوة. وبني يفرن، ومغراوة وبني يلبيث وبني زنداك وبني رواو، ورتزمير وبني أبي سعيد وبني ورميغان والأغواط وبني ريغة وغيرهم، وبنو مانو، ويلومي، وواسين: وهو أخو مغرواة، ومن بطون بني واسين: بنو مرين، بنو توجين، بنو زيان⁽¹⁾.

وأما عن مواطن جراوة الأولى فقد كانت بإفريقيا والمغرب الأوسط، ثم نزحوا إلى بلاد المغرب الأقصى، وهم إلى عهد ابن خلدون يقيمون بتلك الديار، ويندرجون ضمن قبيلة يطوفت، وغيرها من أحياء غمارة، وأما قبيلة يفرن فكانت مواطنهم بإفريقيا وجبال الأوراس، وجهات تلمسان وتيهرت، ثم انتقل جمهورهم إلى المغرب الأقصى، وقبيلة مغراوة التي تمتد مواطنهم ضمن بلاد المغرب الأوسط من تلمسان إلى الشلف وحتى جبال مدیونة، وهيمنوا بعد ذلك على المغرب الأوسط كله، وبعض الأقطار من المغرب الأقصى، وبنو وركلا (ورجلا) كانوا يقيمون بجنوب الزاب، وبنو وامانو بالغرب الأوسط شرق وادي ميناس (وادي مينا) وحتى أسافل الشلف، وينتشرون أيضاً في القصور الجنوية التي تسمى توات وتيكورارين، وأما بنو يلومي فينتشرون على الضفة الغربية لوادي ميناس بالجعبات والبطحاء وسيك وجبل هوارة وبني راشد، وينتشرون أيضاً في القصور الجنوية التي تسمى توات وتيكورارين، وتنتشر مواطن قبيلة بنو واسين في ربوع إفريقيا والمغرب الأوسط. إذ كانوا في الجهات قسطنطيلية وتورز وببلاد الحمة، وإلى الغرب من قابس، وفي جبال الأوراس، وبصحراء

(1) - ابن حزم، المصدر السابق، ص 496؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 233، ج 7، ص ص 12، 15، 33، 74، 78، 79.

برقة وأرض الزاب وغدامس، وجبلبني واسين يتوزعون ما بين ملوية وجبلبني راشد⁽¹⁾.

وأما قبيلة زواوة فقد أدرجها ابن حزم مرة بين أبناء سمakan بن يحيى البترين ومرة أخرى ضمن قبائل كتامة البرنسية، واتبعه في ذلك ابن خلدون، وأما صاحب كتاب مفاخر البربر الذي كتبه في سنة 712هـ / 1312م أي قبل أن يولد ابن خلدون فيسجل فيه زواوة ضمن قبائل البتر؛ حيث جاء فيه ما نصه: " وأعلام القبائل التي تسمى البتر من البربر؛ هم: زواغة، وزناته، وزواوة، ونفزة، ولواته، وومزاته، ونفوسه..." ثم قال: " وزواو اسم رجل هو زواو بن سمجان (سمakan) بن يحيى بن تمزيت (تمصيت) بن ضريس أخو جانا بن يحيى أبو زناته". ومن أهم بطون قبيلة زواوة ذكر: بنو كوزيت، وبنو كوفي، وبنو مرانة، ومشدالة، وولزاجة، وبنو بوشعيب، وبنو بو يوسف، وبنو صدقه، وبنو غبرين... " وأما عن مواطن قبيلة زواوة فقد حدده ابن خلدون بقوله: " مواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة أوطنوا عنها جبالا شاهقة متوعرة تندعر منها الأ بصار ويضل في غمرها السالك مثلبني غبرين بجبل زيري، وفيه شعرا من شجر الزان يشهد بها لهذا العهد. ومثلبني فرلوسن وبني سرا، وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعظم معاقلهم وأمنع حصونهم، فلهم الاعتزاز على الدول والخير عليها في إعطاء المغرم "⁽²⁾.

(1) - بوزيانى، المرجع السابق، ج 1، ص ص 264، 271، 279، 292، 293، 305، 308، 309.

(2) - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوبایة، ط 1 ، دار أ بر رقراق للطباعة والنشر، الرباط - المملكة المغربية، ص 2005، ص ص 167، 172؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص 501؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 168-169.

وعلى العموم فقد حدد ابن خلدون مواطن قبيلة زناتة بقوله: "والأكثر منهم بالغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم، ويُعرف بهم فيقال: وطن زناتة. ومنهم بالغرب الأقصى أمم أخرى...".⁽¹⁾

ج- قبيلة نفوسة: هم أبناء بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبت، وهم أعظم القبائل البربرية عدداً وقوة. ومن أحيائهم المعروفة بنو زمور، وهم غير أبناء زمور من قبيلة البرانس، ولكنهم يختلطون بهم ويلتبسون للاسم الموحد لكلا الفريقين، ويذكر ابن منصور أن بعض أحياء نفوسة كما طوسة اندر جوا ضمن قبيلةبني يخلفون على الضفة اليمنى لوادي يسر؛ في الجهة الشرقية للجزائر، وبنو مسكور فهم متوجون ضمن قبيلة آيت ونير الساكنة قرب زاكورة بالغرب الأقصى.⁽²⁾

د- بنو لوا: يتسبّب لوا إلى زحيك بن مادغيس الأكبّر، ومن بطونه ذكر: نفزاوة ولواتة.

1- نفزاوة: هم أبناء يطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبّر بن زحيك. فلوا الأكبّر وضرى أخوان، وأبوهما هو زحيك بن مادغيس الأبت. ولنفزاوة بطون عديدة منها: زاتيمة، رُهيلة، سوماتة، غُساسة، مَرنيسة وهم متفرقون على كل بلاد المغرب، وأما رسيف فتتفرّع منها عدة بطون: كوكلاتة التي تتفرّع إلى: ديهار، ريمون، سرلين، كزناية، رياغل، يصلتن، وقبيلة لها صلة التي تتفرّع منها: ورفجومة، ورتدين.⁽³⁾

وكانت قبائل نفزاوة تقيم في الأول في جنوبى الجريد، وما يتاخمه من إقليم طرابلس شرقاً، وصحراء عمالة قسنطينة غرباً، حتى سميت المنطقة كلها باسم نفزاوة،

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 3.

(2) - ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 308؛ بوزياني، المرجع السابق، ج 1، 441.

(3) - بوزياني، المرجع السابق، ج 1، ص 380-381.

ثم تفرقت تلك القبائل بعد ذلك فيسائر بلاد المغرب حاملة معها أسماءها الفرعية، ولم تبق إلا قبيلة واحدة صغيرة تحمل نفس الاسم بشرط الجريد، ويقال أن قبيلة نفزة الموجودة في الشمال التونسي هي إحدى قبائل نفزاوة، وأن اسمها عُرب أثناء فرارها أمام زحف القبائل العربية منبني هلال من مواطنها الأصلية بالجنوب إلى مواطنها الجديدة بالشمال⁽¹⁾.

2- لواة: ذكر ابن حزم أنّ نسّابي البربر يزعمون أن سدراتة، ومزّاتة، ولوّاتة، من القبط، ولوّاتة وقد رد ابن خلدون على ابن حزم بقوله: "وليس ذلك ب صحيح . وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك". ولوّاتة هم أبناء لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، فلوا الأصغر ونفزاو أخوان، ويذكر لنا ابن خلدون أن البربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء فصار لوات، فلما عرّبته العرب حملوه على الإفراد وألحقوا به هاء الجمع". وللروا عدد من الأولاد أشهرهم: زاير، فاصلة (ماصلت)، كطوفت، نيطط. ومن أشهر هؤلاء نذكر قبيلة فاصلة أو ماصلت التي تفرع منها: أكورة، جرمانة، عتروزة (عزوزة) مغانية، فزايير، ومزّاتة التي تفرع عنها عدد كبير من الأحياء أهمها: بلايان، حمرة، دكمة، قرنة، مجججة، مدونة، وتقع أرض مزّاتة جنوب شرقى سطيف، وتوجد فئة منهم في إقليم الجريد، أما نيطط فمنهم: سدراتة التي تنسب إليها المدينة الموجودة قرب ورجلاء، والمدينة الموجودة في الشرق الجزائرى على الحدود التونسية⁽²⁾.

(1) - ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 306.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 152-153؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص 498؛ بوزيان، المرجع السابق، ج 1، ص 420-421.

ويذكر ابن حزم أن مغراوة وهو من قبيلة زناتة تزوج أم سدراتة فصار سدراتة أخاً أولاد مغراوة لأمهم، وبالتالي اختلط نسبهم بهم، ولقبيلة سدراتة فروع كثيرة وبطون عديدة مستقلة ب نفسها و معروفة باسمها الأصلي أو مندمجة في غيرها، و معروفة بأسماء فرعية، منها قبيلة سدراتة قرب مدينة برج بو عريرج بالغرب الأوسط، وقبائل آيت سدرات القرية من وادي درعة بالغرب الأقصى⁽¹⁾.

ويمكنا القول أن قبيلة لوانة كانت تقيم بموطنها الأصلية بالأقاليم الشرقية وخاصة ببرقة وعلى حدود مصر، وكانت لهم في الماضي مدن عريقة مثل لبدة وزويلة وببرقة وقصر حسان، ولما بدأ المسلمون محاولاتهم الأولى لفتح بلاد المغرب كانت لوانة أول قبيلة واجهوها فأسلمت وأعانتهم على الفتح، وانساحت معهم إلى جهات طرابلس وشط الجريد وجبل الأوراس ومنطقة الزاب، وانتشرت بطنونها وفروعها الكثيرة بعد ذلك في جميع بلاد المغرب من نهر النيل إلى المحيط الأطلسي، فمنهم بواحات مصر وقرى الصعيد والجبال المعروفة بهم قبلة قابس وصفاقس، وأحياء بالجبال المطلة على سهل متيبة، وبسيط تاكرارت، وبجهات وادي مينا، وفاس، وتادلة من المغرب الأقصى. وقد اندرت بعض البطنون والأحياء اللواتية اليوم من تلك الجهات أو اندرجت في قبائل طرأت عليها، ولكن بعض القرى بقي مع ذلك يحمل اسمها لسكنها في القديم⁽²⁾.

يمكنا القول أن غالبية سكان بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي كان مكوناً من البربر بالإضافة إلى عناصر أخرى كالآفارقة، والروم، والفرنج، والسودان، واليهود.

(1) ابن حزم، المصدر السابق، ص 487؛ ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 305.

(2) - ابن منصور، المرجع السابق، ج 1، ص 305.

ثالثاً: الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي:

نطرق في هذا المبحث إلى دراسة بعض المظاهر الاجتماعية لسكان بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي، وهي على النحو التالي:

1-ديانة سكان بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي:

يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن سكان بلاد المغرب كانوا يدينون بالديانة المجوسية، فيذكر ما نصه: "مثل وليلي عند زرهون وببلاد المصامدة وببلاد السوس، وكانوا على دين المجوسية، ولم يدينو بالنصرانية"، ويدرك في موضع آخر أنه لما استوثق أمر إدريس وقت دعوته زحف إلى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل قنلاوة وبهلوانه ومديونة وما زار، وفتح تامستا، ومدينة شاله وتادلا، وكان أكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فأسلموا على يديه طوعاً وكرهاً وهدم معاقلهم وحصونهم، وأيضاً في موضع آخر: "مؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى حسبما هو معروف في تاريخ الفتح بإفريقيا والمغرب... وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالشرق والمغرب إلا في بعض الأحيين يدينون بدين من غالب عليهم من الأمم"⁽¹⁾.

ومن خلال ما ذكره ابن خلدون من نصوص يتبيّن لنا أن معظم سكان المغرب كانوا يدينون بالديانة الوثنية بالإضافة إلى بعض العناصر التي كانت تعتنق الديانة اليهودية والنصرانية.

ومن الشواهد على اعتناق سكان بلاد المغرب للديانة اليهودية العثور على قطعة رخامية بمنطقة الأوراس بالقرب من لمبزي تذكر أن أحد الوثنين المغاربة قد تهود،

(1)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 17، ج 6، ص 237.

ويبدوا أن اليهود قاموا بنشر الديانة اليهودية وبشروا بها بين قبائل المنطقة على عكس زعمهم بعدم قيامهم بذلك، واستجاب لهم البعض، وتحولوا إلى هذه الديانة، ووصلت البيع إلى القصريّة التي وجدت بها طائفتان يهوديتان الأولى بتبايزة، حيث وجدت آثار تعود إلى منتصف القرن الرابع للميلاد يُرجح أنها بيعة يهودية قبل أن تتحول إلى كنيسة، والثانية بالقصريّة -أي بشرشال- التي ذكر بها اسم رئيس بيعة، ومعه مجموعة من اليهود. كما يذكر ابن خلدون أن قبيلة جراوة قد تهودت، من خلال قوله: "وكذلك ربها كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عنبني إسرائيل عند استفحال ملكهم، لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراءة (جراوة) أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح"⁽¹⁾.

وأما عن الديانة النصرانية فيرجع تاريخ ظهورها إلى سنة 180م الذي يعتبر بداية التحول في التاريخ النصراني لبلاد المغرب القديم، إذ لا نملك قبل هذا التاريخ معلومات أكيدة حول الديانة النصرانية في إفريقيا؛ فيذكر لنا أحد مؤرخي الفترة البيزنطية وهو نيسيفور كاليكست (Nicephore Callixte) يعتقد بأن من قام بنشر النصرانية في مصر وقورينا وطرابلس هو القديس مرقس، ويشير نص لوهاب بن مونابي (ت. 961هـ/1038م) بأن من أرسل إلى القiroان اسمه فيليب، في حين نجد وثيقة مرسلة من البابا غريغوار الأكبر (Le Grand Gregoire) يحيب فيها على التهافم رسمي من قبل أساقفة نوميديا يطالبون فيها بالاحتفاظ بعاداتهم القديمة.

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 140؛ عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم -النشأة والتطور- (180-430م)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة متورى-قسطنطينية، 1432هـ/2011م، ص 70.

ويرجع ابن خلدون ظهور الديانة النصرانية في بلاد المغرب إلى عهد الحواريين وهذا بقوله: "وعند علماء النصارى أنّ الذي بعث من الحواريين إلى روما بطرس ومعه بولس من الأتباع، ولم يكن حوارياً، وإلى أرض السودان والحبشة، ويعبّرون عن هذه الناحية بالأرض التي تأكل أهلها، والناس متى العشار، وأندراوس إلى أرض بابل، والمشرق توماس، وإلى أرض إفريقية فيلبس، وإلى أفسوس قرية أصحاب الكهف يوحنا، وإلى أورشليم وهي بيت المقدس يوحنا، وإلى أرض العرب والمجاز برتلوماوس، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني⁽¹⁾.

ومع بداية الفتح الإسلامي كان كسيلة بن لمزم - وهو من زعماء قبيلة البرانس - يعتنق الديانة النصرانية، حيث ذكر لنا ابن خياط ذلك بقوله: "وكان نصرانيا"⁽²⁾. كما أشار ابن خلدون (ت. 808هـ/1406م) أن كسيلة كان يعتنق الديانة النصرانية من خلال قوله: "وكانت رياسة البربر يومئذ في أوربة لكسيلة بن لمزم، وهو رأس البرانس، ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرت من أوربة، وكان على دين النصرانية فأسلموا الأول الفتح. ثم ارتدًا عند ولاية أبي المهاجر واجتمع إليهما البرانس"⁽³⁾.

وهناك من يرى أن النصرانية في بدايتها الأولى بمنطقة المغرب قد انتشرت بين صفوف الطبقات الاجتماعية السفلية التي لم تجد رغبتها في الديانة الوثنية، وهذا الطرح يخالف الحقيقة الاجتماعية لبلاد المغرب القديم، والتي تتصف بسيطرة نمط القبيلة في جميع المجالات بما في ذلك الجانب الديني، إذ لم يلاحظ في التاريخ النصراني لبلاد

(1) - عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 75-75؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 173.

(2) - خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1397هـ، ص 251.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 142.

المغرب القديم بأن قبائل قد تنصرت كاملة، إلا أن التنصير ظهر داخل المدن بصفة أكبر⁽¹⁾.

وعند الحديث عن الديانة الوثنية نجد أن سكان المغرب القديم قبل الفتح الإسلامي قد عبدوا الحيوانات، ومن أشهرها ذكر الكبش، ونلاحظ أن الرسوم والنقش الصخري للكباش ذات الهمة كانت تعطي كافة المنطقة المغاربية، وهي تنتشر في ثلاثة مجموعات رئيسية، وهي:

أ-الصحراء الشرقية: بفزان، والطاسيلي، وناجر، والشريط الشمالي الغربي من تبستي.

ب-الجنوب الوهراوي: في كل من بوعلام زنافقة، قصر زكار، أفلو، وأيضاً في موقع بالخلفة منها عين الناقة، والصافي بورنان.

ج-شرق قسنطينة: في خنقة بو حجار، وكهف تاسنفة والشافية⁽²⁾. وقد أدى غموض تلك الشواهد إلى تعدد رمزية الكبش المرسوم بدائرة أو قرص على رأسه مع ترك بقع من الصوف على الكتفين أو في وسط الظهر؛ وأما أكصيل (فزال) فيذكر أن بعض النقوش والرسوم تُظهر كبش تحيط بعنقه قلادة غاليا، وعلى رأسه شيء ضخم مستدير الشكل هو كرة لا قرص، ويثبتها على ما يبدو شيء

(1) - عبد الحميد، المرجع السابق، ص 76.

(2) - محمد الصغير غانم، "بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم"، مجلة الحوار الفكري، المجلد 2، العدد 02، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2001م، ص 36؛ خلفة عبد الرحمن، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ والآثار، جامعة متورى-قسنطينة، 1428-2007هـ، قسم ص 72-73.

كأنه رباط يمر تحت حنكه، فانتشار الرسوم -كما يرى البعض- يُمثل الحضور الدائم للأداة العبادة، ويعلق أكصيل (قزال) على ذلك بقوله: "وفي ذلك برهان على سعة انتشار عبادة الكباش"⁽¹⁾. أما الكبش المقدس الحقيقي في زعمهم فلم تكن مشاهدته في متناول الجميع، بل يسمعون فقط عن معجزاته التي ينسجها حوله الكهنة الذين يحضرون بشرف مشاهدته في اعتقادهم، وكان لكل قبيلة كباشها أو كبشها المقدس. ويظهر أن الكباش ذات الهمة كان يتم فيها التركيز على الشكل الكروي الذي يرمز إلى أحد الكواكب، وما التقاء القرنين في بعض الرسوم إلا من أجل هدف أقوى هو التوصل إلى تصوير الشكل الكروي، وإذا كان أغلب الدارسين قد أجمعوا على أن تلك الأشكال ترمز لأحد الكواكب؛ فالاختلاف بقي سائداً بينهم هل المقصود به الشمس أم القمر، وهو أمر ليس من السهل الجزم فيه برأي⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن البكري (ت. 487هـ / 1094م) قد أشار إلى أن هناك قبيلة من البربر يقطنون في جبل وعر، وهذا الجبل يقع ما بين أغمات والسوس، وهؤلاء البربر هم مجوس يعبدون الكبش حيث أنه لا يدخل أحد منهم السوق إلا مستتراً.⁽³⁾ وأما الهدف من تلك العبادة؛ فهي في زعم البعض منهم موجهة لضمان نمو وازدهار القطعان بما يمثله القرص في اعتقادهم من عبادة الشمس والخصوصية المرتبطة

(1) - أصطيافان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - المملكة المغربية، 2007م، ج 6، ص 113-114.

(2) - عولي الريبيع، "ملامح الفكر الديني الوثني وطقوسه في بلاد المغرب القديم"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 09، العدد 1، جوان 2018، ص 193-192؛ خلفة، المراجع السابق، ص 73-74.

(3) - البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 353؛ زغلول، المراجع السابق، ج 1، ص 11".

بها، خاصة أنه تم تبنيها من طرف الرعاة مُربِّي الماشية، ويؤكِّد هذا ما ذكره هيرودوت من اتساع انتشار عبادة الشمس بين المغاربة القدماء. كما لا تستبعد بعض التعليلات ارتباط هذه العبادة بفكرة استنزال المطر إلى جانب فكرة الخصوبة، وذلك تجاوياً مع حالة الجفاف التي أصبحت تعرفها المنطقة، ويدعم هذا أن "أ. م. ن" في اللهجات الأمازيغية تعني الماء، أو يمكن أن يعني السماء التي تسحب في فضائها الشمس التي ينزل منها المطر المخصب كما كانوا يعتقدون⁽¹⁾.

كما عبد المغاربة القدامي الثور، ويظهر ذلك من خلال رسومهم لثيران في تازروك بالهقار وفي سيلة، وأخرى تحمل على رأسها قرصاً في موقع عديدة بفزان والتبيستي والطاسيلي ناجر، كما ورد اسم الإله قرزيل على نقشين في إقليم طرابلس، وفي القرن السادس بعد للميلاد أشار الشاعر البيزنطي كوريبيوس إلى انتشار هذه العبادة الوثنية بين القبائل الليبية في منطقة السيرتين، منها قبيلة لأغواطن (لواتة) فكانوا يسمونه قرزيل، وهو في زعمهم ثمرة زواج الإله أمون بقرة، وما يزيد من أهمية هذه الرواية إشارتها إلى تجسيدهم للإله قرزيل في شكل ثور من خشب أو معدن يرهبون به أعداءهم في بداية المعركة، ويعتبرونه قائداً لهم في الحرب. وهذا ما كان يمارسه البربر كاللكرانتيون وهم عشيرة من ناحية السدرتين كما يذكر أكصيل (قزال). بالإضافة إلى ذلك فقد عبد المغاربة القردة والثعابين والأسود⁽²⁾.

وقد أشار المالكي إلى الديانة الوثنية التي كانت تعتنقها الكاهنة، والتي حاربت الفاتحين المسلمين في النصف الثاني من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي بقوله:

(1) - خلفة، المرجع السابق، ص 74.

(2) - أكصيل، المرجع السابق، ج 6، ص 116؛ خلفة، المرجع السابق ص 85-86.

وهربت الكاهنة... تريد جبال أوراس، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده، يحمل بين يديها على جمل⁽¹⁾.

وكانت المغارات والكهوف محل تقدير من طرف سكان المغرب القديم الذين اتخذوها أمكناً للعبادة، ونظروا إليها بخوف واحترام، وقد يرجع ذلك لكونها في نظرهم مساكن للآلهة، أو لأن عمق المغارة في رحم الأرض بزعمهم يسمح لهم بزعمهم بالاتصال مع الإله تحت الأرضي وربما مع الإله الأعلى، وكانوا يعتقدون أنهم يكونون أقرب للإله عندما يغوصون في باطن الأرض أو يصعدون إلى قمم المرتفعات لأداء العبادات. وكانوا يرسمون في جوانبها العميقه المظلمة رسوماً حيوانية أو آدمية، مستعينين في ذلك بإشعال النيران؛ فكانت الأماكن الموغلة في الكهوف وفقاً على الكهنة ومحرمة على الأفراد العاديين. ومن الأمثلة على تلك المغارات تلك الموجودة بوادي إيتل أين تغطي الرسوم جدران بعض القبور الاصطناعية، أو بوادي الشايل بطرابلس أين تغطي التفاصيل الصخرية أرضية إحدى المغارات الطبيعية، وأيضاً في كهف دخلة الزيتون قرب ميلة⁽²⁾.

وقد تعددت أشكال الحجارة التي عبدها المغاربة، وأكثرها ذات الشكل الكروي ثم في شكل مسلة، وحتى وقت متأخر استمر تمجيل الحجارة من خلال وضع كرات حجرية وتكريسها على مصطبة في المزارات بالأرياف، بجانب أعطيات أخرى كالمسابح ومجمرات البخور، وعادة ما يتم مد عمود بشكل أفقي إلى الأعلى من المصطبة تُعقد فيه قطع وخرق الفخاش. وقد ذكر لنا البكري عبادة الأحجار عند قبائل ودان بقوله: "ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة مبني على

(1) - المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص 54.

(2) - خلفة، المرجع السابق، ص 77-82.

ربوة يسمى كرزة، ومن حواليه من قبائل البربر يقربون له القرابين، ويستشفون به من أدوائهم ويتبركون به في أموالهم إلى اليوم⁽¹⁾. ومن هذا الصنف إلى ودان مسيرة ثلاثة أيام". وعبد المغاربة الأشجار، فكان يربطون خيوطاً وخرقاً إلى بعض الأشجار. وكان الهدف من ذلك العبادة هو طرد الشر في زعمهم. وتم تقديس أنواع كثيرة من الأشجار ومن أهمها شجرة الزيتون والكرمة والنخلة أو السدرة وغيرها، وقد استمرت هذه الظاهرة حتى عصرنا الحالي ففي منطقة عين الدرارهم ناحية فريانة بتونس توجد شجرة عملاقة يسمى سكان "الالة فرنانة" يعتبرونها مقدسة، ويقصدونها عند الحاجة، ويربطون خيوطاً أو قطعة من الثياب متلفظين بأمنية لهم أو بعض أقاربهم، فضلاً عن أن لا أحد يجرؤ على إيداعها، وكذلك الشأن بالنسبة للسدرة المرابطة ببعض مناطق الجزائر، ويمثل ربط الخيوط بالشجرة التزاماً من الشخص بعبادتها⁽²⁾.

ومن الطقوس الوثنية الشركية التي كان يُمارسها سكان بلاد المغرب طقس أبو غنجة، وهو عبارة عن دمية يقوم المحفلون بكسوتها بقطع من القماش والجلد، وتحملها فتاة ترتدي أبهى الثياب، وتحاط بها فتيات القرية، ويتبعهن الأطفال والنساء، وتردد الفتيات أهازيج يطلبن فيها في زعمهم استدار المطر، وتقدم لهن المدايا من دقيق ولحم، حيث يتم تحضير الطعام عند مزيارة أو ضريح، وبعد ذلك تُقام حفلة تسمى لعبة أنزار، حيث تتجمع الفتيات اللواتي هن في سن الزواج حول فتاة تقوم بدور خطيبة أنزار الذي هو سيد المطر في اعتقادهم، وترفع الدمية يديها وهما عبارة عن

(1) - البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 560.

(2) - غانم، المرجع السابق، ص 64؛ خلقة، المرجع السابق، ص 85-89.

ملعقتين مفتوحتين نحو السماء لكي تتلقيا المطر الذي طال انتظاره وترتبط الملعقة بالغذاء⁽¹⁾.

وكان يُمارس هذا الطقس الشركي عند بداية فصل الخريف، حيث يبدأ فصل الحرج عادة الذي ينم خوف سكان المغرب من الجفاف وتضرعهم للإله أنزار في اعتقادهم كرمزية للماء الذي يعطي بزعمهم الحياة لمنطقة جافة في الغالب، فكانوا يعتقدون أن الماء هو رمز للإخصاب وأن الفتيات هن رمز الإخصاب يمثلن الأرض فيتم التلقيح ما بين الماء والأرض. (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا)⁽²⁾.

وقد ذكر في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك هو الذي ينزل المطر، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّعُوا وَيَسْرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة الشورى، الآية: 28). قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: قال قتادة: ذكر أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، قحط المطر وقل الغيث وقطن الناس؟ فقال: مطرتم إن شاء الله، ثم قرأ: "وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّعُوا". والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون نافعاً وضاراً في وقته وغير وقته، قال الماوردي: ﴿وَيَسْرُ رَحْمَتَهُ﴾، وهو قول السدي. وقيل ظهور الشمس بعد المطر، ذكره المهدوي، وقال مقاتل: نزلت في حبس الأعرابي سأله رسول الله ﷺ عن المطر يوم الجمعة في خبر الاستسقاء، ذكره القشيري، والله أعلم". وهو الولي الحميد "الولي" الذي ينصر أولياءه "الحميد" المحمود بكل لسان. وقوله تعالى: ﴿أَكَرَأْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ﴾ (68) أَنَّتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُنْزَنِ أَمْ نَحْنُ

(1) - عبد الحميد، المرجع السابق، ص 23-24.

(2) - عمران، المرجع السابق، ص 24.

الْمُنْزَلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) ﴿سورة الواقعة، الآيات: 68-70﴾. قال ابن كثير عند تفسيره للآيات: ثم قال تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَتَتْمَ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُنْزَلِ يُعْنِي السَّحَابَ، قاله ابن عباس ومجاحد وغير واحد أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ يقول بل نحن المنزلون. لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًاً أي زعاقاً مرا لا يصلح لشرب ولا زرع. لَوْلَا تَشْكُرُونَ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عندي زلا لا ... لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسَيِّمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالرَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ (11) ﴿النحل، الآيات: 10-11﴾.⁽¹⁾

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُنْحِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا حَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَ كَثِيرًا (49) وَلَقَدْ صَرَّ فُنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (50)﴾ ﴿سورة الفرقان، الآيات: 48-50﴾ قال البغوي في تفسيره: "... قوله عز وجل: لنحيي به {أي: بالمطر، بلدة ميتا ولم يقل: ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان، ونسقيه مما خلقنا أنعاماً أي: نسقي من ذلك الماء أنعاماً، وأناسي كثيراً أي: بشراً كثيراً...}: ولقد صرفناه بينهم يعني: المطر، مرة ببلدة ومرة ببلد آخر. قال ابن عباس: ما من عام بأمطار من عام ولكن الله يصرفه في الأرض، وقرأ هذه الآية... ليذكروا أي: ليذكروا ويتذكروا في قدرة الله تعالى، فأبى أكثر الناس إلا كفوراً جحوداً، وكفرائهم هو أئمهم إذا مطروا قالوا مطرونا بنوء كذا. وفي الحديث الذي رواه البخاري عن زيد بن خالد الجهنمي أنه قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ،

(1) - إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1419 هـ،

ج 8، ص 28-29.

فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هُلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ». قَالُوا: إِلَهٌ وَرَسُولٌ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ».⁽¹⁾

وقد أرشدنا الإسلام عند وقوع الجفاف وقلة العيادة إلى دعاء الله سبحانه وتعالى، وإقامة صلاة الاستسقاء، وقد عرفها وهبة الزحيلي بقوله: "شرعنا: طلب السقي من الله تعالى بمطر عن حاجة العباد إليه على صفة خصوصية أي بصلاة وخطبة واستغفار وحمد وثناء". وسببه: قلة الأمطار، وشح المياه، والشعور بالحاجة لسقي الزرع وشرب الحيوان، ويحدث الجفاف عادة ابتلاء من الله تعالى، بسبب غفلة الناس عن ربهم، وتفشي المعاishi بينهم، فيحتاج الأمر للتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله⁽²⁾. وجاء في الحديث الذي يرويه الإمام مالك رحمه الله تعالى في كتابه الموطأ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: "اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَهِيمَتَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَخْيِ بَلَدَكَ الْمَيْتَ" ⁽³⁾.

(1) - الحسين بن مسعود البغوي معلم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون، ط 1، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ / 1997 م، ج 6، ص 90؛ البخاري، المصدر السابق، ج 1، ص 290. رقم الحديث: 810.

(2) - وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط 4، دار الفكر، دمشق - سوريا، د. ت. ط، ج 2، ص 438.

(3) - مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمها وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406 هـ / 1985 م، ج 1، ص 190.

وكانت عبادة الشمس والقمر مُتشرة بين المغاربة القدامى، وقد أشار هيرودوت أنه عدا النسامون الذين يستقررون حول بحيرة تريتون، أي السيرت الصغير، والأترنت الذين كانوا يلعنون الشمس لأنها تؤذهم؛ فإن بقية الليبيين كانوا يعبدون الشمس والقمر، ويقدمون لها القرابين تزلفاً، وعبادتها شائعة بين مختلف الليبيين على حد تعبير هيرودوت⁽¹⁾، وكانوا يقصون للأبكار من القطيع جزءاً من أذنيها ثم يرمونه ما بين كتفي القربان الذي تلوى رقبته ثم يضحي به بعد ذلك للشمس، وذلك بزعمهم لدفع الشرور، ونمو القطيع، لما للشمس في تصور الرجل المغربي من ارتباط فصول الزراعة والمحصاد بمسيرتها، ودورها في تخصيب الأرض بأشعتها الحارة. وأما عن عبادة القمر فإننا نعثر في القرن الثالث بعد الميلاد عند ترتيليان على إشارة إلى ثلاثة آلهة قمرية منها فارسوتينة المورية التي كان يعبدوها الأفارقة الذين لم يتزمنوا، والتي استمرت تُمارس حتى وقت متأخر، وهو ما دفع بعض المؤرخين إلى اعتبار عبادة القمر أكثر انتشاراً من عبادة الشمس عند البربر. وقد توأصلت عبادة الشمس كما يذكر ابن خلدون بين قبائل البربر وهذا بقوله: "... حتى جاء الإسلام وكان منهم من تهود، ومن تنصر وأخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام"⁽²⁾.

ومن الآثار المكتشفة حديثاً التي استند إليها بعض المؤرخين كأدلة على عبادة الشمس، وهي كثيرة منها: توجيه المدافن نحو الشرق أي الجهة التي تشرق منها الشمس، كذلك عُثر على رمزاً لها وهو القرص على الكثير من النصب والقبور في مناطق عديدة من المغرب القديم، نذكر منها النتش البارز لقرص الشمس والذي بلغ

(1) - هيرودوت، المصدر السابق، ص 36.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 123؛ خلفة، ص ص 90-92.

طوله 1.30 متر قرب كهف كيفان بلغماري، وعلى غرف قبور من نوع الحوانيت في جبل زيت، وأخرى في نواحي عين البيضاء، وفي قاسطل قرب تبسة، وفي تيازة، وعُثر على نقش صخري لقرص الشمس قرب واحة كريز بجنوب تونس^(١). ومن عبادة الشمس أن الطفل الصغير عندما كانت تقلع له سنه أو ضرسه توجه إلى الشمس ويقال لها أعطيتك سن أو ضرس الحمار فأعطيك سن أو ضرس الغزال.

وتظهر لنا بعض الشواهد التاريخية والأثرية أن سكان المغرب القديم قد عبدوا أسلافهم وبعض ملوكهم، ويتجلّى ذلك في حرص السكان على توجيه موتاهم إلى حيث تشرق الشمس أثناء عملية الدفن، ويشير هيرودوت أن الليبيين الرحل كانوا يدفنون موتاهم كالإغريق ما عدا قبائل الناسامون حيث يمددون الجثمان من الشرق إلى الغرب في حين أن الناسامون يدفنون الميت في وضعية الجلوس أو يرموه في البحر، وكانت لهم طريقة في القسم حيث يضعون أيديهم على القبر ثم يقسمون بصاحبه، ويقدمون الأدعية ثم ينامون بجانب القبر وكل ما يتراءى لهم في الحلم يفعلونه، وإلى عهد قريب كان سكان منطقة أزوولا بالغرب الأقصى يصعدون على صنم ضخم يحتوي على أثر لقدم ضخم يعتقدون بأنه يعود إلى جدهم للتبرك به. ومن أهم الملوك مهداة خصيصاً إلى روح يوبا في تاسهارت (Tassammert)، وأخرى في بجاية مهداة إلى روح الملك بطليموس (Ptolémée) ابن يوبا، وأخرى بالجزائر وشرشال، وبيّنت بعض النقوش أن سكان منطقة ثوبورسيكوم (Thubursicum) توجهوا

(١) - خلفة، المرجع السابق، ص 91.

بالعبادة إلى هيبيصال بن غودة. ولا شك أن تلك الإهداءات كانت قد أنجزت بعد موت هؤلاء الملوك الذين كانوا ينظرون إليهم بعد موتهم بأنهم آلهة حقيقين، وقام الملك يوبا الثاني برسم صورته على العملة، وكان يظهر رأسه مغطى بجلدأسد، وكان يدعى أنه من ذرية هيراكليس (Hercule)، ولعل هذا ما جعل بعض المؤرخين يستنتاجون أن عبادة الملوك في بلاد المغرب القديم إنما كانت نتيجة للتأثيرات الهيلينية وتقلیدا لهم⁽¹⁾.

ولما دخل الفاتحون المسلمين إلى بلاد المغرب حملوا معهم الدعوة إلى التوحيد الحالص، وأمرروا الناس بتوجيه العبادة إلى الله وحده لا شريك له، وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تحذر من عبادة غير الله، ومنها عبادة الموتى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيُسْتَحِيُوا لَكُمْ إِنْ كُثُرْ صَادِقِينَ﴾ (194) أَللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدِي يَطْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شَرَكَاءِكُمْ ثُمَّ كَيْدُونِ فَلَا تُنْظِرُونَ﴾ (195) إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ﴾ (196) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُصْرُونَ﴾ (198). (سورة الأعراف، الآيات: 194-198). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّلَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ بَحْرٍ لِأَجْلِ مُسَمَّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا إِسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُرُونَ بِشَرْكَكُمْ وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (14) (سورة

(1) - عبد الحميد، المراجع السابق، ص ص 35-38.

فاطر: الآيات: 13-14)، كما نهى الإسلام عن الحلف بغير الله ومنه حديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بِأَيِّهِ، فناداهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآيَاتِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلَيَصُمُّ⁽¹⁾. وفي الحديث الذي رواه الترمذى عن سعد بن عبيدة، أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ⁽²⁾. والحديث صحيحه الألباني.

وفي الحقيقة فإن إنسان المغرب القديم قبل ظهور الإسلام وقبيل الفتح الإسلامي كان معظم سكانه يعتقد الديانة الوثنية، فعبدوا مخلوقات خلقها الله وسخرها للإنسان، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَّةِ يَوْمٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْنِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثَا شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرًا بِإِمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمَينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 54). وجاء تفسير ابن الطبرى لهذه الآية ما نصه: "إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجم، كل ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمره، ألا لله الخلق، والأمر الذي لا يخالف ولا يرید أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، دون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا

(1) - البخاري، المصدر السابق، ج 5، ص 265. رقم الحديث: 5757.

(2) - محمد بن عيسى الترمذى، سنن الترمذى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وأخران، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي - مصر، 1395هـ / 1975م، ج 4، ص 110. رقم الحديث: 1535.

تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر، تبارك الله معبودنا الذي له عبادة كل شيء، رب العالمين⁽¹⁾.

كما أن هذه المخلوقات من الشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والحيوانات التي عبدها إنسان المغرب القديم، كل هذه المخلوقات كانت ولا تزال عابدة لله ساجدة مطيبة لأمره كما قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشاء﴾ (سورة الحج، الآية: 18)، وفسر لنا ابن كثير هذه الآية بقوله: "يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَمَيَّزُ بِظَلَالُهُ عَنِ الْأَيْمَنِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدَ لَهُ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية: 48) وقال هاهنـا: ألم تر أنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ: أي من الملائكة في أقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطير وإن من شيء إلا يسبح بحمده (سورة الإسراء، الآية: 44) وقوله: وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ إنما ذكر هذه على التنصيص، لأنها قد عبدت من دون الله فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة⁽²⁾.

وقد أمرنا الله تعالى بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وترك كل العبودات الباطلة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

(1) - محمد بن جرير الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، دار التربية والترا ث، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، د. ت. ط، ج 12، ص 483-484.

(2) - ابن كثير، المصدر السابق، ج 3، ص 354.

وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقُوكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا بَعْدُونَ (37) فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (38) ﴿سورة فصلت، الآيات: 37-38﴾. وجاء في تفسير ابن كثير: "... ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنها مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال: لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقُوكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا بَعْدُونَ أي ولا تشركوا به فيما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر أن يشرك به وهذا قال تعالى: فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا أَيٌ عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ يَكُفُّرُ بِهَا هُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلَّنَا بِهَا قَوْمًا لَيُسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (89). (سورة الأنعام، الآية: 89)⁽¹⁾. وجاء في تفسير القرطبي للآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية: 82) أي بشريك، قال أبو بكر الصديق وعلي وسلمان وحذيفة، رضي الله عنهم . وقال ابن عباس: هو من قوم إبراهيم، كما يسأل العالم ويحيط نفسه . وقيل: هو من قول قوم إبراهيم، أي أجابوا بما وهو حجة عليهم، قاله ابن جريج . وفي الصحيحين⁽²⁾ عن ابن مسعود: (ما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْسِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شَقَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَاحِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَالُوا: أَيْنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظْنُونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنْيَيْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ﴾

(1) - المصدر نفسه، ج 7، ص 166.

(2) - أنظر: البخاري، المصدر السابق، ج 3، ص 26. رقم الحديث: 3246. وأنظر: مسلم، المصدر السابق، ج 1، ص 114. رقم الحديث: 197-124.

عَظِيمٌ﴾). ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: في الدنيا⁽¹⁾. وقد حذر الله سبحانه وتعالى من الشرك فقال تعالى في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (48) (سورة النساء، الآية: 48). وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر وفي نفس السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (116) (سورة النساء، الآية: 116).

2- فرض الضرائب المجنحة على السكان المغاربة:

أمر الإمبراطور البيزنطي جوستينيان (527-565م) عند احتلاله لبلاد المغرب، -ومن أجل تموين مشاريعه الحربية منها والعمارية- بأن أعطى حاكمه على شمال إفريقيا كل السلطات والصلاحيات غير المحدودة، وكلفة بجمع الأموال الطائلة لتمويل بيزنطة بالمؤن من قمح وشعير، وزيت، وفواكه كل سنة، ولكن بلاد المغرب عجزت عن تحقيق كل ذلك، لهذا لجأ الحاكم البيزنطي إلى استعمال سياسة القوة والشدة في جباية الضرائب، وأخذوا يتأنرون في دفع أعطيات الجنود وجعارات الأهالي، وأشتد ضغط الحياة؛ فارتفعت الأصوات بالشكوى في كل مكان، وأخذت أسباب الاضطرابات تتوافق وتتكاثر، فأخذ الجندي شبعون ويغيرون على مزارع السكان الآمنين ويقومون بتروعهم، وتحولوا شيئاً فشيئاً إلى لصوص وقطاع طرق⁽²⁾. وأمام هذه التصرفات بدأ السكان يحسون بالضيم، ويرسلون الشكاوى إلى الحكومة البيزنطية جراء ما يلحقهم من ظلم وتعسف من قبل عبادها، لكنها ردت

(1)- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط 2، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، 1964هـ / 1384م، ج 7، ص 30.

(2)- مؤنس، المرجع السابق، ص ص 23-24.

عليهم رداً جافياً، وخاصةً بعد أن أرسل وفد من قبيلة لواتة إلى حاكم برقة وطرابلس سرجيوس (Sergius) للشكوى من عدوان الجندي البيزنطي على الأهالي، فقام هذا الحاكم بقتل وفد قبيلة لواتة كلهم، ولم ينج منهم إلا واحدٌ أسرع يرجم بناءً الفاجعة إلى القبائل التي رفعت لواء الثورة جراء ذلك⁽¹⁾.

3- كثرة الثورات ووقوع الكثير من البربر قتلى وأسرى بيد البيزنطيين:

كان للظلم الذي اتبّعه الاحتلال البيزنطي اتجاه سكان بلاد المغرب أن أدى ذلك إلى اندلاع الكثير من الثورات، التي لم تهدأ منذ بداية الاحتلال وإلى غاية نهاية الاحتلال البيزنطي على يد الفاتحين المسلمين، ومن أهم الثورات وهذا على سبيل المثال لا الحصر نذكر ما يلي:

ثورة إقليم بيزانسيا (المزاق) (Byzacium): التي نشبت نتيجةً للظلم الذي سلطه البيزنطيون على سكان بلاد المغرب؛ فشارهؤلاء السكان بإقليم المزاق في سنة 534 م ضد هذه السياسة المتغطرسة اتجاههم، وقد وقعت هذه الثورة بعد طرد الاحتلال الوندالي ودخول المحتل البيزنطي، وهو ما دفع بسلیمان الخصي (الحاكم أو الوالي على شمال إفريقيا آنذاك إلى الإسراع إلى إقليم المزاق، Salomon) حيث دارت معركة ماما التي فقد فيها الثوار عشرة آلاف مقاتل⁽²⁾. وهناك ثورة

(1) - المرجع نفسه، ص ص 23-24.

(2) - محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992 م، الجزائر، ص ص 271-272 ، درسي سليم، البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال والعمارة الدفاعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008 م، ص 65؛

Charles Diehl, L'Afrique Byzantine Histoire de la domination Byzantin en Afrique (533-709), Ernest Leroux, pp48-49.

سكن الأوراس ضد الاحتلال البيزنطي: حيث ثار ملك الأوراس في صيف 535هـ على رأس جيش مكون من ثلاثين ألف مقاتل، ودخل في عدة معارك مع الحاكم البيزنطي سليمان الخصي (صولومون)، ورغم فشلهم في هذه السنة إلا أنهم تمكنوا في سنة 536م من هزيمة قوات بيداس، واحتلوا الأوراس، وفرّ بيداس إلى موريطانيا، وتتمكنوا من مد نفوذهم إلى ضواحي المسيلة (زابي يوستينيانا) وإلى موريطانيا السطايفية، وتم مد خط الليمس إلى حدود الأوراس، وبناء تحصينات جديدة مثل طبنة وذلك لمراقبة تحركات سكان الأوراس⁽¹⁾.

كما ثارت قبائل طرابلس بقيادة قبيلة لوانة عندما تعرضت ممتلكاتهم للاعتداء من طرف البيزنطيين، فحدثت عدة معارك شنها البربر ضد المحتل البيزنطي، وكان من أهم نتائج هذه الثورات مقتل سليمان الخصي في ربيع 544م، كما اندلعت الثورة في قرطاجة، وقد تمكن الأمير قاسمول من الانتصار على البيزنطيين في أكثر من مرة، ولقي ثلاثة حكام بيزنطيين حتفهم وهم: تيودور (Theodore) في سنة 569م حاكم الإدارة البيزنطية بأفريقيا، ثم القائد العام للجيش تيوكتيستوس (Theoctestos)

(1) - حتحات، المرجع السابق، ص ص 11-13؛ جولييان، المرجع السابق، ج 1، ص ص 367-368؛ حارش، المرجع السابق، ص ص 272-273، 377، 378، لعياضي، المرجع السابق، ص 174-175.

?Pocobius, History of the war, books III , the loeb classical, London William Heine- mann, New York, G. P Putnam's sons, volumes II, pp381-389 ; Mercier, Op. cit,pp171-172 , Charles. Diehl, op. cit, p90.

في سنة 570م، وأخيرا القائد العام للجيش أما ميليس (Amabilis)، وفي سنة 574⁽¹⁾.

وقد أدى كثرة الثورات التي قادها سكان المغرب القديم ضد الاحتلال البيزنطي -والتي لم تتوقف إلى غاية الفتح الإسلامي- إلى ضعفهم، وتراجع مناطق احتلالهم مقارنة مع الاحتلال الروماني، وتم إعادة بناء وترميم خط الليمس، وهي خطوط دفاعية تتكون من خنادق وأسوار محصنة تفصل مناطق الاحتلال البيزنطيين عن مناطق استقرار البربر، وحتى تحميهم من هجمات البربر المفاجئة التي تطالب دائمًا باسترجاع أراضيهم وممتلكاتهم المغتصبة.

4-الاضطهاد الديني:

بعد أن تمكّن البيزنطيون من طرد الوandal من بلاد المغرب بقيادة القائدة البيزنطي بلازريوس، وكان ذلك في سنة 534م، استعادت كنيسة القسطنطينية نفوذها في بلاد المغرب حيث تمكّنوا من طرد الأريوسيين مذهب الوandal الذي قاموا بنشره في بلاد المغرب أثناء الاحتلال، وثاروا منهم أشد الشّأر، واضطهدوا الدوناتية وكذلك

(1) - حارش، المرجع السابق، ص ص 273 - 276؛ يوسف عييش، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وأثار المغرب القديم،،، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة متوري - قسنطينة، 2006-2007م، ص 242؛ درسيي، المرجع السابق، ص ص 75-76.

Diehl,L'Afrique Byzantine, op. cit, pp459-460 procopius, op. cit, pp393.395 Ernest Mercier, Histoire de L'Afrique Septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française 1830, Ernest Leroux éditeur 28, rue Bonaparte, 28, Paris-France , ,pp172.

اليهود، ولم يقف انقسام الديانة النصرانية إلى هذا الحد إذ انقسم اليعقوبة⁽¹⁾ وهم أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وهو المذهب الرسمي للإمبراطورية البيزنطية على أنفسهم، والذي تفرع منه مذهب النسطورية القائلة بثنائية طبيعة المسيح: الإلهية (اللاهوت) والإنسانية (اللاهوت)، أن مريم هي أم الرجل وليس أم الإله⁽²⁾. (تعالى الله عما يقول للظالمون علوا كبيرا).

(1) - مذهب اليعقوبية: أُعلن هذا المذهب في مجمع عقد بمدينة أفسس بالأناضول في سنة 431م، واتخذ المجمع قراراً يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية القائل: "إن المسيح طبيعة واحدة، وقد امتنزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت (الإله) والناسوت (الإنسان)، فصار المسيح في زعمهم هو الله، وأن الله مات وصلب وقتل. نعوذ بالله من الخذلان، ويسمى هذا المذهب باليعقوبي نسبة إلى يعقوب البراذعي الذي ظهر في منتصف القرن 6م الذي دعا إليه وقام بنشره، وفي أمثال هؤلاء قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمُسِيْخُ يَا بْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (سورة المائدة، الآية: 72)، الطوفى، المصدر السابق، ج 2، ص 591؛ شلبي، المرجع السابق، ص ص 193-194.

(2) - النسطورية: أتباع نسطور الذي كان بطريقاً على القسطنطينية في سنة 482م، وقد زعم أن المسيح عليه السلام إله تام وإنسان تام ليس أحدهما غير الآخر، غير أن مريم ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان إنما ولد الإله، فالإله ليس مولوداً لمريم. وبذلك وضع نسطور الأساس للقول بطبعتين في حق المسيح، (تعالى الله عما يقول للظالمون علوا كبير). وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَّرِ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّاصَارَى الْمُسِيْخُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ يَا فَوَاهِمُهُمْ يُضَاهِهُنَّ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) إِنَّهُمْ أَخْبَارُهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمُسِيْخَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا يُعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)﴾ (سورة التوبية، الآيات: 30-31). وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (4)﴾ (سورة الإخلاص). وقال ابن كثير عند تفسيره لسورة الإخلاص: "

وأراد الإمبراطور البيزنطي هرقل (610-641م) أن يخلص بلاده من هذه الفوضى، وتمكن بعد الاتصال مع كبار رجال الدين أن يصدر في سنة 638 مرسوماً اشتهر باسم الأكتيسيس (Ecthesis¹) يفرض من خلاله مذهبها وسطاً ترضى عنه الطوائف كلها؛ وهو المذهب المونوليتي أو المنولوثي (Monothelitism¹) بغية تحقيق الغرض السياسي في إيجاد الوحدة بين شعوب الإمبراطورية النصرانية، لكن



وقال عكرمة. لما قالت اليهود نحن نعبد عزيرا ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأولان، أنزل الله على رسوله ﷺ **﴿فُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديلاً ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله لأنه الكامل في جميع صفاتاته وأفعاله. أنظر: الطوفي، المصدر السابق، ج 2، ص 591، أحمد شلبي، المسيحية، ط 10، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، 1988م، ص ص 192-193؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 8، ص 497.

(1) - المذهب المونوليتي: صدر من قبل بطريق القدسية سرجيوس، ويرى -أعادنا الله من ذلك - أن للمسيح إرادة واحدة، وتختلف فلسفة المونوليتي عن مذهب الطبيعة الواحدة في كونها تكسر فكرة الطاقة الإلهية الواحدة للمسيح، وقد رد الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء بقوله: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمُسِيحُ يَا بْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَاهُ النَّارِ وَمَا لِلظَّالَمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** (سورة المائدة الآية: 72)، وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾** (88) **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾** (89) **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَمَطَّرُنَّ مِنْهُ وَتَشَقَّقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا﴾** (90) **أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾** (91) **وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَنَحَّدَ وَلَدًا﴾** (92) **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا تَيْرَالِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾** (93) **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَهُمْ عَدًا﴾** (94) **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرَدًا﴾** (95) (سورة مريم، الآيات: 88-95). أنظر: العريني، المرجع السابق، ص ص 133-134؛ رستم، المرجع السابق، ص 231؛ فاطمة قدورة الشامي، الحضارة البيزنطية، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت -لبنان، 1423هـ / 2002م، ص 36.

هذا الأمر أدى إلى ثورة الناس، وقابلة سكان بلاد المغرب بالسخط، مما أدى بهرقل إلى استعمال القوة في سبيل نشر مذهبة الجديد، وزاد الأمر سوءاً بعد اضطهاد الديني الذي مارسه البيزنطيون في حق نصارى بلاد الشام ومصر⁽¹⁾، وفرارهم إلى بلاد المغرب، وحاول حاكم إفريقيا التدخل لكنه فشل، فاتفق مع أسقف قرطاجة على الكتابة للإمبراطور البيزنطي وبابا روما يوضحان لهما سوء الأحوال وأضطرابها⁽²⁾. ولكن بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي هرقل في سنة 641م خلفه على عرش الإمبراطورية البيزنطية قسطنطين الثالث (641م)، وكان عدواً للمذهب المنوئيلي فأصدر أوامره باضطهاد أتباع هذا المذهب، وبعد أن انفرد بالعرش البيزنطي هرقلوناس - لأنَّه كان يحكم مع أخيه قسطنطين الثاني الذي توفي بعد ثلاثة أشهر - قامت أمَّه الإمبراطورة مارتينا بالوصاية عليه، وكانت من أتباع المذهب المنوئيلي فقامت باضطهاد مخالفيه، وأما حاكم قرطاجة جورج فقد أمر باضطهاد أنصار المذهب المنوئيلي؛ فلما وصلت هذه الأنباء إلى القسطنطينية حتى صدر الأمر باستدعائه إلى

(1) - عن اضطهاد الذي مورس ضد معارضي المذهب المنوئيلي أنظر: السيد الباز العربي، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 1961م، ص ص 402-403؛ عزيز سوريان، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة-مصر، 2005م، ص 97-98.

(2) - ستيفن رنسليان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويدي، ط 2، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة-مصر، 1997م، ص 133؛ ص 132-133؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 44-42؛ عبيش، المرجع السابق، ص 14؛ سوريان، المرجع السابق، ص 96-97؛ Diehl ; op. it, pp542-544.

هناك ليحاسب على تصرفاته، فتوجه مذهولاً إلى القسطنطينية وهو لا يدرى ما هي العقوبة التي سينالها⁽¹⁾.

وتعقدت الأمور عندما وصل إلى بلاد المغرب جماعة من الرهبان والراهبات الذين خرجوا من مصر فراراً من الاضطهاد الديني البيزنطي، وبعidea عن مواطن الخطر في الوقت الذي المسلمين يقومون بفتح بلاد مصر، حيث أخذ هؤلاء الرهبان ينشرون مذهب العيادة بكل حرية في كنف الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثالث (641 م) مما أثار سخط الكاثوليك، ولكن بعد أن اعتلى قسطنطين (641-668 م) عرش الإمبراطورية البيزنطية وكان من أتباع المذهب المنوئلي لم يجد معارضوه وعلى رأسهم الراهب ماكسيموس (Maximus) وهو من أشهر رجال الدين في القرن 7 م، صعوبة في إعلان الثورة، وقيام جرجير أو جريجوريوس بإعلان نفسه إمبراطوراً على إفريقية، وكان ذلك في سنة 646 م⁽²⁾.

إن العيادة المنوئلية التي حاول هرقل فرضها على شعوب الإمبراطورية البيزنطية ومنها سكان بلاد المغرب لم تثبت أن أنكرها الأرثوذكس وبابوات روما، ولم يؤد ذلك إلا إلى اشتداد العداوة والاضطراب بين شعوب الإمبراطورية، كما فشلت جهود الكنيسة في إيجاد نوع من التوفيق بين المذاهب المختلفة في الأزمنة الماضية⁽³⁾،

(1) - مؤنس، المرجع السابق، ص ص 44-45.

(2) - زغلول، المرجع السابق، ج 1، ص 125؛ جولييان، المرجع السابق، ج 1، ص ص 381-382؛ العريني، المرجع السابق، ص ص 135، 144؛ طه ذنون، المرجع السابق، ص ص 6-5؛ مؤنس، المرجع السابق، ص ص 21، 46-47.

Diehl, L'Afrique Byzantine, op, cit, pp554-

(3) - العريني، المرجع السابق، ص 134.

وقد ساهم هذا الاختلاف الديني إلى انشقاق بلاد المغرب عن الإمبراطورية البيزنطية دينياً وسياسياً من خلال إعلان جرجيريوس نفسه إمبراطوراً على بلاد المغرب واتخاذ سبيطلة عاصمة لدولته الجديدة.

5- النظام الطبقي في ظل الاحتلال البيزنطي:

كانت تركيبة المجتمع المغربي في عهد الاحتلال البيزنطي وقبل الفتح الإسلامي تنقسم إلى مجتمعات قبلية انقسامية كثيرة، ويمكننا تصنيفها على النحو التالي:

أ-الطبقة الأرستوقراطية: وتمثل في طبقة البطارقة والحكام الذين حكموا بلاد المغرب، وتتميزوا بعلاقة مع القصر الإمبراطوري، ومن أهم شخصيات هذه الطبقة نذكر سولومون الذي أصبح بطريقاً لبلاد المغرب خلال سنوات 534-536م، ثم ما بين 544-549م، كما أنه استغل منصبه لدعم عائلته للوصول إلى الطبقة الأرستقراطية؛ فقد كان له أخ يسمى باخوس (Bachus) الذي قلد هامة في الدولة، كما قام بتعيين ابن أخيه سرجيوس حاكماً لطرابلس، وربما أصبح بطريقاً للمقاطعة الإفريقية، وجرمانوس الذي عيّنه الإمبراطور البيزنطي جوستينيان على رأس المقاطعة الإفريقية خلفاً لصoluomon في سنة 536م، وغيناديوس الذي عيّن كبطريق على المقاطعة الإفريقية خلال الفترة الممتدة ما بين 578-591م⁽¹⁾.

كما تولى الأفارة مناصب علياً في الدولة، ومن بينهم بولينوس الإفريقي، وهو من أصل ليبي الذي عيّنه الإمبراطور البيزنطي جوستينيان مكلفاً بالحسابات على مستوى القصر الإمبراطوري في سنة 529م، ويبدو أنه مع نهاية القرن السادس

(1) - عييش، المرجع السابق، ص ص 98-100.

الميلادي بدأ الأفارقة بدورهم يرتفون إلى المناصب العليا في الدولة، ويُشكّلون الأغلبية⁽¹⁾.

بـ- طبقة الملاكين الكبار: هم من الأفارقة، وهم سكان البلاد من المورين المترومنين بالتجنس من سكان المدن الذين خضعوا لسيطرة الوندال، ولم يستفيدوا مباشرةً من حكم البيزنطيين، وكانت أوضاعهم سيئةً في عهد الوندال، بعد أن افتک جنسيق منهم أراضيهم ووزعها على أتباعه، وخاصةً في منطقة الشمال الغربي لإفريقيا البروونصلية، ثم بعد ذلك تحسنت أحوال السكان المترومنين في عهد الإمبراطور البيزنطي جوستينيان الثاني (565-578م)، وذلك بعد إخماد ثورات البربر (548-550م)، حيث أعاد توزيع الأماكن، والأراضي الخصبة على الموالين للوجود البيزنطي؛ فانعكسَت تلك العملية على تمويل بناء الحصون الدفاعية التي أشرف عليها كبار المالك، فضلاً عن استفادتهم من الناحية الإدارية بحصولهم على حق المشاركة رفقة رجال الكنيسة في تعيين حُكام الأقاليم، وعموماً كانت الأرضي الخصبة والضياع الكبُرِي من نصيب الملاكين الكبار بما فيهم رجال الكنيسة. وقد استطاعت الإدارة البيزنطية أن تضمِن ولاء السكان المترومنين بمنحهم الأرضي وإعادة تكريس ظاهرة الرومنة، والتَّشجيع على بعث عملية الترومن، ولكن تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن طبقة الملاكين الكبار قد شكلت أغلبية عناصر الإدارة الإقليمية، مدنية كانت أم عسكرية، وبدرجة أخص القساوسة ورجال الدين، الذين

(1) - المرجع نفسه، ص 103.

(2) - منصوري، المرجع السابق، ص 38؛ عيشش، المرجع السابق، ص 103؛ عيساوي، المرجع السابق، ص 505-506.

سمحت لهم مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية من التعويض التدريجي للإدارة المحلية، وأصبح القساوسة يتمتعون بمكانة اقتصادية هامة حيث يبدو أن فرار أغلبية أفراد الطبقة الأرستقراطية المحلية من أعباء الالتزامات المادية التي تتطلبها الوظائف البلدية، جعلتهم يتحوّلون تدريجياً إلى الكنائس والأديرة التي كانت تعفيهم من كل هذه الواجبات، مما سمح في نفس الوقت لهذه المؤسسة الدينية من تعاظم نفوذها المادي وقدراتها الاقتصادية، يضاف إلى ذلك مؤهلاتها الإدارية واللغوية، وبالتالي أصبح القس هو الشخصية المحلية الأكثر قدرة على تمثيل مدينته وسكانها، بفضل هذه الثنائية المادية والأخلاقية⁽¹⁾.

جـ-الطبقة العامة: تمثل النسبة الأكبر من سكان المدن والأرياف، وهي غير معروفة، وغير مصنفة إلا من خلال بعض المهن أو الوظائف، فلا نعرف عددها أو خصوصيتها سوى أنها قفيرة ليس بإمكانها ترك نقائش تحمل أسماءها⁽²⁾. ويمكن تقسيم الطبقة العامة إلى عدة أصناف:

﴿ـالفئات الريفية: يمكن اعتبار صغار المالكين بالإمبراطورية البيزنطية وبإفريقية جزء منها العہاد الأساسي للاقتصاد، لذلك سعت الإدارة البيزنطية إلى حماية الملكية الصغرى في مختلف أنحاء الإمبراطورية من الاندثار والذوبان في الملكيات الكبرى، وذلك مقاومة لجشع كبار المالكين، ولتأمين عائدات الدولة من الضرائب، التي كان يتکفل بها هؤلاء المالكين الصغار، بالإضافة إلى مساهمتهم في توقير ما تحتاجه الدولة من الجند، إلا أن الموقف الرسمي للدولة لم يكن ينطابق مع الواقع، حيث سلك حُكام بيزنطة سياسة جبائية جائرة تجاه

(1) - عبيش، المرجع السابق، ص ص 103-104.

(2) - المرجع نفسه، ص 107؛ منصوري، ص 29.

سكان الأقاليم البعيدة، ومنها بلاد المغرب، حيث فُرضت الضرائب دون مراعاة للواقع الاجتماعي والسياسي، وكانت المحاصيل الزراعية عرضة للإتلاف خاصة الحرق سواء بالنسبة لكتار الملاكين أو صغارهم، وقد أجبَرَ الظلم والضيَم الناتج عن السياسة الغير العادلة للأباطرة البيزنطيين العديد من الملاكين الصغار لبيع والتنازل عن ممتلكاتهم وتحولها إلى الملاكين الكبار. ويبدو أن للسياسة الجبائية التي اعتمدتَها الإدارة البيزنطية اتجاه هذه الفتَّة ترك آثاراً سيئة على هذه التركيبة، وذلك بإثقال كاهلها بالضرائب، وتجريدها من أية إمكانية تسمح لها بالرقي الاجتماعي، فمن الناحية القانونية لم يكن مُمكناً السماح للفلاحين الصغار أن يرتقوا إلى وضعية أحسن، فلم يكن يُسمح لهم إلا بأداء الخدمة العسكرية والواجب الجبائي، ويبدو أنه كان عليهم التكفل بتزويد الحاميات العسكرية بما تحتاجه من مؤن، ولذلك فإن ردود فعل هذه الفتَّة العفوية اتجاه هذه السياسة الجائرة كانت تنقلب إلى انتقام من كبار الملاكين، وهذا من الأسباب التي تفسر إنشاء الحصون داخل المنطقة وتحصين المدن، حتى بدت بلاد المغرب وكأنها منطقة عسكرية⁽¹⁾.

➤ - الفتَّات الوسطى الحضرية: تبدو الفتَّات الوسطى الحضرية فئات غير متجانسة من حيث التركيبة؛ إذ نجد الموظفين الإداريين أو رؤساء المناطق الحضرية الجهوية، وهؤلاء وإن كانوا مرتبطين اجتماعياً بالفتَّات الوسطى فهم في تبعية مباشرة لقادة الجيش ورجال الكنيسة وكبار الملاكين الذين يساهمون في تعينهم أو اختيارهم، وقد تميز أصحاب المهن النفيضة بالثراء مما سمح لهم

(1) منصوري، المرجع السابق، ص ص 30-25؛ يعيش، المرجع السابق، ص 107.

بالارقاء إلى الطبقة الأرستقراطية، فقد ظل أصحاب المهن المتواضعة كالخزف والنسيج والشمع يتميزون بامتلاك وسائل الإنتاج، إلا أنهم عرضة للتقلبات الأوضاع أو التقهقر والانحدار الاجتماعي. وقد تجلى دور هذه الطبقات الوسطى في الصراعات الاجتماعية التي عرفتها بلاد المغرب من خلال الصراع المذهبى، والتي كثيرة ما اعتبرت بمثابة رد فعل على حالة الغوضى التي أصبحت تعيشها بلاد المغرب، وهذا بسبب اثقال كاھل هذه الفتنة بالضرائب المجنحة، وهذا ما جعل نسبة كبيرة منهم تنخرط في حياة الرهبة هروبا من عسف الإدارة وجور الجباة، ويدو أن الإمبراطورية البيزنطية قد شجعت هذه الظاهرة بتأثير الكنيسة، رغم أن نتائجها كانت وخيمة على الدولة البيزنطية، حيث بدأت تتجمع الثروة تدريجيا في يد هياكل الكنيسة من جهة وكبار المالكين من جهة أخرى، فضلا عن تخلص مصادر الجباية، مما أحدث انقلابا في موازين القوى سواء في مركز الدولة أو في أطرافها⁽¹⁾.

➢ -الطبقات الفقيرة: تشير النصوص القانونية البيزنطية مثل قانون جستينيان Les Code Justinien) وكذلك القرارات الإمبراطورية (إلى وجود فئات فقيرة معدمة تحتل الدرجات السفلية Nouvelles المجتمع على الأقل في مجالين: في مجال القوانين المدنية، وذلك عند الحديث عن الزواج؛ إذ تقرّ القوانين البيزنطية وجود نوعين من الزواج، زواج الأعيان وأعضاء مجلس الشيوخ والموظفين السامين والتجار، الذي يفضي إلى حق الأبناء في الحياة المدنية والمشاركة في الوظائف الرسمية على اختلاف أنواعها.

(1) - عبيش، المرجع السابق، ص ص 108-109.

وزواج الفقراء والجنود والمزارعين وهي آخر الفئات في السلم الاجتماعي، زواج مقبول حتى وإن كان مجرد تعايش بين رجل وامرأة، ولكنه لا يعطي للأبناء حقوقاً مدنية تسمح لهم بالانخراط في سلك الوظائف الرسمية. ومعنى ذلك أن الفئات الشعبية تعتبر محكومة لا يمكنها بمقتضى القانون الوصول إلى وضعية الحاكم حتى ولو كان بسيطاً. وأما في مجال القوانين الجنائية فقد كانت القوانين الجنائية البيزنطية تنظر إلى الناس حسب وضعياتهم المادية، فالغني يُعاقب مادياً كدفع غرامة مالية أو فقدان بعض الامتيازات الاجتماعية، وأما الفقير فيُعاقب بدنيا كالحبس أو الجلد... إلخ. ويمكن أن ندرج ضمن الفئات الفقيرة كل الذين يعيشون في الأوساط الحضرية في وضعية مهمشة بالنسبة للدورقة الاقتصادية أو بالنسبة للمؤسسات البلدية، وهؤلاء لا يُمثلون وحدة اجتماعية متجانسة على عكس أمثلهم في الريف الذين يمثلون كتلة متباينة وموحدة مما يجعلها أكثر استعداداً للثورة على الحكم البيزنطي، إذ لا نعلم ثورات لأهل المدن في إفريقيا البيزنطية، في حين لم تهدأ الأوضاع في المناطق الريفية طوال العهد البيزنطي⁽¹⁾.

ويصنف سكان بلاد المغرب أو السكان الأصليين أو الأهالي ضمن الفئات الفقيرة، واستعمل المحتل البيزنطي عبارة الأهالي للتعبير عن هذه المجموعة البشرية التي وقفت موقفاً متباهياً من الوجود البيزنطي، وبالتالي فهذه الفتة يمكن تقسيمها إلى قسمين:

(1) - منصورى، المرجع السابق، ص ص 35-37.

➢ -الفئة الأولى: كانت تتكون من الجبليين والريفيين في إقليم الأوراس، وهي جموع متحالفة مناصبة العداء للوجود البيزنطي، ولا سيما في المناطق النوميدية، وبناء على المعطيات التاريخية فقد استهوا إليهم الوندال، وتعاونوا معهم في الإطاحة بالسيادة البيزنطية في المنطقة.

➢ -الفئة الثانية: كانت بصورة شكلية مساندة للإدارة البيزنطية، ويمثلون زعماء بعض القبائل المورية التي تسعى للحفاظ على مصالحهم⁽¹⁾. وقد بربز موقف الأهالي الرافض للوجود البيزنطي من خلال خروج أغلبهم من دائرة السيطرة الجديدة، وذلك بتركهم للنشاط الزراعي، وعدم انخراطهم في النظام الاقتصادي الذي أعاده البيزنطيون تركيزه على الطريقة الرومانية، وهذا الرفض قد تسبب في تعقّب حالة الفقر، وانتشار نمط الحياة البسيطة⁽²⁾.

➢ -العييد: بالرغم أن المصادر لا تسمح بتتبع هذه التركيبة البشرية، ونسبها بالنسبة للمجتمع عموماً، فإنها ظلت تُشكل نسبة كبيرة من الطبقات العامة طيلة التاريخ القديم، وعموماً فأغلب المعطيات تصور تفاصيل هذه الظاهرة، فالقوة التي اكتسبتها طبقة المالكين الكبار تفترض أنها تتركز على الجانب العقاري مثلما تتركز على حجم اليد العاملة، خاصة إذا تصورنا أن بعض المجموعات أقدمت على تحويل ضياعها على شكل حصون مدرججة بالقلاع، وكانت مصادر العييد تتم عن طريق تجار العييد الذي كانوا يقومون بعمليات الخطف، وشحن هؤلاء وبيعهم في أسواق التخasse. وأيضاً عن طريق الحروب، وخاصة إذا علمنا أن فترة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب قد عرفت الكثير

(1) عيساوي، المرجع السابق، ص 506.

(2) منصوري، المرجع السابق، 40.

من الحروب مع القبائل البربرية، والتي كانت تنتهي بعمليات السبي والأسر، والتي تكون نهايتها في أسواق العبيد. وكانت نسبة العبيد في الأرياف تعتبر أكبر من المدن، وهذا لارتباطها بخدمة الأرض⁽¹⁾.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكننا القول أن سكان بلاد المغرب كانوا يعيشون أو ضاعوا اجتماعياً صعبة للغاية، وهذا نتيجة للاحتلال البيزنطي الغاشم التي اتبع سياسة ظالمة مع سكان بلاد المغرب تمثلت في فرض الضرائب المجنحة، ونظرته الاستعلائية باعتبار أن البيزنطيين أسياداً وغيرهم عبيداً، ولم يسلم السكان حتى من الاضطهاد الديني، وهذا بإر غام السكان على اعتناق المذهب الجديد للإمبراطورية البيزنطية وهو المذهب المنوثيلي الذي ابتدعه هرقل، حيث قام بفرضه على كل شعوب الإمبراطورية بالقوة، على الرغم من أن معظم سكان بلاد المغرب كانوا يعتقدون الديانة الوثنية القائمة على الشرك وتعدد الآلهة الباطلة التي كانت تُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، ولم يتم تخلص السكان من هذا الوضع الاجتماعي الصعب والمساوي إلا بقدوم الفاتحين المسلمين حيث تمكروا من طرد المحتل البيزنطي، وقاموا بدعاوة السكان إلى الدين الإسلامي الحنيف القائم على التوحيد الخالص، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وأصبح سكان بلاد المغرب الإسلامي من أكبر الدعاة إلى الإسلام في أوروبا الغربية كالأندلس وصقلية وجزر البليار، والسودان الغربي وخاصة في مالي والنيجر والسنغال وتشاد وغيرها.

(1) - عيسى، المرجع السابق، ص 111.

ومن أهم التوصيات في هذا المقام نذكر ما يلي:

- 1- الدعوة إلى التعرف على جهود المغاربة في نشر الحضارة العربية والإسلامية، وخاصة في بلاد السودان الغربي وفي أوروبا الغربية. وهذا من خلال عقد الندوات واللقاءات الوطنية والدولية.
- 2- القيام بدراسات حول أوضاع السودان الغربي والأندلس قبيل الفتح الإسلامي.
- 3- دراسة أوضاع المشرق الإسلامي الخاضع لسيطرة الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية، في فترة ما قبل الفتح الإسلامي، وإجراء المقارنة بينهما، واستخلاص أهم النتائج وال عبر.

إرهاصات الحراك الرحلاتي بجزائر العهد العثماني

"رؤية تأصيلية لثقافة الرحلة بالعصر الوسيط وتداعياتها على الحقبة التاريخية المعاصرة"

The Precursor Movements of Travel Culture in Ottoman Algeria: An Original Perspective on Travel Culture in the Medieval Era and Its Implications for the Subsequent Historical Period

أ. د. البشير بو قاعدة

المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة، الجزائر

ملخص:

نالج في هذه المقالة موضوعاً مهماً حول إرهاصات الحراك الرحلاتي بجزائر العهد العثماني، حيث حاولنا من خلاله رصد المرحلة الانتقالية بين الفترة الوسيطة والعثمانية وقراءة مدلولات الرحلة العلمية فيها، وأبرز ملامحها وتداعياتها على الفكر المغربي الأوسطي، وتبرير إشكالية تأثيرها بالحركة القائمة في الوسط السياسي، وأبرز مقوماتها ووجهتها، دون أن ننسى ذكر أهم الرحلات التي شهدتها هذه الفترة الانتقالية.

الكلمات المفتاحية: الرحلة العلمية، العهد العثماني، الفترة الوسيطة، المشرق،

الغرب الإسلامي

Abstract:

In this article, we address an important topic regarding the precursor movements of travel culture in Ottoman Algeria. We aimed to trace the transitional phase between the medieval period and the Ottoman era, analyzing the significance of scientific travel during this time, its prominent features, and its implications for Middle Maghreb thought. Additionally, we justify the issue of its influence by the political movements of the time, highlighting its main components and directions, while also noting the key journeys that characterized this transitional period.

Keywords: scientific travel, Ottoman era, medieval period, the East, Islamic West.

مقدمة:

لما تناهى إلى أسماعنا بأنّ جماعة من زملائنا الكرام تعزم على نشر كتاب جماعي تكريماً للأستاذ المرحوم -بإذن الله- مبارك بوطارن؛ عرفاً وتقديراً للمجهوداته في خدمة الوسط العلمي، وتعكف على استقبال أعمال بحثية لذلك الغرض، رأيت أنه من الواجب علي أن أسمهم في هذا العمل العلمي بمداخلة حول حياة أستادي الدكتور بوطارن مبارك (رحمه الله).

ومن ثمّ، أرى إنّه من الواجب بداية، شكر كل القائمين على هذا الاكتتاب العلمي التكريمي لأستاذنا (رحمه الله)، والتفاتهم الطيبة التي تعكس -على الأقلّ- وفاء أصدقاء وأخوة وزملاء وطلبة الأستاذ بوطارن (رحمه الله) لأخ لهم وصديق وزميل وأستاذ فاضل، عرفه الجميع بحسن حلقه وطيبة نفسه ونبيل خصاله وجميل تواضعه.

أما عن صلتي بالأستاذ الدكتور بوطارن مبارك (رحمه الله)، فإنّ جذورها تعود إلى سنة 1997 حينما كنت طالباً في السنة الأولى ليسانس ملمح ثانوي بالمدرسة العليا للأساتذة ببورزيرية الجزائر العاصمة وكان الأستاذ هو مدرستنا في مادة (وحدة) "ما قبل التاريخ". ثمّ تجددت علاقتي به سنة 2011 عندما كان يدرسنا نحن طلبة السنة الأولى ماجستير تخصص تاريخ المغرب والشرق الإسلامي مادة (وحدة) منهجية البحث التاريخي. وتوطدت العلاقة أكثر عندما آثرت أن يكون مشرفي على رسالة الماجستير ومرشدي ومعيني -بعد الله سبحانه وتعالى- على إنجازها. والحق إنّه كان لي حينها نعم السند والمرشد العلمي والوجه، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

وعلى هذا الأساس، انتخبت هذه الورقة البحثية من متوجاتي العلمية المنجزة، أسمهم بها في هذه المبادرة الطيبة؛ عرفاً بجهود وفضل هذا الأستاذ علي. وأستغل هذه

السانحة للدعاء له بالرحمة والمغفرة، فالله أَسْأَلُ أَنْ يَتَعَمَّدَه بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَأَنْ يَكْرَمَ نَزْلَهُ، وَأَنْ يَطْهُرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، وَأَنْ يَرْزُقَهُ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى.

وقد آثرت أن تكون مساهمي البحثية حول اشكالية "ارهاصات الحراك الاحلاقي بجزائر العهد العثماني" رؤية تأصيلية لثقافة الرحلة بالعصر الوسيط وتداعياتها على الحقبة التاريخية الموالية، وهي رؤية بحثية تنطلق من أساس تاريخي مفاده: أن دراسة تاريخ حقبة زمنية معينة يظلّ مبتوراً إذا لم يُمدّ بجسور متينة إلى الحقبة التي سبقتها، ولا سيما إن تعلق بأحداث ذات الحقل البحثي وحيثيات نفس الاشكالية التاريخية.

ويترکز جهودنا البحثي ضمنها حول مفاهضة اشكالية مقومات الفكر الاحلاقي في جزائر العصر الوسيط، ومنطلقاته، وطبيعة الروافد الثقافية التي تُغذِّيه، وملاحقة أبرز مسارات حراكه، وموقعه في تدوين الرواية التاريخية التي تحفظ بتاريخ الجزائر في العصر الوسيط، كما تتوقف الدراسة عند مجريات تاريخ الفترة الانتقالية بين العصور المؤطرين للتاريخ الجزائري في حقبتين مفصليتين: وهما العصر الوسيط والعهد العثماني، سعياً وراء تحديد مؤشرات النهضة الاحلاطية بالحقيقة الأولى في تبلور الفكر الاحلاقي بالحقبة الموالية، ومعاينة مظاهر تكاملية الجهد الاحلاقي بالحقبتين في تدوين تاريخ الجزائر والاحتفاظ برواياته.

1. الفعل الاحلاقي بالمغرب الأوسط بين طلائع الحراك ومسارات التطور:

حرص أهل المغرب الأوسط (الجزائر) عبر تاريخه الممتدة على مسافة العصر الوسيط الزمنية على ملازمة الحراك الاحلاقي (داخل بلاد المغارب وخارجها) على اختلاف غايته؛ سواء في مسعى أداء فريضة الحج كغاية عظمى باعتباره ركناً من أركان الاسلام، أو في سبيل الاستزادة من روافد العلم وينابيع المعرفة والاحتکاك بأهل

العلم وأقطابه، والتواصل مع صناع المعرفة في شتى فنونها و مختلف حواضرها و مراكزها، وقد قيل: أنّ من بين ما يُدرك به العلم: "الرحلة والسفر"، أو نشداً للتنمية التجارية و تحصيل المنافع الاقتصادية.

مع الإشارة إلى أنّ حركة الرحلة إلى البلاد المشرقة في بداية أمرها اكتسبت طابعاً دينياً أكثر من كونها ثقافة شعبية تعكس تعدد المقاصد والغايات مثلما أصبح عليه الحال عند الجيل اللاحق. بما يعني أنّ الحج أو أداء الفرض الديني كان المحرك الأساس والغالب بنسبة جدّ عالية للمسير والتحرك إلى المشرق، وكان الحجاج يستغلون تلك السانحة في مراميهم الأخرى التجارية أو أداء الفرض الثقافي والعلمي.

ومن الملاحظات اللامعة التي يحسن التنبؤ بها في مطلع هذه الدراسة، بما يخدم هذه الطارحة ويتنازعه ومقصدنا من مفاحصتها:

1.1 أنّ تناول طلائع الحراك الرحلاتي ببلاد المغرب الأوسط و تحديد بداياته الأولى، لا يمكن بمعزل عن بلاد الغرب الإسلامي بشكل عام؛ ذلك أنّ شخصية المغرب الأوسط السياسية لم تبرز إلى العلن بصورة معلنـة إلا تزامناً و مظاهر الانفصال عن مركز الخلافة الإسلامية بالشرق خلال النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (08)م، و تحديداً بشأن المغرب الأوسط مع قيام دولة بني رستم بالحاضرة التاهيرية مع مطلع العقد السابع من نفس القرن المذكور. وأنّ جغرافيته (المغرب الأوسط) مثلـت قبل ذلك التاريخ جزءاً لا يتجزأ من مجال البلاد الإسلامية المتراصة بين صعيد مصر شرقاً و سواحل المحيط الأطلسي غرباً؛ تداخلـت أحـداثه السياسية و الثقافية والدينية، و تقاطعت محـرياتها في مفاصل متعددة؛ مثلـت التاريخ المشترك لهذا الإقليم، والانتهاء لنفس المجال و الجغرافية، أو الشخصية المندجـحة قبل تذبذب العلاقة مع القيادة المركزـية ببغداد العباسـية، و بروز ضـروب الانفصال ببلاد الغرب الإسلامي،

ومظاهر الاستقلال السياسي والحكم المحلي⁽¹⁾. ناهيك عن الشحّ الخبري الذي اصطبغ به النص المصدري حيال أحداث الحراك الرحلاتي للنخب العاملة أو طلبة العلم ورواد بيت الله الحرام لأداء الفريضة وزيارة الأمان المقدسة والعالم الإسلامية والحضارية خاصة خلال القرون الأربع الأولى من تاريخ المغرب الأوسط في العهد الوسيط، عدا ذلك التراليسيير من الروايات التي ألمحت إليها بعض المظان المصدريه لاسيما كتب الطبقات والتراجم والسير، غير أن روایاتها لا تعلن بها فيه الكفاية عن الشخصية الجغرافية والإقليمية للعناصر المرتحلة والمتنقلة بين حواضر المغارب فيما بينها أو بينها وبين حواضر المشرقية. ومصدق ذلك كما عبر عنه أحد الباحثين: أنَّ القاضي -على سبيل المثال لا الحصر- يمكن أن ينبع من تربة تونسية، ويتعلّم في فضاء أندلسي، ويستقضي بحواضر المغرب الأوسط، ليتحول إلى مجالس الإفتاء بالغرب الأقصى، ثمَّ يتصدّر القضاء بتونس، ويلغى إشعاعه العلمي أقصى الصحراء الكبرى ويغوص في قلب بلاد السودان ويدفع في حواضر المشرق⁽²⁾.

2.1 نبتت رغبة الرحلة في نفوس أهل المغرب الأوسط في العصر الوسيط مع بدايات الوجود الإسلامي بالمنطقة، واقتربت بصفة وثيقة بأداء فريضة الحجّ كمقصد أول ورئيس. ثمَّ أخذت فروع شجرة الرغبة وأغصانها في نفوسهم تتفرّع وتتعدّد؛ جامعة بين أداء الفريضة وزيارة الأماكن المقدسة، والتبحر في العلم والاستزادة من

(1) بن معمر محمد، رحلات الحج من المغرب الأوسط إلى مكة المكرمة، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 18 ، العدد الأول، وهران، الجزائر، 1439 هـ/2017 م، ص 278.

(2) وهو ما أشار إليه الباحث: محمد بن معمر نقلًا عن ابراهيم التارزي في كتابه "رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة". راجع: بن معمر، المرجع السابق، ص 278.

فنونه، وطلبا للإجازة⁽¹⁾ ولعلو السند "في الأحاديث والآثار التي كانوا يروونها، والكتب التي كانوا يتلقونها"⁽²⁾، بالإضافة إلى الرحلة لوجه الاستفهام المادي على كاهل التجارة والمعاملات الاقتصادية.

3.1 طالعتنا مصنفات الترجم والسير والطبقات على بعض العينات من أهل العلم الذين شدوا الرحال من المغرب الأوسط إلى بلاد المشرق وعلى رأسها مكة المكرمة؛ الذين جعوا بين الرحلة للعلم والعبادة، سواء بشكل فردي أو جماعي. ومن الذين أشار إليهم النص المصدري نورده في متن الجدول الموالي:

الرحلة	الوجهة	السنة	الغاية	المصدر
أبو زكريا يحيى الزواوي	المشرق	ت 611هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسية، ص 127.

(1) حيداتو علي، أدب الرحلة من السيرة الذاتية إلى التخيل قراءة في رحلة ابن حمادوش، مجلة علوم اللغة العربية وأدابها، ع 14، ج 1، جامعة الوادي، الجزائر، 2018، ص 08.

(2) الناجي لين، رحلات علماء المغاربة الأقصى والأوسط الملكية وأثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن المجريين، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1437هـ / 2016م، ص 05، 19. ومن الذين اشتهروا بالغرب الأوسط في العصر الوسيط بالحرص على طلب علو السند وحصلوا ذلك كما يذكره الغربيني في كتابه عنوان الدراسية: الشیخ الفقیہ علی بن ابی نصر فتح بن عبد الله المتوفی سنة 752هـ؛ حيث ذکر أنه كان يروي، ويسمع، ويتلقّه عليه، "وله علو سند في الحديث". الغربيني أبو العباس أحمد، عنوان الدراسية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تتح، عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 137. راجع كذلك: الناجي، المرجع السابق، ص 23.

علي بن أبي نصر البجائي	المشرق	ت 652هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 137.
أبو زكريا بن محجوبة	المشرق	ت 677هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 103.
عبد الحق الأنصاري	افريقيا والشرق	ت 675هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 60.
أبو العباس أحمد الغماري	افريقيا والشرق	ت 682هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 93.
أبو العباس أحمد الأنصاري	افريقيا والغرب	ت 693هـ	العلم	عنوان الدراسة، ص 119.
أبو زكريا الزواوي	المشرق	ت 611هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 127.
أبو العباس أحمد الملياني	المشرق والغرب	ت 682هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 188.
محمد المقرى التلمسانى	المشرق والغرب	ت 759هـ	الحج والعلم	نفح الطيب، ج 1، ص 7
أحمد الغبريني	الغرب الإسلامي	ت 714هـ	العلم	عنوان الدراسة، ص 10-15.
أبو علي الزواوى المشدالى	المشرق والغرب	ت 741هـ	الحج والعلم	عنوان الدراسة، ص 103.
ابراهيم بن يختلف التلمسانى	المشرق والغرب	ق 8هـ	الحج والعلم	البستان، ص 66.
ابن عمر البجائي التنسي	المشرق والغرب	ت 740هـ	الحج والعلم	نيل الابتهاج، ص 94.

أبو زيد عبد الرحمن التنسي	الشرق والغرب	ت 743هـ	الحج والعلم	نيل الابتهاج، ص 245.
أبو موسى عيسى	المشرق والغرب	ت 749هـ	الحج والعلم	نيل الابتهاج، ص 355.
أبو عبد الله محمد الآبلي	المشرق وفاس	ت 757هـ	الحج والعلم	البستان، ص 215.
أبو عبد الله الشريفي	تونس	ت 771هـ	العلم	البستان، ص 165.
محمد المقربي	المشرق وأفريقية	ت 758هـ	الحج والعلم	البستان، ص 155.
ابن مرزوق الخطيب	المشرق والأندلس	ت 781هـ	الحج والعلم	البستان، ص 184.
عبد الله الشريفي الحسني	الأندلس	ت 792هـ	العلم	البستان، ص 117.
أبو زيد عبد الرحمن	تونس والمشرق	ت 797هـ	الحج والعلم	نيل الابتهاج، ص 245.
محمد بن سليمان النجار	الأندلس	ق 8هـ	العلم	البستان، ص 294.
إبراهيم التلمساني	المغرب الأقصى	ت 804هـ	العلم	البستان، ص 66.
محمد بن عمر الهواري	المشرق والغرب	ت 843هـ	الحج والعلم	روضۃ النسرين، ص 42.
الحسن أبراكان التلمساني	المشرق والغرب	ت 857هـ	الحج والعلم	روضۃ النسرين، ص 116.

٦٥

١٠٣	الحج والعلم	٨٦٦هـ	المشرق والغرب	إبراهيم التازى نزل وهران	روضة النسرين، ص ١٣٩.
	الحج والعلم	٨٧٤هـ	المشرق والغرب	أحمد بن الحسن الغماري	روضة النسرين، ص ١٩٣.
	الحج والعلم	٨٤٢هـ	المشرق والغرب	ابن مرزوق الحفيد	غنيمة الواحد، ص ١٠.
	الحج والعلم	٨٤٧هـ	المشرق والغرب	محمد الشريف	البستان، ص ١١٧.
	الحج والعلم	٨٤٥هـ	المشرق والغرب	أحمد بن زاغو التلمساني	البستان، ص ٤٢.
	الحج والعلم	٨٤٥هـ	المشرق وافريقيا	أبو الفضل التلمساني	البستان، ص ٤٢.
	الحج والعلم	٨٥٤هـ	المشرق	قاسم بن سعيد العقبانى	البستان، ص ١٤٨.
	الحج والعلم	٨٧٥هـ	افريقيا والشرق	عبد الرحمن الشالبي	غنيمة الواحد، ص ٩.
	الحج والعلم	٨٦٤هـ	افريقيا والشرق	أبو الفضل المشدالى	تاريخ الجزر الثقافي، ج ٢، ص ١٢١.
	الحج والعلم	٩٠١هـ	المشرق والغرب	ابن صعد التلمساني	روضة النسرين، ص ٦٩.
	الحج والعلم	٩٠١هـ	المشرق	ابن مرزوق الكيف	البستان، ص ٢٥١.

أحمد الونشريسي	المغرب الأقصى	ت 914هـ	العلم	المعيار، ج 1، ص 10.
محمد بن أحمد بن مرزوق	المغرب الأقصى	هـ 918	العلم	البستان، ص 258.
أحمد المقرى	المشرق والمغرب	هـ 1041	الحج والعلم	نفح الطيب، ج 1، ص 39.
عيسى بن محمد البطيوي	المشرق والمغرب	هـ 1033	الحج والعلم	تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 121.
سعيد قدورة	الغرب الاسلامي	ت 1066هـ	العلم	تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 104.
عبد الكريم الفكون	المشرق وافريقيا	هـ 1073	الحج والعلم	تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 519.
عاشور القسنيطيني	المشرق والمغرب	هـ 1074	الحج والعلم	تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 383.
يجيبي الشاوي	المشرق وافريقيا	هـ 1095	الحج والعلم	تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 102.

جدول رقم 01: يمثل توزيع عينات من النخب المترحلة بالجزائر بين القرنين 7 و 11 للهجرة.

التعليق على الجدول:

قادنا الرصد الاحصائي إلى تسجيل الملاحظ الموالية:

- إذا كان لا يخفى على كل ذي بصيرة بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال الوقوف على إحصاء دقيق لعدد العينات التي ارتحلت من المغرب الأوسط على اختلاف غيات خروجها - على امتداد المسافة الزمنية المؤطرة للعصر الوسيط وقد

صدق أحمد المقرى حين قال في نفح الطيب: "إِنَّ حُصْرَ أَهْلِ الْأَرْتَالِ لَا يَمْكُنُ بِوْجَهِ
وَلَا بِحَالٍ، وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَى الإِحْاطَةِ إِلَّا عَلَامُ الْغَيْوَبِ الشَّدِيدُ الْمَحَالُ" ⁽¹⁾، فَإِنَّ ذَلِكَ
يُحْكِّمُ عَلَيْنَا التَّبَيِّهَ إِلَى مَقْصِدِنَا مِنْ إِيْرَادِ هَذَا الْجَدْوَلِ؛ وَالْمَتَمَثِلُ فِي مَحَاوِلَةِ مَنْ لَتَرْصَدَ
مَسَارَاتِ نِشَاطِ الْحَرَاكِ الرَّحْلَاتِيِّ بِسَاطِ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بَيْنِ الْقَرْنَيْنِ السَّابِعِ وَالْحَادِي
عَشَرِ الْمُهْجَرِيْنِ، وَمَلاَحِقَةِ الْعَوْمَالِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي نَمْوَهُ مِنْ جَهَّهَ، وَشَكَّلَتْ عَقَبَاتِ
أَثْرَتْ عَلَى مَسَارَاهُ وَخَطْوَطِهِ وَحَرْكَةِ نَمْوَهُ مِنْ جَهَّهَ أُخْرَى. وَذَلِكَ عَسَانَا نَهْتَدِيَ إِلَى
رَؤْيَاةِ حِيَالِ ثَقَافَةِ الرَّحْلَةِ بِالْمَجَالِ الْمَدْرُوسِ، وَانْعَكَاسَتِهَا عَلَى الْحَيَاةِ الْعُلُومِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ
بَهُ، وَمِنْ ثُمَّ تَحْدِيدِ نَقَاطِ التَّهَامِسِ بَيْنِ الْحَقْبَتَيْنِ التَّارِيخِيَّيْنِ لِنَفْسِ الْمَجَالِ تَحْتَ حُكْمِ
كِيَانَاتِ الْعَصْرِ الْوَسِيْطِ خَاصَّةً الْعَهْدِ الْزَّيَّانِيِّ وَالْعَهْدِ الْعُثَمَانِيِّ لَاسِيَّا فِي بَدَائِيَّاتِ الْآخِيرِ.

- بَنَاءً عَلَى مَا يَتِضَمَّنُهُ الْجَدْوَلُ مِنْ مَعْطَيَاتِ، نَشِيرُ بِأَنَّنَا أَحْصَيْنَا حَوَالِيَ أَرْبَعَةِ
وَأَرْبَاعِينَ (44) شَخْصِيَّةً مُرْتَحِلَةً لَوْجَهِ الْعِلْمِ؛ كَانَتْ غَالِبِيَّتِهَا تَقْرِنُهُ بِأَدَاءِ الْفَرْضِ الْدِينِيِّ
وَزِيَارَةِ الْأَماْكِنِ الْمَقْدِسَةِ، خَرَجَتْ مِنْ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ لَوْجَهِ الرَّحْلَةِ عَلَى اخْتِلَافِ
مَقَاصِدِهَا. وَقَدْ تَوَزَّعَتْ عِينَاتِهَا عَلَى مَدارِ الْقَرْنَيْنِ الْمُخْتَارَةِ عَلَى النَّحْوِ الْمَوَالِيِّ: الْقَرْنُ
السَّابِعُ: ثَمَانَ (8) شَخْصِيَّاتٍ، وَالْقَرْنُ الثَّامِنُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ (14) شَخْصِيَّةً، وَالتَّاسِعُ:
اثْنَا عَشَرَ (12) شَخْصِيَّةً، وَالْعَاشرُ أَرْبَعَ (4) شَخْصِيَّاتٍ، وَالْحَادِي عَشَرَ: سَتَةَ (6)
شَخْصِيَّاتٍ.

وَتَوَزَّعَتْ عِينَاتِهَا حَسْبَ الْوَجْهَةِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَوْضِعُهُ الْجَدْوَلُ الْمَوَالِيُّ:

(1) المقرى أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تج، إحسان عباس، ج 1، دار صادر،
بيروت، لبنان، 1388هـ / 1968م.

آفريقيـة والـمـغـرـب	الـأنـدـلـس	الـمـغـرـب	آفريقيـة	الـمـشـرقـ وـآفـريـقـيـة	الـمـشـرقـ وـالـمـغـرـبـ	آفـريـقـ	الـمـنـمـرـ بـالـاسـلامـ	آفـريـقـ وـالـأـنـدـلـسـ بـالـاسـلامـ	آـفـريـقـ
01	02	03	01	09	10	05	02	02	09

جدول رقم 02: يمثل توزيع أعداد الشخصيات العلمية حسب الجهات
الرحيلية التي قصتها.

- نلفت الانتباه إلى أنّ إطار الجدول الزمني ضمّ ثلاث قرون من حقبة العصر الوسيط بالغرب الأوسط بالإضافة إلى القرنين العاشر والحادي الذين يمثلان بدايات الوجود العثماني بالجزائر أو طلائع الجزائر العثمانية. مع الإشارة إلى أنّ القرن العاشر الهجري يمثل قاسها مشتركاً بين الحقبتين؛ على اعتبار أنّ التبعية للدولة العثمانية كانت خلال العقد الثالث من القرن السادس عشر الميلادي، وأنّ سقوط الدولة الزيانية كان خلال العقد السابع من نفس القرن؛ أي سنة 962هـ / 1554م.

- اصطبعت الفترة الزمنية المتداة على مدار القرون الهجرية الخاضعة للمدارسة بنوع من التذبذب والتراجع في الحراك الرحلي، وأحياناً الانقطاع تماماً عن الرحلة، وذلك راجع إلى سيادة الأضطرابات العسكرية، وغياب الأمن في المسالك، ومن ذلك أنّه في العهد الحمادي زمن الهجرة الهلالية وما أعقبها من ضروب الإفساد التي أحقوها بمجاليه خلال القرن 5هـ / 11م تضررت حركة الرحلة بشكل ملحوظ وتذبذبت مساراتها وانقطعت خلال سنوات معينة ووجهات محدّدة.

ومع أنّ خطوط الرحلة من حواضر المغرب الأوسط ومراكمه إلى غيرها من حواضر العالم الإسلامي قد عرفت انتعاشاً لافتاً خلال العهد الموحدي، ونمّوا لامعاً، إلا أنّ فترة التنافس على الملك الموحدي من طرف ورثته (الدول الثلاث) مثلّت فترة عصبية أعادت مسار ذلك النمو وأثرت سلباً على مسار حركتيه، وخاصة خلال العهد الزياني؛ والذي وبالرغم من النشاط الرحلاتي المتميز الذي كان سمة هذه الحقبة إلا أنّ عصر هذه الدولة لم يخل هو الآخر، من ضروب الاضطراب التي نجحت على أهل العلم وضيقّت في وجوههم السبل، وأعادت طريقهم لوجه العلم، وحتى لأداء الفريضة؛ بسبب التوتر الذي خيم على مسار العلاقة بينها وبين الدولتين الجارتين: الحفصية والمرinية؛ وخاصة الأخيرة. وهو ما تعكسه معاناة الساكنة التلمسانية على مدار سنوات الحصار المرini لها على امتداد مسافة زمنية تربو عن سبع سنوات (1).

- الجمع بين الرحلة لطلب العلم وأدا مناسك الحج، كان سمة لافتة جداً من خلال العينات المذكورة؛ فالحج وطلب العلم كما قيل كانا وجهين لعملة واحدة⁽²⁾.

(1) مع الإشارة إلى أنّ توقف نشاط الرحلة كان متعلقاً بالساكنة التلمسانية فحسب؛ ذلك أنّ السلطة المرinية التي فرضت حصارها المحكم على تلمسان وطوقت عنقها بسور جوشها وقواتها العسكرية المرابطة على أسوارها، كانت تشرف على تنظيم مواكب الحج انطلاقاً من مدينة المنصورة التي شيدوها مع بدايات سنوات الحصار.

(2) بن معمر، المرجع السابق، ص 286، شريحي نبيل، الحج في مجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين بين مشقة الرحلة والشوق إلى المصصد، مجلة مدارات تاريخية، مج 2، ع 5، الجزائر، 2020، ص 271.

- توسيع منحنى الرحلة أفقيا وعموديا؛ راسما في منحاه العمودي: تطور الحراك الرحلاتي وانتعاشه، ورسوخه كثقافة شعبية في التخييل المجتمعي الجزائري. أمّا أفقيا: فمن خلال انتشار خطابه جغرافيا في مجالات المغرب الأوسط وأقاليمه، وتوسيعه في أعماق النسيج المجتمعي وبين ظهرانيه.

- توسيع مجالات الرحلة؛ ففي الغالب لا يقتصر الرحلة على حاضرة واحدة بالإقليم الذي ينتقل إليه، بل كذلك لا يقتصر على إقليم واحد بل يتوجه في حاضر المشرق والمغارب والأندلس. كما إنّ حواضر المشرق في الوقت الذي حازت الحظ الأوفر من زيارة أهل المغرب الأوسط أكثر من غيرها من حواضر الغرب الإسلامي خاصة خلال القرون الخمسة الأولى من العصر الوسيط، فإنّ افريقيا بحواضرها الهاامة كتونس كانت محطة عبور لهذه الوجهة، ومسلكا أساسيا نحوها، ومقصدًا حيويا لوجه العلم والمعرفة بها.

ولا بأس من التنبيه إلى أحد أبرز الدوافع الكامنة في توجيه النظر بشكل بارز إلى هذه الوجهة (الجهة الشرقية)؛ وذلك لأنّ الفضاء المغرب أوسطي يعجز عن إشباع حاجة طلبة العلم وإرضاء رغباتهم المعرفية بما يكفي. حيث أنه ويعيدا عن التقليل من شأن المجال المغرب أسطي بصفة خاصة والمغاربي بصفة عامة ثقافيا وعلميا خلال العصر الوسيط؛ على اعتبار النهضة العلمية التي عرفها والنمو المعرفي الذي شهدته بشكل مستمر وصورة متنامية على مدار المسافة الزمنية المؤطرة للعهد الوسيط، مثل المشرق بحواضره الثقافية اللامعة، ومبراذنها العلمية المشعة، ومعالمه الدينية المقدسة، أحد أبرز مواطن الاستقطاب للنخب العلمية، وطلبة العلم ومتذمرو المعرفة. ذلك أنهم ومع ما ينهلونه بمبراذن العلم بمجال مسقط رأسهم، وعلى يد أساطين العلم به وأقطاب شيوخه وقامتاته الشاختة، لا يتوقف طموحهم العلمي عند ذلك الحدّ، ولا

تشبع نفوسهم مما حصلت على غزارته، بل تظل رحالم مشدودة إلى غيره من حواضر العلم ببلاد المغارب أو المشرق، رغبة في الاسترادة وأملاً في إشباع الفضول، وإرضاء الرغبة في إنماء المعارف وتطوير القدرات والاطلاع على ثقافة الآخر والاستئناس بها جادت به القرائح في شتى مجالات العلم والمعرفة بألمع الحواضر المشرقة خاصة مكة المكرمة⁽¹⁾.

2. خطوط الرحلة ومسارتها:

توزّعت على أربع جهات، وهي:

2.1 الرحلة المغرب أوسطية نحو المشرق:

جمعت الرحلة إلى هذه الوجهة بين جميع مقاصدها وغايات أصحابها: الدينية والعلمية والاقتصادية. ومثلّ هذا الاتجاه المقصد الرئيس لشريحة عريضة من نخب العلم وطلبه بالغرب الأوسط⁽²⁾، والوجهة المفضلة لهم لتحقيق المراد، وملامسة الهدف المنشود. فلا تكاد تقف على طالب علم ارتحل ينشد غايتها العلمية إلا وكانت بلاد المشرق محطة أساسية يُولي وجهه شطرها وتشرب عنقه صوبها، وقد أشرنا سلفاً وفي محطات متعددة من بحر دراستنا هذه إلى مقومات الجذب التي يجوزها هذا الإقليم؛ بما أهل له ليحظى بهذه الأولوية في ترتيب وجهات أصحاب الرحلة من أهل المغرب الأوسط بشكل خاص أو الغرب الإسلامي بشكل عام.

(1) بن معمر، المرجع السابق، ص 278.

(2) بوسلامة محمد، هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني "1518-1830"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مجل 2، ع 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2019، ص 327.

ولو نظرنا إلى عدد الرحلات التي قصد أصحابها المشرق في ضوء الاحصاء الذي أوردناه في الجدول السابق، لوقفنا على أنّ حوالي أربعة وثلاثون (34) شخصية علمية من أصل أربع وأربعون (44) كانت وجهتها حواضر المشرق للاستزادة في العلم والرغبة في أداء الفرض الديني؛ أي بنسبة حوالي 77 بالمائة من مجموع العينات التي انتخبتها للمعاينة ضمن الجدول الأول. وقد فضّلنا في الجدول بشأن عدد العينات التي ارتحلت إلى المشرق كوجهة منفردة عن غيرها من الوجهات، وذكرنا بأنّ عددها بلغ خمس (05) شخصيات، في الوقت الذي جمعت الشخصيات الباقية من أصل أربعة وثلاثون (34) بين المشرق كوجهة وبين الوجهات الأخرى، على النحو الموجّي: ثمانية (8) شخصيات جمعت في وجهتها بين المشرق والغرب الإسلامي بشتى حواضره، وإحدى عشر (11) شخصية كانت وجهتها متزاوجة بين المشرق والغرب الأقصى، وتسع (9) شخصيات جمعت بين الرحلة إلى المشرق وافريقيـة.

وطبيعي أن تختل مكة صدارـةـ الحواضر المشرقية التي تشـدـ إليهاـ الرحـالـةـ، وتحـوزـ حصـةـ الأـسـدـ من رـحـلـاتـ أـهـلـ الـمـغـرـبـ الـأـوـسـطـ إـلـيـهـاـ. ثمـ تـليـهاـ الحـواـضـرـ المـشـرـقـيـةـ التي تـشـويـ مـقـدـسـاتـ وـمـعـالـمـ دـيـنـيـةـ عـلـىـ جـفـرـافـيـتـهـاـ كـالـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ وـالـقـدـسـ⁽¹⁾ـ، وـكـذـاـ الحـواـضـرـ الـواقـعـةـ عـلـىـ طـرـيقـ الـرـحـلـةـ إـلـىـ الـحـجـازـ كـالـمـدـيـنـةـ وـمـصـرـ وـحـواـضـرـ اـفـرـيـقـيـةـ، ثمـ تـليـهاـ الحـواـضـرـ المـشـرـقـيـةـ الـبـارـزـةـ فـيـ الـعـلـمـ كـبـغـدـادـ وـبـصـرـةـ⁽²⁾ـ.

(1) بوسالمـةـ مـحـمـدـ، المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ21ـ.

(2) عـمـارـةـ، المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ113ـ.

3.2 الحراك الراحي المغارب أو سطى باتجاه افريقيا:

تنطلق الرحلة من حواضر المغرب الأوسط باتجاه افريقيا مرورا على سبيل المثال من تلمسان إلى الجزائر إلى بجاية إلى قسنطينة، فبونة، وتونس، ثم طرابلس وببرقة.

ونلمع الانتباه إلى أنّ هذه الوجهة، مثلت غاية لذاتها؛ أي كانت حواضرها مقصدًا لشريحة من طلبة علم المغرب الأوسط، كما كانت في ذات الوقت محطة رئيسية ضمن مسار الخط الرابط بين المغرب الأوسط وبلاد المشرق بحواضرها المتعددة؛ استغله المارة عبر خطها فرصة الرحلة إلى المشرق بالتوقف عند حواضرها والاستفادة هناك، سواء ذهاباً أو إياباً.

ولو رجعنا إلى المعطيات التي تمّ رصدها في ضوء الجدول الأول، للمسنا بأنّ هذه الوجهة كانت مقصدًا فريداً لشخصيتين ضمن العينات التي أخذتناها للمعاشرة. ولشخصية واحدة جمعت بين هذه الوجهة ووجهة بلاد المغرب الأقصى ضمن عينات الجدول أيضاً. ولشخصيتين تقلبت في مغارب العصر الوسيط والأندلس أو جامعة بين الوجهات الثلاث: افريقيا والمغرب الأقصى والأندلس. وكانت محطة عبور عشر شخصيات قصدت حواضر المشرق، ودائماً ضمن النهاذج التي احتضنها الجدول المذكور آنفاً.

3.3 الرحلة المغرب أو سطية إلى المغرب الأقصى:

لم يعرف هذا الاتجاه الراحي انتعاشًا لافتاً خلال العصر الوسيط مقارنة بما بات عليه الأمر خلال طائع العهد العثماني وفترة القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين

للدرس والإقامة والتجارة⁽¹⁾. وذلك لأنَّ الوجهة البارزة كما أشرنا إليه سالفاً، كانت إلى المشرق؛ وإلى الحواضر العلمية التي تقع بالطريق إليه. أمّا باتجاه الغرب فالرغم من أنَّ الوجهة مثلت مقصد لشريحة من أهل المغرب الأوسط لاستزادة العلمية وتقوية المدارك، فإنَّ مسارها كان يعرف تذبذباً ملحوظاً، بسبب الاضطرابات السياسية التي تشهدها الساحة السياسية لبلاد الغرب الإسلامي، ومن ذلك: الصراع العسكري الذي اصطبغت به علاقات بنى حماد مع المرابطين خلال فترة حكم يوسف ابن تاشفين (454هـ-500هـ / 1062-1106م)⁽²⁾، أو ضروب التزاع التي طغت على نسيج علاقات بنى زيان مع الدولة الجارة بالجهة الغربية (المرينية).

ومن الطبيعي أنَّ الوضع المضطرب الذي تفرزه حروب الحصار ومعاركه، تؤدي إلى فقدان الأمان عبر أغلب المسالك الرئيسية والثانوية، واستفحال عمل الحرابة وضروب النهب والسلب والغصب بها وسيطرة اللصوص على أبرز شرائين الحياة الاقتصادية والثقافية بها، بل وصل الأمر ببعض القبائل ذات النجعة وال الحرب أنْ تُرغِّم التجار والمارة بها على أداء الإتاوة مقابل المرور بأراضيها. وفي هذا المنحى يطالعنا الرحالة العبدري بنصّ في غاية الأهمية؛ وذلك أنه حين كان في طريق الرجعة من تلمسان إلى فاس مروراً بباتزا، ذكر أنه لما وقف على باب تلمسان نحو سنة 688هـ / 1289م هو ومن معه، صادفوا قافلة كبيرة خارجة إلى جهة الغرب زاد عددها عن ألف نسمة، فقال له قائل بأنَّ لأصحابها في محاولة الخروج نحو من ثلاثة أشهر حتى تستنى لهم بخمارة على أداء خفارقة، ففرح كثيراً حين أدركها من الغد بوجدة خصوصاً

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 385.

(2) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 229.

مع كثرة عددها، لأنّه كان يأمل أن يجد الرفقة لمواصلة مسيره مع عصبه نحو مقصدٍ، وقد أدرك ذلك⁽¹⁾. كما ذكر البلوي أنّ القافلة التي كان بين أعضائها قد تعرّضت في نقاط متفرقة من بلاد المغرب الأوسط لهجمات قطاع الطرق ذاهباً وابداً سنة 736 هـ و740 هـ⁽²⁾.

ييد أنّ انتعاش طريق الرحلة العلمية إلى الجهة الغربية خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين لا يعني انحصار التوجه الرحي نحو المشرق، بل كما ألمحت إليه عديد الدراسات عُدّ "القرن الثاني عشر هجري (18م) من أهم القرون التي أسهم فيها الجزائريون إسهاماً واضحاً في كتابة رحلاتهم بمختلف أنواعها مقارنة بالقرون الماضية، إلا أنّ هذه الإسهامات كانت قليلة الانتاج بالقياس كتاب الرحلات المغاربة⁽³⁾، وهذا راجع إلى عدم رجوع الرحالة إلى الجزائر ليكتب ملاحظاته ويدون رحلته"⁽⁴⁾. وكانت الرحلة الحجازية أكثر وفرة نسبياً مقارنة بألوان الرحلة الأخرى ووجهاتها نحو الحواضر المشرقة⁽⁵⁾.

(1) العبدري محمد البنسي، الرحلة المغربية، تقديم، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428 هـ / 2007 م، ص 212.

(2) انظر: ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقيّة، تتح، سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1429 هـ / 2008 م، ص 45.

(3) وقد أشار إلى هذا رائد الكتابة في التاريخ الثقافي للجزائر، الدكتور أبو القاسم سعد الله. راجع: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 385.

(4) عجناك يمينة، أدب الرحلة الجزائريين إلى الحجاز خلال القرن 18 "نحلة الليبيب بأخبار الرحلة إلى الليبيب لابن عمار أنموذجاً"، مجلة بحوث، ع 11، ج 3، الجزائر، ص 16.

(5) المرجع نفسه، ص 16.

4. الرحلات المغرب أوسطية إلى الأندلس:

ارتحل عدد معتبر من أهل المغرب الأوسط إلى الأندلس لوجه أداء الفرض الثقافي أو العلمي مع التنبيه إلى أن عدد المترحلين ليس قارا عند حدّ معين، بل يعرف تفاوتا حسب كل مرحلة، يتقلّص حيناً ويرتفع في أحياناً أخرى. بل إنّه حين بلغت الأضطرابات بالعاصمة الزيانية تلمسان أوجها؛ حين انتشر الخوف والقلق بين أظهر الرعية بسبب الحرب وضرر الصراع العسكري والتناحر لوجه المصلحة التوسيعة خاصة بعدما اشتد الحصار المريني على تلمسان وأحاط بها إحاطة السوار بالمعصم، مثلّت الأندلس ملاداً آمناً لشريحة من علماء المنطقة؛ حيث اضطروا للهجرة، ومغادرة المناطق التي خيم على سمائها جو الأضطراب، مُيَمِّنين وجوههم نحو المناطق الآمنة والبعيدة من مواضع الأضطراب كالأندلس، ولم يرجعوا إلى تلمسان إلا بعد ما رفع عنها الحصار بعد مدّة من الزمن ناهزت ثمان سنوات على قول بعض المؤرخين⁽¹⁾، فقد مدّ بصره محمد المكودي إلى غرناطة وقصدتها حتى ينأى من تبعات الحصار الذي عصف بتلمسان وأمصارها. وعلى درب المكودي سار الشاعر أبو عبد الله محمد بن

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد 2، تحرير، أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ / 1987م، ص 139. راجع كذلك: لطيفة بشاري: علاقة بنى عبد الواد ببني مرين بين القرنين 7-10هـ / 13-16م، مجلة أفكار وأفاق، ع 3، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012، ص 63.

خميس التلمساني (ت 708هـ / 1304م) سنة 703هـ / 1304م قاصداً غرناطة
أيضاً⁽¹⁾.

أما مع تقلص المساحة الإسلامية بالجزيرة الأندلسية مع تناحر الضغط الصليبي وتعاظم الخطر النصراني على المسلمين بالمنطقة، فقد انكمشت خط الوجهة إلى هذه الجهة من طرف مغاربة العصر الوسيط بشكل عام وأهل الأوسط بشكل أخص، وغدت بلاد المغارب هي المقصد، والأكثر استقطاباً للنخب الأندلسية بحثاً عن فضاء آمن وجغرافية إسلامية تحضنهم.

ومع ذلك، ما غاب ذكر الأندلس عن الخطاب الراحي لدى بعض الرحلة وأهل العلم، خاصة من ثمت جذورهم بصلة إلى الأصل الأندلسي، ويشددُهم الحنين إلى مسقط رأسهم ومنبت عرقهم. ومن ذلك أنَّ الأندلس كانت من الأماكن التي ذُكِرت ضمن مادة رحلة ابن حادوش، من غير أن يزورها؛ وإنما اعتماداً على تراث الأقدمين⁽²⁾.

4. مقومات انتعاش الحراك الراحي في المغرب الأوسط:

من مقومات هذا الانتعاش، نذكر:

- وقوع المغرب الأوسط في مركز بلاد المغارب؛ باعتباره نقطة وصل بين حواضر المغارب فيما بينها، وبينها وبين الحواضر المشرقية. فمدن: تاهرت الرستمية، والقلعة وبجایة الحمادية، وتلمسان الزيانية كانت محطات رئيسية ومفصلية لقوافل

(1) ابن مرزوق، المناقب المرزوقي، ص 304، ابن مريم: المصدر السابق، ص 125، أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الدبياج، ج 1، تقديم، عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ص 245-247.

(2) عجناك، المرجع السابق، ص 21.

الحج والتجارة والعلم المرتجلة من الجهات الغربية لل المغرب الأوسط والجنوبية له إلى حواضر المشرق، أو من المشرق نحوها؛ أي ذهابا وإيابا⁽¹⁾.

- شغف أهل الجزائر إلى توسيع مشارب المعرفة، وتنويع مواردها، والاطلاع على رصيد الآخر الثقافي، كان عونا لطلبة العلم على تكبد عناء ومشاق السفر.

- تجذر الفكر الرحيلى في أرضية الخطاب الثقافى السائد بمجتمعات الغرب الاسلامي بشكل عام والمغرب الأوسط بصورة أخص؛ حيث ساد في المخيال العام والثقافة الشعبية: أن التحصيل المعرفي دون حركة رحلية لا يفي بالغرض على أكمل وجه، وأن ملامسة الكمال الاجتهادي في طلب العلم والعلا لا يكون في صورته المثلث إلا إذا ساح طالب العلم في الجغرافيا الحاضنة للمعرفة بمختلف حقوقها ودروبيها، وتنقل في فضاءاتها و مجالاتها الثاوية لراكز العلم ومؤسساته.

- دور المؤسسات الثقافية المشرقة والمغاربية ومراكزها العلمية في استقطاب النخب وطلبة العلم والمعرفية للجلوس على كراسي العلم بها، والاحتکاك بأساتذتها ورواد المعرفة بها، ومنها: القرويين بالمغرب الأقصى، وقرطبة بالأندلس، والزيتونة بتونس، والأزهر بالقاهرة، والحرمين بالشرق.

- دور السلط اللامع بجزائر الحقبتين الوسيطة والعثمانية في تأمين الطرق والمسالك البرية والبحرية وخطوط المواصلات مع مختلف أقاليم العالم الإسلامي، وسعيها لفرض الأمن والاستقرار السياسي بالمجالات الخاضعة لسلطانها؛ مما سمح

(1) بن معمر، المرجع السابق، ص 281، مالكي سميرة ولباد سالم، أدب الرحلات الحجازية الجزائرية في القرن الثامن عشر الميلادي أسموذجا، مجلة لغة-كلام، مج 7، ع 2، خبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان، الجزائر، 2019، ص 74-76.

بنشاط وحيوية الحراك الرحلّي وانتعشه⁽¹⁾، واتساع حدود دائرة رواده، ومتاحليه سبيلاً من سبل التحصيل العلمي، وطريقاً من طرق كسب المعرفة.

- ازدهار الحياة العلمية والأدبية بجزائر الفترتين الخاضعة للمدارسة⁽²⁾، مثل حافراً وباعثاً ودافعاً قوياً على الحركة والترحال لرصد المعرفة، والتمكين العلمي، والتواصل الحضاري، والتبادل الثقافي والفنّي.

- التعلق ببلاد المشرق السائد في الخيال المجتمعي على اعتبار ما تحوّله من مقومات دينية على رأسها أداء الفرض (الحج)⁽³⁾.

5. أثر الحراك الرحلّي على الحياة الثقافية بجزائر العصر الوسيط والعهد

العلاني:

وي يمكن رصد ذلك الأثر من حلال العرض الموالي:

(1) لامعة ذكري، الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرinية ودورها في تحقيق الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ / 13-15م، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 1431هـ / 2010م، ص 28.

(2) دباح عائشة، الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الديايات "رحلة الحسين الورثيلاني نموذجاً"، مجلة قضايا تاريخية، ع 8، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1439هـ / 2017م، ص 50، علوى مصطفى، الرحلة العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين الثالث والسادس الهجريين (رحلة القلصادي القرن التاسع الهجري نموذجاً)، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مع 7، ع 1، جامعة الأغواط، الجزائر، 2021، ص 302.

(3) انظر كذلك ما أوردته في هذا المضمار: نميش سميرة، الرحلة العلمية وأثرها في تكوين شخصية العلامة أبو العباس المقربي نموذجاً، مجلة البحوث التاريخية، مع 5، ع 1، الجزائر، 2021، ص 58 -

- كان لعلماء الجزائر سواء في العصر الوسيط أو العثماني مساهمات معتبرة في إثراء الحركة الثقافية الإسلامية والإنسانية: مشرقاً ومغارباً⁽¹⁾. وهو ما تعكسه بصمات النخب التي جابت مشارق الأرض وغاربها وسارت في مناكبها في سبيل العلم والمعرفة استفادة وإفادة، وأخذها وعطاها. وهو ما يحيلنا إلى تضافر الجهد العلمي لنخب الجزائر على امتداد تاريخها الإسلامي في دعم الحقل المعرفي والثقافي وإثرائه، والمساهمة في تغذيته في شتى العلوم والفنون، وكانت الرحلة العلمية آلية من آليات تحصيله، وسبلاً من سبل نشره وخدمته.

- أسمهم التراث التأليفي والمتوج الفكري والعلمي الذي أنتجه النشاط الرحلاني بال المغرب الأوسط في الحقبة الوسيطة، في تشكيل جسور ثقافية؛ ربطت حياة هذا العصر بالحياة الفكرية بجزائر العهد العثماني، ووصلت بين عهدين متباينين؛ تبادل سقفهما السياسي والسلطوي. ففي ضوء الحقل الثقافي والأرضية الحضارية والتراث الرحلاني والمناخ الفكري الذي أسس له الجيل النخبوi بجزائر العصر الوسيط، انطلقت نخب الجزائر العثمانية وطلبتها تستثمر في كنوزه، وتبحث في تراثه. ومن مظاهر ذلك الإرث الرحلاني على سبيل المثال لا الحصر: رحلة أبي القاسم التوجيبي التلمساني (ت 730هـ / 1329م) الموسومة: "مستفاد الرحلة والاغتراب"⁽²⁾، رحلة ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م) المسمى "التعريف بابن

(1) خلوى شميسية، مساهمة علماء الجزائر العاصمة في إثراء أدب الرحلة رحلة عبد الرحمن الشعالي (ت: 875هـ) أنموذجاً، مجلة اللغة العربية، ع 30، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018، ص 308.

(2) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 385.

خلدون شرقاً وغرباً⁽¹⁾، رحلة عبد الرحمن الشعالي (ت 875هـ / م 2020⁽²⁾)، رحلة محمد بن محمد المقرى التلمساني (ت 759هـ / م 1357)، الموسومة بـ "رحلة المتبّل"، رحلة حفيده أحمد المقرى التلمساني (ت 1041هـ / م 1631) المسماة "رحلة المقرى إلى المغرب والشرق"⁽³⁾، رحلة ابن القنفذ القدسية (ت 1071هـ / م 1407) "أنس الفقير وعز الحقير"⁽⁴⁾، ورحلة أبي الفضل المشدالي البجائي (ت 864هـ)⁽⁵⁾. ومن الرحلات التي عرفها الجزائر خلال القرون الموالية: رحلة الحسين الورثيلاني (ت 1193هـ) الشهيرة بـ "نرفة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، رحلة أبو راس الناصري (ت 1238هـ / م 1823) المسماة "فتح الإله منه في التحدث بفضل ربى ونعمته"⁽⁶⁾، رحلة المصعي للشيخ ابراهيم بن بمحان ليسجني المصعي (ت 1232هـ / م 1817).

(1) ابن خلدون عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، عرض وتعليق، محمد بن تاويت الطنجي، حررها وقدم لها، نوري الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ / م 2004.

(2) الشعالي عبد الرحمن، غنية الوافد وبغية الطالب الماجد، ويليها رحلة عبد الرحمن الشعالي، تتح، محمد شايب شريف، دار ابن جزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ / م 2005، ص 12 وما بعدها.

(3) لمصير سعاد، التقاطع بين الأدب والتاريخ ضمن الرحلة الحجازية الجزائرية خلال العهد العثماني، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مع 13، ع 1، جامعة الجلفة، الجزائر، 2021، ص 879.

(4) ابن قنفذ القدسية، أنس الفقير وعز الحقير، صصححه محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

(5) مداح نور الدين، أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي العلامة الموسوعي الرحالة، مجلة الشهاب، ع 7، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، 1437هـ / م 2018، ص 187.

(6) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 377.

رحلة ابن مسائب التلمساني (ق 12 هـ / 18 م)، رحلة الشاعر أحمد ابن التريكي (ق 12 هـ / 18 م)، رحلة أحمد بن عمار الجزائري (ق 12 هـ / 18 م) التي تدعى "نحلة الليب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"⁽¹⁾، رحلة ابن حمادوش الجزائري (ت 197 هـ / 1782 م) المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"⁽²⁾، رحلة عبد الرحمن بن ادريس التلذاني، ورحلة البوبي أحمد بن قاسم التميمي (ت 1139 هـ) المسماة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"⁽³⁾.

- تسهم الرحلة في تحويل التجربة الإنسانية إلى كتابة تاريخية، وتناسليّة الدينامية الثقافية، وفي استمرارية فعاليتها وانتعاشها⁽⁴⁾.
- ينطق الخطاب الرحلّي بمستوى رقي الصناعة الفكرية بكل مناحيها: لغوية،
أسلوبيّة، فنية...⁽⁵⁾.
- يكشف الخطاب الرحلّي عن الكامن الفكري، ويعبر عن الثقافة الاجتماعية،
والمعطى الاقتصادي، والبعد الديني.

(1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 224، لمصير، التقاطع بين الأدب والتاريخ، ص 879.

(2) مالكي ولباد، المرجع السابق، ص 76.

(3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 6.

(4) لمصير سعاد، التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني، مجلة قضايا تاريخية، ع 8، المدرسة العليا للأستاذة، بوزريعة، الجزائر، 1439 هـ / 2017 م، ص 95.

(5) لمصير سعاد، التفاعل الثقافي والعلمي، ص 95.

- وضع الخطاب الرحلـي الأحداث التاريخية والقضايا الاجتماعية والدينية والعلمية في سياقاتها التاريخية والزمنية والجغرافية والبيئية، وحدد إطارها القيمي والهوياتي، ومرجعيتها الروحية والدينية، وأبان عن منظومتها العـرفـية⁽¹⁾.
 - استقدام مؤلفات من المشرق تخص العديد العناوين الهامة في الحقل الثقافي، ومن ثمّ التي تتعلق بالجانب التاريخي⁽²⁾.
 - أـسـهمـ الخطابـ الرـحلـيـ إلىـ حدـ ماـ فيـ توـحـيدـ النـسـقـ الفـكـرـيـ الجـزاـئـريـ المـغـارـيـ منـ جـهـةـ،ـ والـجـزاـئـريـ المـشـرـقـيـ منـ جـهـةـ ثـانـيـةـ⁽³⁾ـ،ـ وـالـجـزاـئـريـ عـلـىـ اـمـتـدـادـ حـقـبـهـ الزـمـنـيـ،ـ مـنـ زـاـوـيـةـ ثـالـثـةـ.ـ وـهـوـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـصـطـلـحـ عـلـيـهـ بـالـمـاـفـقـةـ بـمـجـمـعـاتـ عـالـمـ الـاسـلـامـيـ الـمـتـزـامـنـةـ،ـ وـمـاـفـقـةـ شـعـوبـ الـوـسـطـ الـجـغـرـافـيـ الـوـاحـدـ الـمـتـنـاسـلـةـ عـبـرـ الـعـصـورـ أوـ الـمـتوـارـثـةـ.
 - كان للكراسـيـ الـعـلـمـيـ وـحـرـكـةـ الـجـدـلـ وـمـجـالـسـ الـمـنـاظـرـ مـسـاـهـمـةـ فـاعـلـةـ فيـ انـعاـشـ الـحـيـاـةـ الـثـقـافـيـ بـجـزـائـرـ الـعـهـدـيـنـ الـوـسيـطـيـ وـالـعـثـانـيـ،ـ وـتـنـمـيـةـ الـحـيـاـةـ الـفـكـرـيـ⁽⁴⁾ـ.
 - مـثـلـ أـدـبـ الرـحلـةـ مـوـسـوعـةـ شـامـلـةـ لـخـتـلـفـ جـوـانـبـ الـحـيـاـةـ الـمـتـبـاـيـنـةـ لـلـأـمـ
- الموزعة على البساط الجغرافي الذي امتنى صهوته الرحالة، يرصد معطياته، ويسجل انطباعاته عن واقع أجنبـاهـ وـطـبـيـعـةـ مـعـاـشـهـ وـفـكـرـهـمـ وـعـادـاتـهـ وـتـقـالـيدـهـمـ،ـ ويـحـصـدـ

(1) ولقد فصلا أحد الباحثين تفصيلا جميلا في دور أدب الرحلة في التعبير عن العلاقة بين أدب الرحلة والاثنوجرافيا. وللتفصيل في ذلك. ينظر: رحماني علي ودرنوني سليم، فصل المقال فيما بين الرحلة والاثنوجرافيا من اتصال، مجلة التغير الاجتماعي، ع4، مخبر التغير الاجتماعي وال العلاقات العامة في الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر، ص 271-275.

(2) عمارة، المرجع السابق، ص 114.

(3) لـبـصـيرـ،ـ التـفـاعـلـ الـثـقـافـيـ وـالـعـلـمـيـ،ـ صـ 9ـ6ـ.

(4) لـامـعـةـ،ـ المرـجـعـ السـابـقـ،ـ صـ 7ـ0ـ.

تجاربه وما عاشه وعايشه متنقلًا بين أظهرهم، وبذلك يبني خطابا رحليا يفصح عن أدوار الرحالة، ومفعوله ضمن نشاطه، ومكانة نبضه فيه بصوته المفرد أو الجمع انطلاقا من مرجعيه الدينية والثقافية والجغرافية⁽¹⁾.

- يسهم النص الرحلي في تغذية حقول الكتابة والتدوين وفق خطاب يتماشى وطبيعة الغرض الرحلي وشخصية الرحالة الدينية والعلمية والثقافية. بحيث يترجم ذلك الفعل خلاصة الجهد الرحلي منسوج في مادة مكتوبة مدونة ترسم صورة ترجم التجارب الإنسانية إلى مشاريع مكتوبة ونصوص مدونة، تحاكي المناسبات الاجتماعية المرصودة، والظاهرات الثقافية المتّجدة، والمنفعة الاقتصادية المحسودة، والجلسات العلمية المنعقدة. وبذلك فهي كما عبرت عنه الباحثة "لصيير": "تدون لم تدونه كتب التاريخ السياسي ومصادره بأسلوب يجمع بين الواقعية التاريخية وعنصر الإثارة والتشويق لذلك عدّ هذا الخطاب لبنة الدراسات التاريخية"⁽²⁾.

- يرسم الخطاب الرحلي صور التضامن والتقاطع بين فنون العلوم الإنسانية والاجتماعية ومواطن تقاطعاتها، ويجمع بين التيمات والأنساق الثقافية المتأصلة ضمن ذلك الخطاب؛ خاصة بين التاريخ والأدب⁽³⁾.

- يعكس الخطاب الرحلي التنوع المضموني المفتح على الحقول المعرفية بمنحيها التاريخية والجغرافية والسياسية والدينية في صورتها التحليلية أو النقدية أو الإثنографية...، ويقدم تصور شمولي لذلك المخزون الدلالي الذي يعكس هوية

(1) آجقو سامية، الرحلة بين الواقع و فعل الكتابة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 21، ع 2، جامعة باتنة، الجزائر، 2020، ص 176-179.

(2) لصيير، التقاطع بين الأدب والتاريخ، ص 879.

(3) المرجع نفسه، ص 878.

المرتجل العرقية والجغرافية والدينية والثقافية، ويفصح عن غاياته ومراميه الارتحالية⁽¹⁾.

- يمثل النص الرحلي في بعض مناحيه شهادة حضارية حية، التقطت صورها عدسة الرحالة، تكمن قوتها في سوغها لتاريخ المجتمعات المغاربية والشرقية، في قالب متميز؛ يجمع بين أحداث مساحة جغرافية واسعة، ويثوي نسيجا من النصوص المستوعبة لأخبار الأمم في مناحي حياتها المتعددة. فكأنه ذاكرة جماعية لا تعرف بالحدود الجغرافية، وتلتئم تحت سقف ديانة واحدة، وثقافة مشتركة، وأسلوب حيادي متقارب يناغم والثقافة السائدة والإيديولوجية المت荡لة.

- في الوقت الذي كانت السفارة والوفادة من بين أهداف الرحلة وأغراضها عند شريحة من النخب؛ فقد كان الساسة ورجال البلاط يكلفوهم بمهام سياسية تندرج ضمن غاية توطيد النسيج العلائقي مع الدول الجارة والمعاصرة لها في نفس الخط الزمني، وتبادل الرأي والمنفعة فيما بينهم، لعب الخطاب الرحلي في بعض زواياه دور السفارة عبر الزمن؛ بنقل خبرات جيل الحقبة السابقة وميراثها إلى الجيل الذي تلاه على نفس المجال أو إلى أبعد منه وأوسع. فكان بمثابة حلقة وصل ثقافي لمجتمعات متباينة تتعمق إلى نفس الجغرافية وتفترش ذات المجال، وآلية من آليات التبادل العلمي، والتحاور الفكري، والتقارب الثقافي.

- تسهم الرحلة العلمية في بناء شخصية الفرد الثقافية، وتوسيع مداركه المعرفية، وقدراته العلمية. كما تساعد على تحسين بنائه النفسي، والاجتماعي، وتنمي فيه قدرات الاكتشاف والمعرفة، والتواصل، وتقوده إلى مد جسور التواصل الثقافي مع

(1) المرجع نفسه، ص 878.

الآخر وتبادل الخبرات والمعارف⁽¹⁾. كما تعدّ أحد المقاييس العلمية مقاييساً ومعاييرها لقياس مكانة العالم بين أترابه⁽²⁾.

- تساهمن الرحلة العلمية كذلك في تطعيم المكتبات المغرب وأوسطية بأمهات الكتب والمصادر في شتى تخصصات المعرفة وحقوق العلم.

- تمكّن من تحصيل الإجازة العلمية. حيث مثّلت هذه الأخيرة أحد أسمى غايات طلبة العلم -بالمغرب الأوسط خاصة وببلاد المغرب عامـة- في نشاطهم الرحيـلي، من أجل تحصيل الـإجازـة في شـتـى العـلـوم الشرعـية من حـدـيث وـفـقـهـ، وكـذا لـتـرـويـلـ الوـظـائـفـ وـالـمـهـامـ الـديـنيـةـ كـالـافتـاءـ وـالـتـدـريـسـ وـالـتأـلـيفـ وـالـقـضـاءـ⁽³⁾.

- المساهمة في التأسيس للفكر الأنثربولوجي وإرساء دعائمه. وجدير التنويه في هذا الصدد بجهد الباحث "بلعربي" في مسعى إثبات دور الخطاب الراحي الإسلامي في التنظير لهذا العلم، وإبراز السبق الإسلامي في التأسيس لكيانه، والبصمة الإسلامية في تطويره⁽⁴⁾. فهذا العلم (الأنثربولوجيا) - كما يذهب إليه ذات الباحث - الذي ديدنه دراسة الإنسان؛ من خلال مفاصحة أوجه التباين والتتشابه بينه وبين غيره من الكائنات، من جهة، وبينه وبين بنى جنسه، من جهة أخرى، ولد في رحم الفكر الإسلامي وترعرع بين أحضان اهتمامهم العلمي؛ بما يجعله - حسبما يؤكده - علماً عريباً

(1) نمیش، المرجع السابق، ص 64.

(2) المراجعة نفسه، ص ٦٤.

(3) المرجع نفسه، ص 64.

(4) بـالعـربـي خـالـدـ، الـفـكـرـ الـأـنـثـرـبـولـوـجـيـ فـيـ كـتـابـاتـ الرـحـالـةـ الـمـسـلـمـينـ، مـجـلـةـ الـمـعـارـفـ لـلـبـحـوثـ وـالـدـرـاسـاتـ التـارـيـخـيـةـ، عـ12ـ، جـامـعـةـ الـوـادـيـ، الـجـزـائـرـ، صـ181ـ.

اسلامياً أصيلاً⁽¹⁾. وحتى لا نحيد عن جادة صواب اشكالية بحثنا، نشير بأنّ هذا الباحث، انزوى إلى معاينة اللمسة الاسلامية في التأسيس لهذا العلم في ضوء المتوج العلمي الذي أفصح عنه الإرث الرحي؛ استناداً إلى بنية الفكرية، وخطابه الرحي، وثماره المعرفية؛ فقد كشف هذا المتوج بشتى بُناه الفكرية عن العديد من الحقائق عن طبيعة المجتمعات التي زارتها النخب المرتحلة خلال العهد الوسيط والمناخات الفكرية التي طافوا بمجالها واستأنسوا بمجالسها، وأنماط حياتها، وسبل معاشها، وآليات تفكيرها، وسماتها الثقافية والحضارية، ونحوها. وهو ما يشي بمكانة هذا الصنف المصدرى (كتب الرحلة) ضمن الأصول العلمية التي شكلت "الملامح النظرية الأولى لعلم الأنثربولوجيا"⁽²⁾. ويعتبر الفكر الخلدوني الذي تنطق به مادة مقدمة كتابه العبر أو رحلته شرقاً وغرباً، أحد الارهاصات المتينة لإسهام المغاربة في خدمة علم الأنثربولوجيا، باعتبارها من المحاولات الجادة لتفسير الأنظمة الاجتماعية والثقافية، ومعالجة العلاقة القائمة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية، وموقع تبادل البشر في اللون والأمزجة النفسية والصفات الجسمية والخلقية في التأثير على الفكر والسلوك والنمط المعيشي⁽³⁾، وتحديد المستوى الحضاري، ومكانة البيئة الجغرافية والفكرية والثقافية في صناعة الفارق الحضاري ومستويات التطور السياسي⁽⁴⁾. وباعتبار فكره

(1) المرجع نفسه، ص 183.

(2) المرجع نفسه، ص 183.

(3) ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421 هـ / 2000 م، ص 104.

(4) بلعربي، الفكر الأنثربولوجي في كتابات الرحالة المسلمين، ص 183.

كذلك من الجهود التي أسّست لمنهج دراسة المجتمعات البشرية، والدورа الحضارية التي تمر بها الأجيال وتعيشها الإنسانية⁽¹⁾.

- كانت الرحلة العلمية بمختلف أنواعها مدرسة ثقافية، لعبت دورها المحوري في الحياة المجتمعية؛ من خلال بنا الفكر الإنساني وتطويره، وإثراء الحقل الثقافي بشتى فنون المعرفة⁽²⁾.

6. نقاط التماهي الرحلي بالجزائر بين العهددين الوسيطي والعثماني:

حتى تتجلّى مرامينا من معالجة هذه المحطة البحثية، نعتقد أنّ العرض المولى كفيل بذلك:

- اتساع الرحلة بالمغرب الأوسط خلال القرون التي سبقت الوجود العثماني بالجزائر خاصة القرنين السابع والثامن الهجريين (13 و14م)⁽³⁾؛ بما يحيل إلى أنّ المخيال الجمعي خلال تلك الفترة، وهي القناعات التي ظلّت راسخة في أذهان ساكنة الجزائر مع طلائع العهد العثماني، كميراث ورثوه من أجدادهم، وحافظوا على تقاليدهم ومنهجهم في تحصيل العلم، سيّما وأنظارهم تظلّ مشدودة إلى بلاد المشرق؛ التي بها مهبط الوحي وأرض الحرميin، ومصدر الحضارة الإسلامية، ومنبع العلوم الشرعية⁽⁴⁾.

- مثلّ المشرق بما يحتويه من أماكن مقدسة وفي طليعتها أرض الحرميin، وما يعكسه من رمزية دينية في ذهنية المسلم وبشكل أساس لأداء فريضة الحج، مقصدا لا

(1) ابن خلدون، العبر، ج 1، ص 104.

(2) عجناك، المرجع السابق، ص 13-15.

(3) الناجي، المرجع السابق، ص 05.

(4) المرجع نفسه، ص 19.

تنفك عنه الأنوار للزيارة الواجبة في حق من استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا تفتر القلوب تهافت لأداء الفرض ما دام مرتبها بحياة المسلم الدينية وبالغاية من وجوده على وجه البساطة. وبالتالي شكل هذا المقصود المحوري في حياة الفرد الدينية قاسما مشتركا بين النسيج الاجتماعي بالجزائر عبر حقبه الزمنية المتعددة وفتراته الإسلامية المتأتية. ومن ثم، ما كانت حياة ذلك الحراك الرحلاتي الذي شهدته جزائر العصر الوسيط ونشاطه المتناصل على مداره لتوقف في العصور المعاصرة بداية بعصر الوجود العثماني في الجزائر، ولا لتختفت شمس تلك الرغبة والحرص على ذلك المقصود مهما تالت الدهور، وتعاقبت الأزمنة، ما دام الأمر يتعلق بواجب مقدس يكتسي صفة التراثية والتجدد في نفس الآن.

- انطلاقا من أنّ مقصد الرحلة إلى المشرق طلبا للسند العالي كان غاية المنى لكل عالم حديث ومجتهد في علم الرواية ومهمتهم بجمع وتحقيق ودراسة نصوص الأحاديث النبوية وروایاتها؛ من خلال الاجتهاد في البحث عن الطرق الصحيحة التي تقربهم إليه؛ بمختلف مراتبه سواء القرب من نسل بيت النبوة أو مشاهير الأئمة أو مشاهير الكتب الحديثية⁽¹⁾، فقد شكل لا محالة مادة غراء قوية حافظت على مسار تواصل هذه الرغبة بين مجتمعات الجزائر عبر عصورها الإسلامية وحقبها المتعددة بداية من جزائر العصر الوسيط فجزائر العهد العثماني، وما والاها، وماء الحياة لتعيش هذه الرغبة في نفوسهم ولا تذبل أوراق نباتها. كما إنّ احتكاك أهل المغرب الأوسط (الجزائر) بنخب المشرق الإسلامي وببلاد المغرب والأندلس، فضلا عن كونه أسهم في بناء قاعدة علمية متينة، لعب دوره الفاعل في اطلاعهم على ثقافات المجتمعات

(1) الناجي، المرجع السابق، ص 21.

الاسلامية في شتى المناطق التي زاروها، ذلك أنه من أدبيات الرحلة في المغرب الأوسط بشكل خاص وأهل المغارب بشكل عام: تعریجهم في رحلاتهم إلى الحج على بلاد الشام والعراق لما تحضنه من معالم لها رمزية تاريخية ودينية كزيارة بيت المقدس أولى القبلتين وثاني الحرمين، والمسجد الأموي بدمشق، ونحوها⁽¹⁾.

- البعد الاقتصادي هو الآخر، مثل حافزا وعاماً مساعداً على إنماء رغبة الرحلة في النفس البشرية، سعياً وراء الرزق، وطلبـاً للكسب والمعاش. واستناداً إلى أنَّ هذا المعطى حيوي في منظومة المقاصد الرحالية، لم يختلف كل من وجد إلى الرحلة سبيلاً لنيل مراده وملامسة مبتغاها.

- لعب كذلك انساح المجال أمام المجتمع الجزائري وانبساطه أمامهم نحو المشرق دوراً محورياً في نشاط الرحلة وانتعاشها؛ فلا عوائق ولا حواجز تحول دون مقصدـهم إلى المشرق ولا حدود سياسية تفصلـهم عنه، سواء خلال فترة العصر الوسيط⁽²⁾، أو خلال العهد العثماني؛ أين أصبح الرحالة ينطلقـ من الجزائر إلى أرض المشرق لا يغادر سقف السلطة العثمانية، ولا تغيب عنه عين سيادتها، ولا يحتاج إلى جواز سفر أو رخصة ليجوب المجالـات التي ينشـدها.

- اتساع التأليف بالمغرب الأوسط في الحقبة الوسيطة بشكل لافت خاصة خلال القرنين الذين سبقاً الوجود العثماني بأرض الجزائر حتى أضحـى - كما عبرـ عنه أحد الباحثـين - عادة جارية، ومن أبرز مظاهر ذلك المتوجـ: مصنـفات التراجم والسير والطبقـات والمعاجـم والبرامجـ والـفهارـس⁽³⁾. وبذلك مثـلت مادة هذه المصنـفات

(1) المرجـع نفسه، ص 18.

(2) آبقو، المرجـع السابق، ص 173.

(3) الناجـي، المرجـع السابق، ص 05.

باعتبارها من المصادر الناطقة بميراث الأجداد الفكري والثقافي والحضاري وسجلات
يحفظ تاريخ بلاد المشرق ومختلف المناطق والبلدان التي زارها رحالة المغرب الأوسط
ودوّنوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم⁽¹⁾ وأوصافهم لمجالس العلم التي ارتادوها
والمناقشات التي دارت رحاحها بينهم وبين العلماء الذين احتكوا بهم وغير ذلك مما
سمعوه ودونوه من أخبارها، إرهاصا علميا متينا اعتمدت عليه النخب الجزائرية في
العهد العثماني متوجها العلمي والفكري، واستعانت بها لتطعيم مادته، كما مثل
ذاكرتها الجماعية وتراثها الرحيلي الأصيل. ويُستشف من ذلك مكانة ذلك الحراك
الثقافي في صناعة الشخصية الفكرية للطبقة العاملة والمفكرة في العصر المولالي، وموقعها
في بلورة توجهاتها العلمية والفنية، وإسهامها في تطور الدرس العلمي بشتى
تخصصاته؛ سواء الدرس الفقهي أو الحديسي أو التاريخي أو العقلي.

- تجلّت شخصية المغرب الأوسط العلمية والثقافية خلال هذه الفترة بشكل
أقوى وأبرز من ذي قبل. وهو ما يعكسه الرصيد العلمي والإنتاج المعرفي الذي أنتجه
أهلها ونخبة العلمية في مختلف التخصصات وشتي الحقول المعرفية، والمدارس العلمية
والفقهية التي أفصحت عن نهضة علمية مغرب أوسطية تعكس جهود أهل المنطقة،
ولا تنقص عن النهضة التي باتت عليها بلاد المغارب بشكل عام.

- حافظت العديد من الأسر وبيوتات العلم بجزائر العهد العثماني حرصها
واجتهادها في خدمة العلم والمعرفة اقتداءً بأسلافها وجذورها العائلية المتعددة إلى
العصر الوسيط؛ بما يشي بتعاضد الجهد العلمي والفعل الثقافي بين الأجداد، والأبناء

(1) راجع كذلك ما أورده: ميسوم مولود، أدب الرحلة في الجزائر في القرن التاسع عشر رحلة محمد بن علي السنوسي إلى فاس أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، مج 5، ع 4، جامعة الشلف، الجزائر،

2019، ص 216.

والأحفاد في بناء حضارة الجزائر. وبإثراء المعرفة الإنسانية وحفظ الثقافة الإسلامية ونشرها وتوسيعها. وينطق في ذات الوقت بمواصلة الجيل اللاحق لمسيرة العطاء العلمي والثقافي الذي شيد أساسه الجيل السابق، وسيرهم على نفس الخطى، وذات المنهج في خدمة الحضارة الإسلامية والإنسانية، وتأمينا في نفس الآن لميراث أجدادها الثقافي والحضاري. ومن هذه البيوتات العلمية التي مثلت ذلك الامتداد الثقافي، وكانت حاضرة بعلمائها في حقول العلم والمعرفة بشتى فنونها وتخصصاتها، على مدار المسافة الزمنية المؤطرة للعهدين الوسيط والعثماني بالجزائر: الأسرة الفوكونية؛ التي من أبنائها عبد الكريم الفكون القسنطيني (ت 1073هـ / 1663م) صاحب كتاب "منشور الهدایة في كشف حال من ادعى العلم والولاية"⁽¹⁾. وأسرة المقرى؛ التي من بين أبرز ما أنجبت من علماء الحفيد أحمد المقرى (ت 1041هـ / 1631م)⁽²⁾ صاحب الكتاب الشهير بنفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب⁽³⁾. كما حافظت معظم حواضر جزائر العصر الوسيط على إشعاعها العلمي وبريقها الثقافي ولمعانها المعرفي،

(1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 519، بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره (1073-988هـ / 1580-1663م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران الجزائر، 2009، ص 43.

(2) وجده هو: أبو عبد الله محمد المقرى المتوفى سنة 759 للهجرة. راجع بشأنه: ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة العاليمية لصاحبيه أحمد بن مراد التركي وأخيه، الجزائر، 1336هـ / 1908م، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 212، أبو الأجنان محمد بن الهادي، الإمام أبو عبد الله محمد المقرى التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988، ص 17.

(3) راجع بشأنه: المقرى التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحرير، احسان عباس، مجلد 1، دار صادر، بيروت، 1388هـ / 1968م.

خلال العهد العثماني على غرار بجاية، قسنطينة، الجزائر، مازونة، وتلمسان⁽¹⁾، مشكلة قواعد علمية تستقطب النخب وطلبة العلم، ومرافق للتواصل والثقافة، أسهمت في نقل المعرفة عبر الزمن وإحياء التراث على مدار عصوره.

- لم يمثل التراث البحري بشتى كنوزه وفي مختلف الفنون والعلوم بجزائر العصر الوسيط وسيلة من وسائل الاتصال الحضاري مع الآخر واكتشافه⁽²⁾ خاصة ضمن المجال الإسلامي، وسبلا من سبل المعاشرة معه عبر قناة الرحلة فقط، بل مثل كذلك جسراً تواصلياً متيناً بين صفتين العصرين: الوسيط والعثماني بجزائر، وأالية من آليات التلاقي العلمي والفكري بين جيلي العصرين، ومظهرها من مظاهر التعاون لبناء حضارة الجزائر وحفظ هويتها الثقافية، والدينية، والاجتماعية، والجغرافية.

(1) وهو ما استوقف الباحثة "دباح" في مسار دراستها لأثر النص البحري على الحياة الثقافية بالجزائر. وللوقوف على تفاصيل ما توصلت إليه. ينظر: دباح، المرجع السابق، ص 48.

(2) للوقوف على تفاصيل مستفيضة بشأن أهمية أدب الرحلة في الحياة الثقافية والحضارية، ينظر: سديرة سهام، أدب الرحلة المائية، البنية والشكل، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تسمسيلت، الجزائر، 2018، ص 335-337، لبصير سعاد، الرحلة الحجازية في العهد العثماني (1518-1830) مصدر أساسى للكشف عن الحدث التاريخي الاجتماعي الآفات الاجتماعية نموذجا، مجلة التراث، مج 8، ع 1، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2018، ص 205-199، بن ناهض عبد الكرييم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العيشية (ماء الموائد)، مجلة الذاكرة، ع 10، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2018، ص 57.

خاتمة:

على ضوء ماتم تناوله ضمن مادة هذه الدراسة:

- يعكس النشاط الرحلاتي الذي شهدته الجزائر خلال حقبتها الوسيطة والعثمانية الهوية الدينية والثقافية والفكرية لمجتمعاتها، وترسم ملامح تكاملية المشهد الثقافي بمختلف مكوناته على مدار العصرين، وتنطق بحياة النهضة الفكرية التي عاشت على مداريها على بساطها.
- مثل الحرص على أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة قاسماً مشتركاً أو محركاً رئيساً للفرد المسلم على الارتحال والانتقال إلى بلاد الحجاز ومكة المكرمة. ومشقة هذه الرحلة هي المشقة التي يتجسم كل المسلمين عناءها دون كُل أو ملل ويتشوقون للقيام بها ما دام الأمر يتعلق بأداء الفرض.
- انطلاق الفعل الرحلاتي في الوسط المجتمعي بجزائر العصرين الوسيطي والعثماني من مرتبة غائية واحدة مشتركة في الغالب الأعم، تعكس في ناحية: مكانة الحركة في مسعى التحصيل العلمي والاقتصادي، وقدسيّة المقصود في منحى أداء الفرض الديني.
- يعكس الخطاب الرحلاني بجزائر الحقبتين الوسيطية والعثمانية الإرث الحضاري والتاريخي لمجتمعاتها، ويرسم ملامح هويتها الدينية والثقافية.
- شكّلت الرحلة الدينية الحجية الحجازية قوام النشاط الرحلاني، وعموده الفكري؛ بحكم سمو هدفها وقدسيّته.
- أسّس التراكم التاريخي للمادة المعرفية التي أنتجها النص الرحلاني وأفصح عنها خطابه لثقافة شعبية مفادها: أنّ المعرفة تؤخذ أنَّ كانت، ويرتحل لوجهها مهما بعُد

موطنها، وتُصرِّفُ في سبيلها النقوس منها ثقلت مشاقها وأعباءها، وفرضته مطالبها وأغراضها.

- مثل الخطاب الـ *الرْحَلِي* عينة من العينات التي أفصحت عن تكاملية الفعل الثقافي العلمي بين فروعه وخصائصاته وأجناسه؛ حيث تجاوز القطعية التي جسدتها خطابات أصحاب بعض الفنون الأدبية والعلمية في انتاج المعرفة، وأبان عن تجربة جامعة بين مواضيع وحقول معرفية متلونة: تاريخية، وجغرافية، ودينية، واجتماعية، وتراتيجية، وبيوغرافية وإثنوغرافية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد 2، تحرير أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ / 1987م.
2. ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقيّة، تحرير سلوى الراهنري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1429هـ / 2008.
3. ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق، ماريا بيخوس بغيرا، تقديم محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
4. ابن قنفود القسنيطي، أنس الفقير وعز الحقير، صصححه محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.
5. ابن صعد التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربع المتأخرین، مراجعة وتحقيق، يحيى بوعزيز، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الأیار، الجزائر، ط 1، 2002.
6. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبرير ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ / 2000م.
7. ابن خلدون عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، عرض وتعليق، محمد بن تاویت الطنجي، حررها وقدم لها، نوري الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ / 2004م.

8. ابن مریم التلمسانی، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة العالبلية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه، الجزائر، 1336هـ / 1908م.
9. ابن مرزوق محمد التلمسانی، المناقب المرزوقة، تحریر سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1429هـ / 2008.
10. التنسي عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقیان في بيان شرف بني زيان، تحریر محمود بو عیاد، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
11. التبکتی: نیل الابتهاج بتطریز الدیاج، ج 1، تقدیم، عبد الحمید الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، لیبیا.
12. الشعالبی عبد الرحمن، غنیمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ویلیها رحلة عبد الرحمن الشعالبی، تحریر، محمد شایب شریف، دار ابن جزم للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، لبنان، 1426هـ / 2005م.
13. العبدري محمد البلنی، الرحلة المغربية، تقدیم، سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1428هـ / 2007م.
14. الغربینی، عنوان الدرایة فیمن عرف من العلماء في المائة السابعة بیجاجیة، تحریر، عادل نویہض، منشورات دار الأفق الجديدة، بیروت، 1979.
15. المقری احمد، نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب، تحریر، إحسان عباس، ج 1، دار صادر، بیروت، لبنان، 1388هـ / 1968م.
- ثانياً: المراجع:
17. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، دار الغرب الاسلامي، بیروت، لبنان، 1998.

18. أبو الأجنفان محمد بن الهاדי، الإمام أبو عبد الله محمد المقرى التلمساني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988.
19. آجقو سامية، الرحلة بين الواقع وفعل الكتابة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 21، ع 2، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2020.
20. الناجي ملين، رحلات علماء المغاربة الأقصى والأوسط الملكية وأثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1437هـ / 2016م.
21. بن معمر محمد، رحلات الحج من المغرب الأوسط إلى مكة المكرمة، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 18، العدد الأول، وهران، الجزائر، 1439هـ / 2017م.
22. بلعربي خالد، الفكر الأنثربولوجي في كتابات الرحالة المسلمين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 12، جامعة الوداد، الجزائر.
23. بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وأثاره (988-1073هـ/ 1580-1663م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران الجزائر، 2009.
24. بوسالمة محمد، هجرة الجزائريين إلى بلاد المشرق في العهد العثماني "1518-1830"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 2، ع 1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2019.
25. حميداتو علي، أدب الرحلة من السيرة الذاتية إلى التخييل قراءة في رحلة ابن حمادوش، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع 14، ج 1، جامعة الوداد، الجزائر، 2018.

26. خلوى شميسة، مساهمة علماء الجزائر العاصمة في اثراء أدب الرحلة رحلة عبد الرحيم الثعالبي (ت: 875هـ) نموذجا، مجلة اللغة العربية، ع30، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018.
27. دباح عائشة، الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الديايات "رحلة الحسين الورثيلاني نموذجا"، مجلة قضايا تاريخية، ع8، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1439هـ / 2017م.
28. رحماني علي ودرنوني سليم، فصل المقال فيما بين الرحلة والاثنографيا من اتصال، مجلة التغير الاجتماعي، ع4، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر.
29. عجناك يمينة، أدب الرحلة الجزائريين إلى الحجاز خلال القرن 18 "نحلة الليب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار نموذجا"، مجلة بحوث، ع11، ج3، الجزائر.
30. علوى مصطفى، الرحلة العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنين الثالث وال السادس الهجريين (رحلة القلصادي القرن التاسع الهجري نموذجا)، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 7، ع1، جامعة الأغواط، الجزائر، 2021.
31. سديرة سهام، أدب الرحلة الماهية، البنية والشكل، مجلة دراسات معاصرة، مخبر الدراسات النقدية والأدب المعاصرة، المركز الجامعي تسمسيلت، الجزائر، 2018.
32. بن ناهض عبد الكريم، التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد)، مجلة الذاكرة، ع10، مخبر التراث اللغوي

والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،
2018.

33. نميش سميرة، الرحلة العلمية وأثرها في تكوين شخصية العلامة أبو
العباس المقرى أنموذجا، مجلة البحوث التاريخية، مج 5، ع 1، الجزائر، 2021.

34. بصير سعاد، التقاء بين الأدب والتاريخ ضمن الرحلة الحجازية
الجزائرية خلال العهد العثماني، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث
والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 13، ع 1، جامعة الجلفة، الجزائر،
2021.

35. بصير سعاد، الرحلة الحجازية في العهد العثماني (1518-1830)
مصدر أساسي للكشف عن الحدث التاريخي الاجتماعي الآفات الاجتماعية نموذجا،
مجلة التراث، مج 8، ع 1، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2018.

36. بصير سعاد، التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحلة الجزائريين ونظرائهم
من بلاد المشرق خلال العهد العثماني، مجلة قضايا تاريخية، ع 8، المدرسة العليا
للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1439هـ/2017م.

37. لامعة ذكري، الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في
تحقيق الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ / 13-15م، رسالة ماجستير، جامعة
أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م.

38. لطيفة بشاري: "علاقةبني عبد الواد ببني مرین بين القرنين 7-
10هـ/13-16م"، مجلة أفكار وأفاق، ع 3، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012.

39. مداح نور الدين، أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي العلامة الموسوعي
الرحلة، مجلة الشهاب، ع7، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الوادي، الجزائر،
2018هـ/1437م.
40. مالكي سميرة ولباد سالم، أدب الرحلات الحجازية الجزائرية في القرن
الثامن عشر الميلادي أنموذجا، مجلة لغة-كلام، مج7، ع2، مخبر اللغة والتواصل،
جامعة غليزان، الجزائر، 2019.
41. ميسوم مولود، أدب الرحلة في الجزائر في القرن التاسع عشر رحلة محمد
بن علي السنوسي إلى فاس أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، مج5، ع4، جامعة الشلف،
الجزائر، 2019.

التعدد الاثني وأثره على المجتمع الجزائري في العهد العثماني

Ethnic Pluralism and Its Impact on Algerian Society During the Ottoman Era

ط. د. ثريا بن الزاوي

جامعة آكلي مخند او حاج البويرة

th.benzaoui@univ-bouira.dz

ملخص:

لم يكن العصر الحديث عصر بناء الدولة الجزائرية ومؤسساتها وقوتها العسكرية فحسب، بل كان أيضاً عصر تشكيل نسيج اجتماعي قل نظيره في العالم فقد عرفت الجزائر توافد العديد من الأعراق والأجناس، ف جاء الأتراك والأندلسيون واليهود والزنوج وظهر الكرااغلة بالإضافة إلى الأمازيغ والعرب ليشكل كل هؤلاء بما يحملونه من ثقافة وعادات وتقالييد إيجابية كانت أم سلبية مجتمعاً متلاحمًا ومتجانساً جمعه الدين والوطن الواحد وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز التنوع الاثني الذي عرفه الجزائري وتأثيره على المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية: التعدد الإثني، الأتراك، الأنجلسيون، الكرااغلة، التلامم،

التنوع الثقافي.

Summary :

The modern era in Algeria was not only a period of building the state of Algeria and its military institutions and power, but it was also a time of forming a unique social fabric unmatched in the world. Algeria witnessed the influx of many races and nationalities. The Turks and Andalusians came, as well as Jews, Blacks, and the emergence of the Kharajites in addition to the Amazigh and Arabs. All of these groups, with the cultures, customs, and positive or negative traditions they brought, formed a cohesive and homogeneous society united by the single religion and homeland. This study aims to highlight the ethnic diversity experienced in Algeria during the Ottoman era and its impact on Algerian society.

key words: Ethnic diversity, Turks, Andalusians, Karaghla, cohesion, cultural diversity

مقدمة

تعتبر التعددية الإثنية من أكثر الظواهر إثارة للجدل لما تشكله من خطر على وحدة الشعوب والدول فاطلما ارتبط مفهومها بالنزاعات والحروب والانقسام وهذا ما جعلها محط دراسة من مختلف العلوم كالعلوم السياسية والاجتماعية والتاريخية، والتاريخ كغيره من العلوم منح هذه الظاهرة حيزاً واسعاً من الدراسة والبحث وهذا من خلال دراسة التاريخ الاجتماعي للكتل والجماعات الإثنية بما يحتويه من عادات وتقالييد وثقافة ولغة ودين من أجل إيجاد الآليات المناسبة لتعامل مع هذه الظاهرة.

تعد الجزائر نموذجاً رائداً في التعددية الإثنية منذ القدم، فالمجتمع الجزائري يتكون من جماعات إثنية متعددة توافدت على الجزائر على فترات تاريخية مختلفة وزاد عددها أكثر مع انضمام الجزائر للدولة العثمانية أين عرف المجتمع تغيراً واضحاً ولمعرفة خبايا هذا الموضوع سنحاول الإجابة على الأسئلة التالية: ما المقصود بالتعددية الإثنية؟ ومن هي الجماعات الإثنية التي قدمت إلى الجزائر؟ وما مدى انسجام هذه الجماعات الإثنية مع بعضها البعض؟ وكيف كانت علاقتها مع السلطة الحاكمة؟ وللإجابة على هذه الأسئلة تطرق للمحاور الآتية: -مفهوم الإثنية والجماعات الإثنية/ الجماعات الإثنية في الجزائر

-العلاقة بين الجماعات الإثنية/ العلاقة بين الجماعات الإثنية والسلطة الحاكمة.

مفهوم الإثنية والجماعات الإثنية:

مفهوم الأثنية ETHNICITY كما يطلق عليها بالإنجليزية جاءت من الكلمة اليونانية ETHNO والتي تعني شعب أو قبيلة وقد تم استخدام هذه الكلمة لأول مرة في اللغة الانجليزية في القرن الرابع عشر وظللت تستخدم للإشارة إلى المهمشين أو المكرهين، وشاع استخدام مفهوم الأثنية بين السياسيين وعلماء الاجتماع وال العامة في

الغرب منذ الخمسينيات من القرن العشرين ومنذ الستينيات أصبح اللفظ يستخدم للدلالة على جماعة بشرية يشتراك أفرادها في العادات والتقاليد واللغة والدين وأي سمات أخرى مميزة كالأصل والملامح الفизيائية الجسمانية، وتعيش في إطار مجتمع واحد جماعة أو جماعات⁽¹⁾. وهذا ما ذهب إليه ويل مور will moore حيث عرف الائنية أنها جماعة تمتاز بلغة وتاريخ ودين مشترك يميزها عن الآخرين، أو تميز من خلالهم' وهذا ما تبناه قاموس أكسفورد أيضا حيث جعل العرقية تضم القبيلة أو الأمة التي تمتلك ثقافة أو تقاليد ثقافية تميزها⁽²⁾

ولكي نطلق على جماعة مجتمعا اثنيا لا بد من توفر المعاير التالية:

1. لا بد للجماعة من اسم وذلك ضروري لأنه الرمز الشخصي للجماعة لأن افتقار الاسم يعكس هوية جماعية غير مكتملة التطور.
- 2- التاريخ الذي يمثل الذكرة الجماعية التي ترسى الإلهام الفكري للجماعة هذا التاريخ غالبا ما يكون سببا في الشعور بالماضي والتاريخ المشترك.
- 3- الاشتراك في ثقافة واحدة تقوم على توليفة من: اللغة والدين والقوانين والعادات والمؤسسات والمأكل والملابس ولا بد للجماعة أن تشعر بالارتباط لإقليم محدد سواء كانت تعيش فيه أم لا.
- 4- لا بد للأفراد أن يفكروا في أنفسهم كجماعة تسعى لتأسيس مجتمع اثنى بمعنى الإحساس بإثنيتهم المشتركة، فالجماعة لا بد أن تكون مدركة لذاتها ولا بد أن

(1) ايداير أحد: التعددية الأثنية والأمن المجتمعي دراسة حالة مالي، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2011 / 2012، ص 12

(2) سالك نبيلة: الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثنى، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2015 / 2016، ص 17

تكون متضامنة فهذا الأخير يحدد قوة الترابط بين أعضاء الجماعة فهو مقياس تماسك الجماعة⁽¹⁾.

التركيبة الإثنية للمجتمع الجزائري في العصر الحديث:

كان المجتمع الجزائري في العصر الحديث يتكون من عدة جماعات اثنية وهي:
الأمازيغ، العرب، العثمانيون، الكراغلة، الأندلسيون، اليهود، الزنوج، ويمثل الأمازيغ والعرب السكان الأصليين للجزائر بينما يعتبر كل من العثمانيين والكراغلة والأندلسيين واليهود والزنوج جماعات وافدة وفيها يلي تعريف لكل منها:⁽²⁾

الأمازيغ: يطلق على سكان شمال إفريقيا بصفة عامة وسكان المغرب الأوسط على أنفسهم اسم الأمازيغ وهو ما أجاب به وفد قبيلة لواتة الذي أرسله عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة عندما سألهما الفاروق عن نسبهم⁽³⁾ وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم انهم من ولد كنان بن حام...وأن اسم أبيهم مزيغ".⁽⁴⁾

(1) عاشور محمد: التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، المركز العلمي للدراسات السياسية، دون طبعة، مصر، 2002، ص 31

(2) شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005 / 2006، ص 52.

(3) الدراجي بوزيانى: القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربي، الجزء 1، د ط، الجزائر، 2007، ص 19

(4) الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 1، د ط، لبنان، دون سنة نشر، ص 89

ويقسم علماء الأجناس الأمازيغ إلى طائفتين، الطائفة الأولى تشمل ببر البر ومن أشهر قبائلها لواتة وزناتة ونفزاوة ورجراحة وأداسة وأنتوسة، وهو قوم رحل يعيشون في السهول غالباً ويعيشون على الرعي والطائفة الثانية تضم ببر البرانس أو الحضر وهم سكان المضاب والسهول والمدن والقرى الكبيرة ويرتبون معيشتهم على الصناعة في المدن وعلى الزراعة في المضاب والسهول.

ومن أهم القبائل الأمازيغية في الجزائر صنهاجة وكتامة التي تقيم في بلاد القبائل الصغرى وزواوة التي تسكن في القبائل الكبرى أما زناتة فهي تعيش في بلاد القبائل ووادي الشلف وملوية الآن وتقيم قبائلبني يفرن (زناتة) بالوقت الحاضر بين شلف وملوية ومن قبائل صنهاجة فرع شهير يسمى الطوارق وهم يقطنون المقار من جنوب القطر الجزائري.⁽¹⁾

العرب: بدأ توافد العرب على المغرب العربي مع بداية الفتوحات الإسلامية، وازداد عدد الوافدين إليه من القبائل العربية في شكل هجرات متتابعة ومن القبائل العربية التي دخلت المغرب بنو هاشم، بنو تميم، جهينة، سليم، بنو عدي، بنو أمية، بنو أسد... الخ، هذا بالإضافة للعناصر الرسمية التي قدمت كوفود ذات مهام رسمية كالولاة والعمال وحاشيتهم والجنود وعائالتهم.⁽²⁾

عرف الوجود العربي بشمال إفريقيا نقلة نوعية مع بداية توافد قبائلبني هلال وبنو سليم للمنطقة في القرن 11م وفيها يلي لحة موجزة عن هذه القبائل:

(1) سليمان محمد: موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، الجزء الأول، مصر، 1997، ص 1045

(2) خلمات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (12-15هـ / 9-16م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 95.

قبائل بني هلال: مثلت قبائل بني هلال غالبية العرب المستقررين بالغرب الأوسط، وكان هلال نهيك ومناف وتفرع عن نهيك زغبة ورياح والأثيج وعن مناف عمر وقرة:

1-قبائل الأثيج: ومن أهم بطونهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف ودريد وكرفة. وهم من أكثر الهلاليين عددا وأكثرهم بطونا.

2-قبائل رياح: أهم بطونهم عمر بن رياح ومرداس بن رياح وسعيد بن رياح وعامر بن رياح

3-قبائل زغبة: استوطنوا غرب بجایة إلى تلمسان وأهم بطونهم: يزيد وحسين ومالك وعامر وعروة.⁽¹⁾

4-قبائل المعقل: تتسبّب قبائل المعقل إلى عرب اليمن حسب ابن خلدون وقد زاد عددهم كثيرا أيام الزيانين مع أنهم لم يتجاوزوا حين دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين المائتين.⁽²⁾

5-قبائل بني سليم: قدمت منهم إلى المغرب الأوسط قبيلة عوف في القرن الثامن عشر واستوطنوا منطقة تبسة ومنطقة جنوب سطيف ولاية ميلة حيث توجد بلدية الرمانة التي يتفرع منها الكثير من أصول بني سليم وهم من قبيلة الحوامد و يوجد بطن من المحاميد بمنطقة سوف، ويتمركز أيضا أولاد سليم في ولاية سعيدة

(1) ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر، المجلد 6 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983 ، ص 41-51.

(2) كرزاز فوزية: التوزيع الجغرافي للبربر والعرب بالمغرب الأوسط، عصور الجديدة، العدد 21-22 ، 2016 ، ص 117.

ويوجد جزء منهم بولاية النعامة ويتمركزون أيضاً بولاية معسکر ومنهم بطن من دباب يسمون النوايل ومنهم القبيلة الشهيرة المستقرة قرب مدينة الجلفة.⁽¹⁾

أدت الهجرات الهاشمية إلى تغييرات كبيرة في المنطقة إلى جانب امتزاج الهاشميين مع الزيانيين مكونين بطون رئيسية اسمها عربي وأصلها بربري والتي أصبحت لها سيادة مثل الذواودة المتمم إلى رياح وعلى هذا يمكن تقسيم الأعراس حسب العرق إلى:

القبائل البربرية: قبيلة بنى ورصوص أصوله تعود إلى بقايا القبيلة البربرية أولهاسة، وقبيلة العمامرة وقبيلة أولاد رشais.⁽²⁾

القبائل العربية: كأعراس أولاد نايل وهي أكثر قبائل الصحراء الجزائرية وأكثرها عددا.⁽³⁾

القبائل العربية - البربرية: كما كنا قد ذكرنا من قبل أن هناك قبائل بربرية تعرّبت فهناك قبائل رفضت هذا التعرّيب وبقيت محافظة على أصولها الأمازيغية وجأت إلى أعلى الجبال لحماية نفسها من الوافدين الجدد مثل قبيلة زواوة.⁽⁴⁾

(1) مبروك قارة: تاريخ المدن والقبائل بالجزائر التركيبة الاجتماعية النسب والانتساب، مطابع رويعي، الطبعة 3، الجزائر، 2018، ص 16.

(2) كرزاز فوزية: نفسه، ص 120.

(3) بوحوش شهيناز: الدور السياسي والاجتماعي والثقافي للقيادات العربية في الجزائر خلال القرن 19، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة سيدى بلعباس، الجزائر، 2019-2020، ص 44.

(4) معاشي جليلة: الأسر المحلية في باليك الشرق من القرن 10هـ-13هـ/16-19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 220.

من خلال استعراضنا للقبائل التي كانت موجودة في الجزائر نلاحظ تشابك أصولها واحتلاطها في بعضها البعض، كما يمكن ملاحظة التطور الذي حصل داخل تكوين القبيلة نفسها حيث انقسمت هذه الأخيرة إلى عدد من الفروع والتي كونت بدورها فروع مختلفة ضمت عناصر مختلفة الأصول⁽¹⁾، استطاعت أن تفرض بذلك حكمها الوراثي عليها وأمام التفرع الذي عرفته القبيلة أخذ النفوذ الأسري يطغى على نفوذ القبيلة التي أصبحت تختار زعيمها من بين أقوى الأسر والتي عرفت باسم الأجواد، بالإضافة إلى ظهور الأسر المرابطية التي نشأت بفعل استقرار المرابطين بين القبائل للوعظ والإرشاد والتعليم وهذا ما جعل العديد من القبائل تلتقي حولهم وأصبحت بذلك العديد من القبائل تحمل اسم المرابط الذي انطلقت تحت لوائه.⁽²⁾

الأندلسيون: ويعرفون أيضاً في الكثير من الكتابات التاريخية بالمورسكيين ويقصد بهم المسلمون الذين كانوا يعيشون في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال حالياً) بعد فتحها على يد طارق بن زياد، إلى غاية سقوط غرناطة سنة 1492م يقول المؤرخ الإسباني مانويل باريوس أغيلار، "أن الوضع القانوني للمورسكي ظهر رسمياً في غرناطة وفي باقي مملكة إسبانيا، عندما أصدرت السلطات يوم 12 فبراير / شباط 1502م مرسوماً يخير المسلمين بين اعتناق المسيحية أو النفي ومقاطعة إسبانيا، وهكذا فالمورسكي تعني المسلم الذي اعتنق المسيحية في إسبانيا بعد هذا التاريخ.⁽³⁾

(1) لحضر عبدي: القبيلة والطريقة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، سيدى بلعباس، 2014-2015، ص 40.

(2) بوحوش شهيناز، نفسه، ص 48.

(3) نفسه: ص 50

أما في قاموس التاريخ الإسباني فان كلمة مورسكين تعني "مسيحيو إسبانيا المنصرين بالقوة بداية من القرن السادس عشر. واستعملت اللفظة رسمياً في ملفات محاكم التفتيش عام 1520م وأصبحت مصطلحاً شاع استعماله في اللغات الأوربية بصيغ متقاربة، ثم استعمل في اللغة العربية، بعد إخضاعه لتصريفاتها.⁽¹⁾

ارتبط التواجد الأندلسي في المغرب العربي عامة وفي المغرب الأوسط خاصة بالصراع البحري العثماني الإسباني في البحر المتوسط مع بداية القرن السادس عشر إلا أن هذا لا يعني أن التواجد الأندلسي في الجزائر بدأ بانضمام الجزائر للدولة العثمانية لأنه بدأ قبل ذلك بكثير، وقد مر الوجود الأندلسي في الجزائر بثلاث مراحل أساسية حسب الأستاذ نصر الدين سعیدونی: المرحلة الأولى استغرقت الفترة الإسلامية المتقدمة من القرن الثامن ميلادي (2 هـ) إلى القرن 11 ميلادي (8 هـ) وكانت هجرات أسر وجيئه وأعلام أندلسية بارزة (ص 79 مقاربة للوضع الاقتصادي والاجتماعي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر)، أما المرحلة الثانية للوجود الأندلسي بالجزائر فقد بدأت في منتصف القرن الخامس المجري (الحادي عشر ميلادي) واستغرقت فترة الموحدين والدول الإقليمية التي ورثتهم واستمرت حتى انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس بسقوط غرناطة 1492 بيد الإسبان وقد تزايد عدد الأندلسين في هذه المرحلة مع سقوط الحواضر الإسلامية الكبرى بالأندلس مثل قرطبة (1236م)، ولبلنسية (1238م) وجيان (1248م) وشبيلية (1248م).⁽²⁾

(1) لكحلا سمیة، کروم بومدین: ظهور المصطلح الموريسکي ومحاولة اجتثاث الهوية الإسلامية في الأندلس، مجلة أثربولوجية الأديان، العدد 21، 2018، ص 122

(2) عنان عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، القاهرة، 1961، ص 23

وقد عرفت المرحلة الثالثة نزواحاً كبيراً للأندلسيين وتبعداً من القرن التاسع المجري (الخامس عشر ميلادي) إلى غاية بداية القرن السابع عشر ميلادي تزامناً مع قرارات التنصير القصري والطرد النهائي للمسلمين (1609-1614) والتي أصدرها الملك الإسباني فيليب الثاني بهدف القضاء نهائياً على العنصر الإسلامي في إسبانيا.⁽¹⁾

استقر الأندلسيون في مناطق عدة من أقصى الشمال الغربي إلى أقصى الشمال الشرقي منذ بداية الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط، كانت أهم مراكز الاستقرار بالغرب الجزائري وهران ونواحيها ومستغانم وأرزيو وجهاتها وتلمسان وقلعة بني راشد ومازونة وندرومة وبالشرق الجزائري استقرت الحاليات الأندلسية ببجاية وجيجل والقل وقسنطينة وبونة والقالة أما في الوسط فقد تمركز الأندلسيون في مدن الجزائر والبليدة وشرشال وتادلنس والمدية ومازونة وفي إقليمي متيبة والساحل القريب منها.⁽²⁾

ساهم الأندلسيون مساهمة هامة في تطوير الاقتصاد الجزائري ولا سيما الزراعة وقد ساعدتهم على ذلك معرفتهم بطرق الري المناسبة فقد أقاموا الأحواض والصهاريج واستغلو أمياه الضواحي حيث قاموا بجلبها وتوزيعها على العيون داخل

(1) لکھل سمیة: المرجع السابق، ص 124

(2) سعیدونی نصر الدین: الأندلسيون الموريسكيون بمقاطعة دار السلطان أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة حوليات، المجلد السابع، العدد الأول، 1993، ص 108.

المدينة فعل سبيل المثال نذكر أن عين الحامة جلبت مياها من طرف مهندس أندلسى
وهو أسطى موسى.⁽¹⁾

استصلاح الأندلسيون الكثير من الأراضي وادخلوا تقنيات زراعية متقدمة من
حيث آلات العمل الفلاحى وطرق التسذيب والتلقيح..الخ مما أدى إلى تطور الإنتاج
وتحسن أنواعه، كما أدخلوا أنواع عدمة من الفواكه والخضروات مثل التوت والليمون
و مختلف أنواع الخضر كالفلفل والبطاطس والطماطم والباذنجان والملفوف..الخ.
بالإضافة إلى العديد من أنواع الزهور التي كانت تزرع بغرض تقطيرها.

أما بالنسبة للصناعة فقد أقام الأندلسيون المشاغل وأنشأوا الورشات لموازلة
مختلف المهن والصناعات كالخدادة والتجارة والخياطة ومعالجة الخزف والجلد
والحرير، كما برع الأندلسيون في بناء المنازل وصناعة الأسلحة والبارود والأقفال
وتربية دودة القر، وقد ظهرت صناعات مستحدثة ارتبطت بالوجود الأندلسى
بالجزائر كنسيج القطيفة التي اختص فيها مهاجرو غرناطة الذين استوطنوا شرشال
والقليعة حيث كانت تربى دودة القرن.⁽²⁾

الأتراك: تشكلت النواة الأولى للعثمانيين في الجزائر من الجندي الانكشاري ومن
المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول، وقد بلغ عدد الأتراك
العثمانيون في مدينة الجزائر حوالي 1000 نسمة في بداية الوجود العثماني في الجزائر

(1) بن يوسف مفيدة: الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال
العهد العثماني القرنين السادس عشر والسابع عشر (16-17م)، شهادة ماجستير، كلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010-2011، ص 92.

(2) نفسه: ص 119.

ليصل عددهم عند ازدهار المدينة حوالي 22 الف نسمة ثم 14 الف نسمة في فترة التقهقر بالتالي خضع عددهم للظروف التي كانت تعيشها المدينة.⁽¹⁾

كان الأتراك العثمانيون ينقسمون إلى مجموعتين: تكون الأولى من الأتراك العثمانيين القادمين من الأناضول والروملي وأفراد هذه الفتة لا يتسمون كلهم إلى الانكشارية بل هناك من كان يمارس حرفاً صناعية وأعمال أخرى، أما الفتة الثانية فكانت تتشكل من الأوبيين الذين كانوا يلتحقون بفتة الأتراك العثمانيين بعد أن يعتنقوا الإسلام وكانوا يسمون بالاعلاج وتعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا.⁽²⁾

استقر الأتراك في حصون وثكنات مدينة الجزائر كما توزعوا على حاميات المدن ومن أهم هذه الحصون التي كان يقيم فيها الجنود الأتراك حصن القصبة وبرج النجمة والبرج الجديد وبطارية رمضان ومن أشهر الثكنات، ثكنة الخراطين وأسطى موسى والدروج وأسكي وباب الجزيرة وباب البحر....الخ، أما خارج المدينة فقد توزع أفراد الانكشارية على مختلف النوبات والحاميات في الباليلكات الثلاث قدرها هايدو بـ: 16 نوبة.⁽³⁾

(1) سعيدوني نصر الدين، المهدى البوغبلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 98-99.

(2) نوادر عبد الرحمن: ستائرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الديايات (1082-1246هـ/1671-1830م) مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والنسانية، جامعة غرداية، الجزائر، 2017-2018، ص 28.

(3) غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 م مقاربة اجتماعية - اقتصادية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص ص 7-8.

كان النشاط الاقتصادي للعثمانيين محدوداً لأنَّ أغلبهم كانوا يعيشون على راتبهم أما من اختار ممارسة نشاط آخر فقد اختاروا التجارة حيث يملكون الحوانين وقد ذكر محمد أمين أنَّ الأتراك العثمانيين المتزوجين من جزائريات قد مارسوا أنشطة تجارية وحرفية متعددة قصد تحسين وضعيتهم الاجتماعية التي تراجعت بفعل زواجهم من جزائريات عربيات أو أمازيغيات حيث حرموا من امتيازاتهم المادية السابقة.⁽¹⁾

الكراوغة: تكونت هذه الفتة نتيجة زواج أفراد الجيش الانكشاري بنساء البلاد⁽²⁾، والكراوغة كمصطلح جمع كرغلي، وهي عبارة تركية تتكون من شقين "قول" "معنى عبد و "أوغل" بمعنى ابن بالإضافة إلى أداة الجمع "لر" وعلامة بالإضافة "ي" حسب قواعد اللغة التركية وبذلك يكون معنى المصطلح لغويًا أبناء العبيد، ومعنى العبد هنا لا ترتبط بالوضعية الاجتماعية للأم وإنما ترتبط بوضع آبائهم الذين يعتبرون في نظر السلطة العثمانية عبيد للسلطان، والعبد هنا هو أحد رعايا الدولة الدافعين للضرائب وأحد خدام السلطان الذين يعملون في الجيش أو الإدارة أو في خدمة البلاط، وقد استعمل المصطلح للإشارة إلى أبناء الزواج المختلط في المناطق التي عرفت الوجود العثماني بالجزائر.⁽³⁾

(1) بن عتو بلبروات: المدينة والريف بالجزائر في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر، 2007-2008، ص 141.

(2) غطاس عائشة: المرجع السابق: ص 41.

(3) مقصودة محمد: الكراوغة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015، ص ص 70-71.

نشأت هذه الفئة في العهود الأولى للوجود العثماني في الجزائر لكن ظهورهم بصفة مستقلة يعود حسب الأستاذة عائشة غطاس إلى سنة 1596، وقد تمركز الكراغلة في البداية في المدن التي تركزت فيها الحاميات التركية وهي: مدينة الجزائر، تلمسان ومعسكر ومستغانم وقلعة بنى راشد ومازونة ومليانة والمدية والقليعة وبسكرة وقسنطينة وعنابة⁽¹⁾، كما استوطن الكراغلة أيضاً الأرياف حيث استقرت مجموعة منهم في وادي الزيتون وأسسوا قبيلة الرواتنة الواقعة بـنواحي الأخضرية، كما استقر قسم منهم بـنواحي زمورة (تابعة لـباليك الشرق)، ومنهم من اختار المناطق الجبلية بـبلاد زواوة.

بلغ عدد الكراغلة خلال القرن السابع عشر حوالي ألفي كرغلي في مدينة الجزائر وحدها، ليتكاثر عددهم على مر السنين بالمدن الكبرى حتى أنهم أصبحوا يشكلون الأغلبية في بعضها ففي تلمسان مثلاً ألفوا شبه حكومة خاصة بهم وتقاسموا المدينة مع طبقة الحضر بفضل عددهم الكبير⁽²⁾، وقد قدر عدد الكراغلة حسب فونتير دي برادي بـعشرة آلاف كرغلي سنة 1754 وخمسة وعشرون ألف كرغلي في نهاية الحكم العثماني حسب شالر.⁽³⁾

تمتع الكراغلة في السنوات الأولى للوجود العثماني في الجزائر بنفس الامتيازات والحقوق التي تتمتع بها الأتراك لكن هذه الامتيازات بدأت تتقلص شيئاً فشيئاً مقابل زيادة نفوذ الانكشارية الذين رأوا فيهم منافساً يجب التخلص منه فعملوا على الحد من

(1) غطاس عائشة: المرجع السابق، ص 15

(2) سعيدوني نصر الدين، المهدى البواعظى: المرجع السابق، ص 95

(3) حنيفي هلايلي: النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدى بلعباس، الجزائر، 2004، ص 100.

سلطتهم سواء في الجيش أو الإدارة، فقد كانوا يطردون من الجيش ما إن يصلوا إلى رتبة ضابط كما كان توليهم للمناصب الإدارية أو الانضمام للجندية مرهوناً بمدى رضا الأتراك عليهم.⁽¹⁾

وعن أوضاع الكراغلة يقول شالر "الكراغلة لا يتمتعون بحقوق أكثر مما يتمتع به الجزائريون، فيما يتعلق بالمناصب في الدولة، لكن يمكنهم الرقي في البحريّة كما يمكنهم الوصول إلى مناصب القائد و الباي... كما يتمتعون بامتيازات لا قيمة لها ولكنه لا تربطهم أية علاقة بالأتراك، وقد رفضهم العنصر التركي رفضاً قاطعاً واعتبرهم من جنس السكان الجزائريين".⁽²⁾

اهتم الكراغلة بمختلف مظاهر النشاط الاقتصادي والتجاري فاشتغلوا بمهن عدة، فمارسوا صناعة الأنسجة الملونة التي انتشرت ورشاتها في تلمسان بصفة خاصة واشتغلوا في مجال الخياطة فكان منهم أمين الخياطين واهتماموا خاصة بخياطة القاوهجية أو الشاشية كما برعوا في خياطة وتطريز القفطان وصناعة الأحذية. واهتماموا بالأعمال التجارية الكبرى فكان منهم كبار المالك بقسنطينة و ميلة و تبسة...الخ).⁽³⁾ والى جانب الصناعة والتجارة امتهن الكراغلة الفلاحة وقد ساعدتهم على ذلك المزارع والأراضي التي ورثوها عن آبائهم فبرز منهم كراغلة دار السلطان اللذين

(1) Shaw: (T) voyage dans la régence d'alger trad de l'anglais par j,mac cartthy,2ed,bous lama,Tunis1980, p185.

(2) شويتام أرزقي: دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية 1519-1830 ، مجلة أفكار وآفاق، المجلد الثالث، العدد 04، 2013، ص 178.

(3) دادة محمد ومقصودة محمد: الأوضاع الاقتصادية لكراغلة إيدالات المغرب العثمانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة مقارنة، مجلة البشائر الاقتصادية، المجلد الخامس، العدد الثاني، الجزائر، 2019، ص 15.

توجهوا للفلاحة بعد ثورة 1633م وكراغلة واد الزيتون، مكنت هذه الأنشطة الكراغلة من جمع ثروات معتبرة كانت المحافظة عليها واستثمارها تقتضي استقرار الأوضاع وهو ما دفع بالكراغلة إلى مهادنة السلطة العثمانية وانتهاج سياسة التقارب معها.⁽¹⁾

تجدر الإشارة إلى أن الكراغلة تولوا على فترات زمنية مختلفة مناصب هامة في الدولة فكان منهم الأغاوات حيث حمل في الفترة من 1643 إلى 1775م أكثر من 20 كرغليا لقب الأغا (لقب الأغا كان يحمله أغا المحلة وأغا الهمالين كما كان يحمله المشرفون على بعض المناصب الإدارية)، كما تولى 16 كرغليا في الفترة بين 1628 - 1748م منصب البلوكباشي⁽²⁾ بالإضافة إلى ذلك تولى العديد من الكراغلة منصب الباي منهم: الحاج أحمد باي و الباي مصطفى عمر و عصمان باي ابن محمد باي الكبير.⁽³⁾

الزنوج: ترجع أصول الزنوج أو الوصفان إلى بلاد السودان وقد تواجد بالجزائر عدد كبير منهم فقد بلغ عددهم مع نهاية القرن الثامن عشر مابين 3500 و 2000 زنجي بمدينة الجزائر، وكانوا يشتغلون في أعمال المنازل والمخابز وأعمال البناء والنسيج، هؤلاء كانوا يتمتعون ببعض الحقوق ويعاملون معاملة حسنة

(1) Boyer(P): Le prooblème Kouloughli dans la régence d'Alger,in R.O.M.M,n° spéciale(N°8),1985,p85.

(2) مليودي محمد: الموظفون في الجزائر خلال العهد العثماني، اطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2 ، الجزائر، 2018-2019 ، ص 188 .

(3) Boyer(P): op.cit,p88

من طرف أسيادهم وسرعان ما يحصلون على حريةهم بعد اعتناقهـم الإسلام كما كانوا يشاركون في الأعياد والاحتفالات وكانوا يملكون فرقة موسيقية خاصة.⁽¹⁾

وأشار شالر إلى أن فئة الزنوج محدودة العدد مقارنة بالفئات الاجتماعية الأخرى المتواجدة بالمدينة وذكرت الباحثة عائشة غطاس انه كان للعبد الزنوج قائد يدعى تارة قائد العبيد أو شيخ العبيد أو قائد الوضفان تارة أخرى وقد انضوى تحت سلطته العبيد المعتقدـين.⁽²⁾

اليهود: عاش اليهود في الجزائر منذ القدم وقد تكونت هذه الطائفة عبر العصور من فتدين رئيسـيين هما اليهود الأهـالي (التوشايم) الذين أصبحـوا مع مرور الزمن عنصراً منصهاـ في المحيط الثقافي والحضاري والاجتماعي الجزائري يصعب تميـزـهم عن غيرـهم من الجزائـرين لولا اختلاف الدين والطقوس الروحـية والطـبـائع النفسـية وقد أدى الاندماج الكبير لهذه الفـئـة بالجزـائـرين المسلمين إلى تسميتها يهودـ العرب أو اليهـودـ الأصـليـين لـتمـيـزـهاـ عن اليـهـودـ الأـوريـيـ الأـصـلـ، والـطـائـفةـ الثـانـيـةـ هيـ المـيـغـورـشـيمـ أوـ الـأـنـدـلـسـيـونـ وقدـ جـاءـ هـؤـلـاءـ إـلـىـ الـجـازـائـرـ عـنـدـمـاـ بـدـأـتـ الإـمـارـاتـ والـدـوـيـلـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ بـالـتسـاقـطـ هـنـاكـ⁽³⁾ والمـيـغـورـاشـيمـ لـفـظـةـ عـبـرـيـةـ معـنـاهـاـ المـطـرـوـدـونـ وـيـنـقـسـمـ هـؤـلـاءـ إـلـىـ سـفـارـدـيـمـ وـهـوـ الـيـهـودـ الـمـطـرـوـدـونـ منـ الـأـنـدـلـسـ وـ الـاشـكـينـازـ وـ تـطـلـقـ عـلـىـ الـيـهـودـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـعـيـشـونـ فـيـ أـلـمـانـيـاـ وـ فـرـنـسـاـ وـ مـعـظـمـ أـورـباـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ الـقـرـآنـ"

(1) نواصر عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 72

(2) بلبرودات عتو: المرجع السابق، ص 158

(3) سعد الله فوزي: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، ط 2، الجزائر، 2004، ص 147

اليهود النصارى " وهم اليهود القادمون من توسكانا وخاصة من مدينة ليفورن⁽¹⁾، أقام اليهود في مناطق مختلفة فقد استقر بعضهم في المناطق الساحلية مثل مدينة الجزائر ومدينة وهران و عنابة و بجاية، واختار بعضهم مدننا بالداخل مثل تلمسان و قسنطينة، بينما لجأ آخرون إلى الصحراء أين استقروا في واحات تقرت وتوات ووادي ميزاب.⁽²⁾

كان عدد أفراد الطائفة اليهودية يتراوح في المتوسط ما بين 30000 و 20000 نسمة يزيد ويتناقص حسب الظروف والأحداث الاقتصادية والسياسية التي تمر بها البلاد وقد كانت مدينة الجزائر هي نقطة التمركز الأساسية لليهود حيث كانت تستقطب من 10000 إلى 12000 ألف يهودي مقابل 4000 و 7000 يهودي بوهران و قسنطينة، بينما وصل عددهم في نهاية العهد العثماني حسب شالر سنة 1818 إلى 5الاف يهودي في الجزائر وقد أدت ثورة الانكشارية سنة 1805 إلى هجرة الكثير من العائلات اليهودية وتناقص عددهم بشكل ملحوظ.⁽³⁾

مارس اليهود نوعين من الأنشطة الاقتصادية أولا الصنائع والحرف فاشغلوا بالصياغة التي تعتبر من أهم الحرف التي مارسها اليهود إذ اشتهروا باستغاثتهم بجميع الحرف التي لها علاقة بالمجوهرات وبالمعادن الثمينة كالذهب والفضة وقد احتكروا

(1) بن صحراوي كمال: دور يهود الجزائر الدبلوماسي أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار قرطبة، ط 2، الجزائر، 2016، صص 27-28

(2) سعد الله فوزي: نفسه، ص 148

(3) نفسه، ص 134

هذا المجال احتكارا تماما⁽¹⁾ والعطارة والقزازة والخياطة و الحرارة...الخ⁽²⁾، وثانيا النشاطات المالية وتعني كل نشاط له علاقة بالأموال والتجارة ومن بين هذه النشاطات الصيرفة (تبديل العملة)، والسمسرة وفي هذا الصدد يقول شالر "كما هي عادة اليهود في مختلف البلدان فإنهم يمارسون جميع فروع التجارة وهم يحتكرون في هذا البلد السمسرة وأعمال المصارف وتبديل العملة.."⁽³⁾

أما بالنسبة للتجارة فقد مارسها اليهود بنوعيها الداخلية والخارجية فمارسوا تجارة القوافل التي تمت بين الجزائر وقسنطينة وتجارة الحرير والقماش والمصابيح والخردوارات واعتمد عليهم الأهالي لتزويدتهم بكل متطلباتهم من السكر والشاي والأقمشة وذلك عن طريق الباعة المتجولين⁽⁴⁾ هذا عن التجارة الداخلية أما بالنسبة للتجارة الخارجية فقط سيطر عليها اليهود سيطرة شبه مطلقة وذلك عن طريق شركة اليهوديين بكري وبوشناق خاصة فيما يتعلق بتجارة الحبوب القمح والشعير والجلود والصوف..الخ.⁽⁵⁾

(1) طوبال نجوى: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830 من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004 / 2005، ص. 160.

(2) نفسه، ص 164.

(3) نفسه ص 190.

(4) الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية في الشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و 1830 ، دار الحكمة، ط 3، الجزائر، 2015، ص 177.

(5) الزبيري محمد: المرجع السابق، ص 268-269. معoshi أمال: ملامح من الحياة الاجتماعية والت الثقافية لليهود الجزائريين خلال العهد العثماني 1516-1830 ، حوليات جامعة الجزائر، المجلد 34، العدد 1، الجزائر، 2020.

لم يقتصر نفوذ اليهود وسيطرتهم على الجانب الاقتصادي فحسب بل امتد أيضا للجانب السياسي فقط كان اليهودي بوشناق يلقب بملك الجزائر نظرا لحضوره الكبير لدى الداي فقد كان يستقبل القنصلين ويوجه السياسة الخارجية للجزائر وفق ما يتلاءم مع مصلحته.⁽¹⁾

العلاقة بين الجماعات الإثنية:

يعتبر التعدد الإثنى في أي مجتمع من المجتمعات عاماً من عوامل النزاع وعدم الاستقرار وذلك نظراً للاختلاف الكبير بين هذه الجماعات والذي يكون عادةً من ناحية اللغة والدين والعادات والتقاليد... الخ، لكن الجزائر في العهد العثماني لم تعرف هذا النوع من الصراع ولعل ذلك يرجع بالدرجة الأولى لاشتراك جميع هذه الجماعات في الدين الواحد ألا وهو الدين الإسلامي، وعن أهمية العامل الديني في تمسك المجتمعات يقول ماكس فيبر إن الدين عامل حاسم في ضم الأفراد وزيادة قوتهم وتماسكهم وتجانسهم⁽²⁾ وما زاد من فاعلية العامل الديني في ربط مختلف الجماعات الإثنية في الجزائر في العهد العثماني هو عامل الجهاد الديني فالجهاد هو الذي جاء بالعثمانيين للجزائر أو بالأحرى هو الذي دفع بالجزائريين للاستنجد بالعثمانيين - إخوة الدين - الذين حملوا راية الجهاد الديني ضد الكفار وأسيما ضد الأسبان، وهو الذي وحد الجزائريين والأندلسين.

إن العثمانيين وأهل الأندلس وشمال إفريقيا يتشاربون كثيراً في هذه النقطة فجميعهم كانوا جند حدود الدولة الإسلامية الكبرى وجميعهم كانوا أصحاب ميول

(1) بن صحراوي كمال: المراجع السابق، ص 135.

(2) فلوري لوران: ماكس فيبر، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، بيروت، 2008، ص 64.

حربية، وجميعهم أيضاً آمنوا بالإسلام كعقيدة راسخة واتخذوا من الجهاد طريقاً للدفاع عن هذه العقيدة، ويمكننا أن نضيف أن جميعهم كانوا من أهل السنة، ولعل من أسرار التوأجد العثماني طيلة قرون في الجزائر أو جه الشابه هذه التي ذكرناها بين الطرفين.⁽¹⁾

رغم أهمية العامل الديني في بناء علاقة قوية بين مختلف السكان إلا أنه لم يكن العامل الوحيد فقد نشأت مع مرور الزمن بين مختلف هذه الفئات علاقة تأثير وتأثير ساهمت شيئاً فشيئاً ليس فقط في امتصاص هذه الفئات بل وانصهارها في المجتمع الجزائري مكونة ثقافة واحدة وهي الثقافة الجزائرية الخاصة، ولعل أهم تأثير عثماني في الجزائر أنهم كانوا سبب استحداث فئات اجتماعية جديدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالمباشرة تزايد عدد العثمانيين من جنود ومرافقيهم من العلماء والقضاة والدراويش وبعض النساء وإن كان قلة، أما غير المباشرة فتمثل في تلك المigrations الأندلسية نحو البلدان المغربية عموماً والجزائر خاصة، إضافة إلى المصادرات التي تمت بين العثمانيين والأهالي مما أوجد فئة أخرى وهي الكرااغلة.⁽²⁾

كما يبرز لنا التأثير العثماني في المجتمع الجزائري من خلال مساهمة العثمانيين في الأوقاف وتمثلت الأموال الموقوفة في دكاكين ودور أوكلوا تسييرها إلى مؤسسات الوقف خاصة مؤسسة سبيل الخيرات ومؤسسة الحرمين الشرifين وخصصوا البعض منها لصالح المساجد خاصة المسجد الأعظم بمدينة الجزائر والبعض الآخر للمدارس

(1) سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1،

ص 197

(2) غطاس عائشة، المرجع السابق، ص 25

والأضرحة والزوایا (لم تكن أوقاف العثمانيين موقوفة على المساجد الحنفية وإنما على المساجد المالكية أيضاً ومنه فقد كانت الاستفادة تمس جميع فئات السكان).⁽¹⁾

أما عن التأثير الأندلسي فيذكر أبو القاسم سعد الله "أن للهجرة الأندلسية أثر كبير على المجتمع الجزائري من كل النواحي وذلك لاختلاف الفئات المهاجرة من بينهم أحفاد الملوك، الوجهاء وأبناء الشعب البسطاء وفيهم أصحاب الصنائع وأصحاب القلم فكانت مأساة الأندلس خير وبركة على مجتمع المغرب العربي⁽²⁾، كما كان للأندلسيين دور فعال في المشاركة العسكرية بالجزائر من خلال الدفاع عنها ضد الأخطار الخارجية والمتمثلة في العدو الإسباني أو تدخلات الدول المجاورة كالغرب الأقصى، أو مواجهة الثورات المحلية جنباً إلى جنب مع الجيش التركي بالبلاد كما كانت مساهمته جد ايجابية في تحصين البلاد.⁽³⁾

رغم تمسك الأندلسيين في البداية بفكرة العودة إلى ديارهم إلا أنهم بمرور السنون بدؤوا يندمجون مع بقية السكان ولم يعد يتتسّب منهم إلى الأصول الأندلسية مع نهاية القرن الثامن عشر إلا أشخاص قلائل، حتى أن عدد أفراد الجالية الأندلسية المسجلين رسمياً في أوقاف الأندلس عشية الاحتلال الفرنسي لم يكن يتجاوز سبعين رجلاً.⁽⁴⁾

(1) درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10-13هـ / 16-19م -

19 مذكرة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015، ص 138.

(2) سعد الله أبو القاسم: المرجع السابق، ص 35.

(3) بن يوسف مفيدة: المرجع السابق، ص 165.

(4) بن يوسف مفيدة: نفسه، ص 170.

وبالمقابل تأثر المجتمع الجزائري بأهل الأندلس تأثرا ملحوظا من ناحية الملبس والأكل وحتى العادات والتقاليد ومن ابرز العادات التي أتى بها الأندليسيون وأخذها منهم الجزائريون وبقيت إلى غاية اليوم صورة الكف (الخامسة) وهي من بعض المعتقدات المسيحية لأن الكف هي كف السيدة مريم البتول وهي تحمي حسب اعتقادهم من الأرواح الشريرة ومن الشيطان الرجيم وقد تأثر الجزائريون بهذه العادة وأصبحوا يضعونها للملوود الجديد اعتقادا منهم أنها تحميهم⁽¹⁾ كما انتشرت بين الجزائريين الملابس الأندلسية ولا سيما القندورة التي أصبحت لها شهرة في جميع أنحاء البلاد كما اشتهرت البدعية الأندلسية في الغرب الجزائري وشاشة⁽²⁾ (عبارة عن قلنوسوة حمراء) التي انتشرت في كل البلدان المغاربية. أما من حيث المأكولات فقد عرف المطبخ الجزائري بفعل التأثير الأندلسي والعثماني تنوعا من حيث نوعية الأكل وطريقة الطهي لا سيما ما يتعلق بالحلويات والأطباق (الطواجن) التي امتزجت فيها التقاليد الأندلسية بالأذواق التركية والعربية التي أتى بها الأتراك وحافظ عليها الحضر.⁽³⁾

كان للأندليسين تأثير واضح على لغة الجزائريين فحدوا من تأثير اللهجة البدوية وجعلوا سكان المدن الساحلية وخاصة بجاية وشرشال وتلمسان يتكلمون

(1) رزوق محمد: الأندليسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17 م، إفريقيا الشرق، ط 3، الدار البيضاء، 1998. ص 293.

(2) رزوق محمد: المرجع السابق، ص 296.

(3) بن يوسف مفيدة: المرجع السابق، ص 137.

اللهجة الغرناطية المتميزة برقة خروفها ولطافة مفرداتها التي قد ينطق القاف فيها ألفا، كما ساهموا في انتشار اللغة العربية في المناطق الأمازيغية الجبلية.⁽¹⁾

لم يكن الأندلسيون وحدهم من أثروا وتأثروا في المجتمع الجزائري فالكراغلة أيضا ربطتهم علاقات متعددة بمختلف فئات المجتمع إلا أنهم تأثروا بدرجة كبيرة بالعثمانيين سواء من ناحية اللغة أو العادات والتقاليد أو اللباس والتجهيز المترتب، ففي مجال اللغة استعمل الكراغلة اللغة التركية كما تبنوا المذهب الحنفي ساعيين بذلك للتقارب من الأتراك وقد كان كراغلة بايلك الشرق وفي مدينة قسطنطينة تحديدا أكثر اندماجا في المجتمع الجزائري، حتى أن من الباحثين من يقول أن قسطنطينة لم تعرف فئة خاصة بالكراغلة إلا في القرن الثامن عشر ميلادي، وقد تحول الكراغلة تدريجيا إلى وسيط مهم بين العثمانيين والأهالي.⁽²⁾

أما اليهود فقد تأثروا هم أيضا بالمجتمع الجزائري فقد تأثر اليهود بالعادات والثقافة الجزائرية سواء من حيث اللباس أو من ناحية الاحتفالات فالكثير من السلوكيات الثقافية والعادات والتقاليد التي تبنته الطائفة اليهودية نابعة أصلا من البيئة الثقافية والعادات والتقاليد الجزائرية الإسلامية كتقديس الأولياء الصالحين والتبرك بهم وكذلك نظام الزواج والخطوبة والطلاق وأيضا تعدد الزوجات أخذه اليهود عن المسلمين.⁽³⁾

(1) نصر الدين سعيدوني: سعيوني الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن 10-14هـ / 16 م إلى 19 م، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، الكويت، 2010، ص 58.

(2) دادة محمد ومقصودة محمد: المرجع السابق، ص 16.

(3) سعد الله فوزي: المرجع السابق، ص 169.

كان اليهودي أيضا كالمسلم يستعمل البخور والحاوي والفاسوخ وعلى كتابة المحروز للأطفال الرضع لوقايتهم من العين والحسد ووضعها تحت الوسادة، اليهود وضعوا هم الآخرين السكين تحت الوسادة أو صفيحة الحصان تحت الفراش لطرد الجنون والأرواح الشريرة. وجدت أيضا أعياد مشتركة بين اليهود والمسلمين مثل عيد البويريم الأول والثاني وهو ذكرى هزيمة شارل كان واندحاره عن مدينة الجزائر والبويريم الثاني والذي جاء أيضا تخليدا لذكرى فشل حملة اسبانية مسيحية على مدينة الجزائر حملة اورييلي ويقام في 11 جويلية من كل عام.⁽¹⁾

العلاقة بين السلطة العثمانية والجماعات الإثنية في الجزائر:

لم تتعامل السلطة العثمانية مع الجزائريين على أساس عرقي أو ديني بل كانت تتعامل معهم حسب مبدأ القرب والولاء لها أو البعد والعداء لها ولهذا قسمت سكان الأرياف والذين يمثلون أكثر من 90 بالمائة من الجزائريين إلى:

قبائل مخزنية: وهي قبائل جزائرية متعاونة مع السلطة العثمانية وتعتبر همزة وصل بين السلطة والسكان كما تحمل مسؤولية الأمن وجمع الضرائب⁽²⁾، يعرفها ناصر الدين سعيدوني بقوله: "يمكن لنا أن نعرف قبائل المخزن من حيث التكوين بأنها عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصوتها، مختلفة في أعراقها فمنها من أقرها الأتراك على الأراضي التي وجدت عليها لتكون سندا لهم، ومنها من

(1) نفسه: ص 170-171

(2) صغيري سفيان: العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدييات في الجزائر 1671-1830، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص 118

أعطيت لها الأرض لتسתר عليها ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليؤلفوا جماعة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية.⁽¹⁾

قبائل الرعية: شكلت هذه الأخيرة القبائل المضطهدة والتي تحمل عبئ الضرائب الثقيلة ولم تكن تخذى بأي امتياز من السلطة الحاكمة، وقد أجبرها موقعها الجغرافي على الخضوع للأتراء فهي تقيم في المناطق التابعة لإدارة قبائل المخزن والحاميات العسكرية الموجودة في الأبراج ومدن الباليلك.⁽²⁾

القبائل المتحالفه: وهي القبائل التي تعامل مباشرة مع السلطة الحاكمة وذلك انطلاقاً من بعدها الروحي والديني كقبيلة أولاد سيدي بو عبد الله باعتبارها عائلات مرابطية ولعبت دور الوسيط بين السكان والعثمانيين وحل النزاعات القبلية وتستمد هذه القبائل شرعيتها ونفوذها من نسبها الشريف.⁽³⁾

القبائل المستقلة: وهي القبائل الجبلية والصحراوية عرفها أحمـد بن هـطال التلمساني بقوله: "هـناك أـعراب رـاحلة وـمقـيمـة، إـلا أـنـهـا لـمـ تـنـلـهـاـ أـيـدـيـ السـلـطـةـ، وـلـمـ يـكـنـ

(1) سعيدوني نصر الدين: ورقـات جـزـائـرـية درـاسـاتـ وأـبـحـاثـ: درـاسـاتـ وـأـبـحـاثـ في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البشائر للنصر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2012

(2) شويـتـامـ أـرـزـقـيـ: المجتمعـ الجـزاـئـريـ وـفـعـالـيـاتـهـ فيـ العـهـدـ العـثـمـانـيـ 1519ـ 1830ـ ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 182ـ 183ـ

(3) دـحـانـيـ توفـيقـ: النـظـامـ الضـريـبيـ بـبـالـيـلـكـ الغـربـ الجـزاـئـريـ أـوـاـخـرـ العـهـدـ العـثـمـانـيـ، مـذـكـرـةـ مـاجـسـتـيرـ، جـامـعـةـ الجـزاـئـرـ 2004ـ 2003ـ، صـ 56ـ

لملك مصلحة ولا منفعة..." امتنعت هذه القبائل عن دفع الضرائب وساعدتها في ذلك موقعها الجغرافي وتضاريسها وبعدها عن الإدارة.⁽¹⁾

وبالنسبة لباقي الجماعات الإثنية (الأندلسية، الكراجلة، الزنجو، اليهود) فقد حافظت السلطة العثمانية على نفس المبدأ الذي انتهجه مع سكان الريف فقربت الموالين وعادت وحاربت الطامحين للسلطة والمعارضين لوجودها وكان من أبرز المعارضين للسلطة العثمانية في الجزائر فئة الكراجلة التي قامت بعدة ثورات وتمردات وهذا ما جعل علاقتها بالعثمانيين متواترة في أغلب فترات الحكم العثماني⁽²⁾، أما الأندلسيون فقد تمعنوا بعلاقات طيبة مع العثمانيين خاصة في بداية الوجود العثماني للجزائر فكثيراً ما تحالف الأندلسيون والعثمانيون لصد الخطر الأجنبي عموماً والاسباني خصوصاً.⁽³⁾

أما اليهود فقد لاقوا كل الترحيب من السلطة الحاكمة، وذلك لاعتبارهم حسب الأتراك أجانب لا يطمعون في السلطة وهذا ما دفع الأتراك خاصة في نهاية العهد العثماني لمنحهم الكثير من الامتيازات على حساب السكان المحليين وهذا ما تسبب في الكثير من الاضطرابات أبرزها ثورة 1805م⁽⁴⁾، تجدر الإشارة إلى أن الجزائر عرف الكثير من الثورات لكنها لم تكن ضد فئة معينة بل كانت ضد السلطة

(1) بن هطال أحمد التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تتح وتق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 1969، ص 36.

(2) نصر الدين سعيدوني، المهدى البواعظى: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، ص 95.

(3) بن يوسف مفيدة: المرجع السابق، ص 75.

(4) بن صحراوي كمال: المرجع السابق، ص 162.

العشائية ماعدا ما حصل من ثورة ضد اليهود في 1805، ليس لكونهم فئة منبوذة بل بسبب ما سببوه من أذى كبير للسكان.

الخاتمة:

- من خلال ما تقدم نستنتج ما يلي:
- تكون المجتمع الجزائري في العهد العثماني من عدة أعراف وأجناس.
 - كان لانضمام الجزائر للدولة العثمانية دور كبير في زيادة الوافدين عليها بسبب الظروف التي كان يمر بها الحوض الغربي للبحر المتوسط.
 - بدأ تواجد العنصر التركي في الجزائر مع انضمام الجزائر للدولة العثمانية ليشكل فيما بعد المصدر الوحيد لحكام الجزائر.
 - شكل الأندلسيون نسبة هامة من الوافدين إلى الجزائر وقد تكونوا من التأثير في المجتمع الجزائري في جميع المجالات (زراعة – صناعة – ثقافة)
 - لم تجد مختلف الفئات الواقفة للجزائر أي عقبات تمنعها من الاندماج في المجتمع الجزائري بل وجدوا كل الترحاب والقبول.
 - لم تتعامل السلطة العثمانية مع المجتمع الجزائري من منطلق العرق أو الجنس بل حسب ولائه لها من عدمه.
 - شكل المجتمع الجزائري في العصر الحديث فسيفساء إثنية وثقافية قل نظيرها.

رؤى نفسية اجتماعية للهجرة

جدلية الدينامية هجرة الفرد

Psychosocial Perspective on Migration

The Dialectics of the Individual's Migration Dynamics

د/ ط. موشموش بدر الدين

جامعة الجزائر 2

badrelddine.mouchmouche@univ-alger2.dz

ملخص:

تمثل الهجر هاجس بالنسبة للدول المهاجر منها وبالنسبة للدول المهاجر إليها وبالنسبة لدول العبور، وأقيمت عدت دراسات وملتقيات حول الهجر، رغبة في إيجاد حل لهذا السلوك، وثم التركيز أكثر على الهجرة الغير شرعية مقارنة بباقي أنواع الهجرات، وتم تحديد عوامل للهجرة وأهم العامل النفسي الاجتماعي، ومنه أهملت دراسة الشخصية المهاجرة، ونحن في مقالنا هذا عرضنا تصور جديد لمفهوم الهجرة ، ولـ أنهاط الشخصية المهاجرة ، لنصل إلى جدلية الهجرة والتمثلة في كلما ازداد عدد أفراد الشخصية المعرفية التي ترغب في البقاء في وطنها ولا تنحو نحو الهجرة خارج الوطن كلما زاد عدد أفراد الشخصية السلوكية الراغبة في الهجرة الداخلية ونقص عدد أفراد الشخصية الوجданية التي ترغب في الهجرة نحو خارج الوطن وفي أن نفسه تشوق للعيش في المدن.

كلما انخفض عدد أفراد الشخصية المعرفية التي ترغب في العيش في وطنها الأصلي وتنحو نحو الهجرة خارج الوطن، كلما تزايد عدد الشخصية السلوكية التي ترغبي في الهجرة خارج الوطن، وازداد معها رغبة الشخصية الوجданية للهجرة خارج الوطن بأي ثمن، وازدادت وبالتالي الهجرة الغير شرعية وتنامت الجرائم المرتبطة بها.

الكلمات المفتاحية: عوامل الهجرة، أنهاط الشخصية المهاجرة، جدلية الهجرة.

Abstract

Immigration represents an obsession for the country of immigration, it is for the country where you migrate and for the transit countries, numerous studies and forums have been organized on immigration, the desire to find a solution to this behavior, the emphasis has been placed on illegal immigration more than other types of Immigration, migratory factors have been identified and the psychological and social factor has been neglected, and in this study, I was able to visualize the dialectic of immigration, This is represented by individuals with a more cognitive personality who wish to stay in their country of origin and are not inclined to emigrate outside the homeland, individuals with a more behavioral personality who wish to emigrate internally and fewer individuals with an emotional personality who wish to emigrate abroad and that the desire to live in cities increases.

The fewer members of the cognitive personality who want to live in their country and tend to emigrate outside the countries, the greater the desire of behavioral personalities to emigrate outside the countries, and with it the desire of the emotional personality to emigrate outside the countries at any cost, so that illegal immigration increases and the crimes associated with it increase.

Key words: migration factors, migrant personality types, migrant dialectics

مقدمة

تعد الهجرة من المواقف التي تسيل حبر ولا تزال وستبقى نصر للتغيرات الاجتماعية التي يعيشها الفرد المعاصر ونضر لكمية المعلومات التي تقصف حياته المعرفية للشخصية المعاصرة إذا أصبحت الحياة الافتراضية جزء من حياته الواقعية وبالتالي دنت المسافة بين المجتمعات وأصبح العالم قرية صغيرة.

بالاطلاع على مختلف أدبيات الهجرة وجد غالبيتها تتحوا نحو العوامل السياسية والاقتصادية في تفسير أسباب الهجرة ولكن في الحقيقة هناك عدة عوامل تشير هذا السلوك والذي يندرج ضمن السلوك الاجتماعي.

في هذا المقال أشرت ووضعت الهجرة في قالبها الأصلي ومنه شرحت العوامل المؤدية لهذا السلوك ومن ثم استنتجت أنماط الشخصية المهاجر وعليه حددت دينامية الهجرة. والتي أرى أنها العمود الأساسي لفهم والتعاطي بإيجابية نحو هذا السلوك. وفي الأخير وضعنا خلاصة لبحث وهي تتضمن مختلف التصورات التي من الممكن معالجة هذه الظاهرة السلوكية في بلدنا.

الإشكالية:

يشهد العالم حالة من الحركة والاستقرار، ومن بين الظواهر السلوكية التي أصبحت جد واضحة هي الهجرة وبالأخص الهجرة الغير الشرعية. بالنسبة لي الهجرة هي سلوك اجتماعي منها كان نوعها (هجرة شرعية أو هجرة غير شرعية) وفي الغالب هو رغبة الفرد في تحقيق بعض حاجاته ورغباته. سواء كانت نفسية أو نفسية اجتماعية أو مادية أو كلها معا، فالفرد هنا يتقل من موطنها إلى مكان آخر بغية الإقامة فيه بعد أن كون تصوراً تاماً، بأن هذا المكان الذي اختاره ويهتم للاستيطان فيه يتحقق له كل ما كان ناقص أو عاجز عن تحقيقه.

ما لا شك فيه أن الدولة الجزائرية مثلها مثل باقي الدول سعت ولا تزال تسعى لأجل القضاء على هذا السلوك وبالأخص الهجرة الغير الشرعية، ولكن لم تستطع القضاء عليه ولن تستطع القضاء عليه، فهو متصل في سلوك الفرد والتاريخ مليء بالهجرات كالمigrations الكبرى في بلاد المغرب وهجرة الأوروبيين إلى العالم الجديد (القارة الأمريكية)...إلخ، وبالتالي الأصل في هذا السلوك هو أن تخفيض من تكرار حدته لما له أثر سلبي على البلد الأصلي (المهاجر منه) والإيجابي للبلد المستضيف (المهاجر إليها).

تشير إحصائيات المنظمة العالمية للهجرة أنه هناك 281 مليون خلال سنة 2020⁽¹⁾ وهذا السلوك في منحى تصاعدي اللهم فقط الفترة التي كانت البشرية في حالة وباء بفيروس "كورونا" حيث أغلقت كل الدول الحدود، فهل تغلق البلدان (بلدان المبعوث والمستضيفة) الحدود، لا ولا أضف ذلك وبالتالي لا يمكن كبح تماماً هذا السلوك.

رغم الظاهرة التي تقام حول هذا السلوك فإنه هناك منفعة لاقتصاديات البلدان المستضيفة خاصة ونحن نتكلم عن الهجرة الانتقائية للمهاجرين الغير الشرعيين، وهذا أيضاً يشكل خطر على استقرار المجتمعات المهاجر منها.

عند تطلعنا لأدبيات الهجرة توصلنا إلى صياغة تساؤلين نرى أنها جوهريان وهما:

1. بما أن الهجرة سلوك اجتماعي فما هي العوامل التي تتحكم في هذا السلوك؟

(1) من الموقع:

2. في ظل الفروقات العمرية والعلمية والمهنية والمادية للمهاجرين توصلنا إلى تمييز أنماط شخصية لذوي هذا السلوك ومنه توصلنا إلى طرح جدليتانا الدينامية التي تحكم فيه وعلى إثره نصل إلى لب المشكل وهو هل يمكن التحكم في هذا السلوك في مجتمعنا؟

تعريف السلوك الاجتماعي:

يقصد بالسلوك الاجتماعي هو كل ما يتصل بالفرد من مواقف وذكريات وانفعالات ومشاعر تحيط به وتأثير في سلوكه⁽¹⁾ والهجرة بوصفها سلوك اجتماعي ينطبق عليها هذا التعريف لما يتميز به هذا الفرد الذي يقوم بهذا السلوك من حيث الموقف وكمية الانفعالات والمشاعر التي تحيط بهذا الأخير تدفعه لكي ينحوا نحو هذا السلوك، وبالتالي العوامل التي تتحكم في السلوك الاجتماعي هي نفسها التي تتحكم في الهجرة وهي:

عوامل اجتماعية:

هو من أهم العوامل المشكلة لهذا السلوك فالفرد يتشرب القيم والمعتقدات الاجتماعية المرتبطة بالهجرة كما قد يتعرض لخبرات سارة ومواقف سعيدة لا شك أنها ستؤثر في سلوكه العام وتنشئه الاجتماعية، فالشخص الذي له أحد أفراد أسرته في المهجر أو من محيط معاشه هناك هو يتبع تطوراتهم ومكان نجاحاتهم، فإنه من الممكن أن يجدوا حذوهما ما إن تسمح الفرصة لذلك. أيضاً يستحضر في ذهني حادثة وقعت في 2019 في مؤسسة تعليمية حيث كانت تشكونا أستاذة اللغة الفرنسية من التشوش في الفصل والذي منعها منمواصلة الدرس، وكانت أنا معين في المؤسسة

(1) - الأزرق، مصطفى صالح. (2013). علم النفس الاجتماعي اتجاهاته النظرية و مجالات تطبيقه، دار الفكر العربي. ص 40

كمستشار التوجيه حيث تدخلت لأجل القيام بحصة إرشادية لطلابي، وبينما أنا مع التلاميذ نقوم بشرح المشكل لرفع من مستوى إدراكهم تجاه المادة، وإذا بمستشار التربية المعين بالتكليف مدير للمؤسسة يدخل إلى القسم ويقول للطلاب: أقرؤوا يا ولاد أقرؤوا القراءة مليحة، أقرؤوا أو هاجروا من بلاد لأن القراءة ما توكلش الخبر هنا.

إن ما تلفظ به مستشار التربية هو ما يتلفظ به المجتمع حيال المتعلم (الشخصية المعرفية). والتي ستكون العمود الأساسي في جدلتنا.

في الأخير نقول أن العوامل الاجتماعية هي العوامل التي تساهم في تحديد دور ومكانة كل فرد في المجتمع. فالضغوطات الاجتماعية التي يعاني منها الفرد والتعزيز الذي يلقاء من المحيط الاجتماعي سواء الأسري أو جماعة الرفاق كلها مؤشرات دافعة للقيام بهذا السلوك.

2 - عوامل اقتصادية:

الفرد هنا بصفته عضو في مجتمعه الأصلي فإن وضيفته الاقتصادية التي يؤديها (إن كانت له وضيفة) هي التي تحدد مركزه في المجتمع، ومن ثم يتأثر سلوك الاجتماعي (كالمigration) بنوعية الوظيفة الاقتصادية ومدى مطابقة هذه الأخيرة بطموحه ومستواه التعليمي فهو في ظل العولمة وما يترب عنها، أين أصبح العالم قرية صغيرة. مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي سهل على الفرد المقارنة بين مميزات المكانة الاجتماعية التي يحتلها والدور الاقتصادي الذي يقوم به في (بلده الأصلي)، وبين نفس المكانة والدور الذي سيحتله في المجتمع الآخر (المجتمع المحتمل الهجرة إليه)، وبالتالي من إمكانية استئارة هذا السلوك واردة في ظل الضغوط التي يعيشها كمورد اقتصادي فردي أو مورد اقتصادي إضافي للأسرة، تلك الأسرة التي مكانتها

الاقتصادية هشة أو تعيش حالة عدم اليقين الاقتصادي. والمثال الذي سقته حول مستشار التربية (لقراءة ما توكلش الخبر هنا) يقرب المعنى لنوعية وتأثير هذا العامل.

3-عوامل ثقافية:

أشرنا في العوامل الاقتصادية إلى العولمة باقتضاب وهنا سنشير إلى الهوة الثقافية التي بيننا كعالم ثالث وبينهم (العالم الرأسمالي)، تلك الفجوة التي تعزز بوسائل التواصل الاجتماعي إضافة إلى الأحداث الرياضية والأحداث التي تتعلق بالموضة فتوظفها تلك الوسائل والقنوات الفضائية وبالتالي توصلنا إلى ما تحدث به العلامة ابن خلدون في مقدمته (تأثير المغلوب بالغالب).

يعني أن الفرد يشعر أن الثقافة التي يعيشها عاجزة ولا تحقق له الحد الأدنى من إشباع حاجاته ورغباته، مما يجعله يفكر في تغييرها أو الهجرة منها إلى ثقافة أخرى توفر له ما عجزت الأولى عن توفيرها.

4-عوام القانونية:

نعلم أن الدولة الجزائرية قد أعدت قوانين صارمة لتجريم هذا السلوك ولكن هل نجحت هذه القوانين في لجمه؟

من بين الصفات التي يتمتع بها الفرد البشري هو الفضول وهذا الدافع يكون قوي لما تكون المغريات قوية، مما يجعل الفرد لا يحسب درجة المخاطرة وبالتالي يضعف دور القانون (الردع) وهنا يستحضرني ما يتداول في فترات استعار هذا السلوك بين الشباب (يكلني الحوت ولا هنا نموت...الخ من الشعارات)، فالفرد هنا يتمدد على القانون.

أصل في القانون، هو تنظيم كيفية تلبية حاجات ورغبات الفرد وإرساء العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فوجود اختلال بين الواقع والتشريع القانوني، يعد من

أسباب استشارة هذا السلوك بالإضافة إلى سلوكيات أخرى ذات صلة كالجريمة المنظمة والمتاجرة بالبشر وتهريب الأموال...الخ

إن هذا العامل جد حساس وخطير جداً للدرجة سيادة الأنوميا (ألا معيارية)، وبالتالي قد يؤدي إلى تفكك الدولة إذا ما أهملت العوامل الأخرى وعولج هذا السلوك معالجة خاطئة فالهجرة الغير شرعية يعقوب عليها القانون أما الهجرة الشرعية فلا عقاب لها. وكلا الهرتين تشكل خطر على كينونة المجتمع.

5- العوامل سياسية:

ترتبط هذه العوامل بصراعات السياسية ونزول هذه الصراعات إلى الطبقات الدنيا من المجتمع، وبالتالي شعور الفرد بلا أمن وانعدام الرؤية تجاه المستقبل في مجتمعه الأصلي. فالاتجاه السياسي الذي يسوده الضبابية يزيد من احتمالية بروز هذا السلوك في ظل تأثير العوامل السالفة الذكر ولكن لماذا نشهد هذا الكم من الهجرة إلى الخارج لما كانت البلاد ترنح (العشرينة السوداء) كما نشهده من حين إلى آخر؟

6- العوامل الدينية:

تجسد هذه العوامل في القيم والمعتقدات الدينية التي تضغط باتجاه نمذجة السلوك الاجتماعي (الإيجابي) وتدعمه وتجعله أكثر تأثير في حياة الأفراد والمجتمعات. الدولة الجزائرية لم تتخيل في حد الأئمة والشخصيات الدينية (المؤثرة) في عملية التصدي لهذا السلوك (الهجرة الغير شرعية أو الهجرة - المقننة- الشرعية). ولكن السياق الاجتماعي الحالي لم يعد لرجال الدين تأثير كبير رغم ما أطلق من حملات ذهبت إلى حدود تحريم هذا السلوك (ولها دلائلها الفقهية عن ذلك)، ولكن هل وجدت هذه الفتاوي الصدى المتظر منها؟ لا نحن لا يمكن أن ننفاذ عن التغيرات الاجتماعية التي مست المجتمع الجزائري ونظرية الشباب تجاه المسائل الدينية خاصة لما

ترتبط بتوجيهه النظام السياسي، لا يمكن التغافل عن العشرية السوداء وأسبابها، وتغير الفكرى الطارئ، وتأثيراته على التنسيق الاجتماعية

فالشباب الآن هو محصلة هذا التغيير، وبالتالي قياسه للأمور التي تخص حاجاته ورغباته لما ترتبط بالسياسة تجده في الغالب يتصرف، فيما أدراك بالدين المقرن بالوصيات السياسية، فالعامل الديني يفقد مكانته في ظل وجود عامل سياسي قوى محفز لسلوك الهجرة كما أسلفنا الذكر عند ذكرنا العوامل السياسية⁽¹⁾.

7- العوامل نفسية اجتماعية:

أي سلوك يصدره الفرد يمكن أن يزداد بقوة ويصبح أكثر ميلاً للتكرار إذا كان مرتبط بالحصول على مكافأة أو إذا كان يتحقق للفرد حالة من حالات الارتياح أو إشباع الرغبة أو يساعده على تجنب الألم أو التخلص من موقف محرج⁽²⁾، هنا يستحضرني سماع الأم التي اشتربت لابنها التأشيرة لكي يهاجر ابنها حفاظاً عليه من أن لا يقع في المخدرات في ظل حي يعج بالجريمة، وتقوم بالدعاه لسلوكها ومتمنحة تبريرات، وفي نفس الوقت تقوم بالدعاه لسلوك ابنها وتبررها بأنه على عين الصواب. هذا العامل مهم جداً للدرجة طرح السؤال التالي: لماذا يهاجر هذا الفرد ولا يهاجر ذلك الفرد رغم مرورهم بنفس التجارب ورغم تأثير نفس العوامل وبنفس الحدة؟

(1) -الأزرق، مصطفى صالح.(2013).علم النفس الاجتماعي اتجاهاته النظرية و مجالات تطبيقه، دار الفكر العربي، من ص 43 إلى ص 47

(2) - عسكر، علي، الانصارى، محمد.(2009). علم النفس البيئي البعد الخفي للعلاقة بين البيئة والسلوك، دار الحديث، ص 192

هنا نحن بقصد التحدث عن قدرة الفرد على تحمل الضغوطات والغمريات ورؤيه الفرد للمستقبل ومعنى الحياة و...الخ. فالفرد بقدر ما هو حريص على فرديته فإنه اجتماعي بطبيعته.

نحن هنا نبعث برسالة إلى التنشئة الاجتماعية كوسيلة لمعالجة هذا السلوك من منظور المتوسط والبعيد لأفراد المجتمع.

بعد سرد مختلف العوامل التي نرى أن لها دور في بروز هذا السلوك وتفشيها بين مختلف شرائح المجتمع وبالأخص الشباب الذي نعتبره محرك لكل التغيرات الاجتماعية بعض النضر لنوعها وأثارها زمنياً ومكانياً.

تعتبر الدراسات حول الهجرة كلها لها هدف تصبوا إليه ونحن لنا نصرة معايرة سنبرزها إنطلاقاً من جدلتنا التي سنعرضها الآن، والتي نظمتها مخالفة للدراسات الإحصائية والتصنيفات العمرية للأسباب الظاهرة. حيث توصلنا إلى تمييز شخصية الأفراد ذوي هذا السلوك. وبهذا تكون قد وضعنا تصوراً جديداً لظاهرة ولقراءتها.

بادئ ذي بدء علينا معرفة معنى أنماط الشخصية ونقصد هنا تصنيف الأفراد وفقاً لسمات بارزة أو سمات متماثلة وهذا وفق اهتمامهم أو وفق نظرية الناس إليهم⁽¹⁾. ومن خلال هذا التعريف وبعد تшиيع الشخصيات التي قامت بهذا السلوك توصلنا إلى ثلاثة أنماط من الشخصية.

(1) الجباري، جنار عبد القادر أحمد. (2015). أنماط الشخصية وفق نظرية الإنيركرايم وعلاقتها بالعياء المعرفي وتمايز الذات. المكتب الجامع الحديث. ص 30

أنماط الشخصية المهاجرة

الشخصية المعرفية:

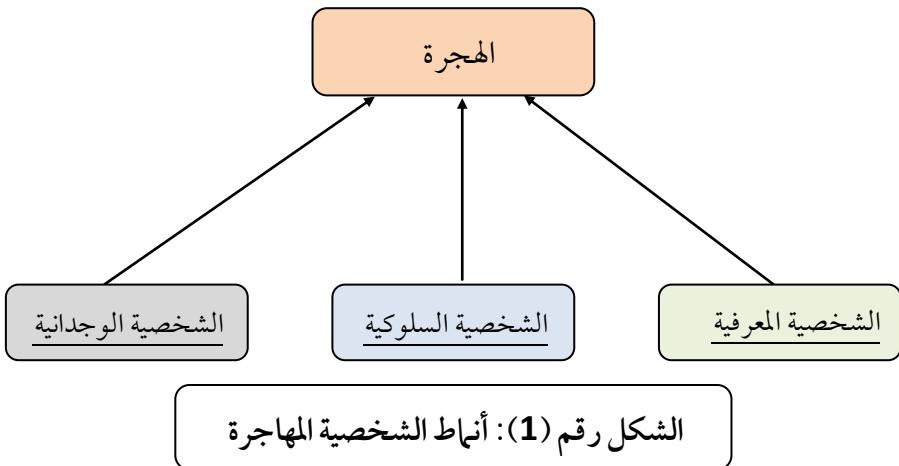
وهي الشخصية ذات المستوى الجامعي ونقصد الطلبة والباحثين والأساتذة والمفكرين الأكاديميين، تطغى على حاجاتهم ورغباتهم الطابع المعرفي ودافع الاكتشاف المعرفي وتأقى الحاجات المادية في المرتبة الثانية من اهتماماتهم ويطغى عليهم دافع التميز المعرفي والتتفوق. في الغالب تكون هجرتها شرعية نظراً للمحفزات التي تعرضها البلدان المستضيفة مثل هذه الشخصية. بل في بعض الأحيان تنشر البلدان المستضيفة قائمة ل مختلف التخصصات والمهن التي تعاني العجز منها. وهذا أخطر نزيف للمجتمعات المهاجر منها وسوف نفصل هذا في جدلتنا للهجرة.

الشخصية السلوكية:

وهي كل الأفراد الذين يخوضون غمار المقاولاتية والتجارة والحرفيين الفنانين والمهنيين المحترفين والمتخصصين وأرباب المصانع، يطغى عليهم دافع جني المال ألا محدود ودافع التملك ألا محدود ومن النادر أن يصلوا إلى درجة تحقيق الذات والاكتفاء بالمستوى المادي الذي وصلوا إليه، وفي الغالب تكون هجرتها شرعية.

الشخصية الوجدانية:

هو كل فرد يدفعه الفضول أو مشكل أو المشاكل الاجتماعية التي عجز عن حلها، أو لم يحاول حلها بالطريقة التي تحقق له إشباع، ويرى أن الوقت يمضي ولا حل لهذه المشاكل إلا الهجرة، وهي شخصية حالمه وحلمها في الغالب أكبر من إمكانياتها وفي الغالب ليس لها مؤهل علمي ولا مؤهل مهني ولا تقسيم حجم المخاطر لسلوكها وخاصة الهجرة وهي الفئة الطاغية في الهجرة الغير الشرعية.



الحالة الأولى للهجرة:

يوضح الشكل رقم (2) أنه هناك نوعان رئيسيان للهجرة وهذا مهما كانت صفت المجتمع سواء ينتمي للعالم الأول أو العالم الثاني أو العالم الثالث أو كما يصطلح عليه بالدول النامية. هذه المهاجرتان هن المهاجرة داخل الوطن أو ما يعرف في بعض الكتب بالنزوح الريفي. وهناك هجرة إلى خارج الوطن.

في الحالة الأولى يؤشر مؤشر المهاجرة باتجاه المهاجرة نحو داخل (النزوح الريفي) وفيها ازدياد عدد الشخصية المعرفية وهجرة هذا النمط من الريف إلى المدينة حيث يوجد التعليم العالي والمناصب العليا التي تتطلب يد عامله مؤهلة أكاديمياً بالإضافة إلى وجود حالة من الرفاه الاقتصادي ومناخ اجتماعي يلبي الحاجات النفس الاجتماعية لهذا النوع من الشخصية بل يستثيرها للمزيد من النشاط ويزيل الجهد مادام هناك مبدأ تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية. وترتفع روح المسؤولية الاجتماعية وبالتالي احتمالية الهجرة نحو خارج الوطن ضعيفة مادام كل ما تريه هذه الشخصية وتود الوصول إليه متاح ولا قيود لي نشاطها.

وهناك نماذج عديدة وفرت الشروط مثل هذه الشخصية وقد أدى ذلك إلى استقطاب الشخصيات المعرفية لأجل العودة إلى وطنهم الأصلي وتحقيق مشاريعهم الذاتية دون قيد أو شر ما دام يخدم مصلحة الدولة والمجتمع والأفراد كالنموذج التايواني في مطلع السبعينيات من القرن الماضي. نلاحظ أيضاً تزايد هجرة الشخصية السلوكية من الريف إلى المدينة، وهذا بحث عن فرص مضاعفة ثروتها، وبالتالي المساهمة في خلق مناصب شغل للشخصية الوجدانية، ومن وراءها إمكانية تحقيق الرفاهية لهذه الأخيرة، وبالتالي إمكانية هجرتها تكون ضعيفة جداً، بل الهجرة الغير شرعية تجاه البلدان الأخرى تكون شبه معدهمة، حيث كل العوامل التي تثير هذا السلوك هي غير موجودة وسفر الأفراد تجاه البلدان الأخرى هو لغرض الترفية عن النفس والفضول وليس نية الإقامة فيها.

الحالة الثانية للهجرة:

يوضح الشكل رقم (3) أن مؤشر الهجرة هو باتجاه الهجرة نحو خارج الوطن وفيها ازدياد عدد الشخصيات المعرفية المهاجرة باتجاه خارج الوطن نوع وكما ، مما



الشكل رقم (2) الحالة الأولى للهجرة

يؤدي إلى نزيف في الرمادية وبالتالي يكون هناك عجز في التأثير الأفراد ذوي المستوى التعليم العالي وعجز في الأفراد المحتمل شغلهم مناصب عليا والتي تتطلب يد عامله مؤهلة أكاديميا، وهذا سيؤثر على المسار المدرسي والاقتصادي والاجتماعي بل حتى النفسي حيث يصبح البلد الأصلي لا يلبي حاجات بقية الشخصيات وهم السلوكية والوجودانية ومن جهة أخرى تبرز الدعايات والإعلانات المحفزة لهجرة الشخصية المعرفية فتزيد من إثارة هذا السلوك من باب صائب قوم عند قوم فوائد وعلى إثر هذا تزداد السلوكيات السلبية للهجرة كهجرة الغير شرعية وهجرة وفي الغالب تكون من نمط الشخصية الوجودانية، وهجرة رؤوس الأموال كخطوة أولية لهجرة الشخصية السلوكية. إن هذه الوضعية هي التي توقد العوامل الأخرى المسيبة في الهجرة تجاه خارج الوطن. فالفرد في الحالة الأولى للهجرة هو الرغبة في العيش في المدينة أما في الحالة الثانية فالرغبة للهجرة خارج البلد فالمدينة والريف وجهان لوضعية واحدة لا تلبي الحد الأدنى من حاجاته النفس اجتماعي والاقتصادية والاجتماعية... إلخ.



الشكل رقم (3) الحالة الثانية من الهجرة

خاتمة

يتضح لنا من خلال دراستنا هذه أن أساس الهجرة هو الشخصية المعرفية وهذا ينطبق أيضا في مجتمعنا، بحيث ما لبثت تفقد هذه الشخصية قيمتها رغم المكانة الاجتماعية التي يكفلها المجتمع وفي نفس الوقت يدفعها للهجرة، لأنه يرى فاعليتها هناك حيث تقاس الفاعلية بالقيمة المادية التي يتحصل عليها لقاء مستوى ونشاطه العلمي وهذه القيمة هي جد مهمة مقارنة ببلده الأصلي (الجزائر).

لا شك أن الدولة الجزائرية تعمل على كسب هذه الفتاة من الأنماط الشخصية، وهذا بتقديم التسهيلات لإنجاز مؤسسات صغيرة وغير ذلك من التحفizات، ولكن رؤية المجتمع غير ذلك، فالغربيات التي تقدم للشخصية المعرفية في البلدان المستضيفة أقوى بكثير.

لا شك أن الشخصية المعرفية هي تمثل نموذج مثالي لباقي أفراد المجتمع بمختلف شرائطه.

ولكن النماذج الناجحة في المجتمع والتي تمثل نموذج لأفراد المجتمع لا تتضمن هذا النموذج، لأن في تصوراتهم هناك خرجين لنجاح الشخصية المعرفية (الشخصية المثالبة) هو إما الهجرة أو إعطائهما فرص أكثر للبروز والتأثير. تلك الفرص التي حتما ستتغير من حركة الهجرة لكلا النمطين المتبقيين.

نرى أنه من الممكن استرجاع مكانة وقيمة الشخصية المعرفية وهذا بربط الاقتصاد وتوسيعه بالقيمة المادية للشخصية المعرفية، وبالتالي كلما زاد النمو الاقتصادي وتوسيع نسيجه كلما زادت قيمة الشخصية المعرفية وارتفعت مكانتها وقل وبالتالي رغبتها للهجرة.

قائمة المراجع:

1. الأزرق، مصطفى صالح.(2013). علم النفس الاجتماعي اتجاهاته النظرية و مجالات تطبيقه، دار الفكر العربي، القاهرة.
2. الجباري، جنار عبد القادر أحمد. (2015).أنهاط الشخصية وفق نظرية الإنيركرايم وعلاقتها بالعيء المعرفي وتمايز الذات.المكتب الجامع الحديث، الإسكندرية.
3. عسکر، علي، الأنصاری، محمد.(2009). علم النفس البيئي بعد الخفي للعلاقة بين البيئة والسلوك، دار الحديث، القاهرة.

الموقع الالكتروني:

- <https://www.un.org/fr/fight-racism/vulnerable-groups/migrants>

النشاط السياسي والعسكري للجبهة الجنوبية وأبعاده الاستراتيجية

The Political and Military Activity of the Southern Front and Its Strategic Dimensions

أ.د. عبد الله مقلاتي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

ملخص:

نعالج في هذه المقالة موضوعاً مهماً عن النشاط السياسي والعسكري للجبهة الجنوبية وأبعاده الاستراتيجية، من خلال دراسة مختلف الأجندة التي سطرت من طرف قيادات الثورة في الجنوب، ورد المستعمر عليها، والتائج التي أفضت عنها هذه القواعد التي عملت كواذر الثورة على تحقيقها من أجل إثبات أن الوطن كله رقعة جغرافية واحدة.

الكلمات المفتاحية: السياسة، المقاومة، الجنوب الجزائري، قيادات الثورة، المستعمر الفرنسي.

Abstract

In this article, we address an important topic concerning the political and military activity of the Southern Front and its strategic dimensions. This is done through the study of the various agendas set forth by the leaders of the revolution in the south, the colonial response to these agendas, and the outcomes that resulted from these strategies that the revolution's cadres worked to achieve in order to demonstrate that the entire homeland is one geographical area.

Keywords: politics, resistance, southern Algeria, revolutionary leaders, French colonizer

مقدمة:

أفضت التحضيرات والخطوات المهمة التي بادرة بها الثورة الجزائرية إلى إرساء قواعد جبهة عسكرية جديدة، وهكذا أصبحت الجبهة الجنوبية بعد عام 1961م على أتم الاستعداد لمباشرة نشاطها العسكري، ولكنها لم تقدم على ذلك لأهداف استراتيجية، إذ جاءت الأوامر من قيادة هيئة الأركان العامة تؤكد على ضرورةأخذ الاحتياط اللازم والتركيز على دعم النشاط السياسي لمواجهة سياسة فصل الصحراء، ولا شك أن الاطلاع على انجازات الجبهة في هذه المرحلة يؤكّد على أن هذه الجبهة أصبحت تفرض نفسها سياسياً قوياً على مساحة واسعة من الصحراء تتدّن من شمال مالي إلى توات وتمارست إلى بشار وتندوف، وأنها جندت العديد من الفصائل والكتائب العسكرية التي كانت منذ نهاية 1961 بانتظار أوامر الشروع في العمل المسلح.

1- النشاط السياسي للجبهة الجنوبية في الداخل:

ارتکز النشاط السياسي للجبهة الجنوبية في التوعية السياسية وتجنيد السكان لمواجهات مخططات الإدارة الفرنسية الرامية إلى فصل الصحراء، وكذا التعريف بالثورة الجزائرية وثبت خلايا جبهة التحرير الوطني في كل مكان، وقد أوكلت هذه المهمة إلى أعيان القبائل والمتقين وبعض المجندين، وقد تم استقطاب القيادات والعامليين مع الإدارة الفرنسية للتجند في صفوف جبهة التحرير الوطني ومحاربة سياسة فصل الصحراء⁽¹⁾، وقد قام هؤلاء بتشكيل لجان ومراكز مدنية مهمتها التعريف بمبادئ الثورة التحريرية وجمع الاشتراكات، وكانت هذه اللجان مهيكلة في هيئات سياسية

(1) انظر شهادة بوسعيد بوجمعة، ادرار، يوم 6 فيفري 2006.

(قسماً)، ومرتبطة بالقيادة العامة في قاوه، حيث تأثيرها الأوامر والبيانات بشكل دوري، ويلاحظ على هذه التوجيهات أنها كانت تهدف إلى توحيد كلمة السكان وتجنيدهم وراء الثورة واللحث على الجهاد⁽¹⁾، وكذا مواجهة السياسة الفرنسية والت bliغ عن تحركات العدو وأعوانه⁽²⁾، ويدرك محمد الشريف مساعدية أن نظام الثورة تطور بشكل سريع وأصبح يراقب كامل منطقة الجنوب الغربي، وأن خلايا جبهة التحرير الوطني كانت تنهض بمهام عدة منها التوعية السياسية وجمع أخبار العدو، وتجنيد الشباب للتجنيد، وقد تم التعويل على بعض المجندين في النشاط السياسي داخل الوطن فكانوا يقومون بتتبع تحركات العدو وشرح القضية لأهالي المنطقة⁽³⁾.

ومن أجل تسهيل مهمة عمل الخلايا السياسية ومركز وحدات الجيش في الداخل تم إنشاء عدة مراكز سرية تابعة للثورة، وقد كلف السيد ديدي مولاي عبد الكريم بتحضير هذه المراكز والإشراف عليها بالتنسيق مع أعيان مناطق توات على طول خط الطريق الذي يربط رقان بأدرار وتيميمون⁽⁴⁾، وهكذا تم تجهيز عدة مراكز للتمويل والاستراحة والتخييف، ومن هذه المراكز نذكر:

(1) يورد سالم بن ابراهيم أن الشيخ محمد بلخير كانت تصله رسائل الثورة ويقوم بخدمة اهدافها والدعوة للجهاد، سالم بن ابراهيم: نبذة عن نشأة وحياة شيخنا سيد الحاج محمد بن الكبير رحمه الله، خطوط خزانة كوسام، ادرار، ص 8.

(2) انظر شهادة مساعدية، بوشارب عبد السلام: المقارنات وأبعاد، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 ، ص 137 .

(3) انظر شهادة مساعدية، الرجوع نفسه، ص 135

(4) انظر شهادة دجاج عبد القادر، مقابلة مع الباحث، ادرار 26 افريل 2008م، ووثائق شخصية، منها وثيقة تعينه مراقبا على مناطق توات بالملحق

- - مركز رقان: تكفل بالإشراف عليه الحاج الصالح قدور لقصاصي.
- - مركز تيلولين: أشرف عليه الحاج عبد السلام خليلي.
- - مركز سالي: أنشأ في مركزين، واحد بقصر مولاي العربي خاص بالقيادة والثاني بقصر العلوشية خاص بالجنود، ويشرف على المركزين مولاي المهدى السيفي حمو.
- - مركز فنوغيل: يشرف عليه متوكل محمد.
- - مركز ثنتيطيط: ويشرف عليه عبد القادر بن سيدى أحمد ديدي.
- - مركز أدرار: يشرف عليه عبد الرحيم كابويا ويقع بمنزله داخل مدينة أدرار. وأنشأت مراكز أخرى بتيميمون وعين صالح⁽¹⁾، وكل هذه المراكز سوف تكون في خدمة جيش التحرير الوطني الذي سيدخل إلى الوطن بعد وقف إطلاق النار.

2- النشاط العسكري للجبهة الجنوبيّة:

كانت الجبهة الجنوبيّة تهدف إلى إنشاء مراكز عسكريّة على طول الحدود الجنوبيّة الجزائريّة، وبعد تحضير كامل الشروط الضروريّة من تجنييد وتدريب وإحضار للأسلحة تم تكليف بعض المجموعات بالتقدم شمالاً والتّموضع، ووقع الاختيار على موقع حدوديّة استراتيجية لرابطة جيش التحرير الوطني بها، تكون في الغالب بمقابلة المراكز الفرنسيّة داخل الوطن وفي موقع طبيعيّ حصين وبالقرب من المراكز المدنية، وهكذا وانطلاقاً من مركز القيادة في قاو تم فتح ثلاثة مراكز عسكريّة في شمال مالي

(1) اعتمدنا مجموعة من الشهادات في ايراد هذه المراكز، ومنها شهادة كابويا عبدالرحمن. مقابلة مع الباحث، ادرار، 27 افريل 2008.

والنيجر وبالقرب من الحدود الجزائرية، وذلك بالاتفاق مع سلطات البلدين الشقيقين، وهي مراكز كيدال وتيساليت وتينزرواتين⁽¹⁾.

- مركز كيدال⁽²⁾، أول مركز تم فتحه بمساعدة الماليين، يقع على بعد 15 كلم عن المدينة ووسط تجمع للسكان السود يدعى مرقد، أحاط المركز بسور حتى لا يلتف الاتباه، تدرّبت فيه المجموعات الأولى، وكان مزوداً بمصالح الاتصالات والنقل والتسلیح.

﴿ - مركز اندنی: يتولى الإشراف على المهام العسكرية والمدنية، يقوده حمیها مولود وبعده بلحاج، وبه الكتبة الأولى. ﴾

﴿ - مركز أنتکو: يشرف على التدريب والنقل، استقرت به الكتبة الثانية ويقودها بوجمعة بوسعید. ﴾

﴿ - مركز تيساليت: يقع على الحدود المالية الجزائرية على بعد 35 كم من برج باجي مختار، وهو موقع متقدم للتمويل والاتصالات، استقرت به الكتبة الثالثة التي يشرف عليها بن سبقاق. ﴾

ويحتوي مركز القيادة في قاو على مبني وضعته السلطات المالية تحت تصرف جيش التحرير الوطني ويتألف من جناح إدارة وسجن ومخزن⁽³⁾.

(1) انظر شهادة بن سبقاق احمد، مسجلة عام 2002 ومحفوظة بمتحف المجاهد، ادرار، وشهادة بوسعید بوجمعة، سبق ذكرها. وشهادة مساعدية: المرجع السابق، ص 134

(2) يقع على بعد 480 كم عن قاو، و1200 كم عن باماکو

(3) ينظر شهادات مجموعة من مجاهدي الجبهة الجنوبية، مسجلة يوم 25/08/2003، ومحفوظة بمتحف المجاهد بادرار. وشهادة مرموري محمد، مقابلة مع الباحث، نوفمبر 2003، وكذا شهادة مرابطي محمد، مقابلة مع الباحث، ادرار 26 افريل 2008.

وأنشأت بالقرب من هذه المراكز مراكز للاتصالات والتمويل تعد بمثابة قواعد خلفية تزودها بالتمويل والأخبار، ويسرف عليها لجان جبهة التحرير الوطني ومن هذه المراكز نذكر:

➤ - مركز أنافييف: يقع في وسط الطريق بين قاو وكيدال على بعد 250 عن كل منها، خصص للتخزين والتمويل والاستراحة.

➤ - مركز أقمهور: يقع بالقرب من أنافييف على بعد 30 كلم، وخاص بتوقف الشاحنات والتخزين.

➤ - أقليهوك: مركز لتخزين البنزين والمواد الغذائية والأسلحة.

➤ - تيساليت: أكبر مركز للتجنيد يستغل في التخزين والتوزيع، ويسرف عليه بن ساقا⁽¹⁾.

وقد أنشأت بعض المراكز المدنية والعسكرية على الحدود النيجيرية، ومنها مركز أIRO، ومركز طوا، حيث كان يشرف عليهما الحاج بدة بن قرينة وحميتو قويدر وقمامدة سلكة. ويلاحظ أن النشاط داخل الأراضي النيجيرية كان محدوداً ومتناقضاً على بعض مراكز، ويرجع ذلك إلى قلة عدد الجالية الجزائرية بهذا البلد، والحضور الفرنسي القوي به والذي لم يسمح بتوطد العلاقات مع هذا البلد كما هو الحال بالنسبة لمالي⁽²⁾. إن الوحدات العسكرية التي تم تدريبيها وتجنيدتها للعمل العسكريأخذت مواقعها على طول الحدود الجزائرية الجنوبية، من النيجر إلى موريطانيا مروراً بمراكز مالي الرئيسية، وأصبحت بذلك قوة عسكرية يحسب لها حسابها، خاصة مع مضاعفة

(1) انظر شهادة بوسعيد بوجمعة، سبق ذكرها.

(2) Guentari Mohamed. Organisation Politico –Administrative et Militaire de la révolution Algérienne de 1954 –1962; OPU. Alger. 1994.T2. p 687. et AN A.GPRA. B 122 DOS D1- 4

التجنيد وتحسين التدريبات، وفي هذا الإطار يؤكّد مساعدةً أنّ قوات الجبهة الجنوبيّة بسطت نفوذها على الحدود، وجنّدت أعداداً كبيرةً من شبان توات، وخططت للقيام بعدة عمليّات عسكريّة، ومن هذه العمليّات ذكر الهجوم على المركز الحدودي الفرنسي برج لوبريل الذي سيسمى باسم الشهيد باجي مختار، والهجوم على مركز تنزرواتين جنوب تامنراست، وكذا على القاعدة العسكريّة رقان، حيث تدلّ بعض الوثائق التي بحوزتنا أنّ قيادة الجبهة جمعت عنها بواستطّة خلاياها كلّ المعلومات الضروريّة والدقّيقّة⁽¹⁾، وهذا ما تؤكّدُه كذلك شهادة مساعدةً: "وللإشارة فقد كنا أمام قاعدة عسكريّة ذريّة كبرى هي قاعدة رقان وكان في إمكاننا ضرب هذه القاعدة وهدمها لأنّنا كانت لدينا جميع المعلومات والمخططات الخاصة بها، إلا أنّ القيادة لم توافق على العملية وكان لنا هدف معين لابد من إنجازه بأيّ شكل من الأشكال"⁽²⁾.

وقد كانت كتائب هذه المراكز العسكريّة تقوم بعدة مهام منها ربط الاتصال بالجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي لضمّهم إلى صفوف الثورة، وتهريب السلاح، وتجنيد قبائل التوارق في صفوف الثورة، إذ يذكر بوسعيد بوجمعة انه ربط اتصالاً مع قائد مهاري التوارق العاملين في مركز تيماء، واتفق معه على القيامة باتفاقية والتخلص من الضباط الفرنسيين الثلاثة، ولكن أمره اكتشف ولو لا مبادرة بن يونس بإعلامه لوقع في الأسر⁽³⁾، وقطعت مهمّة تهريب الأسلحة أشواطاً مهماً، بحيث

(1) مراسلة من قيادة الجبهة الجنوبيّة، بعنوان "قاعدة رقان" مؤرخة في مارس 1961م، وثائق شخصية.

(2) انظر شهادة مساعدةً، المرجع السابق، ص 136

(3) انظر شهادة بوسعيد بوجمعة، سبق ذكرها.

كانت تنقل على ظهر الجمال وبواسطة شاحنات نقل البضائع⁽¹⁾، وأما بخصوص تجنيد قبائل التوارق فهي مسألة ذات أهمية قصوى شغلت بالمسؤولين، خاصة في ظل طرح فرنسا لمشروع جمهورية التوارق الصحراوية، كان المناضلون يحربون الصحراء لجمع الشبان التوارق من أصول جزائرية أو أباءهم جزائريين وأمهاتهم ماليات⁽²⁾.

لقد علمت قيادة القوات الفرنسية بعد فوات الأوان بتركيز قوات جيش التحرير الوطني في هذه المناطق، فعملت على تحسين قدراتها الدفاعية واعتماد الطيران للتصدي لأى هجوم محتمل، وهذه المعلومات بالإضافة إلى التركيز على إنجاح المهمة السياسية للجبهة دعت هيئة الأركان العامة إلى طلب تأجيل العمليات العسكرية المخططة⁽³⁾، كما أن الظروف الطبيعية القاسية للصحراء والخشية من افتضاح نشاط الجبهة وقف أمام مبادرات أخرى خطط لها دراية ومساعدة انطلاقاً من قاو، تمثلت في القيام بعمليات فدائية تستهدف الفرنسيين وأعوانهم، فقد استمعوا إلى نصائح حبيب رحماني ودجاج بخصوص الانعكاسات السلبية مثل هذه العمليات، وقد سجل لنا بن عيشاوي محمد في شهادته أن دراية درس معه خطة عملية فدائية لكنه تراجع عنها في الغد وكلفه بالاستمرار في مهمته السياسية الأكثر جدوياً⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من مختلف المبادرات العسكرية التي قامت بها الجبهة الجنوبية، والتي كانت في اغلبها دفاعية فرضتها ميدان النشاط لم يتم الشروع في المبادرات

(1) انظر شهادة مساعدية، المرجع السابق، ص 136

(2) انظر دجاج عبد القادر، سبق ذكرها.

(3) انظر شهادة مساعدية، المرجع نفسه، ص 136.

(4) يتحدث بن عيشاوي في شهادته ان دراية كلغه بتنفيذ حكم الإعدام في مستوطنين فرنسيين وشخص ثالث لم يفصح عن اسمه، انظر شهادة بن عيشاوي محمد، سبق ذكرها.

المجومية التي كانت مرسومة، ولعل هذا أدخل بعض التذمر لدى المسؤولين والممل
لدى الجنود، مما دفع القيادة السياسية للتأكيد على أن المهدف الأساسي من إنشاء هذه
الجبهة هو تثبيت النظام السياسي وتوعية سكان الصحراء لمواجهة سياسة فصل
الصحراء، وكذا إثبات تواجد الثورة في أقصى الحدود الجنوبية بالشكل الذي يؤثر
معنويا على الفرنسيين⁽¹⁾، وقد فرضت معركة المفاوضات إملاء هذه السياسة، وهكذا
حل موعد وقف إطلاق النار فأنيطت بقيادة الجبهة الجنوبية مهام أخرى تمثل في
حماية الحدود والدخول إلى الوطن للإشراف على إنجاح المرحلة الانتقالية وتسليم
السلطة من الفرنسيين

وبعد وقف إطلاق النار بادر قادة الجبهة الجنوبية بنقل وحداتهم العسكرية إلى
داخل الوطن، وذلك قصد الإشراف على المرحلة الانتقالية وإدارة هذه المنطقة
الصحراوية الحساسة، وساهمت الخلايا المدنية والمراكيز التي أنشأت خصيصا في
احتضان جيش التحرير الوطني وإخفائه، حيث وضعت وسائل الشقل ومراكيز العبور
تحت تصرف القيادة على طول خط المروور من برج باجي مختار إلى أدرار، ومنها إلى عين
صالح وتمارنست، وتوكّد الشهادات أن مرور الوحدات العسكرية تم بشكل سري
وبسرعة تطلبها تطورات الأحداث، وقد دخل الرائد دراية احمد على رأس فرقة
عسكرية وأجرى اتصالات مع قيادة الولاية السادسة، وقرر الانتقال إلى تامنراست
لإنشاء مراكز نفوذ للجبهة الجنوبية وتجنيد السكان للمرحلة الانتقالية⁽²⁾، وفعلا
أنشأت عدة مراكز للجيش بالقرب من تامنراست وفي منطقة تاهرت بالتعاون مع
المناضلين التوارق، ومن هناك خطط لإدخال الوحدات المرابطة في الحدود، وكان في

(1) ANA.GPRA. B 122. DOS. D1- 3

(2) انظر شهادة كابويا عبد الرحمن، سبق ذكرها، وشهادة بن عيشاوي محمد، سبق ذكرها.

الموعد المحدد حيث اشرف على إجراء الاستفتاء في ظروف عادلة، وتسلم بنفسه السلطة يوم الخامس جويلية 1962، فكان ذلك حدثاً تاريخياً في تامنراست التي دخلتها قوات جيش الجبهة الجنوبية في استعراضات عسكرية وترحيب واستقبال حار من قبل السكان⁽¹⁾، وأشرف قيادة الجبهة الجنوبية على توجيه المناضلين والسكان للتصويت لصالح الاستقلال وتسلم السلطة بمدينة أدرار و蒂ميمون، وفي الثلاثين من جويلية 1962 أقيم احتفال عام لاستقبال قيادة الجبهة الجنوبية التي نقلت جنودها وعتادها إلى أدرار، فاشرف دراية ومساعديه على احتفاء مدينة أدرار، وكلف مساعديه بحضور الاحتفالات في مدينة تيميمون، وهكذا عايش سكان توات وقرارة احتفالات النصر الباهر، وقد كتب التاريخ لهذه المنطقة أن تشارك في ملحمة التحرر الوطنية وان يجند أبناؤها في صفوف جيش التحرير الوطني.

3- الأدوار الإستراتيجية للجبهة الجنوبية:

على الرغم من بعد المسافة والظروف الطبيعية الصعبة وسياسة التسلط الفرنسية تمكنت الثورة الجزائرية من خوض تجربة مهمة تمثلت في إنشاء الجبهة الجنوبية، وطوال ستين من العمل والنشاط حققت هذه الجبهة إنجازات باهرة في ميادين مختلفة لا يمكن إدراك قيمتها وأبعادها إلا بوضعها في إطار الإستراتيجية العامة التي خططت لها الثورة التحريرية، ونحاول في هذا الفصل استعراض الأدوار التي قامت بها الجبهة الجنوبية في النقاط الآتية:

1 - تأكيد البعد الإفريقي للثورة ميدانياً:

(1) انظر شهادة المجاهد زناني بکای: مرقونة وبعنوان "دور قاعدة الجنوب في الثورة التحريرية"، وكذا شهادة بن عيساوي محمد القروط، مقابلة مع الباحث، أدرار، يوم 6 فيفري 2006.

لقد هدفت الثورة الجزائرية من خلال إرساء هذه الجبهة المفتوحة على البلدان الإفريقية، وخاصة دولتي مالي والنيجر المستقلتين حديثا تأكيد بعدها الإفريقي، وتحسید مبادئ التضامن الإفريقي ميدانيا، وقد وطدت الثورة الجزائرية علاقات الصداقة والتعاون مع المناضلين الأفارقة ودعت إلى التحرر الشامل والتعاون بين الإفريقيين، وكان لها الفضل الأكبر في استقلال العديد من دول غرب إفريقيا الخاضعة للاحتلال الفرنسي عام 1960، كما سعت إلى تصدير مشروعها الثوري ودعم وتأطير مناضلي حركات التحرر الإفريقية⁽¹⁾، وهذا كله بهدف نشadan التحرر الحقيقي لإفريقيا وتعاونها ووحدتها في مواجهة الاستعمار وجميع أشكال لا مبرالية، وكان إنشاء الجبهة الجنوبيّة دليلاً قاطعاً على حقيقة التضامن الإفريقي وإمكانية تحسيد الوحدة الإفريقية، وقد نظر ودعا المفكر فرانس فانون لهذا المشروع، واعتبر أن الثورة الجزائرية بتجسيدها لهذا المشروع توأمت مكانة ريادية في تحرير وتوحيد القارة السمراء⁽²⁾، وقد حققت الجبهة الجنوبيّة بإنجاحاتها عدة أهداف استراتيجية على الساحة الإفريقية منها:

- تعزيز تحالفاتها الاستراتيجية مع المعسكر الثوري في إفريقيا والذي كان من أقطابه سيكوتوري الذي قدم خدماته لإنجاح هذه الجبهة، ومودي بوكاياتا الذي تجاوب مع المشروع وقدم له مساعدات ثمينة، وبعض قادة حركات التحرر الذين ارتبطوا بثورة الجزائر أكثر من خلال التحاقهم بمعسكراتها، ومنهم نلسن منديلا الذي تدرّب بمعسكرات الجبهة الجنوبيّة على الحدود النيجيرية - الجزائرية.

- توسيع علاقات الصداقة والأخوة مع بلدان الجوار الصحراوي التي تربطنا بها علاقات قديمة ومتصلة، حيث كان لتعاون الحكومتين والشعبين الشقيقين المالي

(1)GUENTARL MOHAMMED. OP CIT ;T2; P. 685

(2) Farantz fanon: Pour la révolution africaine, ed francois maspero , paris , 1979 ,P185 - 186

والنيري فضل كبير في إنجاح المشروع، وأسهم ذلك في جعل الجزائر المستقلة تبني علاقات وطيدة مع هذين البلدين الشقيقين.

- كسب تضامن الأفارقة مع دعم القضية الجزائرية، حيث كان لتوارد جيش التحرير بهذه المناطق الجنوبية بمثابة ترسيم للحدود مع مالي والنيري وتأكيد صارم على تبعية الصحراء للجزائر ودحض للطروحات الفرنسية، وقد أسهم تنظيم جبهة التحرير الوطني والجالية الجزائرية بمالى في تعزيز هذا التضامن بإحياءه لمهرجانات التضامن والمناصرة⁽¹⁾.

2- مواجهة المخططات الفرنسية الرامية إلى فصل الصحراء:

اندرج إنشاء الجبهة الجنوبية في إطار استراتيجية مدرورة هدفت للرد على السياسة الفرنسية الرامية إلى فصل الصحراء، وقد ارتكزت أساساً على مد نظام الثورة إلى أقصى الصحراء، وإدخال الأسلحة وتدريب الشبان، وفسح المجال أمام سكانها للمشاركة الفعلية في تحرير بلادهم، وفي هذا تأكيد على قوة ونفوذ جبهة التحرير الوطني، وعلى مناصرة هؤلاء السكان لأهداف ثورتهم، وتأكيد السيادة والوحدة

(1) نشير أساساً إلى موقف رئيس مالي مودي بوكايتا المؤيد للثورة الجزائرية ديلوماسيا وعسكرياً. وكذا إلى تضامن السكان المسلمين بمالى والنيري وتقديمهم ضرباً مختلفة من الدعم للجبهة الجنوبية، ولكن ذلك لم يمنع من حدوث بعض الخلافات والصعاب الناتجة عن الاحتياك، إذ تشير شهادات المجاهدين أن بعض المسؤولين الماليني بغاوا اتهموا الجزائريين بتجنيد المالين، وأن هذه المشكلة حلت بإرسال لجنة تحقيق تأكيدت من عدم وجود مالين في صفوف الثورة، كما كانت القوات الفرنسية بمالى تترصد وحدات الجبهة الجنوبية إلى أن اضطر الرئيس المالي إلى طلب جلائها عن بلاده. أما السلطات النجيرية فلم تتمكن من اتخاذ مثل هذه الإجراءات. انظر: شهادة المجاهد دجاج عبد القادر، سبق ذكرها و GUENTARI MOHAMMED ; OPCIT; T2. P. 687

الترابية، وقد كسبت جبهة التحرير الوطني بفضل إرساء الجبهة الجنوبية تعاون جميع قبائل الصحراء وتجندهم لمواجهة سياسة فصل الصحراء، التوارق في تامنراست ومنهم الحاج اخاموخ الذي وقف في وجه المخططات الاستعمارية ورفض مغريات ديجول بتوجيهه زعيمها جمهورية صحراوية مستقلة⁽¹⁾، ومختلف قبائل سكان توات الذين تجندوا في صفوف النظام، وفي هذا الشأن يؤكّد محمد الشريف مساعدية أن جهود الجبهة الجنوبية في التعبئة والتجنيد هي التي حققت تلك النتائج الباهرة: " بهذه الجهود استطعنا أن نثبت وجودنا، ونخيب آمال فرنسا في سعيها لفصل منطقة الجنوب وجعلها (جمهورية إسلامية) على غرار جمهورية موريطانيا الإسلامية ومن ذلك أنها كلفت عقيداً يسمى (كلوزيل) وهو الذي عاش في الجنوب عند التوارق حوالي 22 سنة، وهذا العقيد تزوج من تارقية، وكان يستطيع أن يتحدث اللغة العربية واللهجة التارقية، وكان ضابط مخابرات وقد أخذت منه فرنسا داعية لإنشاء جمهورية إسلامية لكي تصل إلى فصل الجنوب عن الشمال، وكانوا يأخذون توارق ليبيا وتوارق مالي، وتوارق النيجر والجزائر ويحاولون إقناعهم بهذه الفكرة وذلك كي يتمكنوا من السيطرة على سائر المنطقة. وكان علينا أن نحطّم هذه الفكرة المغرضة وذلك بأن الجزائر جزء لا يتجزأ، وكان العمل متواصلاً مع الأعيان وكبار الشخصيات الموجودة في المنطقة وعلى رأسهم الباي أخموك ولكي نقوم بهدم هذه الفكرة كان لا بد من تفهيم المواطنين بأن هذا العدو لا يريد جمهورية إسلامية وإنما يريد بث التفرقة بيننا لكي يتسرّى له الوصول إلى تحقيق ما ضاع منه في الشمال، وكنا نقرّ الحجة باللحجة ونفضح موقف المستعمر الغاصب ونواياه الخبيثة، التي كان يتغنى في نسجها"⁽²⁾.

(1) PATRICK (C R) , OP CIT ; P: 249.

(2) انظر شهادة مساعدية: المرجع السابق، ص 137 - 138

وبفضل جهود مناضلي الجبهة الجنوبية أجهضت الثورة التحريرية محاولات المستعمر الramية لفصل الصحراء الجزائرية، وتم التأكيد بوضوح أن سكان الجنوب الصحراوي ليسوا متعاطفين مع جبهة التحرير فحسب بل منخرطين فيها ومشاركين في تحرير وطنهم.

4- إحياء النظام بمناطق أقصى الجنوب

عانت مناطق الصحراء النائية من مشكلة اكتشاف التنظيم وصعوبة إعادة إحيائه من جديد، وذلك لما تميز به مناطق الصحراء من خصوصيات طبيعية لا تسمح بالنشاط العسكري والسياسي، ونظرا لأهمية هذه المناطق في ظل التخطيط لمشروع فصل الصحراء كان لا بد من إعادة النظام وبشكل مدروس، فكان إنشاء الجبهة الجنوبية في في عمق الصحراء الإفريقية وإعادة ربط الاتصال بمناضلي أدرار وتيميمون انجزا مهما لم تلفت إليه أنظار الإدارة الفرنسية إلا بعد فوات الأوان، وخطوة رائدة مضت قيادة الثورة في تجسيدها رغم المشاق والصعاب، وهكذا فتحت الجبهة الجنوبية مراكزها للتجنيد والتدريب وجلبت الأسلحة وشكلت الكتائب والفرق العسكرية وبيث النظام على نطاق واسع، وتشير الشهادات والوثائق أن نظام جبهة التحرير الوطني أعيد إحياؤه بأدرار منذ عام 1960، وذلك بفضل جهود مبعوثي قادة الجبهة الجنوبية، وقد لعب التجار المتنقلون بين أدرار وماري دورا أساسيا في تعليم النظام وتشكيل الخلايا والتنسيق وإيصال المؤونة كما نهضوا بمهمة إدخال السلاح.

وهكذا أنشئت الخلايا واللجان السياسية في مدينة أدرار وقصور توات، وكانت تتشكل غالبا من أعيان القصور وعلمائها وتهض بمهام الدعاية ونشر الوعي الثوري بين السكان وتخذيرهم من دسائس السياسة الفرنسية، كما تقوم بجمع

الاشتراكات والتبرعات وإرسالها إلى القيادة بقاو، وتتكلف بالتجنيد والاستعلام⁽¹⁾، وبذلك تمكنـت الثورة الجزائرية من إرساء دعائمها في توات وتوحـيد السكان وتحـجـينـهم وراء أهدافـها التحرـيرـية وقد كانت تـحـثـ في تعليـماتـها وبيانـاتـها على كلمة الشعب ونبـذـ التـفرـقة ونصرـةـ المجـاهـدـينـ والتصـديـ لـدـسـائـسـ العـدـوـ، واعـتمـدتـ فيـ ذـلـكـ عـلـىـ الـعـلـمـاءـ وـالـوـجـهـاءـ الـذـيـنـ نـهـضـواـ بـمـهـمـةـ الـمـحـافـظـ السـيـاسـيـ وـحـثـواـ عـلـىـ الجـهـادـ فيـ سـبـيلـ اللهـ وـقـدـ كـانـتـ لـدـعـوـةـ الشـيـخـ مـحـمـدـ اـبـنـ الـكـبـيرـ بـنـصـرـةـ الثـورـةـ أـثـرـهـاـ عـلـىـ سـكـانـ تـواتـ، وـأـنـشـئـتـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـتـوـاتـيـةـ الـعـدـيدـ مـنـ الـمـراـكـزـ وـالـخـلـاـيـاـ الـمـدـنـيـةـ، وـقـدـ أـحـصـتـ الشـهـادـاتـ وـالـوـثـاقـ شـبـكـةـ الـمـراـكـزـ الـمـوزـعـةـ وـفـقـ الشـكـلـ الـآـتـيـ⁽²⁾:

﴿ - مركز زاوية كنته: الحاج صديق عبد القادر.

﴿ - مركز سالي: مولاي عبد الله السي حمو.

﴿ - مركز تيطاوين: العزاوي

﴿ - مركز انزجimir: الحاج عبد الرحمن.

﴿ - مركز تسابيت: عائلة خيضاوي.

﴿ - مركز أولاد أنقال: الحاج محجوب.

﴿ - مركز أدغا: حمادي البركة.

﴿ - مركز بودا المنصور: الحاج سالم.

(1) انظر شهادة اقوجيل عبد القادر، مقابلة مع الباحث، ادرار، 20 جانفي 2003.

، وشهادة محمد الشريف مساعدية: المجمع السابق، ص 136 ،

(2) نعتمد أساساً شهادات كل من: كابويا عبد الرحمن، سبق ذكرها. واقوجيل عبد القادر، سبق ذكرها. ولقصاصي الحاج عبد السلام، رقان 13 فيفري 2006، ووثائق عائلتي السي حمو وديديي محمد ، محفوظات شخصية.

- - مركزبني لو: الحاج عبد الله.
- - مركز تقطيط: عبد القادر بن سيدى أحمد ديدى.
- - مركز فنوغيل: متوكل محمد
- - مركز رقان: الحاج الصالح، قدور القصاصي، مولاي احمد الرقاني، مولاي الناجم...إلخ.
- - مركز اولف: مولاي عبد الرحمن، سيدى الوافي، محمد القايد، أولاد مولاي سعيد.

وهكذا أعدت منطقة توات لتحتضن الثورة وتساهم في دعم ومؤازرة الجبهة الجنوبية، كما وصل تنظيم الجبهة الجنوبية الى عين صالح وتم نشره، وبذلك خضعت مناطق توات وتم نشره إلى تنظيم سياسي وعسكري محكم نقل الثورة إلى أعماق الصحراء، وثبت وجود في أبعد نقطة من الصحراء، وتبين أن طريق مالي والنيجر هو أرجح طريق لإعادة إحياء نظام الثورة كونه الأقرب إلى توات وتم نشره من منافذ الشمال وبعيد عن المراقبة الفرنسية التي لا يمكنها أن تحرس حدود الصحراء الواسعة، وقد خدم تواجد هذا النظام ووحدات الجبهة الجنوبية إستراتيجية الثورة التحريرية في مراقبة المرحلة الانتقالية، والإشراف على مراسم تسليم السلطات في الموعد المحدد، وإدارة شؤون المنطقة في ظل الاستقلال والحرية، وقد أشرف قيادة الجبهة الجنوبية على تشكيل النظام السياسي والإداري الجديد، فعينت مكتبا إدارياً لإقليم أدرار وتيميمون يتكون من السادة: حمو نيكلو، مولاي الطيب، حمو كابو، مولاي المهدى سيمو، قلوم الشيخ، ولد الطالب بحوص، وعين الشيخ محمد بن

ل الكبير مسؤولاً عن خلية المجلس الشعبي⁽¹⁾، ودخلت منطقة توات في مرحلة جديدة من تاريخها وهي تنعم بالسيادة الوطنية.

5- إيجاد منافذ جديدة للاتصال بالداخل

لقد أثناطت قيادة الثورة للجبهة الجنوبية مهمة ربط أقصى الجنوب بشمال الوطن وإيجاد منافذ جديدة للتمويل والاتصال⁽²⁾، خاصة وان منافذ المناطق الشمالية قد سدت من جهة الشرق والغرب بخطي شال ومورييس المحكمين، وأن قيادة الثورة مصممة على نقل وحدات الحدود إلى الداخل، وعليه كان السعي حثيثاً لإيجاد منافذ ولو كانت في أقصى الجنوب⁽³⁾، وفعلاً عول على الجبهة الجنوبية بعد أن أرست قواعدها أن تقوم بمهام جسورة، منها ربط الاتصال بينها وبين مناطق الداخل وتقديم المساعدة للولايتين الخامسة والسادسة، ونقل الأسلحة⁽⁴⁾، وقد تمكنت بفعل شبكات اتصالاتها وخطوط النقل أن تمد اتصالاتها إلى مناطق توات وتماراست وبشار وتندوف، وقدمت كثير من المساعدة والدعم للولاية السادسة التي بدأت تنشط في منطقة الجنوب، واستطاعت أن تدرب عدة فرق وترسل بها إلى الداخل لتنشط بطريقة سرية في مهام تنظيمية، وأما مهمة تمرير الأسلحة والمؤونة فقد قامت الجبهة الجنوبية بمبادرات مهمة، خاصة بعد نجاح إزالة باخرة سلاح بكوناكري الغينية وإدخال

(1) وثيقة مرسلة إلى قيادة الجبهة الجنوبية تتضمن الهيكلة الإدارية لمنطقة ادرار، وثائق شخصية

(2) تشير الدلائل ان الجبهة الجنوبية أنشأت لتأدية مهام جد استراتيجية ومنها فك الخناق عن مناطق الشمال وإيجاد مناطق بديلة، وفي هذا الإطار كلفت فرقتين بربط الاتصال بين مركز بوذنيب إلى غاو عن طريق الصحراء الإسبانية والموريطانية.

(3) PATRICK (C R). OP CIT P: 249.

(4) هذا ما تكشف عنه الشهادات دون تفصيل أنظر شهادة المجاهدين بن شكسك التافي ومولاي الشيخ بن مولاي، مسجلة ومحفوظة بمتحف المجاهد أدرار.

السلاح إلى غاو، ويذكر مساعدة أنه أوجدت عدة وسائل لإدخال الأسلحة إلى الداخل، منها النقل بواسطة الجمال وشاحنات التجار، "تحصلنا على بآخرة كاملة من الأسلحة في غينيا وقمنا بنقلها من هناك إلى الحدود الجزائرية المالية عبر الجبال وبالطبع لم يعلم بذلك إلا نحن الخمسة فقط أو بعض المسؤولين الماليين، وكانت هذه الأسلحة تحمل على الأكتاف حتى تصل إلى المخابئ السرية في الحدود الجزائرية، وبعدها تنقل إلى الداخل إما عن طريق قوافل الجمال وكانت تحمل كميات قليلة ولكنها مأمونة الوصول، أو عن طريق الشاحنات التي تحمل حمولات ضخمة داخل براميل الزيت أو المازوت أو براميل الماء مع عمل جيوب لهذه البراميل، ثم فك الأسلحة ووضعها بداخلها، وقد دربنا الشباب على فك الأسلحة وتركيبها بسرعة بارعة، وكذلك كنا نحمل الأخشاب الضخمة بحجج دفع العربات عليها في الرمال، ونقوم بتجويفها وملئها بالذخيرة، ثم نضع عليها الزيت ونضر بها بالمناجر ونضعها في الرمال ونطليها بالمازوت الأسود فتصبح وكأنها قديمة، وهكذا كانت تصل الأسلحة والذخيرة إلى كل المراكز والقواعد التي أصبحت مخازن مهمة للأسلحة والذخيرة"⁽¹⁾. ويبداوا أنه كان بإمكان هذه الجبهة أن تلعب دوراً رئيسياً في تزويد ولايات الداخل بالأسلحة لولا وقف إطلاق النار.

6- التأثير النفسي على العدو من خلال إحكام القبضة على الحدود

دللت نجاحات الجبهة الجنوبية على قوة الثورة التحريرية وشموليتها وقدرتها على التعبئة والتنظيم، وقد حضرت مخططاً عسكرياً شاملًا يستهدف المراكز الاستعمارية الحدودية في ادرار وتامنراست، ولكن قيادة الثورة العليا لم تتوافق على

(1) انظر شهادة محمد الشريف مساعدة، المراجع السابق، ص 136

تنفيذ هذه العمليات إلى أن حان وقف إطلاق النار، ويذكر المجاهد دجاج عبد القادر أن محمد الشريف مساعدية نسق العمل مع المخبرين في مراكز العدو ببرج باجي مختار وتيياوين وتانزروفت وعين قزام من أجل تنفيذ هجومات على هذه المراكز، ولو لا إعلان وقف إطلاق النار لتم الهجوم عليها⁽¹⁾، ويذهب المرحوم محمد الشريف مساعدية إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد أنه كان بإمكان وحدات الجبهة الجنوبية المدرية تدمير قاعدة رقان العسكرية النووية والتخلص منها لأنه: "كانت لدينا جميع المعلومات والخططات الخاصة بها، إلا أن القيادة لم توافق على العملية، وكان لنا هدف معين لا بد من إنجازه بأي شكل من الأشكال"⁽²⁾، ولا شك أن من بين الأهداف الرئيسية لهذه الجبهة هي استعراض قوات جيش التحرير الوطني أمام السكان، وذلك لدفع المترددين لمناصرتها، ورفع معنويات المناضلين من جهة، وللتأثير على معنويات الفرنسيين من جهة أخرى من خلال إحياطهم بجهات عسكرية تكون نتائجها النفسية أكبر من نتائجها العسكرية.

7- ترسيم الحدود وحمايتها من الأطعام الخارجية:

تفطنت جبهة التحرير الوطني لضرورة حماية الصحراء من الأطعام الأجنبية، وقد مهدت السياسة الفرنسية لظهور هذه الأطعام، فكانت تونس تصر على منحها منطقة البورمة الغنية بالبترول بحجج أنها تابعة لتونس، والمغرب يخلق مشاكل عويصة بترديده لحقبة التاريخي في الصحراء وادعائه بأن موريطانيا وتندو夫 أراضي مغربية، وخوفا من نمو هذه الأطعام كان جيش الحدود حريص على حماية الوحدة الترابية وحراسة الحدود، ومن المهام الأساسية التي أوكلت للجبهة الجنوبية المرابطة على طول

(1) انظر شهادة المجاهد دجاج عبد القادر ، سبق ذكرها.

(2) انظر شهادة مساعدية: المرجع السابق، ص 136

الحدود الجنوبية حراسة الحدود والاستعداد لتسليم السلطات من الفرنسيين، حتى لا تتكرر مبادرة بورقيبة بإرساله للقوات التونسية للاستعاء بالقوة على منطقة العالمة الحدويدية الكيلومترية رقم 233، فعلاً كانت الجبهة الجنوبية بنظامها المدني ووحداتها العسكرية الحريص الأمين على تراب السيادة الوطنية، وقد أشرف قادتها على تسلم السلطات في الموعد المحدد لانسحاب الفرنسيين من منطقة تامنراست وادرار، في حين سجل فراغ في مدينة تندوف استغله المغرب في محاولته السيطرة بالقوة على هذه المنطقة وفرض الأمر الواقع على الجزائريين، وقد كان قادة الجبهة الجنوبية يتخوفون من هذه النوايا السيئة خاصة وأن حملة المغرب بضم موريطنانيا كانت تثير كثيراً من التخوف، ومعها ازداد الحرص على حراسة الحدود الشمالية، ويفوكد مساعدية أن خلايا نظام الجبهة أصبحت تراقب كاملاً الحدود الجزائرية الموريطانية: "تطور التنظيم حتى أصبحنا نراقب الحدود الموريطانية في الوقت الذي كانت صراعات بين المغرب وموريطنانيا، وكنا نعتبر قوة حاسمة لها وزنها في هذه المنطقة، وقد تمكننا بسرعة من بسط يد جيش التحرير على طول البلاد وعرضها بما جندناه من الشباب الذي يعتبر السند الأقوى لجيش التحرير الوطني"⁽¹⁾، ونظراً لأهمية الدور الذي أصبحت تقوم به الجبهة الجنوبية خططت قيادة الثورة لتحويلها إلى ولاية سابعة تشرف على القسم الجنوبي من الصحراء⁽²⁾.

(1) انظر شهادة مساعدية، المرجع السابق، ص 135

(2) كان مخططاً أن تقسم إلى ثلاثة مناطق هي: المنطقة الأولى وتشمل منطقة تندوف والحدود الجزائرية مع كل من المغرب الصحراء الغربية وموريطنانيا، والمنطقة الثانية وتشمل منطقة الحدود مع مالي والنيجر، والمنطقة الثالثة وتشمل منطقة المقار والحدود الجزائرية الليبية، انظر قنطاري محمد:

ويتضح لنا مما سبق بيانه عن نشاط الجبهة الجنوبية وأدوارها ما يلي:
إن الجبهة الجنوبية التي أنشأتها الثورة الجزائرية عام 1960 قامت بنشاط سياسي مهم لبداية النشاط العسكري وتكوين مراكز حدودية تمتد من مالي والنiger إلى أقصى مناطق الصحراء الجزائرية.

لقد نهضت الجبهة الجنوبية بتحقيق أهداف استراتيجية داخلية وخارجية، منها أساسا نشر الثورة وتعيم النظام والاستعداد للمواجهة مع العدو في أقصى الجنوب الجزائري، وكذا تأكيدا بعد التضامن الإفريقي عملياً ومواجهة السياسة الفرنسية الشرسة في إفريقيا، وقد أثمرت مبادرة إنشاء الجبهة الجنوبية نجاحات كبرى تمثلت في دعم حضور الثورة الجزائرية في أقصى الجنوب الصحراوي وأتاحت الفرصة لسكان توات للمشاركة في تحرير وطنهم، والتأكيد على قوة وشمولية الثورة على كامل التراب الوطني وعلى بعدها الإفريقي من أجل تحسيد تضامن حقيقي وتكرис الوحدة الإفريقية في ميدان المعركة.

إن إنشاء الجبهة الجنوبية هدف إلى خدمة استراتيجية الثورة في مرحلتها الأخيرة، المسمة بازدياد قوة الصراع وظهور مشروع التقسيم، وكان يعول كثيراً عليها في التصدي لمشروع فصل الصحراء، وذلك من خلال تجنيد السكان وبث الدعاية وأثبات حضور جيش التحرير الوطني في تلك المناطق الصحراوية النائية.



المراجع السابق، ص 185، وشهادة الطيب فرجات، مقابلة مع الباحث، الجزائر العاصمة، 1 نوفمبر

. 2001

مقططفات وانطباعات من كتابي "الثورة الجزائرية في عامها الأول والمتقرون الجزائريون والثورة" لـ محمد العربي الزبيري

Excerpts and impressions from my book "The Algerian Revolution in its First Year and Algerian Intellectuals and the Revolution" by Muhammad Al-Arabi Al-Zubairi

- د. فاتح بلعمري محاضر

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

fateh.belamri @univ-msila.dz

ملخص:

يبدو أن الثورة الجزائرية ملهمة الكثير في التأليف والكتابة، لأنها بعبارة صريحه واضحه ثوره ضد الظلم والاستعباد، وعلى وجه الخصوص إذا ظهرت وثائقه جديدة وبانت تصريحات واعترافات عديدة، لكن - في اعتقادنا - هناك من الكتابات من تبقى ملاذ الدارسين والباحثين عموماً والمؤرخين خصوصاً، ومن هذه الزاوية الأخيرة ارتأينا التعريف بكتابين في غاية الأهمية الأول موسوم بـ: الثورة الجزائرية في عامها الأول والثاني تحت عنوان **المتقرون الجزائريون والثورة للمجاهد المؤرخ محمد العربي الزبيري**، الذي عايش اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر العظيمة من جهة، ومن جهة أخرى فالكاتب أيضاً باحث متميز في الشأن التاريخي. من هذا المنطلق، فمن هو محمد العربي الزبيري؟ ما هي إسهاماته في مجال الكتابة التاريخية؟ ما هي مضامين الكتابتين وما هي الأفكار والأراء التي صرح بها؟ فيم تكمن القيمة العلمية والتاريخية لهذين التأليفين؟ هذا ما نود التعرف عليه.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، محمد العربي الزبيري، 1954-1692.

Abstract

It seems that the Algerian revolution has inspired a lot of writing and writing, because it is, in frank and clear terms, a revolution against injustice and slavery, especially if new documents appear and many statements and confessions are revealed, but - in our belief - there are some writings that remain a refuge for scholars and researchers in general and historians in particular, and among these are In the last corner, we decided to introduce two very important books, the first titled: The Algerian Revolution in its First Year and the second under the title The Algerian Intellectuals and the Revolution by the mujahid and historian Muhammad al-Arabi al-Zubairi, who lived through the outbreak of the great November 1st Revolution on the one hand, and on the other hand the writer is also a distinguished researcher in historical affairs. From this standpoint, who is Muhammad Al-Arabi Al-Zubayri? What are his contributions to the field of historical writing? What are the contents of the two books and what are the ideas and opinions expressed? What lies in the scientific and historical value of these two works? This is what we would like to know.

Keywords: The Algerian Revolution, Muhammad Al-Arabi Al-Zubayri, 1692-1954

كثيرة هي المؤلفات والدراسات، الشهادات والمذكرات التي تناولت الثورة الجزائرية، وللتزال هذه الأخيرة ميدانا خصبا للتأليف والكتابة في جوانبها المتعددة وزواياها المختلفة، لكن المميز فيها هي تلك التي تبحث عن الحقيقة التاريخية سواء الكتابات الجزائرية الوطنية، أو المغاربية، أو الأفروآسيوية أو حتى الكتابات الأجنبية المتنوعة، وعن الصنف الأول (الكتابات الجزائرية الوطنية) ارتأينا أن نعرف بكتابين في غاية الأهمية لصاحبهما محمد العربي الزبيري "الثورة الجزائرية في عامها الأول". و"المثقفون الجزائريون والثورة".

من هذا المنطلق، فمن يكون العربي الزبيري؟ ماهي إسهاماته في مجال التاريخ عموما والثورة الجزائرية على وجه الخصوص؟ ما هي مضمون الكتابين؟ وما هي الكنوز المعرفية التي تضمنها التأليفين؟ ماهي مصادر المؤلف في ذلك؟ وفيما تكمن قيمتها التاريخية والعلمية التي نحسبها جديرة بالذكر.

ولعل المقام يفرض علينا ذكر أسباب اختيار هذا المؤلف من جهة وتأليفه من جهة ثانية، فعن المؤلف هو شاهد عيان للكثير من الأحداث والواقع التي مرت بها الثورة الجزائرية، كما أنه باحث أكاديمي متخصص ومتميز في مجال الكتابة في التاريخ، وله رؤى خاصة ونظارات عميقة لما حصل أيام الثورة الجزائرية، وعن تأليفه الثورة الجزائرية في عامها الأول والمثقفون الجزائريون والثورة موضوع هذه الدراسة نتعرف عليهما من خلال ما سنذكره من مقتطفات وانطباعات بعد اطلاعنا عليهما ودراستنا لهما، آملين المفعة والفائدة لمن ينشد لها مستدلين ببعض آراء المؤرخين والكتاب في شخص محمد العربي الزبيري.

أولاً - التعريف بـ محمد العربي الزبيري:

ولد في الجزائر سنة 1360هـ / 1941م، عمل موظفاً وشغل العديد من المناصب، والتي منها رئيساً لاتحاد الكتاب الجزائريين، ورئيس منتدى الفكر والثقافة وهو عضو جمعية الدراسات والبحوث⁽¹⁾، حاصل على أربع شهادات دكتوراه؛ الأولى كانت دكتوراه الحلقة الثالثة سنة 1972 حول موضوع التجارة الخارجية في الشرق الجزائري قبل الاحتلال 1792-1830⁽²⁾، الثانية كانت حول كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة⁽³⁾، ثم شهادة دكتوراه دولة حول الجزائر في عهد حسين داي ودكتوراه فلسفة في التاريخ⁽⁴⁾.

أي أنه عندما اندلعت الثورة الجزائرية المباركة كان عمر الزبيري 13 سنة، فمن المؤكد أنه عايش بعض أحداثها ووقعها، ويتبين بأنه رجل أكاديمي له باع في الكتابة والتأليف، حيث خط يراعه العديد من المؤلفات التي لها علاقة وطيدة بتاريخ الجزائر عموماً والثورة الجزائرية على وجه الخصوص.

ثانياً - إسهامات محمد العربي الزبيري في مجال التاريخ والثورة الجزائرية:

ألف محمد العربي الزبيري العديد من الكتب ومنها ذكر:

1. مقاومة الجنوب الجزائري للاحتلال الفرنسي.

(1) -<https://shmela.ws.auther> (17/01/2022) 10:00

(2) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ، وكان المشرف عليه الأستاذ أبو القاسم سعد الله، فيها أكثر من 350 صفحة وهي ثرية بالمصادر والوثائق العربية والأجنبية.

(3) حдан بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريف وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغایة، الجزائر، 1982 .

(4) <https://torjomanpedia.com> (17/01/1022)10:33

2. -مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث.⁽¹⁾
 3. -الثورة الجزائرية في عامها الأول.⁽²⁾
 4. -الثورة الجزائرية في عامها الثاني.
 5. -الغزو الثقافي في الجزائر.
 6. -المثقفون الجزائريون والثورة.
 7. -إيديولوجية الثورة الجزائرية.
 8. -الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر.
 9. -الكفاح المسلح في عهد أحمد باي.
 10. -حمدان بن عثمان خوجة⁽³⁾ رائد الكفاح السياسي.
 11. -المرآة لحمدان بن عثمان خوجة (ترجمة).
 12. -لحنة تاريخية عن الدولة الجزائرية. د شلر (ترجمة).
 13. -مذكرات أحمد باي.⁽⁴⁾
 14. -تاريخ الجزائر المعاصر.⁽¹⁾
-

(1) محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

(2) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1404هـ-1984م.

(3) حمدان بن عثمان خوجة مصدر مهم في مجال الطب والتداوي موسوم بـ: إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1986.

(4) أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة: محمد العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

ثالثاً-أقوال بعض المؤرخين والكتاب في شخص محمد العربي الزبيري⁽²⁾ ، والتي

نقبس منها:

- حمدي (عميد كلية الإعلام بالجزائر): "اعتبر محمد العربي الزبيري مثقفا عضويا متواجدا في كل المستويات، مضيفا أنه شخصية إشكالية فهو صحفي من مؤسسي جريدة الشعب سنة 1963".
- محمد بوعزارة: "المجاهد والمؤرخ العربي الزبيري رجل يسكنه التاريخ ومناضل لم تأت به السياسة للنضال، بل جاء به الجهد وحب النضال وليس نضال السياسة من أجل السياسة، بل من أجل التاريخ".
- محمد الأمين بلغيث: "الكاتب العربي الزبيري كاتب أكاديمي متميز سرقته السياسة، حيث أكاديميته ظهرت من خلال مؤلفاته".
- محمد أرزقي فراد: "الأديب العربي الزبيري مثقف وليس متعلمًا فقط، مارس وظيفة النقد في المجتمع من أجل تحريك الأوضاع للأفضل".
- بورقعة: قال فيه بأنه ذو شخصية عنيفة، متمسك جداً بمبادئه ووفي وفاء تام للثوابت الوطنية ومبادئه".
- أحمد صالح حرز الله: "العربي الزبيري رجل المواقف الكبيرة".
- لزهر بديدة: العربي الزبيري "قدم دروسه بالمجان للطلبة الجزائريين".



(1) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، ج 2، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1420 هـ / 1999 م.

(2) <https://www.elhiwar.dz> feature (17/01/2022)10:26

رابعاً- التعريف بالكتاب الثورة الجزائرية في عامها الأول (مضامينه ومقطفاته

من فصوّله):

طبع لأول مرة سنة 1404هـ الموافق سنة 1984م، بدار البعث بقسنطينة، وهو من الحجم المتوسط، يحتوي على 262 صفحة، ولعل المقام يفرض علينا أن نذكر حكمة الكتاب التي وردت فيه قبل الإهداء وهي:

"إن الذي لا يدرس الماضي لا يمكن أن يفهم الحاضر، ومن ثمة فهو لا يستطيع بناء المستقبل، لأن عملية البناء والتشييد تعتمد أساساً على الواقع المعاش". وعليه يبدو أن الثلاثية متلازمة دراسة الماضي وفهم الحاضر لبناء المستقبل.

كما يفرض علينا أن نذكّر بإهداء الكتاب إلى أرواح شهداء ثورة نوفمبر العظيمة، ومنهم: ديدوش مراد⁽¹⁾، مصطفى بن بولعيد⁽²⁾، العربي بن مهدي⁽¹⁾ وزيغود يوسف⁽²⁾، وإلى كل هؤلاء وما أكثرهم، وإلى كل الشرفاء الأحياء على قلتهم.

(1) ديدوش مراد: (13/01/1927-18/01/1955) من مسؤولي المنظمة الخاصة، عينته حركة انتصار الحريات الديمقراطية نائباً لبوضياف بين 1952-1954 قصد تنظيم فرنسا، عين على رأس المنطقة الثانية، استشهد وعمره 28 سنة في معركة بوكركر على مقربة من مدينة زيغود يوسف الحالية. محمد العربي الزيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص 119. للمزيد عن شخصية ديدوش مراد وأعماله الثورية ينظر: عبد الله مقلاتي، "الشهيد مراد ديدوش ودوره في التحضير للثورة وقادتها"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد 01، العدد 04، ص 256-273.

(2) مصطفى بن بولعيد: من أسرة ثرية، كان مقاولاً ناجحاً وفي نفس الوقت مناضلاً وطنياً بارزاً، ارتقى سلم المسؤوليات إلى أن أصبح عضواً باللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، عين على رأس المنطقة الأولى حيث مسقط رأسه، ألقى عليه القبض في فيفري 1955، وضع في السجن واستطاع الفرار والالتحاق بالثورة من جديد في الأوراس، استشهد يوم 27 مارس 1956

بسبب انفجار جهاز إرسال ملغم. محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المراجع السابق، ص 119). للمزيد عن شخصية مصطفى بن بولعيد ينظر: بوعزة بوضرسية، "لقاء الرائد فانسون مونتاي بالشهيد مصطفى بن بولعيد عام 1955 من الاستنطاق إلى الاستجواب"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد 02، العدد 02، ص 172-180.

- عبورة رشيدة ومليلة لطريبي، "مصطفى بن بولعيد والثورة التجريبية"، مقاربات، المجلد 02، العدد 03، ص 17-31.

(1) العربي بن مهيدى: من أعظم مفكري الثورة ومنظريها، درس التمثيل ومارس السياسة منذ سن المراهقة في إطار حزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمocrاطية، كان عمره ثلاثين سنة عندما اندلعت الثورة، عين على رأس المنطقة الخامسة، ساهم في مؤتمر الصومام، ألقى عليه القبض في مدينة الجزائر يوم 15 فيفري 1955، ثم أعدم شنقاً في شهر مارس من نفس السنة، قال للعقيد بيجر: "إنكم تتحدثون عن فرنسا من دانكارك إلى تامنراست، وإني لأنبأكم بميلاد الجزائر من تامنراست إلى دانكارك" يقول المؤرخون أنه كان أعظم رجال الثورة. محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المراجع السابق، ص 122. للمزيد حول شخصية العربي بن مهيدى ينظر: عبد الله مقلاتي، "الشهيد محمد العربي بن مهيدى حكيم ومنظر الثورة الجزائرية"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد 02، العدد 03، ص 261-284.

- عبد الحميد مهري، "شهادة حول الشهيد العربي بن مهيدى"، المصادر، المجلد 8، العدد 13، ص 325-332.

(2) زيغود يوسف: أحد أبطال الثورة في الحركة الوطنية وثورة التحرير، عرف بشوريته الجامحة وموافقه الوطنية المخلصة، شارك في المنظمة الخاصة وفي التحضير للثورة، تولى قيادة منطقة الشمال القسنطيني إثر استشهاد قائدها ديدوش مراد في جانفي 1955. محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المراجع السابق.

للمزيد حول شخصية زيغود يوسف ينظر: عبد الله مقلاتي، "دور الشهيد زيغود يوسف في الثورة التحريرية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 02، العدد 03، ص 77-95.

وإنه لمن المفيد الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى تزيف تاريخ الثورة الجزائرية التي ذكرها محمد العربي الزبيري في مستهل كتابه، وهي الأسباب الوطنية متمثلة في التشكيلات السياسية المتعددة التي لم تكن لها نفس النظرة للكفاح ولا نفس التطلعات لمستقبل البلد، بينما الأسباب الاستعمارية فتجسدت في وسائل الإعلام وأقواها وكذلك استغلال الخلافات والصراعات الداخلية بين الأشقاء الجزائريين، في حين كانت الأسباب الإيديولوجية متجلية في إصدار الكتب المتخصصة المعتمدة على مصادر غالطة أو مكذوبة، ونشر المذكرات المطعمة والمقالات والدراسات (1) الموجهة.

*مضامين الكتاب: تضمن تسعه فصول وهي كالتالي:

-الفصل الأول: السياسة الفرنسية في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر.

الفصل الثاني: الوضع الاقتصادي والثقافي والاجتماعي في الجزائر قبل اندلاع

ثورة نوفمبر.

الفصل الثالث: السياسة الوطنية في الجزائر قبل اندلاع ثورة نوفمبر.

الفصل الرابع: السياسة الفرنسية اتجاه ثورة نوفمبر.

الفصل الخامس: لحنة سريعة عن سير أحداث الثورة في عامها الأول.

الفصل السادس: موقف الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من ثورة نوفمبر

في عامها الأول.



- أحمد مسعود سيد علي، "مسيرة الشهيد زيغود يوسف من خلال شهادة خضر بن طوبال"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 07، العدد 01، ص ص 349-360.

(1) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص ص 15-19.

الفصل السابع: موقف الحزب الشيوعي الجزائري من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

الفصل الثامن: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

الفصل التاسع: موقف الحركة الوطنية الجزائرية من ثورة نوفمبر في عامها الأول.

- ملحوظ: تضمنت القانون الأساسي لنجم شمال إفريقيا، البرنامج السياسي لنجم شمال إفريقيا، القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، منشور الحزب الشيوعي الجزائري يوم 03/05/1945، منشور حزب الشعب الجزائري على إثر نفس الأحداث، القانون الجزائري 20 سبتمبر 1947، القانون الداخلي للمنظمة الخاصة ونداء الفاتح من نوفمبر 1954.

*مقططفات مختارة من فصول الكتاب: من فصول الكتاب التسعة اخترنا بعض الفقرات التي تعبر عن قناعات وآراء محمد العربي الزبيري، دون أن نعلق عليها ومنها:

1- "...على الرغم من ظهور نشاطات الحركة الوطنية، فإن الاحتفال بمرور مائة عام على سقوط "دار المجاهد"⁽¹⁾ قد تم تحت شعار "الجزائر الفرنسية" التي بات

(1) دار المجاهد: أطلق الأتراك على مدينة الجزائر اسم المحرّسة ودار المجاهد، وكان لهذا الاسم معنى في تطور عمران المدينة نحو الدفاع والتحصين ضد الغارات المسيحية التي ما فتئت تهاجم من حين لآخر مدينة الجزائر، لذلك كثُرت بها الأبراج في العهد التركي وزيد من تشييد أسوارها ومتين قوتها الدفاعية بصفة عامة. للمزيد ينظر: حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830، ط 1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 219.

من المستحيل فصلها عن الوطن الأم، بل أن رجال الدولة سواء في فرنسا أو في الجزائر لا يخلو لهم الحديث إلا عن العمالات الفرنسية الثلاث فيها وراء البحار وسوف يتتطور هذا المفهوم ليصبح أثناء الثورة "فرنسا من دانكارك إلى تامنراست".⁽¹⁾

2- "...الجزائر بلد زراعي، هذه حقيقة قديمة قدم التاريخ، لا تحتاج إلى تدعيم، ولكن الجديد في الأمر هو أن مؤرخي الاستعمار يدعون بأن المعمرين الفرنسيين هم الذين استصلحوا الأراضي وصيّروا تربتها طيبة".⁽²⁾ وللإشارة أيضا فقد تحدث الكاتب عن الصناعة والتجارة، دون أن يهمل الواقع الاجتماعي والثقافي للجزائر قبل اندلاع الثورة.

3- "إن الذي يدرس تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر ويطلع على الفضائح المرتكبة ويقرأ لأمثال جول كامبون⁽³⁾، الذي يؤكّد بأن فرنسا صيرت الشعب الجزائري غبارا تذروه الرياح، لا يسعه إلا أن ينحني خاسعا أمام ثورة نوفمبر الخالدة...والحقيقة أن ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 قد دخلت التاريخ من

(1) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص 23.

(2) نفس المرجع، ص 39.

(3) جول كامبون: Jules Cambon (1845 / 4 / 5 - 19 / 9 / 1935)

ديبلوماسي فرنسي وشقيق بول كامبون، كان حاكما للجزائر بين 1891-1897، سفير فرنسا لدى الولايات المتحدة الأمريكية بين 1897-1902، سفير فرنسا لدى إسبانيا بين 1902-1907، سفير فرنسا لدى ألمانيا بين 1907-1914، ثم رئيساً بين 1929-1935، ترك العديد من المؤلفات منها نذكر:

-LE DIPLOMATE

- Le gouvernement général de L'Algérie (1891-1897)
- La politique radical-socialiste en Algérie (avec Yves Guyot)

[https://areqinet.\(18/1/2022\) 16:26.](https://areqinet.(18/1/2022) 16:26)

أبوابه الواسعة، وأنها استطاعت أن تحيي العظام وهي رميم وأن تخلق من العبيد المستضعفين مجتمعاً جديداً...⁽¹⁾

4- "... استقبال الحالية الأوروبية في الجزائر لنبأ اندلاع الثورة بأنواع مختلفة من الفهم والإدراك، وهي: - الثالثة الحاكمة على مختلف المستويات...، - الموظفون التنفيذيون في أجهزة القمع المستعملة...، - المتفقون اليمينيون واليساريون..."⁽²⁾

5- "...أن فكرة الكفاح المسلح قد ولدت - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - في أذهان مناضلي الحركة الوطنية الذين جاؤوا لتكوين المنظمة الخاصة التي عني المشرفون عليها بتدريب أعضائها عسكرياً، ويتكونون سياسياً وعقائدياً لمجاهاة الاستعمار الفرنسي في جميع الميادين."⁽³⁾

6- "... وعلى الرغم من التطور الملحوظ الذي حققه عباس⁽⁴⁾ لأسباب متعددة أهمها الخوف من الموت والطمع في المسؤولية واليأس من فرنسا الاستعمارية،

(1) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص 53.

(2) نفس المرجع، ص 87-113.

(3) نفس المرجع، ص 117-118.

(4) فرحات عباس: 1899/08/24-1985/12/24 ولد فرحات عباس الذي كان رئيساً للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958، وكان أول رئيس للمجلس الوطني التأسيسي للجزائر المستقلة، في بلدة الشحنة التي تقع في بلدية الطاهير، ولاية جيجل، في إحدى ولايات الجزائر بشمال شرق البلاد وافتئ منهية في مسكنه الواقع في القبة بالجزائر العاصمة، دفن في مربع الشهداء في مقبرة العالية، قال: "لأشعر بأنني أحيا إلا في الجزائر ولا أتنى أن أموت إلا في بلادي". فرحات عباس، غداً سيطّلّع النهار، ترجمة حسين لبراش، دار الجزائر للكتب، 2012.

فإن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري قد وقف في هذه السنة الأولى موقفا سلبيا من ثورة نوفمبر العظيمة...⁽¹⁾

-7- "...لقد كان الحزب الشيوعي الجزائري منذ الوهلة الأولى يعرف أن أحداث ليلة الفاتح من نوفمبر هي بداية الثورة، ولكنه كان من الصعب عليه الاعتراف بذلك علنا ثم الانضمام تحت لواء الجهاد وذلك لأسباب متعددة...، وأسباب ذلك هي:

- إن انضمام قيادة الحزب الشيوعي إلى الثورة معناه الاعتراف بالزعامة للحركة الوطنية.

- الشيوعيون يرون أن الثورة لا يمكن أن تقع إلا نتيجة الصراع الطبقي.
- الحزب الشيوعي الجزائري مكون من أغلبية أوروبية ترفض الاتجاه الوطني العامل لأجل الاستقلال...⁽²⁾

-8- "...وما لا شك فيه أن معظم أعضاء جمعية العلماء إنما بدأوا يؤمنون بضرورة الكفاح المسلح فقط عندما اقترب الموت من الأبواب، وعندما تأكروا من أن الثوار عازمون على الضرب إذا اقتضى الحال، ليمعنوا أيا كان من عرقلة المسيرة الطبيعية للثورة، وإذا كان أعضاء الجمعية قد شرعوا في التقرب من أجهزة جبهة التحرير الوطني ابتداء من الأشهر الأخيرة لسنة 1955...⁽³⁾

(1) فرات عباس، غدا سيطّل النهار، مرجع سابق، ص 162.

(2) نفس المرجع، ص 165-177.

(3) نفس المرجع، ص 191.

9- "...وعلى الرغم من أن وضع الحركة الوطنية يختلف كل الاختلاف عن وضع التشكيلات السياسية الأخرى، فإنه لا يسعنا إلا أن نؤكّد بأن موقفها كان سلبياً من الثورة في عامها الأول..."⁽¹⁾

خامساً: التعريف بكتاب المثقفون الجزائريون والثورة (مضامينه ومقطفاته

: منه

الناشر لهذا الكتاب هو المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر في سنة 1995، والكتاب يحتوي على 187 صفحة، وهو مقسم إلى قسمين، الأول تناول فيه الكاتب محمد العربي الزبيري خمس نماذج من المثقفين الجزائريين في فترة ما قبل الثورة، بينما القسم الثاني أدرج فيه أربع نماذج من المثقفين الجزائريين، واستعان بصورة للنماذج المختارة في بدايات الحديث عنها وهذه النماذج مرتبة في قسمين كما ذكرنا تضمنت مضامين الكتاب وهي كالتالي:

*القسم الأول: فترة ما قبل الثورة

-النموذج الأول وهو: مفدي زكرياء

-النموذج الثاني وهو: محمد العيد آل خليفة

-النموذج الثالث وهو: محمد السعيد الزاهري

-النموذج الرابع وهو: الشيخ البشير الإبراهيمي

-النموذج الخامس وهو: محمد الذيب

*القسم الثاني: فترة الكفاح المسلح

-النموذج الأول وهو: مفدي زكرياء

(1) فرحت عباس، غدا سيطّل النهار، مرجع سابق، ص 203.

-النموذج الثاني وهو: فرانتز فانون

-النموذج الثالث وهو: مالك حداد

-النموذج الرابع وهو: أحمد الطيب معاش

*مقططفات مختارة من كتاب المثقفون الجزائريون والثورة

عن مفدي زكرياء يقول محمد العربي الزبيري: "ما لا ريب فيه أن مفدي زكرياء هو النموذج الحي للمثقف الحقيقي الذي جمع بين صفات العالم ذي الاباع الطويل في شتى فنون المعرفة والمناضل السياسي المحنك ذي المبادئ الثابتة والإرادة الحديدية..."

عن محمد العيد آل خليفة يقول المؤلف: "... إن اختيار محمد العيد كنموذج...ليس صدفة، بل لأنه متعدد لثلاثة أسباب على الأقل، أحدهما لأنه شاعر مثل مفدي زكرياء... وثانيهما لأنه كان في نفس سنه تقريباً... وثالثهما لأن الشاعرين مرا بنفس المراحل التعليمية و قالا الشعر الجيد الذي نال إعجاب العارفين قبل سن الرشد القانونية..."

عن محمد السعيد الزاهري يقول الكاتب: "... تدل كتابات الزاهري وأشعاره على تحكم كبير في اللغة العربية وتشبع بالأيديولوجية الوطنية، كما أنها تسمح للدارس المتمعن أن يستخلص بأنه إلى جانب عدد قليل من المناضلين العاملين واحد من الرواد الذين أرسوا قواعد حركة نجم شمال إفريقيا في الجزائر..."

عن الشيخ البشير الإبراهيمي يذكر الزبيري: "... لقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي يقدر قيمة الشباب حق قدرها ويدرك أنه الطاقة الخلاقة التي سيكون عليها الاعتماد للنهوض بالمجتمع الجزائري والخروج به من حالة الركود والتبعية إلى حالة اليقظة والوعي الذي يسبق التغيير..."

-عن محمد الذيب يقول المؤلف: "... عندما بدأ نشاط نجم شمال إفريقيا السياسي ينتشر ليعم مختلف أنحاء البلاد كان محمد الذيب طفلا صغيرا، لكن ذلك لم يمنعه من تبع الأحداث التي كانت مدينة تلمسان مسرحا لها...لقد اختار محمد الذيب العلم كسلاح والكتابة كميدان حتى أمكن القراء من المشاركة في آلام وطنه وأماله..."

أما القسم الثاني والذي استهله أيضا بالحديث عن مفدي زكرياء، فقد قال فيه ما يلي: "...الذي انتزع عن جداره لقب شاعر الثورة بفضل ما كان له من تفاعل مع الأحداث وما كان لشعره من جودة فنية وقدرة فائقة على التعبير الصادق عن البطولات الرائعة وعلى النهاز إلى نفوس الجماهير الشعبية عامة ونفوس المناضلين المجاهدين بصفة خاصة..."

عن فرانتز فانون يقول الزبيري: "... هناك لحظات في تاريخ الإنسان من الصعب جدا نسيانها، لأنها تطبع حياته بختم البقاء والخلود، وتصير منعطفا حاسما تتغير بمقتضاه كثير من المفاهيم وتطرح القضايا عارية بعيدة عن تأثير الآخر، وتعالج المشاكل بشجاعة الأنما المتتحرر من عقدة النقص والعنصرية والاستغلال، هذه اللحظات قد عاشها فرانتز فانون سنة 1956..."

-عن مالك حداد يقول المؤلف: "...لكنه فضل أن يكون الأديب الذي يحترق لينير طريق الجماهير والذي يعيش هموم شعبه فيعبر عنها بكل ما أوتي من إمكانيات ويبذل كل ما في وسعه لنشر الوعي الذي لا بد منه للارتفاع إلى مستوى الثورة..."

-وعن أحمد الطيب معاش يقول الزبيري: "...يعتبر أحمد الطيب معاش عينة من نوع خاص من المثقفين الجزائريين الذين صنعتهم جبهة التحرير الوطني ذلك أنه

بالإضافة إلى إسهاماته الشعرية في النضال من أجل تحسين إيديولوجية الثورة على أرض الواقع، قد حمل السلاح مع مطلع سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف..."

سادساً- الانطباعات المستخلصة من كتابي "الثورة الجزائرية في عامها الأول"

و"المثقفون الجزائريون والثورة" بين قيمتها العلمية ومكانتها التاريخية:

* نستتتج الدقة في نقل المعلومات والمعارف والأراء، وهذا ما يعطي الكتابين الميزة العلمية من جهة والأكاديمية من جهة ثانية.

* الصراحة في إبداء الرأي والتعليق على بعض الأحداث والواقع خدمة للحق والحقيقة، مثل قول أحمد توفيق المديني بأنه أول من أطلق شعار جمعية العلماء: الجزائر وطنية، العربية لغتي والإسلام ديني، وهذا ما أنكره الزبيري.

ورد الزبيري على فرحت عباس الذي قال "إننا كنا مع الثورة منذ البداية"، بما يلي: "ربما كان ذلك بقلبه دون لسانه وقلمه، لكن في هذه الحالة من يساعد على تحويل الادعاء إلى حقيقة".

* الكتاب غني بالإحالات والهوامش والتعریف بالشخصيات الوطنية وبعض الأماكن، كما أنه يحتوي على تعاريف عديدة لأسميات وقوانين ورسائل كان لا بد من التعريف بها.

* الكتاب غني وثري بالمصادر والمراجع؛ سواء العربية أو الأجنبية، والتي منها ذكر: (الموسوعات الأوربية الحديثة مثل لاروس الكبير، أللستر هورن تاريخ حرب الجزائر، إيف كوريار في كتاب عهد الفهود، جون كانبون في كتبه المتعددة، الجرائد مثل: جريدة صدى الجزائر لستي 1954-1955، جريدة المغرب بتاريخ 2/11/1954، البصائر 304 و306 لسنة 1955، الشهاب عدد أبريل 1636، دون أن ننسى كتاب فرحت عباس تشريح حرب محمد حربي في تأليفه جبهة

التحرير الوطني سراب وواقع...، أحمد توفيق المدنی في كتابه هذه هي الجزائر وهذا ما يزيد في قيمة الكتاب علمياً وتاريخياً.

* من الأفكار التي يتبناها الكاتب: الريادة في الثورة ليس كالالتحاق بركبها.

* الشعب هو الذي أشعل فتيل الثورة ضرب من التزيف، بل طليعة معينة هي التي حملت على عاتقها هذا الأمر.

* شعار "سلاحتنا نفتكم من عدونا" في بدايات الثورة، حينما صعب الحصول على الأسلحة لمواجهة القوات الفرنسية المتزايدة بعد 1954.

* الكاتب يمجد الثورة الجزائرية تمجيداً عظيماً، ويكن كل الاحترام، التبجيل، التقدير والوفاء للطليعة الثورية.

* يفتخر ويعتز بإنجازات الشهداء ويتقد بشدة ما آلت إليه الأوضاع بعد الاستقلال.

* عدم تقدير الوقت معطلة بلي بها الشعب الجزائري بلاء كبيراً.

خاتمة:

وإذ نحن نعرف بهذا الكاتب محمد العربي الزبيري وبكتابيه الثورة الجزائرية في عامها الأول والمتقفوون الجزائريون والثورة، عرضنا لفت الانتباه إلى أحد أعمدة الكتابة التاريخية في الجزائر، وبالأخص في الثورة الجزائرية بمنظار علمي وأكاديمي لا يقل أهمية عن الكثير من كتابنا المتميزين ودراساتهم الأصلية.

الكتاب - الثورة الجزائرية في عامها الأول - متوسط الحجم في شكله، لكن معلوماته ومعارفه ثقيلة ودسمة، إذ وجدها غني بأفكار صريحة وأخبار مستقاة من أفواه ثوار مجاهدين لا زالوا على قيد الحياة، ومن وثائق نجت من أيدي المستعمررين والجلادين والغاصبين (على حد ذكر الناشر).

وفي الأخير، نضم رأينا المتواضع في شخص "محمد العربي الزبيري" وكتابه "الثورة الجزائرية في عامها الأول" إلى آراء المؤرخين والكتاب الذين ذكرناهم آنفاً لأن الزبيري قامة من قامات التاريخ الوطني التي نعتز ونفتخر بها، وعلى الباحثين قراءة تاليفه المتعددة، وعلى وجه الخصوص المتقدمون الجزائريون والثورة للتعرف على أفكاره وتميزه في ميدان الكتابة التاريخية، وهذا ما نتركه كوصية للقارئ الكريم.

العمارة الدينية بالغرب الأوسط خلال العهد الزياني

المؤثرات والجماليات

Religious Architecture in the Middle Maghreb During the ZayaniEra -The Effects and The Aesthetics-

ط. د. خيرة بوصوار

جامعة البليدة 2 -علي لونيسي -الجزائر

ek.boussouar@univ-blida2.dz

ملخص:

تعالج هذه الدراسة العمارة في المغرب الأوسط على العهد الزياني في شقها الديني، هذه التي تميزت عند المسلمين بمساحة إسلامية، وبما أن الدولة المرinية كان لها نصياً في الحكم تخلل الفترة الزيانية، فقد شهدت المنطقة تنافساً كبيراً بينهما طبقت آفاقه في هذا المجال، بحيث سعت كل منهما جاهدة لتخلد اسمها هناك، فهي على أنواعها؛ المساجد، الزوايا، أدّت دوراً دينياً روحياً، وآخر تربوياً تعليمياً. ومع رصد هذا الإرث الحضاري التميز، تتجلى لنا مدى خصوصيته، متأثراً باللمسة الفنية الأندلسية ممتزجة بأصالته، لا من حيث شكل البناء، ولا من حيث الأشكال الزخرفية المنحوتة عليها؛ فسواء النباتية منها، الهندسية أو الكتابية، قد أعطتها لمسة جمالية خاصة. يمكن في الأخير أن تعدّ حضارياً في مصاف أمصار المغرب وحتى المشرق.

الكلمات المفتاحية: العمارة الدينية، المغرب الأوسط، العهد الزياني، التأثير

الأندلسية، الزخرفة.

Abstract:

This study deals with the architecture in the Middle Maghreb during the Zayani era in its religious aspect, which was distinguished by an Islamic tinge among Muslims, since the Marinid state had a share in governance during the Zayan period, the region witnessed great competition between them where its prospects were applied in this field, so that each of them strived to immortalize its name there, as it is of all kinds; mosques, small mosques, it played a religious, spiritual role, and another educational role. With the observation of this distinct cultural heritage, it becomes clear to us the extent of its specificity, influenced by the Andalusian artistic touch mixed with its originality, neither in terms of the form of the building, nor in terms of the decorative forms carved on it, whether botanical or geometric or written, has given it a special aesthetic touch. In the end, it can be considered civilized in the ranks of the Maghreb and even the Levant.

Key words: Religious architecture, Middle Maghreb, Zayaniera, Andalusian influence, decoration.

مقدمة:

لقد عاش المغرب الإسلامي، ومنذ الفتوحات الإسلامية فترات حاسمة في التاريخ، وخاصة وإذا اعتبرنا أنه كان منقسمًا إلى أقاليم جغرافية، كان كل إقليم يعبر عن نفسه بقيام دولة ترسم حدوده، ولا سيما المغرب الأوسط منه الذي عرف قيام دوّل عبر تاريخه، كانت آخرها الدولة الريانية، هذه التي رغم أنها لم تهأ يوماً، ولم تعرف وجهاً للاستقرار السياسي طيلة ثلاثة قرون مكثتها، خاصة وإذا أخذنا موقعها الجغرافي بعين الاعتبار، من حيث توسيطها بين قوتين لا يستهان بكليهما، إلا أنه لا تزال آثارها المعمارية تحمل اسمها واسم منافستها الريانية. من هذا المنطق اقتربنا معالجة الإشكالية الآتية: كيف استطاعت هاته الدولة أن تختلف لنا إرثاً معمرياً في ظل غياب الاستقرار الذي يعتبر شرطاً من شروط الرقي والازدهار؟ وما هو حظ الجانب الديني منها؟ وإلى أي مدى ساهم التناقض الزياني الرياني في تعمير المنطقة؟ وهل حافظت العمارة الدينية من حيث زخرفتها على طابع الأصالة أم تأثرت بعوامل خارجية؟ وبالإجابة على هذه الإشكالية نكون قد سلطنا الضوء على فترة هامة من تاريخ بلادنا في وقت مضى.

أولاً: البنية العمرانية الدينية بال المغرب الأوسط:

العمارة لغة: هي ما يعمر به المكان، وأعمّرُه بمعنى جعله آهلاً، ومكان عَامِرٌ ذو

عَمَارَةٍ⁽¹⁾

(1)- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت 671هـ)، لسان العرب، مج 4، (دط)، دار صادر، بيروت، (دت)، ص: 602، 604.

أما اصطلاحاً؛ فهو حسب ابن خلدون: «التنازل في مصر أو حلّة للأنس بالعشيرة، واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش»⁽¹⁾، وأيضاً يقصد به البيان، وما يُعمَرُ به البلد ويحسّن حاله بفضل الفلاحة والصناعة والتجارة، وكثرة الأهالي⁽²⁾. ولا شك أن العمارة الدينية قد أدت دوراً لا يستهان به في سبيل نشر الإسلام، وتبنيت جذوره بالمنطقة، وهي على أنواع:

أ. المساجد:

يمثل المسجد رمزاً من رموز الإسلام، فهو بيت الله الذي ورد ذكره في مواضع عده من القرآن الكريم، فلا يكاد يخلو مصر من الأ MCSAR من ذلك المبني الرقلي، والمغرب الأوسط كغيره من الأ MCSAR عمِّرت على أرضه العديد من المساجد، وخاصة مع القرون الأخيرة من العصر الوسيط. ومن المساجد التي تحمل أسماء الزيانيين بالمنطقة نجد:

1. المسجد الجامع بأقادير: يعود تأسيسه إلى عهد دولة الأدارسة، لما تم لهم فتح تلمسان سنة 173هـ / 789م⁽³⁾، وحظي بعناية من طرف أول سلاطين بني زيان يغمراسن الذي قام ببناء صومعته⁽¹⁾.

(1) - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ / 1406م)، مقدمة ابن خلدون، مر: سهيل زكار، (دط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1431هـ / 2001م، ص: 53.

(2) - شوقى ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ / 2004م، ص: 627.

(3) - ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 4، مر: سهيل زكار، (دط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ / 2000م، ص: 17. ابن الخطيب لسان الدين ذي الوزارتين (ت 776هـ / 1374م)،

2. المسجد الأعظم بتافرارت: أسسه يوسف بن تاشفين المرابطي سنة 437هـ/

1045م، عند تأسيسه للمدينة تلمسان⁽²⁾، موقعه وسط المدينة غرب قلعة المشور⁽³⁾، تمثل الإضافات الزيانية له في المذنة التي شيدتها السلطان يغمراسن⁽⁴⁾؛ على شكل برج مربع كبير بداخله برج أصغر حجمه تعلوه قبة صغيرة على رأسها جمور عليه كرات نحاسية⁽⁵⁾. وأيضا توسيع بيت الصلاة والصحن، وإضافة القبة الثانية، ويبعد متأثرا بالعمارة الأندلسية في التيجان التي تشبه تيجان مسجد قرطبة⁽⁶⁾، كما شهد المسجد إضافات أخرى ترجع إلى فترة أبي حمو موسى الثاني؛ كخزانة الكتب التي أهداها للجامع، بناء على ما جاء



تاریخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تج: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، (دط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص: 192.

(1)-R.P.Gthéry. O.P, TelmcenEvocation sur son Passé, edition, ENAG, Alger, 2011, p p: 65, 66.

(2)- بالأرجح عبد الرحمن، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول الماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع هجريين (7 - 15هـ)، رسالة دكتوراه، المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1434هـ/2013م، ص: 149.

(3)- بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، (دط)، منشورات ANEP، الجزائر، 2011م، ص: 111.

(4)-R.P.Gthéry.O.P, opcit, p: 66.

(5)-بوطارن مبارك، العماير الدينية في المغرب الأوسط، (دط)، مؤسسة كنوز، الجزائر، 2011م، ص ص: 118، 119.

(6)-فيليبي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، (دط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص: 146.

منقوشا على اللوحة الخشبية يمين المحراب⁽¹⁾؛ التي تحمل اسمه وتاريخ الانتهاء من الإنشاء 760هـ / 1359م، ومكتبة يعود تاريخها إلى عهد ابنه الأمير أبي زيان (797-802هـ / 1394-1399م)⁽²⁾.

3. مسجد جزائربني مزغنة "المسجد الكبير": هو الآخر شيده يوسف بن تاشفين المرابطي بين ستيني (475-490هـ / 1082-1096م)⁽³⁾، بُنيت مئذنته على قاعدة شبه مربعة من طرف السلطان الزياني أبي تاشفين ما بين ستيني (722-723هـ / 1322-1323م)⁽⁴⁾.

4. المسجد الكبير بندر ورمة: وهو من المكاسب الأثرية القليلة للمرابطين بالمنطقة، تمّ بناؤه على يد يوسف بن تاشفين⁽⁵⁾، ويقع بحبي التربيعة غرب المدينة⁽⁶⁾،

(1) وهو التجويف الموجود في جدار القبلة على يمين المنبر. ينظر: بيلول جمال، المصطلحات المعاصرة المدنية (عربي، فرنسي، أمازيغي)، أفرقيا الشرق، المغرب، (دط)، 2014م، ص: 113.

(2) - دحماني صبرينة، «المساجد المراطية» دراسة تنبيطية»، ندوة مدينة عبد المؤمن مجتمعـاثروـبولوجـية وذاـكرة، جـمـاعـ: عـزـ الدـيـنـ مـيـدونـ، دـارـ السـبـيلـ، الجـزـائـرـ، جـ2ـ، 2011ـمـ، صـ: 482

(3) - منصورى محمد، «مقارنة بين مساجدين مرابطين الجامع الكبير بندر ورمة والجزائر»، ندوة مدينة عبد المؤمن مجتمعـاثروـبولوجـية وذاـكرة، جـمـاعـ: عـزـ الدـيـنـ مـيـدونـ، دـارـ السـبـيلـ، الجـزـائـرـ، جـ1ـ، طـ1ـ، 2011ـمـ، صـ: 586-588.

(4) - بن حوش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال خطوط ديفولوكس والوثائق العثمانية، طـ1ـ، دار الأمة، الجزائر، 2007ـمـ، صـ: 21.

(5)- Mohamed benamarDjebbare:Nedroma et sesgrandenoons, Dar essabil, 2011, p: 28.

(6)- ميدون عز الدين، ندوة مدينة الفن والتاريخ، طـ1ـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، (دمـنـ)، 2011ـمـ، صـ: 16.

تمثلت الإضافات الزيانية له في الصومعة؛ التي اتخذت شكل برج مربع، يتكون من طابقين؛ الثاني أقل حجماً من الأول، ووسط البرج سلماً يؤدي إلى سطحه⁽¹⁾.

5. مسجد أبي الحسن التنسى: وشيده السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696هـ / 1296م⁽²⁾ لذكرى الأمير الزياني أبي عمر إبراهيم بن أبي يحيى يغمراسن، حسبما جاء في الكتابة الموجودة على جدار القبلة⁽³⁾، وفيما بعد نسب إلى أحد مشاهير العلماء تولى التدريس به؛ هو ابن يخلف التنسى⁽⁴⁾. ويقع شرق جنوب المسجد الكبير، يتميز بصغر حجمه، قاعة صلاته مربعة⁽⁵⁾، تتكون من ثلاث بلاطات⁽⁶⁾، وستة سواري من الرخام الأبيض⁽⁷⁾،

(1)- بوطارن، العماير الدينية في المغرب الأوسط، ص ص: 77 ، 78.

(2)- ابن خلدون يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد (ت 780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك منبني عبد الواد، مج 1 ، تتح: أفرد بل، بير فونطانية الشرقية، (د. ط)، الجزائر، 1321هـ / 1903م، ص: 119.

(3)- لعرج عبد العزيز محمود، «جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجماعي تلمسان الكبير وسيدي بلالحسن»، تلمسان الإسلامية بين التراث العثماني والمعماري والميراث الفني، أعمال ملتقى دولي بتلمسان، ج 1، 2011م، ص: 219.

(4)- بالأعرج عبد الرحمن، المرجع السابق، ص: 149.

(5)- فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص: 147.

(6) _ وهي الممر العمودي على جدار القبلة. ينظر: الحداد محمد حمزة إسماعيل، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، ط 3، زهراء الشرق، القاهرة، 2008م، ص: 43.

(7)- براهمي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ط 2 ، منشورات شالة، الأبيار (الجزائر)، 2010م، ص: 169 . بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص: 145.

وتيجان تجمع بينها أقواس على شكل حذوة الفرس، ومحاطي بسقف من خشب الأرز، وله ثلاثة أروقة، محرابه على شكل تجويف خماسي الأضلاع تعلوه قبة صغيرة مثمّنة، ومئذنته في الجهة الجنوبية وتتألف من طابقين مربعي الشكل⁽¹⁾.

6. مسجد أولاد الإمام⁽²⁾: شُيد من طرف السلطان أبي حمو موسى الأول عام 710هـ/ 1310م⁽³⁾، وأضيف إلى المدرسة⁽⁴⁾، واجهات مئذنته على شكل معين وسطها دعامة⁽⁵⁾. أما قاعة صلاته فتتألف من ثلاث بلاطات وثلاثة

(1)- شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بنى زيان، ج 1، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ص: 187. بوطران، العماير الدينية في المغرب الأوسط، ص ص: 151، 152.

(2)-هما الأخوان؛ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله بن الإمام المكنى بأبي زيد، وأخوه أبو موسى عيسى، من الفقهاء العظام، حضيا بمكانة خاصة لدى السلطان أبي حمو موسى الأول، وتخرج عليهم العديد من العلماء، توفي أبو زيد سنة 743هـ، أما أبو موسى فتوفي سنة 749هـ بالطاعون. ينظر: التنبكتي أبو العباس أحمد بابا (ت 1036هـ/ 1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إش وتق: عبد الحميد عبد الله المرامي، كلية الدعوة الإسلامية، ط 1، طرابلس، 1989م، ص ص: 245 - 247.

(3)- فيلاي، المرجع السابق ج 1، ص: 147.

(4)-بوشقيف محمد، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14/ 15م)، رسالة دكتوراه، التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432هـ/ 2011م، ص: 49.

(5)- هي المسائد والأكتاف، مختلفة الأشكال، تستند عليها أسقف العماير. ينظر: بيلول، المرجع السابق، ص: 53.

أساكيب⁽¹⁾، أوسعها البلاطة التي تلي المحراب، وهذا الأخير على شكل تجويف خماسي تتنهى أضلاعه بإنفصال عريض تستند عليه سبعة عقود زخرفية مفصصة، وله قبة مزخرفة بتماثيل مدلاة في جوانبها تعلوها قبة صغيرة، ولديه ثلاثة أبواب؛ الأول في الجدار الشمالي ينفتح على صحن المدرسة، والثاني يؤدي إلى درج المئذنة، والثالث في الجدار الشرقي يؤدي إلى قاعة الصلاة، كما سُقِّفَ المسجد بثلاثة سقوف جمالونية مغطاة من الداخل بصفوف من ألواح متتظمة ومتراصة⁽²⁾.

7. مسجد إبراهيم المصمودي: ويعتبر إضافة إلى ملحقاته من المنشآت التي شيدتها السلطان أبو حمو موسى الثاني تكريهاً لوالده أبي يعقوب يوسف⁽³⁾، أما عن نسبته لهذا الشيخ فكانت بعد وفاته سنة 480هـ / 1401م بحيث دفن بجواره⁽⁴⁾. يقع جنوب غرب قلعة المشور، قاعة صلاته مربعة، مكونة من أربع بلاطات، وخمسة أروقة⁽⁵⁾، وانتصب في هستة عشر سارية يعلوها قبتان، ومحاطة بسقف خشبي، وبه صحن مربع تتوسطه نافورة، أما المئذنة فموقعها

(1)- وهي المرات الموازية لجدار القبلة، تتد من الجدار الشرقي إلى الغربي. ينظر: الحداد محمد، المرجع السابق، ص: 43.

(2)- شاوش الحاج، المرجع السابق، ص: 198 . بوطران، العهائر الدينية في المغرب الأوسط، ص: 165 - 172 .

(3)- خالدي رشيد، دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين (7 - 8هـ / 13 - 14م)، مذكرة ماجستير، تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432هـ / 2011م، ص: 29.

(4)- فيلالي، المرجع السابق ج 1، ص: 147 .

(5)- شاوش، المرجع السابق، ج 1، ص: 212 .

في الجزء الشمالي الغربي، تتكون من برجين، وخلف الصحن نجد مدخل يؤدي إلى مساحة تعادل مساحة المسجد على يسارها باب يؤدي إلى الشارع⁽¹⁾. هذا وكما دأب المرينيون مثل الزيانيين على الاهتمام ببناء المساجد وتجديدها وجانبها، ومن أهم مآثرهم نجد:

1. مسجد المنصورة: بني هذا المسجد بأمر من السلطان يوسف أبي يعقوب سنة 702هـ/ 1302م أثناء حصاره الطويل على تلمسان وبنائه لمدينة المنصورة⁽²⁾، وهو أكبر مسجد شيد المرينيون في المغرب الأقصى والأوسط. شكله مستطيل، تكون قاعة صلاته من تسع بلاطات، وثلاثة عشر أسكوباً⁽³⁾، ويتوسط حائط القبلة محراب شكله مصلع يشبه جامع قرطبة، بني بالأجر والطابية، وزود بنافذتين، ومدخلان يربطان قاعة الصلاة بغرفة الجنائز، هذه التي - إلى جانب وضيقتها الجنائزية - يرجح أنها كانت حجرة استراحة

(1)- بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 130، 131. بوطارن، العهائر الدينية في المغرب الأوسط، ص ص: 186، 187.

(2)- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (كان حيا ما بين 710هـ / 1310 م)، الأنبياء المطروب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (دط)، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 387.

(3)- أبو رحاب محمد السيد، «ملامح تخطيط العهائر الدينية المرينية بالغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالغرب الأوسط "دراسة أثرية مقارنة"»، تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، ج 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والثقافية، تلمسان، 2011م، ص ص: 147 - 149. بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسياً وثقافياً، رسالة ماجستير، تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008م، ص ص: 244، 245.

للسلطان أو الإمام، أما رواق القبلة فينقسم إلى جزأين؛ الأول منه يلي الحائط مباشرة، على جانبيه الأيمن والأيسر ثلاثة بلاطات موازية للحائط، ويمثل الجزء الثاني المساحة التي تمتد من الجزء السابق إلى الصحن، ويكون من ثلاثة عشر بلاطة؛ الوسطى منها أكثر اتساعاً، وتستند العقود في هذا الجزء على ستة صفوف من الدعامات موازية لجدار القبلة، مشكّلة بذلك ستة أساكيب؛ يحيى كل منها اثنا عشر دعامة⁽¹⁾، أما مئذنته فبنيت بالحجارة المهدبة، لها ممراً حلوانياً للصعود لشرفة المؤذن⁽²⁾، وينفرد هذا المسجد بميزة خاصة؛ هي كثرة الأبواب وعددتها ثلاثة عشر⁽³⁾.

2. مسجد سيدى الحلوى الشوذى: أمر بتشييده السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان عام 754هـ / 1353م⁽⁴⁾. ويقع شمال تلمسان، يتكون من قاعة صلاة مربعة الشكل، تضم ستة عشر سارية؛ بعضها من الرخام، والآخر من أعمدة خشبية⁽⁵⁾، وجدرانه ملساء ماعدا المحراب مزین بنقوش⁽⁶⁾. صحنه مربع الشكل به أروقة مغطاة، وصهريج لل موضوع وميضاة بها العديد من

(1)-لرج عبد العزيز، مدينة المنصورة المرينة بتلمسان، ط 2، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2011م، ص ص: 134 - 139.

(2)-براهامي، المرجع السابق، ص: 180.

(3)-شاوش الحاج محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 127.

(4)-المرجع نفسه، ص: 260.

(5)-بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص ص: 137 ، 138 . براهمي، المرجع السابق، ص: 181.

(6)-لرج، مدينة المنصورة المرينة بتلمسان، ص: 137 .

المشاكا⁽¹⁾، أما مئذنته فمزينة من جهاتها الأربع بأشكال من الفخار، وله ثلاثة أبواب؛ شرقي وغربي، وجوفي وهو الرئيسي، وهو بهذا الوصف يشبه مسجد العباد⁽²⁾، وهو كما قال النميري: «من أجمل الجواع، قد أحكمت فيه أنواع الصنائع»⁽³⁾.

3. مسجد أبي مدين بالعباد: تم تشييده بأمر من السلطان عبد الله علي بن أبي سعيد عثمان عام 739هـ / 1338م⁽⁴⁾، واقتربن باسم هذا الولي لأنه أنشئ بالقرب من ضريحه⁽⁵⁾. شكله مستطيل، وقاعة صلاته تشتمل على خمس بلاطات وثلاثة أساكيب؛ الرئيسية منها تتقدم المحراب⁽⁶⁾ مباشرة، وتضم عشرين سارية مربعة،

(1)- وهي الكوة، وهي أيضاً الحديدة التي تعلق عليها القناديل، وتسمى الفتيلة غير النافذة. ينظر: نوار سامي محمد، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم، (دط)، دار الوفاء، الإسكندرية، (دت)، ص: 169.

(2)- شاوش الحاج، المرجع السابق، ص: 260. الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (1213هـ / 869م) - (1465هـ / 1987م)، ط2، دار القلم، الكويت، 1408هـ / 2008م، ص: 322.

(3)- النميري ابن الحاج أبو القاسم برهان الدين إبراهيم بن عبد الله (ت بعد 774هـ)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، در: محمد بن شقرور، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص: 488.

(4)- فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص: 147.

(5)- براهمي، المرجع السابق، ص: 194. الحريري، المرجع السابق، ص: 322. حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، مج 2، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398هـ / 1978م، ص: 159.

(6)- ينظر: الملحق رقم: 02.

غطي بقبة مقرنصة، وبه صحن مكشوف تتوسطه نافورة، تحفّ به أربعة أروقة،
أما مئذنته⁽¹⁾ فت تكون من طابقين مربعين⁽²⁾، وله مدخل فخم به مدرج ومغطى
بظلّة له مصراعين⁽³⁾ عليه صفائح نحاسية، إضافة إلى بابين جانبين مفتوحان
على قاعة الصلاة، وغطي بسقف مطلي بالجبس⁽⁴⁾.

4. المسجد العتيق بمستغانم: لم يُذكر عنه إلا اسم مؤسسه السلطان أبو الحسن
وسنة تأسيسه 742هـ / 1341م، والأوقاف التي خصّصت له لتسير شؤونه
كالدكاين والأفران⁽⁵⁾.

وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على العناية الفائقة التي أولاها السلاطين
للاهتمام بالمساجد، والحرص على أن تظهر في أجمل صورة تخليد أسماءهم في صفحات
التاريخ. على أن هذه العناية لم تقتصر على السلاطين فحسب، إنما تجاوزتهم إلى العلماء
والمتصوفة، بل وحتى إلى عامة الناس، ومنها المسجد الذي يقع بقرية عين الحوت
شمالي تلمسان؛ الذي تم تأسيسه خلال ق 9هـ / 15م، وأخذ اسم مؤسسه سيدى
عبد الله بن منصور الحوقي، ويكون من قاعة صلاة على شكل مستطيل، وإلى جانب

(1) - ينظر: الملحق رقم: 01.

(2) - أبو رحاب، المرجع السابق، ص: 131 . بوروبة لطيفة، «نماذج من الزخرفة الهندسية في عمارة
جامعي أبي مدين والحلوي»، العمارة والآثار الإسلامية، تلمسان الإسلامية بين التراث العثماني
والمعماري والميراث الفني، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان، 2011 م، منشورات وزارة الشؤون الدينية
والثقافية، ج 1 ، ص ص: 236، 237.

(3) - وهما دفتا الباب المنصوبتان رأسيا إلى جانب بعضهما على فتحة الباب. ينظر: نوار سامي،
المرجع السابق، ص: 169.

(4) - بrahamy، المرجع السابق، ص: 194 . بوروبة لطيفة، المرجع السابق، ص: 236.

(5) - بوشقيف محمد، المرجع السابق، ص ص: 51 ، 52 .

المحراب نجد منبر، واحتوى على صحن مساحته تعادل مساحة قاعة الصلاة، أما منارته فهي مربعة الشكل⁽¹⁾. أيضاً المسجد الواقع في سوق البرادعين المنسوب إلى الشيخ السنوسي، وما يميّزه أن قاعة صلاته بنيت في الطابق العلوي على شكل مستطيل، يضم أربع سواري، محرابه في الجدار القبلي منه، منارته مربعة الشكل، لها باب يربطها بقاعة الصلاة⁽²⁾، غير أنه يجهل تاريخ تأسيسه واسم مؤسسه، لكن أغلب الظن أنه بني في الفترة التي عاش فيها الشيخ السنوسي خلال ق 9 هـ / 15 م.

وهناك مساجد أخرى لم تحظ باهتمامات المؤرخين، فلم يذكر عنها سوى أسماؤها وبعض المواصفات العامة؛ منها مسجد سيدي البناء⁽³⁾ في سوق منشى الجلد (الخرازين)، بُني هو الآخر خلال ق 9 هـ / 15 م، ويشتمل على قاعة صلاة مربعة الشكل تقوم فيها ستة سواري، ومنارته مربعة أيضاً، أما الصحن فيتوسّطه حوض للوضوء⁽⁴⁾. مسجد تافسرة؛ وينسب إلى سيدي عبد الله بن جعفر، أنشئ خلال ق 6 هـ / 12 م، ويرجح أنه شهد إضافات أو تعديلات ترجع إلى هذه الفترة، فقاعة صلاته مربعة تشبه في شكلها المساجد المرينية، أما مئذنته فهي مربعة تكاد تتطابق المآذن

(1)- بوعزيز، المساجد العتيقة، ص ص: 169، 170.

(2)- بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 246، 247. شاوش الحاج، المرجع السابق، ص: 216.

(3)- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن البناء الأزدي المراكشي العددى، توفي سنة 721 هـ / 1321 م. ينظر: ابن قند أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (كان حيا سنة 708 هـ): الوفيات، تح وتع: عادل نويهض، ط 4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1430 هـ / 1983 م، ص: 343.

(4)- شاوش الحاج محمد بن رمضان، المرجع السابق، ص: 214 . بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص: 151.

الزيانية، والشيء المميز فيه هو احتواه على محرابين؛ الأول يتقدم بيت الصلاة، والثاني بالجدار المطل على الصحن⁽¹⁾.

كما أن هناك العديد من المساجد التي لم يسعنا المقام للتعریج عليها، فلا تكاد تخلو مدينة أو قرية من هذا المعلم الديني باعتباره مكاناً للعبادة، إضافة إلى دوره الثقافي والاجتماعي وقتذاك.

ب. الزوايا:

الزاوية هي مؤسسة ذات طابع ثقافي، ديني، اجتماعي، فإلى جانب كونها مركزاً لإقامة الصلوات كانت لها مهاماً أخرى، وهو ما عرف في الشرق باسم "الربط" أو "الخوانق"، وهو في تعريف ابن مرزوق؛ المكان الذي يتلزم المتصوفة فيه العبادة، أما في المغرب فتعرف بـ "الزوايا"؛ وهي المرافق المعدّة لإرافق الواردين، وإطعام المحتاجين⁽²⁾. وكانت تقام مثلها مثل الكتاتيب من قبل المتطوعين ورجال الصوفية، والقائم عليها يعرف بالناظر؛ وهو مكلّف بتلقين الأتباع أسرار الطريقة، إلى جانب الوعظ والإرشاد⁽³⁾.

لم تُمَدِّنا المصادر بشكلها المعماري، إلا أنه في العموم يوحى بالتنفس والزهد، وكانت تجتمع بين هندسة المسجد والمنزل، إلا أنها قصيرة الجدران والقباب، قليلة

(1)- بوطارن، العوائير الدينية في المغرب الأوسط، (دط)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص: 80.

(2)- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 178هـ)، المسند الصحيح للحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تتح: ماريا خيسوس بغيرا، تق: محمود بوعياد، (دط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص: 411، 413.

(3)- بكاي هوارية، المرجع السابق، ص: 56، 57.

النواخذة، وتشتمل على مرافق هي؛ مسجد لأداء الصلوات يكون في الأغلب بدون مئذنة⁽¹⁾، وأبنية يسكنها الإمام، المؤذن والناظر، وبيوتا أخرى لسكنى الطلبة الغرباء وعابري السبيل، وغرفة للطبخ، إلى جانب مدفن لأولياء الله الصالحين، وغالباً ما يدفن بها الولي الذي أقامها، وينصب له ضريح بها يصبح مزاراً للتبرك فيما بعد⁽²⁾. وتزامن وجودها بالغرب الأوسط مع ق 6هـ/12م؛ أو لها زاوية طولقة، ثم أخذت في الانتشار ما بين القرنين 8 و9هـ/12 و13م⁽³⁾، حيث دأب الزياني والمرinيون كغيرهم على الاهتمام بإنشاء الزوايا والرباطات، ومن أهمها:

1. زاوية أبي عبد الله؛ وأنشئت في عهد يغمراسن بن زيان على يد الشيخ أبي عبد الله، لذا أخذت اسمه، والذي ألزم كل من دخل زاويته بالتقيد بأخلاقيات السلف الصالحة، والالتزام بالسنّة النبوية⁽⁴⁾.

2. زاوية سidi أبي الحسن؛ وشيدتها السلطان أبو سعيد عثمان⁽⁵⁾.

(1) - سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج 1، ص: 270.

(2) - قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط 1، جسور، المحمدية (الجزائر)، 1432هـ/2011م، ص ص: 180، 181 . شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 80.

(3) - جاب الله طيب، «دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري»، معارف، ع 14، 2013م، ص: 138.

(4) - بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن "دراسة تاريخية حضارية" (633-1235هـ/1282م)، (دط)، الأملعية، الجزائر، (دت)، ص: 316.

(5) - قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 179.

3. زاوية العباد؛ وهي من إنشاء السلطان المريني أبي الحسن، وتنسب إلى الولي الصالح أبي مدين شعيب،⁽¹⁾ وكان يشرف عليها أبي عبد الله بن أبي مرزوق.⁽²⁾

4. زاوية سيدى الحلوي؛ أنشأها السلطان أبو عنان⁽³⁾، وهي ملاصقة للمسجد، لها قبة من أروع القباب حسب تعبير النميري: «المنفسحة الأرجاء اللاستهلاك السّنّا والمذدنة بالقبة التي يحسد ارتفاع س מקها السّمّاك، وتتمنى الإقعاد بصدرها الأملاك، وتخنع لجلال مبنها الأفلاك»⁽⁴⁾.

5. زاوية أبي عقوب؛ وأنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده⁽⁵⁾، وأضيفت لها المئذنة مع أواخر العهد الزياني، أو بداية العهد التركي⁽⁶⁾. وهناك أسماءً أخرى لبعض الزوايا ذكرت دون أي تفصيل عنها مثلها مثل المساجد؛ على سبيل المثال: زاوية الحسن بن مخلوف (أبركان) بالقرب من المدرسة

(1)- بشقيق محمد، المرجع السابق، ص: 6 . ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، ج 7 ، ص: 368.

(2)- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ص: 317.

(3)- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج 1 ، ص: 149 . براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص: 219.

(4)- النميري، المصدر السابق، ص: 488.

(5)- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج 1 ، ص: 149 .

(6)- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني "حياته وآثاره"، ط 1،بني مرابط، (دمن)،

. 240، 241 ص ص: 1432 هـ/ 2011 م.

الجديدة التي جدّدها السلطان أبو العباس أحمد العاقل⁽¹⁾. زاوية "الشيخ السنوسي". زاوية "ابن البناء". زاوية "الشيخ العشاشي" بshelf. "زاوية سيدي الذيب"، زاوية "أحمد الغماري". زاوية "عين الحوت"⁽²⁾، زاوية "الثعالبي"⁽³⁾ وزاوية "الشيخ الزواوي"⁽⁴⁾ بالجزائر⁽⁵⁾.

ورغم بساطة هذه المؤسسات فإنّها ساهمت وبقدر كبير في نشر العلم في أواسط المجتمع، بحيث مكّنت من أراد المزيد من الدراسة خوض غمار الرحلة العلمية للاستزادة والتحصيل.

ثانياً: الفن الزخرفي بالعماقير الدينية:

يعود الفن الزخرفي إلى الحضارات القديمة؛ كالفينيقين، المصريين والساسانيين، وكانت آنذاك الزخرفة الآدمية والحيوانية هي الشائعة⁽⁶⁾، ولكن بعد مجيء الإسلام

(1)-التنسي محمد بن عبد الله (ت 899هـ/1494م)، تاريخبني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدر والعيقان في بيان شرفبني زيان)، تح وتع: محمود آغا بوعياد، (دط)، موفر للنشر، الجزائر، 2011م، ص ص: 248، 249.

(2)- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص: 265.

(3)- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 179.

(4)- هو محمد بن يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي المكنى أبو عبد الله، عرف بالزواوي نسبة إلى قبيلة من البربر، تولى القضاء ببجاية. ينظر: التنبيكي: نيل الإبهاج، ص ص: 389، 390.

(5)- عموره عمار،الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر خاصة "ما قبل التاريخ إلى 1962م")، ج 2، (دط)، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص: 40.

(6)- بيلول جمال، المرجع السابق، ص: 62. فرقوني حنان، تحطيط المدن (العمارة والزخرفة)، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1427هـ/2006م، ص: 109.

أخذت الزخرفة منحى جديدا؛ أخذت ترتكز فيه على العناصر النباتية، الهندسية، الكتابية، وتبتعد عن تصوير كل ما هو حي لتحريره في الشعاع الإسلامي. وما هو ملاحظ أن الدول التي عمرت على أرض المغرب الأوسط اهتمت بزخرفة شتى أنواع البناء، لا سيما الدينية منها، ومع تزايد الهجرة الأندلسية إلى المنطقة زاد تأثير السلاطين بأساليبهم الفنية، ومن بين الزخارف التي زينت عيائير المغرب الأوسط نجد:

1. الزخرفة النباتية⁽¹⁾:

ويظهر هذا النوع من الزخرفة في مختلف المجنزات المعمارية الزيانية التي خلفت موروثا حضاريا تناوبت فيه مع المرينيين، ومن هذه المنشآت نجد: مسجد أبي الحسن الذي مزجت فيه بين الهندسية والكتابية، مما شكل تحفًا فنية رائعة، مثلا: لفظ الجلالة "الله"، كذلك المراوح التخiliة بأنواعها، بسيطة أو مزدوجة أو حتى ثلاثة⁽²⁾،



رزقي نبيلة، الزخرفة الجصية في عيائير المغرب الأوسط والأندلس (القرن هـ 7 - 8 هـ / 13 - 14 م)، رسالة دكتوراه، علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقایید، تلمسان، 2015 م، ص: 86.

(1)- تتكون من عناصر نباتية كالأوراق والأزهار والأغصان، البِلَّات والبراعم، تعتمد في تشكيلها على الخصائص الهندسية؛ كالتناظر والتشابك والتناسب، وهو ما يعرف بالأُرْبِيسِك "التوريق"؛ هذا الفن يختص به المسلمون دون غيرهم. ينظر: بوساحة حسن، فن الزخرفة، ط 1، أوراق للنشر والتوزيع، سوق أهراس، 2012 م، ص: 94. لرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان (1269-1465 م)، ط 1، الملكية، (دم) 2007 م، ص: 203.

(2)- مهتاري فائزه، «الزخارف في المساجد الزيانية والمرينية بتلمسان»، مجلة Revisita Argelina Num: 01، Otono 2015، ص: 25.

بالإضافة إلى السيقان الحلوانية والمنحنية، والأوراق الثلاثية الفصوص، والزهيرات الرباعية⁽¹⁾. كما يلاحظ وجود زخرفة نباتية بيزنطية استخدمت في تزيين المسجد، يظهر فيها التأثير الأندلسي المتمثل في مسجد قرطبة⁽²⁾.

وتقربيا كل المنشآت الزيانية زينت بنفس الزخرفة⁽³⁾ إلا بعض الاختلافات البسيطة، إذ تحتوى مثلاً مسجد أولاد الإمام زخارف نباتية تمثلت في مراوح نخيلية بسيطة، ضممت أوراقاً نباتية خماسية الفصوص، ومن العناصر المكونة أيضاً للزخرفة النباتية نجد المحارة التي تتفرع منها مراوح نخيلية، كما هو موجود في مسجد إبراهيم المصمودي⁽⁴⁾، كما يلاحظ أيضاً وجود كيزان من الصنوبر تتخللها سيقان نباتية، وجدت هذه الزخرفة على بنiqas⁽⁵⁾ العقود الثلاثية التي تعلو المحراب، وهي تشبه الزخارف المرينية على واجهة الباب الرئيسي في مسجد العباد، المشابهة لزخارف قصر الحمراء بالأندلس⁽⁶⁾.

(1)-بوطارن مبارك،العماير الدينية في المغرب الأوسط، ص: 156 .

(2)- موساوي عبد المالك،تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس، ط1 ، دار السبيل، الجزائر، 2012م، ص: 168 .

(3)- ينظر: الملحق رقم: 03 .

(4)-بوطارن مبارك،العماير الدينية في المغرب الأوسط، ص: 173 . مهتاري فائزة، المرجع السابق، ص ص: 24 ، 25 .

(5)- وهي المساحة المثلثة المحصورة بين عقدين متجاورين، إذ يحتوي عقد على بنقيتينعلى جانبيه.
ينظر: بيلول جمال، المرجع السابق، ص: 24 .

(6)-بوطارن مبارك،العماير الدينية في المغرب الأوسط، ص ص: 173 ، 174 .

ومن النماذج المرينية التي احتوت هذا النوع من الزخرفة نذكر مسجد العباد⁽¹⁾، والذي استعمل على زخارف بناية متمثلة في سيقان رفيعة تنتهي بمر渥حة نخيلية ملتوية على شكل علامة استفهام، واستخدم هذا النوع من الزخرفة في تزيين المساحات العليا المجاورة لنوافذ المحراب⁽²⁾، وبعض الزخارف الجصّية المتقطعة والمتناهية التي زينت أحد جدران المسجد⁽³⁾، كما استخدم الفنان المريني المراوح النخيلية القصيرة والكبيرة ملء الفراغات في الزخارف الجصّية الأخرى، وبعض الأشكال مثل كيزان الصنوب لتربين تيجان عمودي المحراب⁽⁴⁾.

ومن العناصر النباتية التي شاع استعمالها لدى المرينيين هي المراوح البسيطة التي تتكون من ورقة واحدة أو فصّ، وهذا ما نجده على جدران سقية مدخل العabad، وعلى عقود بيت الصلاة⁽⁵⁾، والشيء الملفت للانتباه في هذا المسجد هو القبة المقرنصة التي تعلو المحراب، ومثلتها فوق سقية المدخل الرئيسي، واللتان تعبران على مدى رقي الفن المريني الواضح فيه اللمسة الأندلسية.

وإن المتبع للزخارف النباتية المستعملة عند كل من الزيانيين والمرinيين يجد تشابها كبيرا بينهما، يحتوي كل منها على المراوح التخيالية وكذا كيزان الصنوبر

(١) - ينظر : الملحق رقم : ٠٤.

(2) - المجمع نفسه، ص 215، 216: ص

(3) - موساوي عبد الملك، في: *النحو في العارة الإسلامية* تلمسان، ص: 157.

(4) - طارن مبارك، العائمة الدينية في المغرب الأوسط، ص: 217.

(5) - لعرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المدنية بتلمسان، ص: 206.

والمحارة، مع مبالغة كلٍّيهما في تزيين المحارب⁽¹⁾، أيضاً اشتراكهما في استعمال بعض الزخارف البيزنطية. أما فيما يخص الاختلاف بينهما فالواضح هو عنابة المرينيين بمداخل منشآتهم عنابة خاصة، على سبيل المثال مدخل مسجد العباد، في حين نجد هذا الأمر محتسماً في المنشآت الزيانية، هذا دون أن ننسى استعمال الزيانيين لبعض العناصر النباتية التي لا تتوفر في الزخارف المرينية؛ ومنها عناقيد العنبر المستعملة منذ فترة المرابطين.

2. الزخرفة الخطية:

وتستعمل فيها الخطوط العربية المشهورة كالنسخ، الثالث، الديواني والفارسي، وخاصة الكوفي المورق والمزهّر، وكذا الهندسي والمظفر⁽²⁾، أما عن الخطوط التي انتشرت في المغرب الأوسط فيمكن حصرها في الخط المغربي؛ وهو تلّيin للخط الكوفي اليابس وتحفيف بعض حروفه المثلثة، وكذا الخط الأندلسي المميز باستدارة الحروف وإطالة أواخرها، فتتدخل كلماته ويفتهر التناصق بين الحروف، ومع دخول الموحدين عرف خط جديد؛ هو خط النسخ الموحد، هذا الذي تجذر خلال العصرين الزياني

(1)- واختلف جمهور العلماء في ذلك؛ فهناك من يقول أنها بدعة مستحسنة، استناداً على نهي الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله: «انْقُوا هَذِهِ الْمَدَابِح»؛ فيقصد هنا المحاريب، بينما يرى آخرون أنها بدعة مكرورة. ينظر: الكتبي باي بن سيدى عمر الوافي، السنن المبين في شرح أحاديث أصول الدين، إع: مالك كرشوش وحيد الكتبي، ج 4، ط 1، مركز الإمام الشاعلي للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ / 2011م، ص: 215.

(2)- بوسماحة حسن، المرجع السابق، ص: 106.

والمريني، وظلّ هو الخط الغالب سواءً في المخطوطات أو الكتابات التأسيسية في المنشآت المعمارية⁽¹⁾.

ومن بين الزخارف الكتابية التي زينت العيارات الدينية حينذاك تلك العبارات الدينية، والآيات القرآنية التي استُعملت في تزيين واجهاتها، منها مسجد أبي الحسن المكتوب على محرابه عبارة "الملك الدائم لله" بالخط الكوفي، وكذا كلمة "اليمن" التي رسمت بشكل تناصري، وزينت بها بنيقات العقود، هذا دون أن نتجاهل ذلك النص التأسيسي المكتوب على لوحة رخامية على الجدار الغربي، جاء في الكتابة العمودية اليمنى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلَّهِ وَصَاحِبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا»، وفيها يقابلها من الجهة اليسرى: «أَبِي يَحْيَى يَغْمَرَاسِنَ بْنَ زَيَانَ فِي سَنَةِ سَتِينَ وَسَتِينَيَّةِ مِنْ بَعْدِ وَفَاتَهُ رَحْمَهُ اللَّهُ». أما الكتابة الأفقية العليا: «بَنَى هَذَا الْمَسْجِدُ لِلْأَمِيرِ أَبِي عَامِرِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ السُّلْطَانِ»، أما وسط الإطار والجهة السفلية منه، فتضمن الكتابة التي تبيّن الأملال الموقوفة على المسجد، منقوشة بخط كوفي متقن وجميل تتشابك معه زخارف نباتية مكونة من زهور وأوراق ملتوية، نجد مثيلتها في إفريز المحراب⁽²⁾، ومن هذه الزخارف الملفقة للنظر عبارة: "وَلَا غَالِبٌ إِلَّا اللَّهُ"⁽³⁾ بأعلى واجهة محراب مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، المكتوبة بخط كوفي مزهّر ومورق،

(1)- معزوز عبد الحق، شواهد القبور في المغرب الأوسط، ط 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص ص: 250-267.

(2)- بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، (دط)، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص: 77. مبارك بوطارن، العيارات الدينية في المغرب الأوسط، ص: 159-161.

(3)- ينظر: الملحق رقم: 06.

وبعض العبارات الموجودة على جدران الضريح كـ "العز لله"، "الملك لله" و "الشكر لله" داخل إطار هندي جميل⁽¹⁾.

ودون أن ننسى المآذن التي أضيفت من قبل الزيانيين للمساجد المراطية؛ التي زادتها جمالاً، من خلال العقود المفصّلة التي تزينها، وكذا الزخارف التي حملتها جنباتها، ومنها مئذنة مسجد ندرومة، والتي احتوت لوحة من المرمر، ثُبّتت على الحاجط الشمالي للمسجد⁽²⁾، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد،بني هذا الصامع أهل ندرومة بأموالهم وأنفسهم، وكل احتساب الله، وابنت في خمسين يوماً، وبناتها محمد بن عبد الحق بن عبد الرحمن الشيعي في عام تسعة وأربعين وسبعين مائة، رحمة الله عليهم أجمعين»⁽³⁾. أما من الناحية الفنية فهي أقل جمالاً إذا ما قورنت بالنقوش التأسيسية الأخرى الزيانية أو المرينية، وهذا طبيعي لأن المئذنة بنيت بمبادرة من السكان⁽⁴⁾. ومنها أيضاً مئذنة مسجد المشور، والتي اشتغلت على لوحات كتابية من الزليج تضمّنت عبارات منقوشة بالخط الأندلسي، منها: «اليمن والإقبال، اليمن والإقبال، يا ثقتي، يا أمي أنت الرجا، أنت الولي، اختم بخير عملي»، يظهر فيها التأثير الأندلسي مباشراً، إذ هي نفس العبارة تقريباً الموجودة على أحد تيجان قصر الحمراء⁽⁵⁾.

(1)-مهتاري فائز، المرجع السابق، ص: 26.

(2)-بوروبية رشيد، المرجع السابق، ص: 57.

(3)-ميدون عز الدين، المرجع السابق، ص: 27.

(4)-بوروبية رشيد، المرجع السابق، ص: 58.

(5)-موساوي عبد المالك، نطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس، ط١ ، دار السبيل، الجزائر،

2012م، ص: 212.

أما فيما يخص الزخرفة الخطية التي تفتن الفنان المريني في توقيعها على مبانיהם، فعلى سبيل الذكر نجد ذلك النص التأسيسي بمئذنة جامع المنصورة، والمكتوب بالخط النسخي المغربي الأندلسي، وإن كانت جلّ هذه الكتابة قد انمحت إلا أنه يظهر وضعها على أرضية نباتية⁽¹⁾. ومن المساجد التي لا تزال قائمة بزخارفها الرائعة مسجد أبي مدين، ذلك الصرح الديني الذي قلل نظيره في المغرب، والذي احتوى العديد من الزخارف، اكتفينا بهذه؛ ومنها النص التأسيسي المكتوب على الفسيفساء داخل إطار مستطيل يعلو المدخل بخط أندلسي مزین بزخرفة نباتية⁽²⁾، وصيغتها: «الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا أبي سعيد عثمان ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق، أيده الله ونصره عام تسعه وثلاثين وسبعين نفعهم الله به»⁽³⁾. كما نقش أيضاً على واجهته بالخط الكوفي عبارة: "بركة محمد"⁽⁴⁾. ومنها أيضاً تلك الأشرطة المستطيلة التي تزيّن جدران سقية المدخل، والمكتوبة بالخط الكوفي على أرضية من الزخارف النباتية؛ منها: "الحمد لله على نعمائه"⁽⁵⁾، ومن الجهة اليسرى بشكل عمودي: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، وعلى يمينه سورة الإخلاص، وفوقه بشكل أفقى البسمة، بالإضافة إلى الكتابة الموجودة في الجهة اليسرى للبلاطة الوسطى المقابلة للمحراب والمثبتة على

(1)- لرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، ص: 274.

(2)- المرجع نفسه، ص: 81.

(3)- بوروبية رشيد، المرجع السابق، ص: 81.

(4)- براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص: 194 . بوربة لطيفة، المرجع السابق، ص: 236.

(5)- شلحاوي ريمة، الزخارف الجدارية في الآثار الريانية والمرينية في المغرب الأوسط، مذكورة

ماجستير، الآثار الإسلامية، معهد الآثار، الجزائر، 2011م، ص: 84.

لوحة من الرّخام بخط أندلسي، وجاء تبصيغة: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسلیماً، الحمد لله رب العالمين والعاقة للمتقين"⁽¹⁾.

أما الكتابات المنقوشة على مسجد سيدي الحلوى فقد انمحى جلّها، إلا بعض منها الموجودة على بنیقات العقد جاء فيها كلمة: "البركة"، وزینت المساحات التي حولها بمراوح نخيلية فيها البسيطة ومزدوجة الفصوص⁽²⁾، إضافة إلى الكتابة التأسيسية التي نقشت بالخط الأندلسي على شريط ضيق يعلو قوس المدخل، وهذا نصها: «الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك، مولانا السلطان أبو عنان فارس...مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي...عثمان ابن مولانا أبي يوسف ابن عبد الحق أيد الله نصره عام أربع وخمسين وسبعين مائة»⁽³⁾. إلى جانب ما هو مكتوب بخط النسخ على تاجي عمودي المحراب في ثلاث أشرطة يحيط بها شرطيين من الأشكال الهندسية، جاء في الكتابة التي على التاج الأيمن: «جامع ضريح. المبارك عبد الله المتوكل على الله فارس. أمير المؤمنين»، وعلى التاج الأيسر: «جامع ضريح. الشیخ الولي الرّضي الحلوی. رحمة الله عليه»⁽⁴⁾. فكانت هذه الكتابات جميلة تبرهن على مدى تمكّن الفنان المريني في هذا المجال.

ومن خلال المقارنة بين الزخرفتين الزيانية ونظيرتها المرينية، نجد أنّ هناك تشابهاً كبيراً بينهما لا يستخدمهما نفس الخطوط تقريباً، وحتى بعض العبارات نجد أنها

(1)-بورويبة رشيد، المرجع السابق، ص: 83.

(2)-شلحاوي ريمة، المرجع السابق، ص: 97.

(3)-وليم وجورج مرسيه، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر: مراد بلعيد وآخرون، ط١، الأصلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432 هـ/2011 م، ص ص: 402، 403.

(4)-لعرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، ص: 277.

متكرّرة، منها على سبيل الذكر: "العز الله"، "الملك الله"، "الحمد الله"، غير أن بعضها جاء مقلوباً على الجدران المرينية، ما فسرَ عند أهل الاختصاص على أن الفنان المريني يسعى من وراء ذلك لجلب انتباه الملاحظ⁽¹⁾. وأما من حيث الاختلاف بينهما، فإن الزخارف الكتابية الزيانية نجدها تتناوب ما بين الخط الكوفي بنوعيه المورق والمزهّر والخط الأندلسي، أما المرينية ففي معظمها جاءت بالخط الأندلسي.

3. الزخرفة الهندسية⁽²⁾:

أما الزخرفة الهندسية فهي كغيرها شغلت اهتمام الفنان المغربي عموماً سواءً في تلك الفترة أو الفترات السابقة، وحيث نخص بالذكر المرحلة الأخيرة من تاريخ الفترة الوسيطية؛ فلأن الفن الزخرفي آنذاك قد بلغ مرحلة النضج، إذ سعى الفنانون لابتكار أشكالاً جديدة أكثر دقةً وإتقاناً.

ومن أهم العيائير الزيانية التي عرفت الزخرفة الهندسية، مسجد أبي الحسن، من كونه لا يزال قائماً إلى اليوم، وإن كانت زخارفه قد زالت، ومع هذا سنحاول تسلیط الضوء على الجزء المتبقى منها، فقد احتوى أشكالاً هندسية اجتمعت مع النباتية والكتابية، كالأفاريز الهندسية التي تحوي بعض الأشكال من كلا الزخرفين، ومن العناصر الهندسية ما جاء خالياً من الزخارف الأخرى، وهذا قلّ ما نجده في العمارة الزيانية، ومنها الأطباق النجمية، وهناك بعض الأشكال الهندسية الأخرى التي تتقاطع فيها مشكّلةً مربعات ومعينات تستخدم في الغالب كإطار للزخرفة

(1)-مهتاري فائز، المرجع السابق، ص: 29.

(2)- وتقوم أساساً على خطوط منحنية ومنكسرة، وأشكال هندسية كالمربع، المثلث والدائرة، وما ينشئُ عنهم من أشكال نجمية وغيرها، يسعى الفنان لتشبيك هاته الأشكال للحصول على أشكال جديدة أكثر تناسقاً وتناسباً تشدو نظر الملاحظ لها. ينظر: بوساحة حسن، المرجع السابق، ص: 14.

الكتابية، نجد جلّها في واجهة المحراب. أما مدخل المسجد فقد زين بدوائر متقطعة فيها بينها مشكّلة أقواساً تحيط بعقد المدخل، وحتى النوافذ⁽¹⁾، هاته الأخيرة التي زينت بنجحات سليمانية مشتقاتها متراصّة، وكذلك الأمر بالنسبة للمئذنة التي زخرفت بأشكال هندسية من الزليج، قوامها معينات متقطعة مع بعضها البعض، تتوسطها معينات أصغر حجمًا، وتنفس الشكل أيضاً نجده في صومعة مسجد أولاد الإمام⁽²⁾. وما يمكن قوله عن الزخرفة الإسلامية بأنواعها الثلاث خلال الفترة المدروسة أنها إحدى مراحل الإبداع الفني تشيد انتباه الزائر لها، كما أن الخطية منها ناهيك عن منظرها الجمالي، فإنها تعتبر وسيلة لحفظ الأحداث التاريخية، من خلال تلك النصوص التأسيسية التي تحتويها.

(1) - موساوي عبد المالك، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ص: 49. بوطارن مبارك، العوائل الدينية في المغرب الأوسط، ص: 161، 162.

(2) - موساوي عبد المالك، تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس، ص: 36، 37، 75.

خاتمة:

من خلال ما سبق التطرق إليه يمكننا القول أن الدولة الزيانية رغم الظروف السياسية الصعبة التي عاشتها، فقد عمرت أزيد من ثلاثة قرون، أعطت الجانب الحضاري حقه من الاهتمام، لا سيما الجانب المعماري منه، فالصراع الزياني المريني على المغرب الأوسط بقدر ما خلف آثارا سلبية على المنطقة بقدر ما انعكس ذلك إيجابيا عليها، بل إنّ الكثير من المنجزات تحمل بصمات مرينية هناك.

والمنشآت الدينية منها، والتي إلى جانب مهمتها الدينية أدت دورا لا يستهان به في تطوير الجانب الفكري بها فأصبح بالمغرب الأوسط حواضر علمية، كتلمسان التي كانت تشد إليها الرحال لأجل طلب العلم، فساهمت في تخريج الكثير من العلماء. والشيء الملاحظ في العمارة الدينية المغرب أوسطية هو تأثيرها بالفن الأندلسي، لا من حيث البناء فحسب، بل حتى من حيث النحت والزخرفة المطبقة عليها، فكلا من الفنان الزياني والمريني أبدوا تأثرا واضحا بالحضارة الأندلسية، وهذا ما يفسّر عدم اختلاف منشآتهم كثيرا إلا في بعض النقاط التفصيلية. وعلى الرغم من أن الكثير من هذه المنشآت قد انذر لعبت يد الإنسان والطبيعة، لكن والله الحمد قد حفظها لنا التاريخ في بطون أممّات المصادر، وهذا طبعا لا يقلّ شيئا من قيمتها. كما أن بعضها الآخر لا يزال صامدا يتحدى عوامل الدهر ليشهد على أن أصحابها قد بلغوا مبلغهم في هذا المجال، وبهم حملت المنطقة معنى اسم الحضارة والتطور، وعُدّت من ضمن أمصار العالم الإسلامي ككلّ.

الملحق:



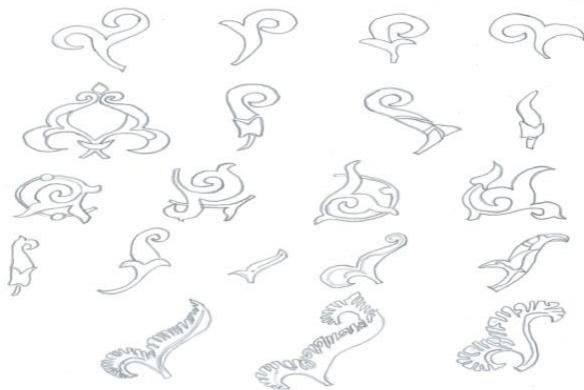
الملحق (01): مئذنة مسجد العباد

من تصوير الطالبة.



الملحق (02): القبة المقرنصة لحراب مسجد العباد.

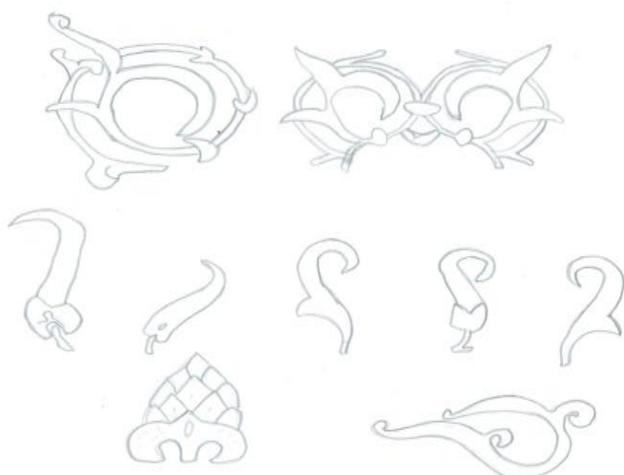
من تصوير الطالبة



الملحق (03): نماذج من الزخرفة النباتية الزيانية.

من رسم الطالبة

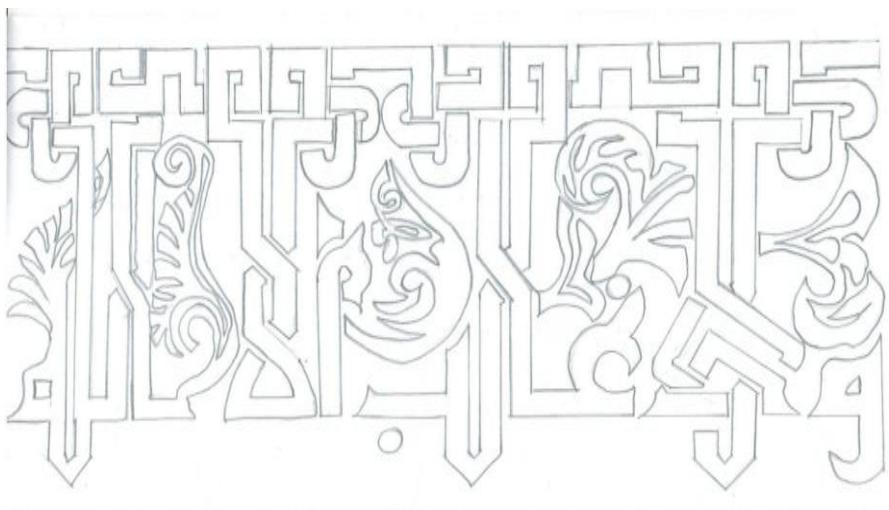
عن: موساوي عبد المالك، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ص: 52، 53.



الملحق (04): نموذج من الزخرفة النباتية المرينية بمسجد العباد

من رسم الطالبة

عن: موساوي عبد المالك، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ص: 52، 53.



الملحق (05): عبارة "لا غالب إلا الله" بالخط الكوفي بمسجد سيدي إبراهيم المصمودي.

من رسم الطالبة

عن: موساوي عبد المالك، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ص: 194.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1. الدكالي محمد بن علي، الإتحاف الوجيز تاريخ العدوتين، تحرير: محمد أبو الشعراة، ط²، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996م.
2. ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن حيي التادلي (ت 617هـ / 1221م)، الت Shawaf إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحرير: أحمد توفيق، ط²، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997م.
3. ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (كان حياً مابين 710هـ-731هـ / 1331-1310م)، الأئمـ المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (دـ)، صور للطباعة والوراقـة، الرباط، 1972م.
4. الكـتي باـي بن سـيدي عمر الـواـفي، السنـن المـبيـن في شـرح أحـادـيث أـصـول الـديـن، إـاعـ: مـالـك كـرـشـوـشـوـحـيمـ الـكـتـيـ، جـ4ـ، طـ1ـ، مرـكـزـ الإـمامـ الشـعـالـيـ لـلدـارـسـاتـ وـالـنـشـرـ وـالـتـرـاثـ، الـجـزـائـرـ، 1432هـ / 2011مـ.
5. المـكـنـاسـيـ أـحمدـ بنـ القـاضـيـ (تـ 1025هــ)، جـذـوةـ الـاقـبـاسـ فيـ ذـكـرـ منـ حلـ منـ الـأـعـلامـ مدـيـنةـ فـاسـ، (دـ)، دـارـ الـمـنـصـورـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـوـرـاقـةـ، الـرـبـاطـ، 1973ـمـ.
6. ابنـ مـنظـورـ أـبـوـ الـفـضـلـ جـمـالـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ مـكـرمـ الـإـفـريـقيـ الـمـصـريـ (تـ 711هــ)، لـسانـ الـعـربـ، مـجـ4ـ، (دـ)، دـارـ صـادـرـ، بـيـرـوـتـ، (دـ).
7. ابنـ مـرـيمـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـحمدـ الشـرـيفـ الـمـلـيـتـيـ الـمـدـيـونـيـ (تـ ماـبـينـ 1025ـ1028هــ)، الـبـسـtanـ فـيـ ذـكـرـ الـعـلـمـاءـ وـالـأـوـلـيـاءـ بـتـلـمـسـانـ، مـرـ: مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ شـنـبـ، (دـ)، المـدـرـسـةـ الـتـعـالـيـةـ، الـجـزـائـرـ، 1326هـ / 1908مـ.

8. ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 781هـ)، *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، درا وتح: ماريا خيسوس بغيارا، تق: محمود بوعياد، (دط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ / 1981م.
9. النميري ابن الحاج أبو القاسم برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الغرناطي (ت 774هـ)، *فيض العباب وإفاضة فداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب*، در واع: محمد بن شقررون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
10. العبدري أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (ت بعد 700هـ / 1300م)، *رحلة العبدري*، تح: علي إبراهيم كوري، تق: شاكر الفحام، ط٢، دار سعد الدين، دمشق، 2005م.
11. القلصادي أبو الحسن علي (ت 891هـ)، *رحلة القلصادي*، تح: محمد أبو الأجنان، (دط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.
12. ابن قنف أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (كان حيا سنة 708هـ): *الوفيات*، تح وتع: عادل نويهض، ط٤، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1430هـ / 1983م.
13. التنبكتي أبو العباس أحمد بابا (ت 1036هـ / 1627م)، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، إش وتق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ط١، طرابلس، 1989م.
14. التنسبي محمد بن عبد الله (ت 899هـ / 1494م)، *تاريخ بنى زيان ملوك تلمسان* (مقططف من *نظم الدر والعقيان في بيان شرف بنى زيان*)، تح وتع: محمود آغا بوعياد، (دط)، موفر للنشر، الجزائر، 2011م.

15. ابن الخطيب لسان الدين ذي الوزارتين (ت 776هـ / 1374م)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحرير: أحمد مختار العبّادي و محمد إبراهيم الكتّاني، (طبعة)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.
16. ابن خلدون يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد (ت 780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواحد، مجلد 1، تحرير: ألفرد بل، (طبعة)، بير فونطانا الشرقي، الجزائر، 1321هـ / 1903م.
17. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ / 1406م)، مقدمة ابن خلدون، مترجم: سهيل زكار، (طبعة)، دار الفكر، بيروت، 1431هـ / 2001م.
18. // / ، ديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، ج 4، مترجم: سهيل زكار، (طبعة)، دار الفكر، بيروت، 1421هـ / 2000م.
- المراجع باللغة العربية:
19. بوطران مبارك، العوائد الدينية في المغرب الأوسط، (طبعة)، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.
20. بوسماحة حسن، فن الزخرفة، ط 1، أوراق للنشر والتوزيع، سوق أهراس، 2012م.
21. بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، (طبعة)، منشورات ANEP، الجزائر، 2011م.
22. بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، (طبعة)، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

23. بوخالفة عزي، شواهد الإحسان في مآثر المحرورة تلمسان، ط₁، (دفن)، (د
من)، 2011م.
24. بيلول جمال، المصطلحات المعمارية المدنية (عربي، فرنسي، أمازيغي)، (دط)،
أفريقيا الشرق، المغرب، 2014م.
25. بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن "دراسة تاريخية حضارية"
(681-1235هـ/1282-1235م)، (دط)، الأملعية، الجزائر، (دت).
26. براهامي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ط₂، منشورات شالة، الأبيار
(الجزائر)، 2010م.
27. وليم وجورج مرسيه، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر: مراد بلعيد
وآخرون، ط₁، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م.
28. الزركلي خير الدين، الأعلام، ج₁، ط₁₅، دار العلم للملايين، بيروت،
2002م.
29. حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني "حياته وأثاره"، ط₁،بني
مرابط، (دمن)، 1432هـ/2011م.
30. الحداد محمد حمزة إسماعيل، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية،
ط₃، زهراء الشرق، القاهرة، 2008م.
31. بن حوش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد
العثماني من خلال خطوط ديفولوكس والوثائق العثمانية، ط₁، دار الأمة،
الجزائر، 2007م.

32. الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (1213هـ / 1465م) - (1269هـ / 1465م)، ط₂، دار القلم، الكويت، 1987م.
33. حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ميج₂، ط₁، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1398هـ / 1978م.
34. لعرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان (669هـ - 869هـ / 1269م - 1465م)، ط₁، الملكية، (دم)، 2007م.
35. موساوي عبد المالك، تطابق فن الزخرفة بين تلمسان والأندلس، ط₁، دار السبيل، الجزائر، 2012م.
36. // / ، دور الزخرفة في الحياة الحضارية في تلمسان، ط₁، دار السبيل، (دم)، 2011م.
37. ميدون عز الدين، ندرومة مدينة الفن والتاريخ، ط₁، دار السبيل، (دم)، 2011م.
38. معزوز عبد الحق، شواهد القبور في المغرب الأوسط، ط₁، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.
39. نوار سامي محمد، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم، (دط)، دار الوفاء، الإسكندرية، (دت).
40. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج₁، ط₁، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
41. عموره عمار، الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر خاصة "ما قبل التاريخ إلى 1962م")، ج₂، (دط)، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

42. فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج₁، (دط)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
43. فريد محمود الشافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، (دط)، (ددن)، (دمن)، (دت).
44. قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط₁، جسور، المحمدية (الجزائر)، 1432هـ/2011م.
45. قرقوقى حنان، تحضير المدن (العمارة والزخرفة)، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط₁، 1427هـ/2006م، ص: 109.
46. شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بنى زيان، ج₁، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م.
47. شوقي ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، ط₄، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م.
- ت-الدوريات والمحالات:
48. جاب الله طيب، «دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري»، معارف، ع₁₄، 2013م.
49. دحماني صبرينة، «المساجد المراطية» دراسة تنميّية، ندوة مدينة عبد المؤمن مجعاشر وبولوجية وذاكرة، جم وإاع: عز الدين ميدون، دار السبيل، الجزائر، ج₂، 2011م.

50. لعرج عبد العزيز محمود، «جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجماعي تلمسان الكبير وسيدي بلهسن»، *تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، أعمال ملتقى دولي بتلمسان*، ج₁، 2011م.

51. مهتاري فائزه، «الزخارف في المساجد الزيانية والمرينية بتلمسان»، *Museo de la Ciudad de Tánger. Revista Argelina*، مجلـة Otono 2015، Num: 01.

52. منصوري محمد، «مقارنة بين مساجدين مرابطين الجامع الكبير بندرورة والجزائر»، *ندرورة مدينة عبد المؤمن مجتمع أنشروبولوجيا وذاكرة*، جم وإاع: عز الدين ميدون، دار السبيل، الجزائر، ج₁، ط₁، 2011م.

53. أبو رحاب محمد السيد، «ملامح تخطيط العوائـر الدينية المرئية بالغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالغرب الأوسط "دراسة أثرية مقارنة"»، *تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، أعمال الملتقى الدولي بتلمسان*، ج₁، منشورات وزارة الشؤون الدينية والثقافية، تلمسان، 2011م.

ث - رسائل الدكتوراه والمذكرات:

54. بالأعرج عبد الرحمن، *علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المالكية سياسياً وثقافياً بين القرنين السابع والتاسع هجريين (7-13هـ / 15-14م)*، رسالة دكتوراه، المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1434هـ / 2013م.

55. بوشقيف محمد، *تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)*، رسالة دكتوراه، التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432هـ / 2011م.

56. بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، رسالة ماجستير، تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008.

57. رزقي نبيلة، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس (القرن 7-8هـ / 13-14م)، رسالة دكتوراه، علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2015.

58. شلاحي ريمة، الزخارف الجدارية في الآثار الزيانية والمرينية في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير، الآثار الإسلامية، معهد الآثار، الجزائر، الجزائر، 2011م.

59. خالدي رشيد، دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين (7-8هـ / 13-14م)، مذكرة ماجستير، تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1432هـ / 2011م.

باللغة الأجنبية:

60. Mohamed benamarDjebbare:Nedromaetsesgrandenoons, Dar essabil, 2011.

61. R.P.Gthéry. O.P, TelmcenEvocation sur son Passé, edition, ENAG, Alger, 2011.

أهمية مراقب المياه و منشآتها بالمدينة المغربية من خلال نوازل كتاب المعيار للونشريسي (ت 914هـ / 1508م)

The Importance of Water Facilities and Their Infrastructure in Moroccan Cities through the Legal Cases in the Book of Al-Mi'yar by Al-Wansharisi (d. 914 AH / 1508 CE)

د. هشام بن سالم

قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة - بوزرعة

أ. زبير سالمي

العلوم الإنسانية، جامعة سidi بلعباس

ملخص:

نعالج في هذه المقالة موضوعاً مهماً عن أهمية مراقب المياه و منشآتها بالمدينة المغربية من خلال نوازل كتاب المعيار للونشريسي (ت 914هـ / 1508م)، فاستخلصنا من خلالها أبرز مظاهرها والأقضيات التي ارتبطت بها وأنواعها المختلفة، وكيفية تعامل الساكنة معها ومع أبرز ما طرأ عليها.

Abstract:

In this article, we address an important topic regarding the significance of water facilities and their infrastructure in Moroccan cities through the legal cases presented in the Book of Al-Mi'yar by Al-Wansharisi (d. 914 AH / 1508 CE). We aim to extract the most prominent aspects, the related legal rulings, and their various types, as well as how the residents interact

شكلت نوازل كتاب المعيار المغرب للونشريسي عند الكثير من الباحثين معيناً جديداً ينهلون منه في بحوثهم العلمية في الميدان التاريخي وعلى الخصوص الفترة الإسلامية الوسيطة من تاريخ الغرب الإسلامي، نظراً للخصوصية التي يختص بها هذا الكتاب ذات الطابع الفقهي، الذي ألفه الونشريسي بمنهجية علمية قائمة أساساً على نص النازلة الفقهية التي سُئل عنها عالم من العلماء وأجاب عنها، ومست جميع فعاليات المجتمع المغاربي في العصر الإسلامي الوسيط، مما جعل الباحثين يقبلون عليه لسد ثغرة كبيرة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعمري، نظراً للبعد الواقعي الذي تتميز بها نوازل كتاب المعيار المغرب، وابتعادها عن المؤثرات الإيديولوجية والسياسية والذاتية، واحتواها على عدد كبير من المصطلحات ذات الصلة الوثيقة بالنوازل التي عاينها الفقهاء بشكل مباشر وغير مباشر، وأضحت بالتالي دراسة نوازل كتاب المعيار المغرب من الجانب التاريخي، يعد من الأهمية بمكان، عند رواد المدرسة التاريخية الجزائرية التي قطعت أشواطاً كبيرة في إماتة اللثام عن تاريخ الجزائر السياسي والإداري والعسكري، وسعت لبلورة توجّه جديد ينقب في مختلف المظان والنصوص التاريخية وتفحصها وقراءتها، من أجل كتابة التاريخ الحضاري بكل أبعاده، يتبع جميع حواضر الجزائر التي صنعت حضارتها وبنّت مجدها الظاهر.

وعلى ضوء ذلك تبوأ تاريخ المغرب الأوسط في الفترة الإسلامية الوسيطة مكانة كبيرة ومتزلة على أضمن تاريخ المغرب الإسلامي، نظراً للعمق التاريخي والحضاري لهذه الإقليم، الذي كان له نصيب وافر في نسج معلم هذا التاريخ والتأثير في أحدهاته، منذ الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية دولة بنى زيان، فاتجهت إليه أنظار الباحثين الجزائريين، في إطار الدراسات العليا الجامعية في تخصص التاريخ الوسيط،

واستطاعوا تقديم دراسات في تاريخه السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعماني، وتاريخ العلاقات بينه وبين الأقاليم الأخرى، غير أنَّ ذلك لم يشف غليل الباحثين في تحليه هذه المجالات التي اضطاعت بتأديتها والتأثير فيها، نظر الغموض كثير من الواقع والأحداث وقلة المادة الخبرية المصدرية التي تسلط الضوء عليها، فكان لابد من البحث والتقييس والتنتقيق على مصادر جديدة تساهم في بلورة صورة واضحة لتاريخ هذا الإقليم، وهو ما تم بالفعل عندما اكتشفت كتاب المعيار، وبالتالي أزدادت أهميته في الآونة الأخيرة، بحكم تأليفه في القرون المتأخرة من العصر الإسلامي الوسيط للغرب الإسلامي عموماً والغرب الأوسط خصوصاً، واحتواه على نوازل في جميع المجالات التي تخدم البحث التاريخي، كما له علاقة مباشرة بحاضرة تلمسان التي كانت عاصمة الدولة الزيانية والمغرب الأوسط، ومركز للعلماء المالكيين والمذهب المالكي، بالإضافة إلى كثرة المستجدات التي طرأت وحدثت ووُقعت في المجتمع الزياني، كل ذلك فتح الباب لآفاق جديدة للبحث التاريخي المتعلق بتاريخ تلمسان الحضاري، وساهم في إضافة لبنة أخرى في صرح التاريخ الحضاري للجزائر خلال الفترة الإسلامية.

وانطلاقاً من ذلك، تعدَّ المدونات النَّوازلية من أهم وأجل ما اختصت به المدرسة المالكية وببلاد المغرب الإسلامي من مصنفات وتأليف، وذلك نظراً لما عكف عليه العديد من العلماء والمفتين وقضاة المغرب الإسلامي من تسجيل الفتوى والأقضية، والتي تنوَّعت على اختلاف الموضعيات التي عاجلتها، والأغراض التي أَلْفت من أجلها، حيث تعدَّ هذه النَّوازل عبارة عن تقييدات يومية لما يطرأ على حياة الناس من مستجدات، والتي حظيت بقسط وافر وأهمية بالغة في الإنتاج الفقهي المالكي ببلاد المغرب الإسلامي، فانتشرت بشكل كبير في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط،

كونها تمثل سجلات إدارية وقضائية، حفظت بين ثناياها تقريرات ووثائق القضاة وفتاوي الفقهاء، خاصةً عندما شهدت المنطقة أوضاعاً سياسية واقتصادية واجتماعية خاصةً، استدعت بـث العلماء رأيهم فيها، مستندين على الفقه المالكي، الذي يعدّ مرجعية أهل المغرب وأسّ وحدته.

لذا انبرى ثلاثة من العلماء والفقهاء لتقيد هذه الفتوى والأقضية حتى لا يضيع نفعها من جهة، وحتى تكون مرجعاً لمن يختلف من الفقهاء، إذ بُرِزَ هذا النوع من التأليف في عموم بلاد المغرب الإسلامي، بعدما بُرِزَ فيه من التراكم الفقهي والقضائي أقصى مداه، فظهرت نوازل ابن رشد والبرزلي وابن الحاج والمازوني والونشريسي..... وكلها تعبر عن أهمية التدوين النوازي.

ومن لا يخفى على أيّ باحث في هذا المجال، ما للمدونات والنوازل الفقهية من أهمية في إبراز هذه الأهمية، وإعادة كتابة التاريخ بمصادر كانت تعدّ دفينة مقارنة بكتب التاريخ العام، حيث أصبحت كتب النوازل من آكذ المصادر المعتمدة، بما حوتة من إشارات واضحة في مختلف المجالات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، دون التطرق إلى المسائل الفرعية لأبواب الفقه، متتجاوزة قضايا الافتراض، الأمر الذي جعل منها مصدرًا تاريخيًا مهمًا، يعطيه بعدًا من المصداقية التي تكون أقل قوة في مصادر التاريخ العام، التي لا تجنب في كثير من الأحيان توجيه أفلامها لغرض معين.

ومن هنا تبرز أهمية القضايا التي تضمنتها كتب النوازل، ومن أهمها قضايا المياه التي تعدّ من أهم القضايا التي شغلت حيّرًا معتبراً في مدونات النوازل الفقهية المتعلقة ببلاد المغرب الإسلامي، وذلك لكون هذا الأخير يشكو شحًا في هذا العنصر الحيوي، وعادةً ما استدعت هذه الندرة إلى نشوب نزاعات حول مسائل قسمة المياه وصراعاً

حول أحقيتها، الأمر الذي حّتم ظهور قضايا مستجدة تستدعي النظر والبحث في هذه المسائل، لذا كان لزاماً أن يعمل الفقهاء على تنظيم هذه القضايا، درء هذه الصراعات، خاصة مع تطور العمارة الإسلامية التي عجّت بالمرافق والمنشآت العمرانية، والتي بالعادة ما يطأها الضرر بشأنها، فلم تغفل هذه المدونات أحكامها وتنظيمها، ومن أهم كتب النوازل التي عنيت بالموضوع، "المعيار المغرب..." لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، حيث نجد معظم الجزء الثامن يعالج مسائل المياه من حيث قضاياها ومنتشراتها، على أنّ مدونة المعيار لم تحصر هذه القضايا في هذا الجزء بعينه، بل نجد العديد من الإشارات التي تتقاطع فيها المسائل الأخرى مع قضايا المياه.

ومن هذا المنطلق نستطيع طرح الإشكال العام التالي: "كيف استطاعت كتب النوازل الفقهية، ومدونة المعيار على وجه الخصوص درء الضرر ورفع الحرج عن الساكنة بحوارض المغرب الإسلامي المتعلقة بمنشآت المياه، من خلال فقه العمارة المستند إلى مستجدات الناس اليومية؟

ولمعالجة هذا الإشكال، لابد لنا من استعراض أهم المنشآت المائية كالآبار المنزليّة وما تعلق بها من اقتسام مائها، أو ما تعلق بحرير البئر أو مسألة بيع مائها أو تحبيسها، والأمر ينسحب على المؤجل والميازيب والأحواض والوديان، ومن هو الأحق بالانتفاع منها، ومسألة الأعلى والأسفل قضية كنس الواد بالحوارض، كما تطرح مسائل الضرر كقضية ملحة من خلال بعض القضايا، كمسألة ضرر المراحيض على الأرصفة أو ضرر تصريفها بالأرصفة وسابلة الناس، وغيرها من القضايا التي حفل الجزء الثامن من مدونة المعيار بسردها واستعراضها -كما أسلفت-، لكن قبل هذا لابد لنا من استعراض المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها العنوان؛ كالتعريف

بالونشرسيي ومؤلفه، وتعريف النوازل وأهميتها، كمفاهيم توضيحية قبل الولوج إلى معالجة الموضوع.

1. التعريف بالونشرسيي:

عاش الونشرسيي في عصر عرف العديد من الأحداث والواقع، المصاحبة للفوضى والاضطراب التي عاشتها المنطقة عموماً، فالدول التي أعقبت دولة الموحدين لم تكن بأحسن حالاً منها، حيث شهدت هذه الدول حالة من الصراع المستشري والضعف المزمن الذي أدى إلى سقوطها النهائي والمحتم، ففي هذه الظروف ولد أبو العباس أحمد بن يحيى الونشرسيي في حدود سنة 834⁽¹⁾ في العام الذي ولّ فيه أبو العباس العاقل عرش الدولة الزيانية بتلمسان، حيث اعتبرت هذه الأخيرة منشأ الونشرسيي وعن علمائها نهل أصناف العلوم، وامتاز هذا العصر بظهور ثلاثة لا يستهان بها من علماء في شتى الفنون العلمية وخاصة العلوم الشرعية⁽²⁾، ولقد أطرب المترجمون في مصنفاتهم الكثيرة عن الحديث عن حياته وسيرته، وإنجحاؤا فهو العالم العلامة حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة، كان مشاركاً في فنون العلم

(1)- بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع / 12-15 م من خلال كتاب المعيار للونشرسيي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ والأثار، 2010، ص 18.

(2)- عفيفة خروبي، أصول أبي العباس الونشرسيي من خلال المعيار العربي، الجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، 2011، ص 95.

وصرّوبه المختلفة، عرف بفصاحة اللسان والقلم⁽¹⁾، يضاف لهذا أنه كان مفتياً ومدرساً للفقه، حيث درس المدونة وفرعي ابن الحاجب⁽²⁾، وأيضاً تخرج على يديه عدد كبير من العلماء، ولا ننسى مؤلفاته التي اشتهر بها ورفعت مكانته العلمية عالياً أشهرها: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب⁽³⁾، وتشير كتب الترجم إلى وقوع نكبة له ما سلطان زيانى سكت الونشريسي عن تسميته⁽⁴⁾، وهذا يدل على دماثة أخلاقه، وعلى إثر هذا الحادثة انتقل أبو العباس إلى فاس بعدما عاش بتلمسان أربعين سنة، وكان لهذا الإنقال الأثر البارز في حياته العلمية، حيث تتلمذ على يد علمائها⁽⁵⁾، ونهل من مكتباتها واشتغل بالتدريس في

(1) - التنبيكتي بابا أحمد، نيل الابتهاج بتطریز الدیباج، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، إشراف عبد الحميد عبد الله هرامة، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط 1، 1989 م، ص 135.

(2) - ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكتاسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973 م، ص 157.

(3) - الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، الجزء 01، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1981 م، ص 5-1.

(4) - خروبي، المرجع السابق، ص 134.

(5) - محمد بن حمو، العمران والمعمار من خلال نوازل الونشريسي، تلمسان، كنوز للطباعة والنشر، 2011 م، ص 56.

مدارسها خاصة المدرسة المصباحية⁽¹⁾، كما عرف بالورع والتواضع، بدليل حضوره مجالس الشيوخ بفاس رغم علو قدره ومكانته العلمية⁽²⁾.

2. أهمية مدونة "المعيار المغرب" للونشريسي:

ومن أبرز المدونات التوازيلية التي حفلت بقضايا المياه، كتاب "المعيار المغرب" والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، الذي يعد أشهر كتبه، ويؤكد يزعم العديد من الدارسين - أنه المرجع المصدري التوازلي الأهم لبلاد المغرب الإسلامي عموماً، ويبين هذا لما حواه هذا المصطف من فتاوى المتقدمين والمعاصرين لزمن الونشريسي، حيث جمع هذه الفتوى من الدّواوين وكتب الأقضية رغم كونه لم يتقلّد منصباً رسمياً يسهّل عليه هذه المهمة المضنية⁽³⁾، كما دللت كثرة نسخه الموزعة في خزائن المخطوطات على أهميته، من خلال عناية الفقهاء والنّاسخ لهذا المصنف الضخم، ولهذا فقط تفطن الباحثون العرب والمستشرقين لأهمية الكتاب، وعملوا على إخراجه والانبراء لدراسته وتحقيقه، سواء كطبيعة حجرية ابتداء، أو بحوث مستلة منها، أو كرسائل وأطروحات جامعية فيما بعد، أو فيما يختص فرق البحث المخبرية، أو المنشورات والمقالات العلمية.

ومن يلاحظ على مدونة المعيار من ناحية الأهمية، أنها طالت جلّ أبواب الفقه - إن لم نقل كلّه - حيث ضمت بين طياتها 33 باباً من أبواب الفقه، كمسائل الطهارة، والصلوة، والجنازه والزكاة والصوم والجهاد والأيمان والذور، والمزارعه والمغارسة

(1) - أبو القاسم سعد الله، من فتاوى الونشريسي، مجلة الوعي، عدد خاص بتظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص 46.

(2) - ابن القاضي، المصدر السابق، ص 80.

(3) - أبو القاسم سعد الله، المقال السابق، ص 47-48.

والمساقاة..... وغيرها من الأبواب التي يضيق المقام في سردها كاملة، حيث بلغت أجزاء الكتاب اثنا عشر مجلداً عدا الفهارس، كما تفرّعت عن هذه الأبواب عدید المسائل في مختلف الضروب من عبادات ومعاملات، إذ حازت هذه الأخيرة حصة الأسد من بين المسائل، كونها مستجدة والمقصودة بسؤال الخاصة وال العامة، والتي مسّت عديد المجالات كالأحوال السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، مما يتبيّح لمتصفّحه ودارسه الإمام بالعديد من المعلومات في باب الفقه وإشكالاته، ومعرفة أهم المشاكل التي ألمت بحياة الناس، حيث يبرز لنا كتاب الونشريسي تتبع الحالة العامة للمغرب الإسلامي، وأهم المشاكل التي عصفت به، خاصة في شقيها الاجتماعي والاقتصادي، وهذا ما دلّ على أهمية هذا المؤلف لدى الفقهاء والمعتنيين بالنّوازل، خاصة وأنّه يأخذ من أعلام الفقهاء ومشاهير العلماء بالمغرب الإسلامي.

3. مفهوم النوازل الفقهية:

تعُدّ بلاد المغرب الإسلامي رائدة المصنفات الفقهية النوازلية بلا منازع⁽¹⁾، ذلك أنّ بلاد المغرب تميّز بهذا النوع من المؤلفات عن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى⁽²⁾، والتي صدرت عن جماعة من المفتين والقضاة، وتبيّن الحكم فيها استنادا إلى المذهب المالكي الذي يعتبر مرجعية هذا البلد. فما هو مفهوم النوازل الفقهية؟

(1)- عبد القادر عزوّز، *النوازل الفقهية في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الخامس حول المذهب المالكي* بعنوان المدرسة المالكية الجزائرية، عين الدفل 14-16 أفريل 2009، ص 600.

(2)- عفيفه خروبي، *المراجع السابق*، ص 590.

لغة: النّوازل جمع نازلة مشتقة من فعل نزل، قال ابن المنظور حول مفهوم النازلة: بأنها الشديدة والمصيبة تنزل بالناس⁽¹⁾، أما ابن فارس فهو يرى أنها من نزل أي بالنون والزاي واللام، تدل على هبوط الشيء ووقوعه، وعلى هذا فالنازلة هي الشديدة من شدائد الدهر تنزل⁽²⁾، أما المعجم الوسيط فيذكر لنا أن النازلة: المصيبة الشديدة وجمعها نازلات ونوازل⁽³⁾، أمّا اصطلاحاً: فهي تلك القضايا والمسائل التي استجدّت في حياة الناس، يريدون أن يستجلوا حكم الشرع فيها، فيلجؤون إلى أهل العلم والعلماء والقضاة، شريطة أن تكون هذه القضايا حدثت فعلاً ووّقعت أصلاً، بعيدة عن فقه الافتراض⁽⁴⁾، كما يعتبر محمد حجي، وهو من ابرز الباحثين الذين تكلموا عن معنى النّوازل بأنها: "مسائل وقضايا دينية ودنيوية يتعرض لها المسلم، حيث يود أن يعرف حكم الله فيها، أي أن كل فرد تعرض لمصيبة أو شدة ما، ويعجز عن تصرف ولا يعرف حكمها من الناحية الشرعية، يلجأ إلى أحد الفقهاء ليرشده وي指引ي له فيما يفعل، وهو كذلك ما تعرض له الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ، فما كان على هؤلاء سوى الرجوع إلى نصّ في الكتاب أو السنة فإذا وجدوه وقفوا عندـه وإنـا

(1)- ابن المنظور، لسان العرب، تج: عامر أحمد حيدر، ج 6، دار الكتب العلمية، بيروت، دـت، ص 724.

(2)- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مج 5، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ص 417.

(3)- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، مصر، 2004، ص 915.

(4)- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تج: أحمد بكير محمود، ج 1، دار نكتبة الحياة، بيروت، ص 466.

اجتهدوا"⁽¹⁾، ومن هذا نفهم أن النّوازل هي جزء من الحياة اليومية للناس، سواء كانت المسألة مكررة أو نادرة الحدوث، أم أنها كانت قديمة أم مستجدة، نزلت كدواء شافي لحيرة الناس وباسم يلطف ويخفف من روعتهم، اقترنت بالفقه المالكي في شكل أسئلة مباشرة أو مراسلات توجه إلى العلماء⁽²⁾، كما أن مصطلح النّوازل لم يظهر إلا في بلاد المغرب الإسلامي، قبل أن يعمم هذا المصطلح على الأقطار الإسلامية الأخرى⁽³⁾.

إضافة إلى مصطلح النّوازل هناك مرادفات أخرى لها نفس المعنى للنّوازل مثل: الفتوى فيذكر عن الفتوى: الجواب عما يستشكل من المسائل الشرعية وجمعها فتاوى⁽⁴⁾، والإفتاء هو الإخبار بالحكم الشرعي وهناك من يسميه مسائل من أصل الكلمة مسألة، وهي بمعنى القضية التي برهن عليها⁽⁵⁾، وهناك من ينعتها بالأجوبة مثل الأسئلة والأجوبة، للداودي (ت 307 هـ) والمسائل المسطرة في النّوازل الفقهية للحسن بن علي بن باديس القسطنطيني المعروف بابن القنفذ (ت 809 هـ)، والأجوبة لأبي الحسن بن محمد القابسي (ت 403 هـ)، إضافة إلى هذا نجد في باب القضاء

(1)- محمد حجي، نظرات في النّوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة

الجديدة، ط 1، الدار البيضاء، 1999، ص 11.

(2)- عبد القادر عزوzi، المرجع السابق، ص 599.

(3)- زهير عبد الرحمن قزان، إسهامات علماء توات في مجال النّوازل الفقهية، أعمال الملتقى الخامس حول المذهب المالكي بعنوان المدرسة المالكية الجزائرية، عين الدفل 14-16 أفريل 2009، ص 175.

(4)- المعجم الوسيط، مصدر السابق، ص 673.

(5)- نفسه، ص 411.

والأحكام بما يتعلق بالقضايا والمعاملات مثل مصنف أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي (ت 842هـ) المعنون بـ: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالفتين والحكام.

كما أن المدونات النوازلية تنقسم إلى أنواع، كالنوازل العامة وهي التي حوت بين طياتها أحكام الفقهاء والقضاة إجمالاً، شملت أغلب أبواب الفقه⁽¹⁾، يقابل هذا النوع من النوازل، النوازل الخاصة وهي التي أبدى فيها الفقهاء رأيهم في مسألة واحدة من نفس الموضوع⁽²⁾، قضية خلع ملوك الطوائف، ومسألة يهود توات⁽³⁾، وهي مسائل تجلت كراسلات استشارة فيها العلماء بعضهم البعض، كما تميّز من هذه الأنواع، النوازل التي اختصت بأجوبة عالم واحد كأجوبة سحنون، وفتاوي علیش، وأحكام ابن سهل، ومسائل ابن القداح⁽⁴⁾، كما ظهرت نوازل الأقطار كفتاوي علماء غرب آسيا، وأجوبة فقهاء القرطاجيين⁽⁵⁾.

4. أهمية المياه بالمغرب الإسلامي:

أقر الإسلام بالأهمية البالغة للمياه، وهذا ما نلمحه من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والتي جعلت الماء على رأس ضروريات الحياة، قال عز من قائل: "وجعلنا من الماء كل شيء حي"⁽⁶⁾، هذه الأهمية جعلت للماء تشريعات

(1)- زهير عبد الرحمن قزان، المرجع السابق، ص 191.

(2)- نفسه، ص 179.

(3)- عبد القادر عزوzi، المرجع السابق، ص 599.

(4)- زهير عبد الرحمن قزان، المرجع السابق، ص 175.

(5)- نفسه، ص 175.

(6)- سورة الأنبياء، الآية 30.

وأحكام دقيقة، أعطت لكل ذي حق حقه من ملكية للمياه ابتداء، ثم تشرعات في حكم استعماله وطرق استغلاله، فاعتمد الفقهاء هذه التشريعات في فض النزاعات والصراعات الحاصلة بين الناس حول المياه وقضايا المندارة بين دفات كتب النوازل التي تضمنت قسطاً معتبراً منها، وانبرى ثلاثة من العلماء للإجابة عنها، فعلى سبيل المثال نذكر نوازل العلمي الذي تناول قضايا المياه في الجزء الثاني في أزيد من 54 صفحة⁽¹⁾، أما المهدى الوزانى فقد أدرج القضايا في أزيد من 57 صفحة ناهيك عن مسائل الطهارة⁽²⁾، وهذا الإمام الباقي اعنى بالموضوع في كتابه المتقدى في جزئه السادس تحت عنوان: "القضاء في المياه"⁽³⁾، أما المعيار - وهو محل الدراسة - فقد تناول الموضوع باستفاضة في الجزء الثامن سواء ما تعلق بقضايا المياه أو المرافق.

5. أنواع ملكية المياه:

نظراً للأهمية البالغة لهذا الموضوع، صنّف هذا النوع من المباحث الفقهية بكتب النوازل، تفادياً للمنازعات التي غالباً ما كانت تنشب بين ساكنة المغرب الإسلامي، فالشريعة أثبتت هذا الحق، ولم تقيّده إلا بقيد عدم الضرر والتّعدى على حق الغير، وهذا الأخير بدوره يستند إلى ملكية المياه وأشكال الحيازة، والتي لا تعدو في محملها أن تكون ثلاث أنواع:

(1) - محمد علي بن الصديق، أهمية الماء في القرآن والسنّة، مجلة دعوة الحق، العدد 392، مايو 2009، الرباط، ص 21.

(2) - نفسه، ص 21.

(3) - نفسه، ص 21.

1. المياه المشتركة:

فالماء في أصله مشترك بين الناس بدليل قوله ﷺ: "ال المسلمين شركاء في ثلات: في الكلأ والماء والنار"⁽¹⁾، والمراد هنا الماء غير الملك كمياه الأمطار والعيون والأنهار⁽²⁾، أما إذا بذلت جماعة مجهوداً في إقامة المنشآت عليه، كإنشاء القنوات، ورفع السوافي، أو كنس الوادي... ففي هذه الحالة يكون الماء مشتركاً فيها بينهم، ولا يسمح لغيرهم الانتفاع بهذه المياه، أو إنشاء منشآت تضر بمنشآتهم، والماء بينهم على حظوظ⁽³⁾، فمن تملك حظاً فهو يعد مالاً من أمواله، والشركة في المياه تطال جميع مصادر المياه، كالأنهار⁽⁴⁾ والعيون والقنوات والسوافي⁽⁵⁾، وخاصة مياه السيول التي لا ملك لأحد فيها، فحكمها أن يتتفع منها الأعلى فالأعلى⁽⁶⁾، كما أن الأقدمية وبذل الجهد في إجراء المياه تعدّ حقاً في حيازتها، فالقوم: "الذين رفعوا ساقية من النهر... ليس لغيرهم أن يدخلوا معهم ولا أن يسقوا به أرضهم"⁽⁷⁾، فحق الملك

(1)- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1950، حديث رقم: 4771.

(2)- محمد علي بن الصديق، المرجع السابق، ص 14.

(3)- بلبشير عمر، المرجع السابق، ص 199.

(4)- فاطمة بلهواري، وسائل الري في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري، مجلة دعوة الحق، العدد 392، ماي 2009، الرباط، ص 52.

(5)- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال وفتاوي المعيار للونشريسي، مكتبة الإسكندرية للكتاب، 1996، ص 59.

(6)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 10، ص 274.

(7)- نفسه، ج 8، ص 12.

والاشراك في منفعة الماء، يتم خص عن جملة من الواجبات كإقامة السدود ومد القنوات، وكنس الأودية، وترميم القناطر، والتي تستوجب نفقة المتنفعين⁽¹⁾، وهذا ما يجعل الجماعة تتمتع بحقيقة الانتفاع والدفاع عن حقها المشترك ضد أي دخيل خارج المجموعة⁽²⁾، فمن قام بواجب الإصلاح يكون أولى بما زاد من ماء في مجاري الواد، دون من لم يساهم في الإصلاح⁽³⁾، ومن ترك حظاً فالجماعة أولى به من غيرهم⁽⁴⁾، كما عرف أهل بلاد المغرب نظام المناوبة في الانتفاع بالمياه، فتتسع جماعة معلومة من المياه بتوقيت محدد ارتبته عرفاً⁽⁵⁾، ومثال ذلك نظام أهل تلمسان الذين اقتسموا ساعات النهار فيما بينهم⁽⁶⁾، ويسقط الحق عن ترك الحرج في الموسم⁽⁷⁾، ولا يتحقق له التصرف في حظه إلا إذا تملك أصل الماء أو العين بالشراء أو نبع في أرضه، ففي هذه الحالة يكون الماء ملكاً له يستطيع التصرف فيه كيفما شاء⁽⁸⁾، أما العيون المشاعرة فقد عرف أهل المغرب الاشتراك فيها، خاصة في حالة وجود العديد منها بناحية واحدة، فيختص كل جماعة بعين ويسقون منها الأعلى فالأعلى⁽⁹⁾.

(1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 350.

(2)-بلبشير عمر، المرجع السابق، ص 200.

(3)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 5.

(4)-بلبشير عمر، المرجع السابق، ص 200.

(5)- خالد عزب، مشكلة المياه وحلوها في التراث الإسلامي، دار القدس للبحوث والطباعة والنشر، القاهرة، 1995، ص 17.

(6)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 5، ص 111.

(7)-كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 59.

(8)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 5، ص 12.

(9)-نفسه، ج 8، ص 40.

2. الملكية الخاصة:

أو أضحت لنا بعض نوازل الونشريسي بأن المياه تكون في العديد من الحالات ملكية يختص بها الأفراد، ولم حرية التصرف فيها، كقراء القواديس بغرض الشرب أو الانتفاع⁽¹⁾، كما يجوز بيعه أو هبته أو منعه إذا اقتضى الأمر⁽²⁾، والأمر في هذا لم يسلم من مقال، فقد اختلف في الأمر بنصوص تدل على السماحة في اعطاء فضلة الماء⁽³⁾، ولا يمكن اعتبار ملكية المياه ثابتة إلا إذا أثبت المالك ذلك بواسطة رسوم عدلية تقرّ الشراء أو إرث أصل الماء⁽⁴⁾، ولذا لا يجوز الانتفاع بهذه المياه إلا بموافقة صاحبها⁽⁵⁾، وعلى أصحاب السوقـيـ التي بمحاذة أرضـهـ استـعـانـهـ في استغلال فضلة المياه التي تبقى عن استغلالـهـ⁽⁶⁾، كما لا يجوز إحداث ساقـيـةـ تضرـ بالسوقـيـ القديمةـ نـظـراـ للضرـ الذي تحدثـهـ بالـمـتـنـعـ الأـقـدـمـ⁽⁷⁾، خـاصـةـ إـذـاـ كانـ مـاؤـهـاـ يـجـرـيـ لـسـقـيـ جـنـاتـ وإـجـرـاءـ أـرـحـيـةـ،ـ ماـ يـؤـدـيـ هـذـاـ إـلـىـ أـنـقـاصـ قـوـةـ تـدـفـقـ المـاءـ الـتـيـ تـزـوـدـ الـأـرـحـيـةـ بـالـطـاـقةـ الـكـافـيـةـ⁽⁸⁾،ـ فـمـسـائـلـ الـضـرـرـ مـنـ أـهـمـ الـقـضـيـاـ الـتـيـ بـذـلـ فـيـهـاـ الـفـقـهـاءـ وـالـقـضـاءـ وـسـعـهـمـ

- (1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 273.

(2)- محمد بن عميرة، الموارد المائية وطرق استغلالها في بلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005، ص 281.

(3)- سباب خيرة، المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي 7-10 هـ، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014، ص 146.

(4)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 412.

(5)-نفسه، ج 2، ص 6.

(6)-بلبشير عمر، المرجع السابق، ص 199.

(7)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 379.

(8)-نفسه، ج 8، ص 396.

كي يمنعوه عن الناس⁽¹⁾، ولذا ركزوا على المعايير المحددة للقسمة، والتي بدورها تختلف باختلاف الغرض من المياه: كالطحون والري والشرب⁽²⁾.

3. مياه الحبس (الأوقاف):

هذا النوع من المياه خاضع في ملكيته لنظام الوقف أو الحبس، وهو بدوره ينقسم إلى نوعين هما:

- **الأوقاف العامة:** وهي التي يأذن ناظر الأوقاف للممتنع بها بواسطة حيازة أو كراء، سواء كان الانتفاع بشكل مؤقت أو دائم⁽³⁾.
- **الأوقاف الخاصة:** وهي نوع من الأوقاف التي يخص فيها ناظر الأوقاف شخصاً بعينه بحق الانتفاع بالماء، والذي يكون في العديد من الأحيان انتفاعاً معقباً، وذلك بأن يضمن للذرية هذا الحق⁽⁴⁾.

مسؤولية أصحاب المياه:

بالنظر إلى أهمية الماء وتنافس الناس حول استغلاله، خاصة في المناطق التي تشهد شحًا وندرة في هذا العنصر الحيوي، فإنه ينجم عن هذا المغمم مغرم المسؤولية التي قد يسببها سوء استعماله، فإذا أضرّ الماء بسبيل أو ضيغات وجب قطعه⁽⁵⁾، كما أن صاحب الماء إذا أرسله في أرضه فخرج إلى أرض جاره فالمسؤولية هنا موقوفة على

(1)- بلبيشir عمر، المرجع السابق، ص 199.

(2)- سباب خيرة، المرجع السابق، ص 147.

(3)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 408.

(4)- بلبيشir عمر، المرجع السابق، ص 201.

(5)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 387.

التقدير كمسؤولية النار، فإذا قدر أنّ أرض الجار لا تسلم فهو ضامن⁽¹⁾، كما أنّ مالك الزّروع إذا قطع الماء عن الشّثار فهلكت فلا شيء على المشتري، لأنّه اشتراها على ضمان البائع، وهو السبب فيها لحق من ضرر، فقطع المياه عن المحصول لا يشبه سواه من الجواب⁽²⁾، ولذا اعتبر الشرع زكاة الزّروع المروية مختلفة عن تروى بباء النساء، نظرا للجهد الإضافي المبذول في النوع الأول⁽³⁾.

كما أنّ استغلال المياه يستوجب على أصحابها مسؤوليات إضافية، كمسؤولية إصلاح مجاريها وتطهيرها وعدم إحداث القنوات وصرف المياه النّجسة بها⁽⁴⁾، وتقع المسؤولية الأكبر على الميسورين من أهل البلد⁽⁵⁾، فإن تعذر ذلك فالإصلاح لازم بمن يحتاج الماء كأصحاب الفنادق والحمامات والدبابغات أو من حمل قادرها أو صهريجه⁽⁶⁾، فالمسؤولية تقع على من يستغل الماء الأولى فال الأولى، وهم أحق بالانتفاع بها زاد من ماء حتى يعواضوا نفقاتهم⁽⁷⁾.

مظاهر النزاع على المياه:

بالرغم من وجود نظام شرعي محكم بشأن توزيع المياه وتقسيمه، إلا أن النوازل الفقهية أسفرت عن وجود واقع تخلله العديد من المنازعات والخصومات بشأن المياه

(1)- محمد بن عميرة، الموارد...، المرجع السابق، ص 283.

(2)- نفسه، ص 283.

(3)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 5، ص 11.

(4)- نفسه، ج 8، ص 27.

(5)- بلبيش عمر، المرجع السابق، ص 207.

(6)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 29.

(7)- نفسه، ج 8، ص 5.

خاصة ما تعلق بالنشاط الفلاحي والري، كرس هذا الواقع التّندرة وتذبذب التّساقط وسنوات القحط التي تجتاح بلاد المغرب من الفترة إلى الأخرى، الأمر الذي جعل هذا العنصر مشاحاً بين الناس، ولذا حرص الفقه من خلال كتب النوازل على إيجاد قيود ترتب استعمال الناس، تفادياً للنزاع، والتي تقوم على ثلث أساسات هي:

- الشركة في المياه.
- الأخذ بالعرف في القسمة.
- نفي الضرر لحماية مصلحة الشركاء.

بالعادة ما نجد النزاع حول صفات الأودية بين أهل الضياع أصحاب العلو والأسفلين، مما يغلب على أهل العلو الإستئثار بالمياه واستيفاء النصيب الأكبر، مما يجعل الأسفلين لا ينالون المياه بقدر حاجتهم⁽¹⁾، فإن ثبت أن الماء متملك فهو بينهم على حظوظ⁽²⁾، كما تحفظ مصلحة الشركاء استناداً إلى طبيعة النشاط⁽³⁾، وما فاقم هذا المشكل، هو عدم إيجاد توقيت زمني دقيق يقضي بتقسيم المياه بحظوظ عادلة تضمن القدر الوافي والمرضي للأطراف والشركاء في المياه، حيث نصادف بعض النوازل التي تبين الاختلاف بين لاستغلال المياه، والتي تصل في بعض الأحيان إلى مرة في الشهر⁽⁴⁾، ولذا كان يعمد البعض إلى كسر سدود المياه لإرسال الماء في حالة الحاجة الملحقة⁽⁵⁾.

(1)-كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 60.

(2)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 10، ص 274.

(3)-نفسه، ج 9، ص 290.

(4)-نفسه، ج 8، ص 403.

(5)-نفسه، ج 8، ص 403.

وأكثُر المشاكل ما كان متعلقاً بادعاء حيازة الماء استناداً إلى طول مدة الانتفاع به، فالأسقبية وتملك أصل النبع تؤدي إلى ملكية المياه⁽¹⁾، وليس طول مدة الانتفاع⁽²⁾، كما أن إحداث السوق الجديدة بجوار القديمة ممنوعة إلا بموافقة أصحابها، لما تحرر من ضرر على مصالحهم وجنتهم، أما إن خرجت المياه من أرض مملوكة جاز لأهل القرى الانتفاع بها⁽³⁾.

1. طرق تأمين المياه بالمدينة الإسلامية:

تعد المعلومات المتوفرة عن موضوع تأمين المياه وتخزينها بالمدينة الإسلامية شحيحة بالنسبة لكثير من المواقع، فبالكاد نجد مصادرًا متخصصة في مسائل المياه، باستثناء كتب الرحلة والجغرافيا والتوازل التي تفينا عن هذا الموضوع، والتي نجد هذا الموضوع في معترض الحديث عن التجمعات السكنية، وخاصة المدن التي تشهد شحًا وندرة في المياه الدائمة: كالوديان والعيون واستغلال المياه الجوفية، وتنفذ متعلقة بالتقنيات المستخدمة في توصيل المياه إلى المدينة الإسلامية، لذا نجد في كثير من الأحيان إشارات لوجود أحواض مياه أو موأجل تعمل على تأمين المياه الدائم بهذه المناطق، كما فرق الناس بين الاستعمال العام الذي اعتمدوا فيه على الوديان والتساقط، وبين الإستهلاك الذي اعتمدوا فيه على الآبار والعيون والفقارات⁽⁴⁾، كما اتبع أكثر من نظام في آن واحد بالمدينة الواحدة للحفاظ على هذا العنصر الحيوي وترشيد استغلاله: أ. الآبار:

(1)-النشريري، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 14.

(2)-نفسه، ج 8، ص 418.

(3)-نفسه، ج 10، ص 304.

(4)-محمد بن عميرة، الموارد...، المرجع السابق، ص 105.

تعددت الآبار بالمغرب الإسلامي على غرار باقي مناطق العالم الإسلامي، استغلالاً للمياه الجوفية، فبالإضافة إلى آبار المنازل، نجد أخرى متعلقة بالنشاط الفلاحي كالري وسقاية المواشي⁽¹⁾، وقد انتشرت هذه الآبار خاصة في المنطقة التي تصح فيها العيون وتبعد بها الوديان، كما أن هناك من يفرق بين مصطلح البئر: وهي ذات العمق المعتبر، في حين أنّ الحاسي: هو البئر ذو الحفرة السطحية⁽²⁾، ومن أنواع الآبار المذكورة في المعيار:

❖ بئر الدار:

نظراً لحاجة الدّور الملحة إلى المياه، فإن الناس كانت تعمد إلى حفر الآبار بوسط الدار، رفعاً لحرج التنقل إلى العيون أو الأنهار المجاورة للمدن، خاصة بالمناطق التي تشهد وفرة في المياه الجوفية، غير أن المسألة ليست بهذه البساطة، فقد اعترض المسألة أمر اقتراب البئر المحدثة من القديمة أو بعدها منها، وهو ما يسمى في الفقه الإسلامي بحريم البئر⁽³⁾، ومعناها المسافة والحد الأدنى الذي لا يجوز انتهاكه وإحداث بئر جديدة به، وهو مختلف حسب نوعية الأرض من حيث الصلابة واللين⁽⁴⁾، ففي هذه الأخيرة يكون الضرر أكبر من النوع الأول، ولذا قد جعلوا حريرم بئر الدار خمسين ذراعاً⁽⁵⁾، أي حوالي ثلاثين متراً⁽¹⁾.

(1)- بن حمو محمد، العمارة من خلال نوازل الونشريسي، المراجع السابق، ص 106.

(2)- محمد بن عميرة، الموارد...، المراجع السابق، ص 220.

(3)- بن حمو محمد، العمارة من خلال نوازل الونشريسي، المراجع السابق، ص 107.

(4)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 466.

(5)- الذراع ما بين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطي، وهي عند الفقهاء أربعاً وعشرين أصبعاً مضمومة سوى الإبهام، ابن منظور، المصدر السابق، ج 2، ص 1063.

وقد أدى استحداث الآبار بالدور إلى أضرار أخرى مع مراعاة حريم البئر، فنجد بعض النوازل حالات مثل رشح ماء البئر القديمة في البئر المحدثة⁽²⁾، أو انهدام البئر القديمة نتيجة عدم مراعاة المسافة بينهما، فإن ثبت هذا بشهادة العدول، فإن البئر الجديدة تردم⁽³⁾، لما سببته من ضرر ببئر الجار، كما أن أحقيّة استغلال ماء البئر ملحة بكراه الدار، فإن كان بالبئر نجاسة فوتت على المكتري حق الاستغلال، فإنه يسقط من ثمن الكراء بقدر الارتفاع⁽⁴⁾.

❖ البئر المشتركة:

كمارأينا في النوع الأول أنها آبار -بالعادة- متملكة لمالك واحد، فإن هذا النوع عي تلك التي يشترك فيها أكثر من واحد، يسقون منها دون مشاحة بينهم⁽⁵⁾، وفي حالة وقع بين الشركاء خصومة، فعليهم أن يقتسموا الماء بالتراضي⁽⁶⁾، لأن مسألة تقسيم مياه البئر أمر مستعصي اختلف الفقهاء حول إمكانيته⁽⁷⁾، باعتبار البئر وحدة عضوية يستحيل تقسيمها⁽⁸⁾، ولذا ارتأى بعض الفقهاء أن يضرب حائط على رقبة البئر يكون



-
- (1)- بن حمو محمد، العمران والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 108 .
- (2)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8 ، ص 46 .
- (3)- نفسه، ج 8 ، ص 431 .
- (4)- نفسه، ج 8 ، ص 285 .
- (5)- بن حمو محمد، العمران والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 107 .
- (6)- بن حمو محمد، العمران والعمارة من خلال كتب النوازل، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011 ، ص 264 .
- (7)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8 ، ص 121 .
- (8)- بن حمو محمد، العمران والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 107 .

لكل واحد من الشركين الجزء الذي يلي داره، وذهب آخرون إلى جعل الانتفاع على يوم معلوم، يتفع الشريك من البئر انتفاعا جزافيا⁽¹⁾.

ب. المأجل:

هو الموضع الذي يستخدم لاجتماع مياه الأمطار⁽²⁾، أو هو الموضع الذي يجتمع فيه الماء⁽³⁾، والذي بالعادة ما يكون بسطح المترهل⁽⁴⁾ قصد الاستفادة منه، ويكون هذا النوع من منشآت المياه بالمنازل والمساجد والحمامات⁽⁵⁾، والتي كانت تحول عن طريق المجاري والسوافي⁽⁶⁾، كما كان يملأ المأجل أحيانا من ماء العيون أو الأنهار بواسطة القواديس أو القنوات⁽⁷⁾.

وإذا سبق أن بني مأجل فلا يجوز لمن أحده ساقية أن يرد الماء حتى يمتلء المأجل⁽⁸⁾، وإذا كان المأجل من ملاحق الدار، وعمد صاحبها إلى كرايتها، فالمفعة تكون للمكتري باعتباره أكترى الدار بجميع لواحقها⁽⁹⁾، بينما يرى المازري بأن الأمر متوقف على عرف البلد⁽¹⁰⁾، ومن ذلك أنه لا يحق لصاحب الطابق العلوي أن يقطع

(1)-الونشرسيي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 121.

(2)-محمد بن عميرة، الموارد...، المرجع السابق، ص 276.

(3)-ابن منظور، المصدر السابق، ج 3، ص 487.

(4)-الونشرسيي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 428.

(5)-بن حمود محمد، العمran والعماره من خلال نوازل الونشرسيي، المرجع السابق، ص 132.

(6)-محمد بن عميرة، الموارد...، المرجع السابق، ص 279.

(7)-الونشرسيي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 38.

(8)-نفسه، ج 8، ص 426.

(9)-الونشرسيي، المعيار...، المصدر نفسه، ج 8، ص 430.

(10)-نفسه، ج 8، ص 429.

الماء عن صاحب السفل مادام يتتفع به⁽¹⁾، أما إذا كان هذا المأجل بالمسجد فالتفع يكون به عاماً للناس خاصة أيام الحر⁽²⁾، على ألا يؤدي هذا الاستعمال مبتذل لحرمة المسجد⁽³⁾، ضار ولا يختص به الإمام أو المؤذن دون عامة الناس⁽⁴⁾ حتى في حالة تحبيسه، فيبقى المأجل على شرط الوقف إن كان مرصوداً لسقيا الناس ومنافعهم، إلا إذا سبب ضرراً بالمسجد فيمنع العامة من ذلك⁽⁵⁾.

كما يمكننا أن نعتبر أن الصهاريج والجباب والأحواض⁽⁶⁾ تعد من منشآت حفظ المياه بالمدينة الإسلامية، إلا أن إشاراتها خافتة بمدونة المعيار، لذا آثرت الإشارة إليها دون إغفالها بالجملة.

2. وسائل توصيل المياه بالمدينة الإسلامية:

ليس كافياً أن تؤمن المدينة الإسلامية مصادرًا دائمة للمياه، إذ لا بد لها من وسائل لتوصيلها إلى الدور وإلى المرافق الأخرى كالفنادق والحمامات والأرجحة... وهنا نرى أن الناس قد استعانت بطرق لتوصيل هذه المياه، والتي تختلف إن كانت مصادرها مرتفعة عن المدينة أو منخفضة عنها أو موازية لها، ومن أهم الوسائل نجد:

(1)-الونشريسي، المعيار..., المصدر السابق، ج 8، ص 428.

(2)-نفسه، ج 7، ص 340.

(3)-نفسه، ج 8، ص 440.

(4)- محمد بن عميرة، الموارد..., المرجع السابق، ص 279.

(5)-الونشريسي، المعيار..., المصدر السابق، ج 7، ص 55.

(6)- محمد بن عميرة، الموارد..., المرجع السابق، ص 276.

أ. الميازيب:

جمع ميزاب وهو أنبوب من معدن أو حجر ناتئ يكون بأعلى البناء، دوره صرف الماء الذي يتجمع على السطح⁽¹⁾، والذي يصرف بالعادة إلى المأجل قصد تخزين هذه المياه به، ومن هنا كانت تنشب نزاعات حول أحقيّة الانتفاع ب المياه الأمطار عن طريق الميزاب، ولذا أفتى بعض الفقهاء بأن عدم اشتراط المنفعة من صاحب الطابق السفلي يسقط عنه حق المطالبة بمنفعة المياه، ما دام صاحب العلو متتفعاً به⁽²⁾، أما إن اشترط هذا الحق، وأراد صاحب العلو إحداث غرفة، مما يتربّ عليه نزع الميزاب، فإنه يحق لصاحب السفل أن يشهد على الأول وجود ميزاب وأن يقيّ على إجراء الميزاب في مأجله، حتى لا تنقطع منفعته⁽³⁾، إلا إذا صرف الميزاب في زقاق ضيق أو تضرر به المارة أو الجدران، فمثل هذه الحالة يقطع ضرره بإزالته⁽⁴⁾.

ب. القنوات:

القناة هي الرمح الأجوف الذي يستخدم لصرف الماء⁽⁵⁾، ولها وظائف عديدة كجلب المياه توزيعها بين الأحياء وصرف النجاسة خارج المدينة... وغيرها من الأدوار⁽⁶⁾، مما تؤدي أحياناً بطول الاستعمال إلى انسداد مسالكها، والذي ينجم عنه

(1)- بن حمو محمد، العمارة والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 109.

(2)- الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 482.

(3)- نفسه، ج 8، ص 432.

(4)- نفسه، ج 8، ص 431.

(5)- الألفياني، المرجع السابق، ص 678.

(6)- بن حمو محمد، المرجع السابق، ص 111.

تصريف مياهها خارج القناة والذي يسبب عرقلة بالطريق من أثر الطين⁽¹⁾، كما أشارت نازلة إلى تغطية التجار لقناة جراء استحداثهم حوانين، مما نتج عنه تأديب الناس والدواب من البلل الحاصل، فأجيب عن المسألة أن تعاد القناة إلى ما كانت عليه ما دام ضرر الناس ثابت⁽²⁾، فمصلحة الناس أولى من مصلحة شريحة لا تملك وحدها حق الطريق.

أما إن كانت القناة تصرف المياه النجسة، فلا شك أن ضررها أكبر من قنوات صرف المياه الطاهرة، لذا وجب الاحتياط في صنعها حتى لا تتسبب في إذابة المسلمين، خاصة حرص عدم صرفها ب المياه التي يتغذى بها الناس، كالعيون والوديان، فإن ثبت ذلك وجوب قطع القناة⁽³⁾، خاصة إذا كانت مخصصة ابتداء لإجراء المياه الطاهرة، ثم صارت مصرفًا للنجاسات، فيجب قطع النجاسة عنها، إلا في حالة عدم إفساد المياه ولم يتضرر منها أحد فإنهما تبقى على حالها⁽⁴⁾ أما إن تسببت في الأضرار للناس، فإنهما تقطع مهما كان نوع الضرر⁽⁵⁾، لأن المدن الإسلامية رصّدت أماكن مخصوصة لصرف المياه النجسة، والتي بالعادة ما تكون خارج أسوار المدينة⁽⁶⁾، بحيث تكون أرضاً مهملة لا منفعة لأحد فيها، فإن ثبتت أنها مملوكة لشخص صرفت في مكان آخر⁽⁷⁾،

(1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ص 111 .

(2)-نفسه، ج 9 ، ص 61 .

(3)-نفسه، ج 9 ، ص 62 .

(4)-بن حمود، العمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 112 .

(5)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8 ، ص 405 .

(6)-بن حمود، العمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 112 .

(7)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 9 ، ص 406 .

بحيث لا يجر ضررا على الناس، ولا تصرف أعلى الواد حتى لا تسبب ضررا على أصحاب المزارع⁽¹⁾.

ج. السوافي:

لا يختلف هذا المرقق عن القناة في الوظيفة إلا بما يتعلق بالمياه المراد جلبها وبساطة صنعها مقارنة بالقنوات، فالسوافي كانت تستخدم لجلب المياه قصد استخدامها في الري والأرحية المائية ودار الدباغة والسوقى، وأحيانا للحمامات والشرب⁽²⁾... وغيرها من المنافع.

ونتيجة لجلب الماء من أماكن بعيدة، كانت هذه السوافي تستلزم مرورها بمحاذة أراضي مملوكة لأصحابها، مما يستلزم استغلال بعض هذا الماء، والذي كان يتم عن طريق هذا الشرط، ولكثرة المستغلين من أصحاب المزارع، فأحيانا كان هؤلاء يأخذون حصصا أكثر من الجالبين، ولذا وجب ضمان شرب معلوم وحصة مكفولة لهم حتى لا يلحق بهم الضرر⁽³⁾، كما يجوز لهم أن يمنعوا من يستحدث شيئا من المنشآت التي تحتاج إلى مياه، كاستحداث حمام⁽⁴⁾، كما يحق لأصحاب الأرض أن يمنعوا إحداث ساقية لإجراء الأرحية، فإن فرغوا من إحداثها وقام عليهم صاحب الأرض جاز لهم أخذ مصاريف إنشائها⁽⁵⁾.

(1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 27.

(2)-البرزلي ج 4، ص 416.

(3)-بن حمو محمد، العمran والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 113.

(4)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 408.

(5)-بن حمو محمد، العمran والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، المرجع السابق، ص 114.

ومن السوالي من كانت تستخدم لصرف المياه القدرة، ومن ذلك ساقية صرف مياه دار دبغ الجلود، والذي يمكن أن يصرف في مجرى الفضلات المعلوم، حتى وإن أراد البعض منع صاحب الغسالة من صرفه، لأن فضلات دار الدباغة أشبه بفضلات الدور⁽¹⁾، ويستخلص كذلك من هذا أن هذه المهن يفضل أن تقام بأطراف المدن حتى يقطع ضررها.

3. المنشآت العامة ومنتجاتها المائية:

هناك عدة مرافق عامة بالمدينة الإسلامية كان يقوم عصبيها على المياه، وسنقتصر على ذكر أهم المنشآت التي ورد ذكرها في مدونة المعيار المغربي للونشريسي وأهمها:

أ. الحمامات:

يعد من المنشآت العامة الضرورية في المدينة الإسلامية، حيث انتشر هذا النوع من المنشآت في جل المدن الإسلامية بشكل كبير⁽²⁾، وبما أن قوامها وعصبيها الأساس هو الماء، فقد اعترضت أصحابها عدة مسائل، كالمسألة السابقة المذكورة في السوالي، فعلى صاحب الحمام أن يجلب مياه برضأ أصحاب الجنات، حتى وإن كانت الساقية محدثة بأرضه إذا كانت الساقية على نفقائهم، وهذا لا يمنع أن يكون الماء على حظوظ ترضي الجميع⁽³⁾، أما السوالي المتعلقة بصرف مياه الحمام، فإن كانت هناك ما يضر الناس، فعلى صاحب الحمام إصلاحها وترميمها، فإن عفى رسمها واندثرت الساقية فليس له أن يحدها من جديد⁽⁴⁾.

(1) -الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 280.

(2) -بن حمو محمد، الدكتوراه، ص 333.

(3) -الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 408.

(4) -نفسه، ج 8، ص 410.

ب. الأرحبة المائية:

تعد هذه الأرحبة نوعاً من أنواع الرحى التي استخدمها الإنسان في طحن الحبوب و مختلف الغلات باعتبارها أقوات الناس، ولذا فقد كانت تقام أرحبة الماء على ضفاف الوديان أو تجلب السواقي لها بغرض تحريكها⁽¹⁾.

وبما أن هذا النوع مختص بعنصر الماء، فكان من الطبيعي أن تنشأ مسائل متعلقة بهذه المنشأة، كمن أحدث ساقية بأرض رجل دون علمه، فله أن يمنع إجراء سواقيهم شريطة تعويض ما أنفقوه من مال⁽²⁾، فهو بناء على وجه شبهة، وبالعادة ما كانت تشيد السدود لها لضمان إجرائها بشكل دائم، والتي كانت تستقي ماءها من الوديان⁽³⁾، فكلما كثرت الأرحبة كثرت السدود، فإذا أحدث أحدهم سداً فعليه مراعاة مبدأ عدم الإضرار بمن يليه من السدود، وألا يغير موضع سده بحيث يضعف إجراء المياه للسدود الموالية، إلا أن يطول الزّمان الموجب لا سقاط حق الدعوى⁽⁴⁾، وفي حالة تعطل رحى قديمة واستغلال صاحب الحديثة لماء القديمة، فإن معاودة تجديد الأولى يكفل له حقّه، أما إن اندرت هذه الرحى بالجملة فلا مقال لصاحب الرحى القديمة⁽⁵⁾، ولا اعتبار لادعاء قلة الفائدة بين الأرحبة المجاورة⁽⁶⁾، كما كانت هذه

(1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 395.

(2)-نفسه، ج 8، ص 407.

(3)-بن حمود، العمران والعمارة من خلال كتب النوازل، المرجع السابق، ص 364.

(4)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 381.

(5)-نفسه، ج 8، ص 381.

(6)-نفسه، ج 9، ص 22.

السدود تجّرّ ضرراً على أصحاب المهن الأخرى كنافل الألخشاب بالواد، فحل النزاع هنا متوقف على مبدأ الأسبقية، فإذا كان إنشاء السدود أقدم، فلا تحرير الألخشاب إلا برضأ أصحاب الأرجحة⁽¹⁾.

4. مرافق المياه أخرى بالعماير المدنية:

كذلك هي كثيرة في العماير الدينية والقصور والسكنات، ولكن اقتضب لنا المعيار بعضاً منها استناداً إلى النوازل التي وردت على الفقهاء بشأنها:

أ. الميضة:

هي مرفق من مرافق المسجد، حيث تعدّ المكان المخصص لل موضوع، فمنها ما كان يبني داخل المسجد ومنها كان منفصل عنها⁽²⁾، والأولى أن تقام خارج المسجد إن كان هذا يسبب حرجاً بسبب البخل أو النجاسة التي يسببها استخدام الميضة من قبل الناس⁽³⁾، وهذا الذي جعل الشيوخ يندبون للناس الموضوع في بيوتهم، تفادياً لإحداث الضرر بالنسبة⁽⁴⁾.

ب. المرحاض:

كثيراً ما كان يحتاط فقهياً في هذه الموضع التي تحمل العذرة والنّجاسة، ولذا اعتمدت معايير فقهية لإنشائها، كعدم موافقة المرحاض لاتجاه القبلة، كما أنّ هناك معايير معمارية تمنع ضررها على الناس، كإنشاء المرحاض بموضع يخالف اتجاه الرياح كي لا تؤدي الناس بالروائح المنبعثة منها، كما يمكن لمن يتضرر بالمرحاض أن يمنع

(1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 9، ص 52.

(2)-بن حمود، العمارة والعمارة من خلال كتب النوازل، المرجع السابق، ص 140.

(3)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 443.

(4)-نفسه، ج 6، ص 69.

استخدامة⁽¹⁾، سواء كان ساكناً بنفس السكنى أو كان جاراً أنشئ المراحاض بجواره⁽²⁾، فيتأذى برائحة المراحاض، خاصة إذا كان الزقاق ضيقاً، أما إن كان واسعاً جاز لأصحاب البيوت إخراج مراحيلهم خارج أصل الدار إذا كانت لا تضر بالسابلة ولا بالجيران⁽³⁾، كما أن تنظيف هذه المراحيل كانت تؤذي الجيران في العديد من الأحيان، ومن ذلك ما ورد في نازلة عن رجل اشتري داراً فيها مرحاضاً للجار، وكانت عادته أن ينطفف مرحاضه إزاء دار الجار، فمنعه هذا الأخير، نظراً للنجاسة والروائح التي انبعثت منه، فكان الجواب أن من حق المشتري أن يمنعه أو يرخص له ما دام متملقاً للبيت، ولا اعتبار لعادة الجار القديمة مع جاره الأول⁽⁴⁾، كما يجوز لمن اشتري داراً أن يجري تفل مرحاضه في قنطرة الحي أو إعادة تجديد القنطرة القديمة ما دامت لم تعمل على الإضرار بأهل الزنقة التي يجري تفله فيها⁽⁵⁾، ما دام أنه تملك أصل الدار بجميع مراقبتها، بشرط ألا يصرف النجاسة بأعلى النهر بحيث ينجرس الماء، أما إن صرفه في أسفل الواد فلا حرج في ذلك⁽⁶⁾.

(1)-الونشريسي، المعيار...، المصدر السابق، ج 8، ص 440.

(2) - نفسه، ج ٩، ص ٥٩.

(3) - نفسه، ج 8، ص 440.

(4) - نفسه، ج 8، ص 456.

• ٣٢ - نفسه، ج ٩، ص ٢

٢٧ - نفسه، ج ٨، ص (٦)

الخاتمة:

وختاماً يمكن القول أن المياه أهمية بارزة في مجتمع المغرب الإسلامي باعتباره عصب الحياة، زاد من هذه الأهمية نقص هذا العنصر الحيوي ومشاحته بين الناس، ولذا عمد الفقهاء النوازليون على تنظيم استعماله وترشيده بين الناس من خلال أجوبتهم، ومن هنا نستنتج ما يلي:

- تتنوع مصادر المياه بالمغرب الإسلامي من حيث مصادرها وأشكالها، فوجدت مياه الأمطار والوديان والعيون والجداول والآبار.
- يعدّ موضوع المياه مستهلاً كتب الفقه عموماً من خلال أبواب الطهارة، وكذا شغل حيزاً معتبراً من خلال كتب النوازل الفقهية، فحرصت كتب النوازل إعطاء كل ذي حق حقه، اعتباراً أن التشريع في هذا الوقت كان يستند إلى الشريعة في العصر الوسيط.
- أوضحت لنا كتب النوازل، ومدونة المعيار على وجه الخصوص أهمية قضايا المياه، حيث أفردت لها عدداً معتبراً من النوازل التي طالت جل قضيات المياه ومرافقه المعروفة، التي استندت إلى الفقه المالكي في أجوبتها.
- كانت الأجروبة قائمة على العرف ومبدأ عدم الضرر والأسبقية في الاستغلال، ولا اعتبار في هذا للأقدمية، كما قامت بعض الأحكام على مبدأ التراضي كآلية للتوفيق بين الناس.
- هناك مياه غير متملكة يسقي منها الأعلى فالأعلى، ومياه متملكة تكون بين أصحابها على حظوظ إن كانت مشتركة أو محبسة، وإن كانت خاصة فهي لصاحبها لا يحق للناس مشاركته فيها إلا برضاء، وجاز له بيعها وكراؤها، وعليه إثبات ملكيتها بواسطة العقود العدلية في حالة النزاع عليها.

- يقع على عاتق أصحاب المهن التي تحتاج إلى مياه مسؤولية إصلاح منشآت المياه وكنس الوديان، ونفقة الترميم والإصلاح، وهم أولى بما زاد في الوديان من مياه.
- اختلفت الأحكام بشأن منشآت المياه باختلاف أنواعها بين المنشآت بالمدن وخارجها، وباختلاف الوظائف التي تؤديها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم

2. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر،

1950

أولاً: المصادر:

1. ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973 م.

2. التبنكي بابا أحمد، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، إشراف عبد الحميد عبدالله هرامة، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط 1، 1989 م.

3. القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تتح: أحمد بكير محمود، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت.

4. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1981.

ثانياً: المراجع:

1. خالد عزب، مشكلة المياه وحلوها في التراث الإسلامي، دار القدس للبحوث والطباعة والنشر، القاهرة، 1995.

2. عفيفة خروبي، أصول أبي العباس الونشريسي من خلال المعيار المغرب، الجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، 2011.

3. كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال فتاوى المعيار للونشريسي، مكتبة الإسكندرية للكتاب، 1996.

4. محمد بن حمو، العمارة من خلال نوازل الونشريسي، تلمسان، كنوز للطباعة والنشر، 2011.

5. محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999.

ثالثاً: الملتقيات والمجلات:

1. أبو القاسم سعد الله، من فتاوى الونشريسي، مجلة الوعي، عدد خاص بظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

2. زهير عبد الرحمن قزان، إسهامات علماء توات في مجال النوازل الفقهية، أعمال الملتقى الخامس حول المذهب المالكي بعنوان المدرسة المالكية الجزائرية، عين الدفل 14-16 أفريل 2009.

3. عبد القادر عزوز، النوازل الفقهية في المغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الخامس حول المذهب المالكي بعنوان المدرسة المالكية الجزائرية، عين الدفل 14-16 أفريل 2009.

4. فاطمة بلهواري، وسائل الري في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري، مجلة دعوة الحق، العدد 392، ماي 2009، الرباط.

5. محمد علي بن الصديق، أهمية الماء في القرآن والسنة، مجلة دعوة الحق، العدد 392، ماي 2009، الرباط.

رابعاً: الرسائل والأطروحة:

1. ب بشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع / 12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2010.
2. بن حمو محمد، العمران والعمارة من خلال كتب النوازل، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011.
3. سباب خيرة، المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي 7هـ-10هـ رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014.
4. محمد بن عميرة، الموارد المائية وطرق استغلالها في بلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005.

خامساً: القواميس:

1. ابن المنظور، لسان العرب، تحرير: عامر أحمد حيدر، ج 6، دار الكتب العلمية، بيروت.
2. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مجلد 5، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت.
3. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، مصر، 2004.

التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية

The Andalusian influence on the Algerian Architecture

د.ه. سامية بن قويدر

جامعة الجزائر - 2-

samiakerpic@gmail.com

ملخص:

تهدف الأبحاث المتعلقة بالمحافظة على التراث الثقافي العقاري إلى دراسة أصوله بهدف جرده وتسجيله بتميزاته دون أي تحوير، لفهم هذا النوع من التراث الثقافي أولاً والمحافظة على خصوصياته بالشكل الذي يستحقه وترميمه لاحقاً بالفكر الذي جاء به. لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة تسلیط الضوء على التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية كتيار من التيارات الحضارية العديدة المؤثرة، لفهم التمازن الثقافي بين البلدين باعتبار التراث الثقافي المعماري بصمة راسخة على مر التاريخ، وشاهدنا مادياً يسهل استقراؤه مهماً بعد الزمن، تاركين مظاهر هذا التأثير لدراسات أخرى بشكل أعمق.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الجزائر، تأثير، عمارة.

Abstract:

The purpose of the researches concerned with the preservation of the cultural and real-estate heritage consists in studying its origin in order to record it and save it with its features without any change, to understand this kind of cultural heritage firstly, and preserve its specificity in its deserved manner, and its restoration later with its inherent thought. Therefore, we will try in this study to highlight the Andalusian influence on the Algerian architecture as one of the multiple influencing civilization currents, and grasp the cultural models of the two countries since the architectural cultural heritage is a well-established imprint throughout history, and a material witness easily examined whatever its oldness, and it is up to other studies to study deeply the manifestations of this influence.

Keywords: Al-Andalus-Algeria -influence- architecture.

وصلت العمارة في الأندلس إلى أوج رقيها وازدهارها بفضل التطور الحضاري الذي عاشته في العصر الوسيط، والذي يمكن ملاحظته في التحكم في تقنيات البناء بصفة كبيرة بفضل الإبداع الكبير الذي وصل إلى أوجهه هناك، إلى درجة إطلاق ابن خلدون مصطلح "صناعة البناء" على الهندسة المعمارية الأندلسية نظراً لوصولها مرحلة التمكّن فنياً وعلمياً. يمكن ملاحظة هذا التطور المعماري في الابتكارات الخاصة بالياه والري، وكذلك في هندسة الحدائق وتصميم المباني والتحكم في النسب والحسابات الذي ارتقى إلى أوجهه فيما يخص التلاعب بين الكتل والفراغ، دون أن ننسى الزخارف على اختلاف أنواعها سواء الخاصة بالجص أو الزليج وغيرها، مما يثبت الرقي الذي وصل إليه الأندلسيون في هذا المجال.

برز التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية في مختلف المراحل التاريخية سواء في العصر الوسيط أو العثماني، والذي بقي راسخاً في ذاكرة الأمة الجزائرية إلى يومنا هذا، من خلال شواهد مادية عقارية دالة على هذا التأثير. لذلك سينسلط الضوء في هذا البحث على هذا التأثير الحضاري الأندلسي المتمثل في جلب نماذج أندلسية معمارية تعتبر أساس بناء وواجهة هذه الحضارة، كذلك من خلال التركيز على تواجد العنصر الأندلسي كتركيبة إثنية هامة بالجزائر، قدمت بشكل هجرات كبرى متتالية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل وفقاً لأحداث هامة وقعت بالأندلس، ليستقرّوا في مدن ساحلية جزائرية في الغالب نظراً لقربها، أين رسخوا وجودهم فيها من خلال بصمات تبرز هذا التأثير، كبناء مدن جديدة أو تجديد وتعمير أخرى مخرية ومهدمة، أو بناء أحياًء خاصة بهم في المدن الكبرى المكتظة أو في ضواحيها. بناء عليه يمكن فهم هذا التأثير بشكل أفضل عن طريق ملاحظة نماذج خاصة متمثّلة في بعض المنشآت الكبرى

المبنية من طرفهم، أو في الأفكار العامة التي أدخلوها والتي كانت ابتكارات خاصة بهم - متمثلة بالخصوص في هندسة المياه والحدائق والزخارف المتنوعة على مواد مختلفة -، امتزجت مع الطابع المحلي لتكون لنا هذا التراث الثقافي والحضاري، الذي يمكن استقراؤه من خلال هذه العمارة على مر التاريخ.

للوصول إلى الأهداف المرجوة من هذا البحث فضلنا طرح الإشكال المحوري التالي: فيما تمثل التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية؟ وما هي الظروف التي أدت إلى هذا التأثير؟

تنفرع من هذا الإشكال الرئيسي إشكاليات أخرى فرعية ممثلة في: في أي عصر تم هذا التأثير؟ وما هي المدن التي عرفت هذا التواجد الأندلسي؟ وكيف بُرِزَ هذا التأثير في كل مدينة؟ وغيرها من الأسئلة التي يمكن طرحها للخروج بتائج من هذه الدراسة.

1-أهمية الدراسات الحضارية والإثنية في العمارة:

يتمثل الهدف الأساسي من تناول هذا العنصر في ربط العمارة الجزائرية بالجانب الحضاري والإثنى، الذي اخترنا له كنموذج فئة الأندلسيين للتعرف والتمهيد لهذا الموضوع، كون التأثير المعماري ناجم عن تأثير الأندلسيين البارعين في هذا المجال بشكل أكبر، حيث نقلوا معهم أفكارهم التي طوروها في بلاد الأندلس وطبقوها في المغرب الأوسط. يكتسي هذا النوع من الدراسات المتعلقة بمجال العمارة أهمية بالغة كونه يمتلك خلفية حضارية، باعتبار العمارة واجهة الحضارة ودليلاً وشاهدًا مادياً على رقيها وتطورها، كما يمكن من خلالها قراءة نمط حياة شعب هذه الحضارة، حيث تتناسب العمارة طردياً مع الحضارة فكلما وصلت الحضارة إلى أوج ازدهارها كلما تميزت العمارة بالبذخ والزخارف والرفاهية، وبالتالي ترتبط ارتباطاً وثيقاً معها. لفهم

ذلك وجب تعريف الحضارة الذي يرتبط مصدر مصطلحها المتمثل في "الحضر" ب الاستقرار في حيز حضري متمثل في المدينة، التي تكون مزدهرة في مختلف المجالات⁽¹⁾، لذلك يكون الحضر خلاف البايدية. يمكن كذلك تسمية الحاضرة المشتقة من مصدر الحضر بالحي العظيم⁽²⁾، وذلك لارتباطها الوثيق بالإقامة والمكوث والتمدن⁽³⁾، حتى في اللغة الأجنبية تدعى الحضارة بـ"Civilization" والتي هي من أصل إغريقي "civites"⁽⁴⁾ وتعني المدينة في الأساس.

ترتبط الحضارة بالجانب الاجتماعي باعتباره أساس دراستها، كونها معتمدة في قيامها على الأجناس المتنمية إليها، وعلى تركيبتهم وطبقاتهم الاجتماعية⁽⁵⁾، وكذلك الاحتكاك مع المجتمعات الأخرى والتبدلاته فيما بينهم، والتنظيم المرتكز على بناء المدن أيضاً⁽⁶⁾، الذي يأخذ بعض الأفكار المعمارية من المجتمعات المجاورة والمعاصرة له، وكذلك من الاقتباس عن الحضارات التي سبقتها وهو معروف في كافة العوائل⁽⁷⁾.

(1)- عبد المجيد (بن يكن)، "الحضارة العربية الإسلامية وتفاعلها مع الحضارة الإنسانية"، مجلة التراث، المجلد: 1، العدد: 32، 2019، ص. 59.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، 1405هـ، ص. 197.

(3)- بدران (بن لحسن)، "مفهوم الحضارة. دراسات تحليلية مقاربة للثقافات"، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد: 7، العدد: 2، 2021، ص. 166.

(4)- المرجع نفسه، ص. 161.

(5)- عبد المجيد (بن يكن)، المرجع السابق، ص. 61.

(6)- بدران (بن لحسن)، المرجع السابق، ص. 172.

(7)- عبد المجيد (بن يكن)، المرجع السابق، ص. 63.

بناء عليه ولفهم المجتمعات المُنشأة للحضارة وجب معرفة فئاتها المكونة لها، والتي سنركز على الأعراق المكونة لفهي بحثنا هذا، والتي تحددها الدراسات الإثنografية المهمة بوصف الجماعات الثقافية، وهي خاصة بالدراسة الوصفية لأساليب حياة الأعراق والمجتمعات والشعوب بالتحديد، مما يساهم في فهم سلوك أعراق الفئات المكونة للمجتمع الواحد بشكل أفضل⁽¹⁾. تركيزنا على الجانب الإثنوغرافي جاء لكون مصدر هذا المصطلح إغريقي متكون من كلمتين "إثنو" (Ethno) التي تعني عرق أو شعب، و"غرافيا" (Graphy) وتعني وصف، وبهذا تُعرف الإثنوغرافيا على أنها وصف لأعراق الشعوب بعرض معرفة ثقافاتهم ونمط حياتهم، وكذلك مقارنة مجتمعات وثقافات الشعوب والإنسان بشكل عام، وهو ما يساعدنا في فهم أهمية الأعراق بالنسبة للحضارة والبناء معًا، وبالتالي يفسر لنا التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية بشكل أوضح.

تشترك المجموعة العرقية الواحدة في مجموعة من الصفات كنمط الحياة والسلوك واللغة واللهجة وطريقة التفكير، وكذلك العادات والتقاليد والقيم وغيرها من العناصر الهامة التي تجمع بينهم⁽²⁾. لذلك يساعد هذا النوع من الدراسات في معرفة أصول نشأة الحياة الاجتماعية، وفهم المجتمعات الحالية المركبة من عدة أعراق

(1)- الزهرة (بوجبجوف)، "المقاربة الإثنografية في المجتمعات الإفتراضية: توجه بحثي معاصر في الفضاء الإتصالي الجديد"، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد: 9، العدد: 2، 2022، ص.

.278

(2)- حياة (خيس)، "المنهج الإثنografي واستخداماته في الأبحاث الأنثربولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 9، العدد: 2، 2022، ص. 809.

عبر مراحل زمنية ساهمت في الربط فيما بينهم⁽¹⁾، حيث يتم تحليل المجموعات الإثنية أي العرقية بهدف وصفها في مختلف المجالات، التي اخترنا منها مجال الأشغال والمهارات الخاصة بالحرف الصناعية⁽²⁾، التي يتميز وبرع فيها عرق إثنى ما عن غيره. تمتاز التجمعات العرقية ببنية اجتماعية متجانسة، مرتكزة على مجموعات حرفية في مجالات معينة اكتسبوها عبر الزمن وزاولوها في بيئتهم الواحدة⁽³⁾، حيث تحوز هذه المجموعات العرقية مهارات و المعارف مشتركة وتصورات اجتماعية، وكفاءات وتقنيات قائمة على الأعراف تمثل الدلالات الحقيقة للارتباط بالهوية الثقافية⁽⁴⁾.

يدخل ضمن هذه المهارات العمارة التي تربط المجتمع بالحضارة⁽⁵⁾، والتي تحمل المعنى الاجتماعي الحقيقي للسكان، حيث تتنظم المدن وترتبط بالجانب الاجتماعي بصفة كبيرة⁽⁶⁾. تنشأ العمارة نتاج تفاعل الأمة عبر تاريخها الحافل لذلك تعتبر دليلاً مادياً بارزاً على رقي وتطور هذه الحضارة⁽⁷⁾، فالحضارة مرتبطة بالعمران والمدينة والمدينة والتمدن، أين تستقبل المستقرين بها وتحمعهم للقيام والنهوض بأمتهם

(1)- المرجع نفسه، ص. 810.

(2)- نفسه، ص. 809.

(3)- الزهرة (بوجفجوف)، المرجع السابق، ص. 279.

(4)- قانون رقم 98 - 04 مؤرخ بـ 15 جوان سنة 1998 : متعلق بحماية التراث الثقافي، المادة: 67.

(5)- بدран (بن لحسن)، المرجع السابق، ص. 168.

(6)- المرجع نفسه، ص. 166.

(7)- عبد المجيد (بن ي肯)، المرجع السابق، ص. 62.

⁽¹⁾، عن طريق تطوير علومهم وصناعتهم وغيرها من منتجات الحضارة، التي تظهر في الطابع العماني الذي يتطور بتطورها ⁽²⁾. فالحضارة متمثلة في الأساس في الاستقرار والإقامة والاستيطان والسكن والبقاء في الحيز ذاته، الذي يُشترط فيه التمدن للتنظيم ⁽³⁾.

2- الأندلسيون:

قبل الحديث عن التأثير المعماري الأندلسي ستتكلّم فيما يلي عن الأندلسيين أولاً، والذين نقصد بهم المسلمين الذين ربطهم تاريخ مشترك مع سكان المغرب العربي، وهم الأشخاص الذين عاشوا في إسبانيا، واتخذوا تسميتهم من الأندلس التي بدورها اتخذت تسميات عدّة على مر تاريخها، بدايةً مع اسم إيبيريا نسبة لإيبيريين الذين عاشوا بها، وبعدّها أخذت تسمية إسبانيا التي أطلقها الرومان عليها، وبعدهم الوندال الذين سموها وانداليسيا(Vandalisia) في أوائل القرن 5م، وهو الاسم الذي اشتق منه العرب تسميتها المتمثلة في الأندلس عند فتحها، والذي بقي مستخدماً لفترات طویلة خصوصاً عند المسلمين، وأما أندالسيا(Andalucia) فقد صار مستخدماً للدلالة على جنوب شبه الجزيرة فقط بعد أن كان يطلق عليها كاملاً ⁽⁴⁾.

أما تسمية المورسكيين فقد اشتقت من مصطلح "مور" أو "مورو"، الذي أطلقه الإسبان على فاتحى الأندلس المسلمين، أخذًا عن الكلمة موريتانيا التي أطلقها

(1)- بدران (بن حسن)، المرجع السابق، ص. 166.

(2)- المرجع نفسه، ص. 168.

(3)- نفسه، ص. 172.

(4)- عبد المجيد (البغدادي)، "أسباب انتشار اللغة العربية وسيطرتها في الأندلس"، مجلة القسم العربي، المجلد: 14، العدد: 24، 2017، ص. 274.

الرومان على سكان شمال إفريقيا، ومن قبلهم الإغريق الذين أطلقوا تسمية موروس (Mauros) على السكان الأصليين في غرب إفريقيا الشمالية⁽¹⁾، وبالتالي يُقصد بها سكان المغرب العربي. لقد استخدم هذا المصطلح في العهد العثماني للدلالة على سكان الجزائر، كما أطلق كذلك على مسلمي الأندلس المهاجرين بعد سقوط غرناطة. أما مصطلح "موريسكي" أو "موريسكو" بالإسبانية فهو تحريف وتصغير لكلمة "مور"، التي جاءت للدلالة على المور الباقين بالأندلس بعد سقوط مدينة غرناطة، والذين اعتنقوا المسيحية ظاهراً بما يعرف بالتقايا أو التقية، بهدف ابقاء شرحاً من محاكم التفتيش التي من أهدافها طرد المسلمين من الأندلس المدعين اعتناق المسيحية⁽²⁾.

يمكن تحديد فترة إطلاق هذا الاسم على الأندلسيين بإسبانيا منذ إصدار الملكة إيزابيلا مرسوماً سنة 1502⁽³⁾، والمتضمن لبني قاضي باعتناق الأندلسيين المسيحية والسماح لهم بالبقاء أو ترحيلهم إن تشبثوا بدينيهم، وكل من تنصر وبقي أطلق عليه اسم موريسكي⁽⁴⁾، وبالتالي يطلق هذا المصطلح على الأندلسيين ما بعد سقوط غرناطة فترة العهد العثماني في الجزائر من طرف الإسبانيين، وليس في العصر الوسيط كونه لم

(1)- Barrucand (M.).Bednorz(A.) ; L'architecture maure en Andalousie ,P.L.M , Italie , 1995 , p.18

(2) أحمد توفيق (المدنى)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 ، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص. 45.

(3)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، الهجرات الأندلسية وتأثيراتها الفنية على الجزائر (العمارة والموسيقى أنموذجاً ما بين القرنين 15-19م)، مجلة المعيار، المجلد: 27 ، العدد: 4 ، 2023 ، ص. ص.: 842 - 859 ، ص. 846.

(4)- المرجع نفسه، ص. 847.

يوجد قبلاً، حيث ارتبط هذا المصطلح تحديداً بمن أدعوا المسيحية حماية لأرواحهم، إضافة إلى صفة التصغير كلاحقة لربطهم بالمورين المعروفين بسكان المغرب العربي.

3- هجرة الأندلسيين:

ستتناول بالحديث فيما يلي هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، التي تميزت بكونها منقسمة إلى ثلاثة مراحل امتدت منذ العصر الوسيط وإلى غاية العهد العثماني، وكذلك سنذكر بعض المناطق الرئيسية لاستقرارهم كما يلي:

3-1- مراحل هجرة الأندلسيين:

مثل التواجد الأندلسي في الجزائر رافداً شرقياً أثري التراث الحضاري المحلي وأضاف عنصراً جديداً للتركيبة البشرية، التي تمازجت مع السكان المحليين وأعطت طابعاً حضرياً جديداً، حيث ساهمت في بناء مدن جديدة وفي ازدهار مدن أخرى⁽¹⁾. لذلك سنذكر فيما يلي مراحل هجرة الأندلسيين إلى الجزائر -كونه هام في فهم تطور المدن الجزائرية - كما يلي:

3-1-1- المرحلة الأولى: نقصد بها الهجرات التي قامت في العصر الوسيط قبل سقوط غرناطة، بسبب الصراعات المسيحية مع المسلمين التي كانت أولاهما مع سقوط مدينة طليطلة سنة 1085م⁽²⁾، كذلك ومع قيام الدولة الموحدية واتحاد الضفتين أصبحت هجرة الأندلسيين سهلة بفضل الطلب المتزايد عليهم نظراً لعلمهم وخبرتهم بهدف الاستفادة منهم، وبمرور الوقت ومع ضعف هذه الدولة وتکالب

(1)- عبد القادر (كركار)، "الهجرة الأندلسية إلى الجزائر وأثرها في الحفاظ على التوازن демографي في العصر الحديث"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 7، العدد: 2، 2023، ص. 62.

(2)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 843.

المسيحيين على المسلمين في الأندلس، اضطر الأندلسيون إلى الهجرة إلى المدن الجنوبيّة أو ضفاف شمال إفريقيا عند سقوط كل مدينة بالأندلس بالتالي، إلى أن سقطت مدينة قرطبة سنة 1236م، والتي عرف سقوطها هجرة جماعية واسعة في ذلك العصر⁽¹⁾.

2-1-3 المرحلة الثانية: تدخل هذه المرحلة والمرحلة المعاونة لها في العهد

العثماني بالجزائر معاً، ونقصد بالمرحلة الثانية هنا الهجرات التي وقعت بسقوط غرناطة سنة 1492م، ويمكن إدخال الفترة التي كانت قبيل سقوطها مع سقوط مالقة 1487م وألميرية 1488م بواسطة وادي آش سنة 1489م، حيث استمرت هذه المرحلة بسقوط المدن الواحدة تلو الأخرى إلى غاية إصدار قرار النفي النهائي، الذي اعتبر بداية للمرحلة الثالثة. لقد أصدرت الملكة إيزابيلا بعد سقوط غرناطة مرسوماً مؤرخاً بـ 12 فيفري سنة 1502م⁽²⁾ يقضي بالتنصير أو الترحيل، بما معناه ترحيل المسلمين الذين رفضوا الدخول في الدين المسيحي⁽³⁾، مما أدى إلى هجرة عدد كبير من الأندلسيين نحو الجزائر، حيث كانت الإيالة ترسل سفنها لنقلهم جراء ذلك، والتي يمكن ذكر العديد من الأمثلة عليها كسنة 1569م التي تم فيها إرسال مجموعة سفن عُين على رأسها صالح رais لنقل 5600 أندلسي، وكذلك سنة 1570م التي تم فيها نقل ما يقارب 30 ألف أندلسي، وبعدها سنة 1591م التي تم فيها نقل عدد معتبر من الأندلسيين، وبقيت حملات السفن هذه مستمرة لنقل المهاجرين إلى غاية المرحلة الثالثة⁽⁴⁾.

(1)-جمال الدين(علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 844.

(2)-نفسه، ص. 846.

(3)-نفسه، ص. 847.

(4)-نفسه، ص. 849.

3- المراحل الثالثة: تمثل هذه المرحلة في آخر مرحلة من مراحل الهجرة

والتي حددت بتاريخ 1609م، تم فيها اعتبار الأندلسيين الباقيين خونة وجوايسين وخطر على إسبانيا، وبالتالي تم طردتهم بعد كشف أمر اعتناقهم الظاهري للمسيحية، بداية من مدينة فالنسيا أكبر المدن المستقطبة للمورسكيين، أين قمت مباشرةً بالتهجير وإلى غاية التهجير النهائي بتاريخ 22 سبتمبر سنة 1609م⁽¹⁾.

2- مناطق استقرار الأندلسيين:

استقطبت غالبية المدن الساحلية الجزائرية أو تلك القرية منها عدداً كبيراً من مهاجري الأندلس، نظراً لقربها من إسبانيا وسهولة ربطها بالسفن بين الصفيتين⁽²⁾، مثل مدينة البليدة والقلعة والقل ودلس وشرشال، وكذلك بجایة وهران وتلمسان ومستغانم والمرسى الكبير وارزيو وغيرها من المدن⁽³⁾. لقد عرفت مدينة بجایة استقطاباً كبيراً لهم منذ العهد الحفصي، حيث احتضنت العديد من المهاجرين منذ المرحلة الأولى⁽⁴⁾. أما مدينة تلمسان فقد كانت من أهم الوجهات بالنسبة للأندلسيين بسبب قربها من الأندلس منذ المرحلة الأولى، وكذلك لمعرفة أهلها بتمكن الأندلسيين في مجال العمارة خصوصاً في العهد الزياني. من بين المigrations الكبرى التي عرفتها تلمسان تلك التي كانت في عهد السلطان عبد الواحد بن أبي عبد الله ثم أبو العباس أحمد، وهو حاكم زيانيان شجعاً على الهجرة لدرجة تخصيص حي للحرفيين وأصحاب الأموال والتجار للإقامة والتجارة فيه، والذي أخذ نفس تسميتهم حيث

(1)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 847.

(2)- عبد القادر (كركار)، المرجع السابق، ص. 658.

(3)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 849.

(4)- المرجع نفسه، ص. 844.

سمى بدرب الأندلس. كذلك نذكر هجرة أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل عم سلطان غرناطة، الذي هاجر إلى تلمسان واستقر بها قبل سقوط غرناطة.

من بين أهم المدن المستقبلة للمهاجرين كذلك نذكر مدينة الجزائر، التي كان بها عدد الأندلسيين كبيراً إلى درجة من حهم أراضي بضاحية المدينة، خُصصت لبناء حي فيها سمي بحي التغرين المعروف بتاغارة حالياً⁽¹⁾، نسبة إلى سكان مناطق التغور بالأندلس⁽²⁾. تغيرت تركيبة مدينة الجزائر البشرية مع قدوم الأندلسيين إليها ما جعلهم يمتلكون مكانة هامة مع السكان المحليين، وذلك بداية من سنة 1492م بالخصوص، تلتها هجرات متعاقبة كثيرة أخرى⁽³⁾. ذكر كأمثلة على ذلك الهجرات المتعاقبة سنة 1609م، والتي تنقل فيها إلى هذه المدينة قرابة 25 ألف مهاجر من الأندلس⁽⁴⁾، وكذلك سنة 1612م التي تنقل فيها لمدة قدرت بشهر واحد فقط ما يفوق 3800 مهاجر، مما يدل على أهمية هذه المدينة بالنسبة للأندلسيين.

كذلك ومن بين المدن الهامة المستقطبة للأندلسيين نذكر مدينة وهران، التي هاجر إليها كثيرون نظراً لقربها من إسبانيا. نذكر كمثال على ذلك هجرة سنة 1612م التي استقطبت وهران فيها لوحدها 22 ألف أندلسي، وهجرات أخرى عديدة

(1)-جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 845.

(2)-عبد القادر (كركار)، المرجع السابق، ص. 659.

(3)-عائشة (غطاس)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830. مقاربة اجتماعية- اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، ص. 21.

(4)-عبد القادر (كركار)، المرجع السابق، ص. 659.

خصوصاً من مدينة فلنسيا التي هاجر منها 15 ألف فلنسي بسبب قرب هذه المدينة من وهران، ولكون عدد سكانها الموريسيكين فيها كبير جداً⁽¹⁾.

بالنسبة لمدينة شرشال فقد استقر بها الآلاف من الأندلسين في العهد العثماني⁽²⁾، وقاموا بتجديدها بعد أن كانت خالية في مناطق واسعة منها. أما مدينة القليعة فقد قام الأندلسيون بإنشائها سنة 1550 م⁽³⁾ في عهد حسن باشا أين استقرت بها 300 عائلة أندلسية تقريباً. كذلك الحال بالنسبة لمدينة البليدة التي بُنيت مثلها مثل القليعة كأول مدينة أندلسية في الجزائر سنة 1535 م⁽⁴⁾.

4- التأثير المعماري الأندلسي على المدن الجزائرية:

برز التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية في العديد من المدن الساحلية، أين ظهر ذلك في القصور وزخرفة المساجد وغيرها من المظاهر التي يمكن الاستشهاد بها⁽⁵⁾. نذكر من بين المدن التي بُرِزَ فيها هذا التأثير المعماري بصفة كبيرة مدينة تلمسان، بداية من العصر الوسيط وبالتحديد منذ العهد المرابطي والزياني، وذلك من خلال استقدام المهندسين المعماريين المهرة من الأندلس لإنجاز المشاريع الكبيرة وتزيين القصور وتصميم البساتين وإعطائهما اللمسة الفنية الأندلسية. كأمثلة على ذلك ذكر تشييد الكثير من قصور تلمسان التي تميزت بالجمال والروعة، والتي بناها

(1)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 849.

(2)- عبد القادر (كركار)، المرجع السابق، ص. 658.

(3)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 849.

(4)- عبد القادر (كركار)، المرجع السابق، ص. 658.

(5)- ناجي (لخضر)، "عوامل تأثر المرابطين بالحضارة الأندلسية-فن العمارة أنموذجاً"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد: 15، العدد: 1، 2022، ص. 531.

السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين اللذان طلبا من السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بإرسال أمهر الحرفين من الأندلس المتميزة بالريادة في صناعة البناء، لبناء القصور والمنازل والبساتين التي لا يوجد لها مثيل⁽¹⁾، لتصبح بذلك شبيهة بغرناطة واشبيليا في هندستها المعمارية⁽²⁾.

لقد تأثرت المساجد التلمسانية كغيرها من المعالم بالنمط الأندلسي وبشكل واضح، حيث أنجزت زخارفها من طرف حرفين أندلسيين، ولعل جامع سيدي بلحسن أبرزها، حيث احتوي على مظاهر عمرانية كثيرة مشابهة للفن المعماري الأندلسي خصوصا في زخارفه. نذكر من بين الأمثلة الكثيرة على ذلك أيضا الجامع الكبير، الذي تميز بحرابه مشابه لحراب جامع قرطبة، إضافة إلى سقفه وأعمدته المستوحاة من تصميمات أندلسية كذلك⁽³⁾، وبالتحديد من قرطبة والتي تظهر في تفصياته وتحيطه الفني الراقى، وفي ما ذكره المربعة وقبابه ذات الأضلع المتقطعة⁽⁴⁾. بالنسبة للزوايا نجد أيضا التأثير الأندلسي الذي كان واضحا فيها، حيث عكف الأندلسيون على إنشائها كزاوية أبي مدين التي تحولت إلى مدرسة فيما بعد، والتي يبرز فيها التأثير الأندلسي بشكل كبير من خلال النقوش والزخارف والكتابات بالخط الأندلسي⁽⁵⁾. أما فيما يخص الأحياء السكنية نذكر تسمية حي كامل بحي "بني سلطان

(1)- عبد الرحمن (ابن خلدون)، ديوان مبتدأ الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج. 7، دار الفكر، بيروت، 2000، ص. 190.

(2)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 850.

(3)- المرجع نفسه، ص. 852.

(4)- ناجي (لحضر)، المرجع السابق، ص. 531.

(5)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 852.

"أندلس" نسبة إلى سلاطين غرناطة بتلمسان، الذي عاش فيه أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل وأحفاده جيلاً بعد جيل، لدرجة تسمية حبيهم بالسلاطين نظراً لأصولهم الملكية الغرناطية⁽¹⁾. كذلك قام الأندلسيون بالتجمع في قرى خارج المدينة بنفس مواصفات القرى الأندلسية، تفادياً للاكتظاظ مع تزايد المهاجرات⁽²⁾.

بدأ التأثير المعماري الأندلسي في مدينة الجزائر كذلك منذ العهد الوسيط، بداية مع بناء الجامع الكبير الذي كان التأثير به واضحاً لدرجة اعتباره نموذج عن جامع قرطبة، حيث يمكن ملاحظة انعكاس الفكر المعماري فيه خصوصاً في السقف والأقواس وزخارف محرابه البنائية كذلك⁽³⁾. أما في العهد العثماني فقد كانت هذه المدينة أكثر المدن استقطاباً للأندلسية باعتبارها قاعدة الحكم منذ ذلك العهد، والتي استقر بها العديد من المهاجرين الذين تميزوا حسب أقاليمهم الأصلية، نذكر كمثال على ذلك تسمية حي تاغارة خارج باب جديـد نسبة إلى التغـريـنـ من ثغـورـ الأندلسـ⁽⁴⁾. فيما يخص العمارة الحربية نجد تقنيات عسكرية جديدة ابتدعـها مهـندـسـونـ أندلسـيونـ بـنفسـ خـصـائـصـ العـمـارـةـ العـسـكـرـيـةـ الأـنـدـلـسـيـةـ،ـ بـرـزـتـ فـيـ المـيـنـاءـ وـبـرـجـ تـمـنـفـوـسـتـ بـمـدـيـنـةـ الـجـزـائـرـ فـيـ أـوـاـخـرـ الـقـرـنـ 16ـ وـبـدـاـيـةـ الـقـرـنـ 17ـ⁽⁵⁾ـ،ـ كـذـلـكـ بـرـجـ الفـنـارـ المـبـنـيـ عـلـىـ إـحـدـىـ الـجـزـرـ الـمـقـابـلـةـ لـلـمـدـيـنـةـ عـلـىـ قـاعـدـةـ صـخـرـيـةـ،ـ وـتـمـ اـسـتـخـداـمـهـاـ كـمـنـارـةـ

(1)-جمال الدين(علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 845.

(2)-نفسه، ص. 851.

(3)-ناجي (لخضر)، المرجع السابق، ص. 531.

(4)-جمال الدين(علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 851.

(5)-ناجي (جلول)، التحصينات الساحلية العثمانية في إالية تونس من القرن 16 إلى القرن 19م، ج.

1 ،منشورات مؤسسة التمييـ للبحـثـ العـلـمـيـ وـالـمـعـلـومـاتـ،ـ تـونـسـ،ـ 1995ـ،ـ صـ 20ـ

لإرشاد السفن ليلاً⁽¹⁾. نذكر أيضاً حصوناً أخرى مثل الحصن المبني خارج باب الواد، وبطارية مبنية في أعلى مكان بالمدينة تعرف ببطانة الأندلسين⁽²⁾، ودار البارود كذلك المنجزة من طرف الأندلسين وذلك أواسط القرن 17م⁽³⁾.

لقد نشأت مع هجرة الأندلسين إلى مدينة الجزائر حركة عمرانية كبيرة لاستيعاب العدد الهائل من السكان، خصوصاً مع قدوم مهندسين بارعين في مجال العمارة، نذكر من أهمهم المعلم الأوسط موسى وابنه علي بن موسى⁽⁴⁾. لقد حرك وفود المهندسين البارعين مشاريع البناء الهامة، وبالتحديد المنشآت المائية التي اهتم بها الأندلسون كثيراً، خصوصاً مع وفرة المياه في ضواحي المدينة، حيث تم إنشاء القنطر بها لتزويد المدينة بمياهها. كما قاموا بامتلاك العديد من الجنات في ريف هذه المدينة، بهدف استصلاح أراضيها وغرسها وسقيها، عن طريق العديد من الابتكارات المعارية المتعلقة بالري والمعروفة بالأندلس⁽⁵⁾.

(1) - هجيرة (غراف). حدادو (بن عمر)، "القضية الأندلسية في الأسطوغرافيا الإسبانية وتداعيات تفاعل السلطة العثمانية معها على الواقع العسكري لأيالة الجزائر"، مجلة عصور الجديدة، المجلد: 10 ، العدد: 3 ، 2020، ص. 228.

(2) - هجيرة (غراف). حدادو (بن عمر)، المرجع السابق، ص. 229.

(3) - نفسه، ص. 230.

(4) - مصطفى (بن حوش)، المدينة والسلطة في الإسلام. نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط. 1. دار البشائر، دمشق، 1999 ، ص. 197.

(5) - اندرية (باكار)، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، تر.: سامي جرجس، دار أتولي للنشر، فرنسا، 1981 ، ص. 89.

إضافة إلى التأثيرات في المدن الكبرى عمد الأندلسية إلى إصلاح وإعادة بناء وتجديد المدن والقرى المدمرة أو الخالية تقريريا، مثل مدينة شرشال التي أعاد بناء منازلها مهاجرو غرناطة وزرعوا الأراضي بها وجددوا القلاع فيها وأقاموا التحسينات لحياتها⁽¹⁾. لقد تم إنجاز المباني الأندلسية في شرشال في الفترة الممتدة ما بين 1492 - 1516 م، بشكل منتظم الفراغات ووجه نحو جدران المدينة الرومانية، وممتد على المحور التجاري بشكل مستقيم، مما جعل طرقها الكبرى منتظمة ومتفرعة إلى غاية المساكن⁽²⁾. عمل الغرناطيون ثورة عمرانية بشرشال حيث أعادوا بناء عدد كبير من مبانيها المنجزة بالتدريج في السهل، كما قاموا بتطوير الزراعة داخل الأسوار القديمة واهتموا بالتشجير كذلك بدرجة كبيرة⁽³⁾، مما يبرز تميز الأندلسية بمهاراتهم الحرفية والزراعية التي أدت إلى انتعاش المدينة، مما أدى إلى ازداد عدد ديارها إلى قرابة 5آلاف دار⁽⁴⁾.

على غرار شرشال عرفت المدن الساحلية الأخرى نهضة عمرانية غير مسبوقة بعد استقرار الأندلسية فيها كتنس ودلس وج يجعل وغيرها من المدن الأخرى، وكذلك مدينة وهران وارزيو ومستغانم، التي عرفت تجمع الأندلسية في أحياء خاصة بهم، لدرجة توسيعهم خارج بعض المدن نظرا لاكتظاظها⁽⁵⁾، مما أدى إلى إنشاء

(1)-جمال الدين(علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 850.

(2)- يمينة(تسكورت)، أثار مدينة شرشال المادية واللامادية، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2023، ص. 51.

(3)- المرجع نفسه، ص. 33.

(4)-نفسه، ص. 34.

(5)-جمال الدين(علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 850.

القرى الشبيهة بالقرى الأندلسية مثل ما حدث في التوسعات الغربية لمدينة وهران. أما مدينة بجاية فقط تميزت بالاحتلال بالأندلسين منذ العصر الوسيط في عز ازدهارهم، والذين قاموا بناء قصورها على نمطهم⁽¹⁾، بشكل مزخرف بالفسيفساء والجص والخشب المنقوش، ومختلف أنواع الزخارف على مختلف المواد. نجد كذلك من بين الأمثلة الدالة على التأثير الأندلسي بصفة كبيرة الزاوية المبنية من طرف أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي ببجاية⁽²⁾.

لم يكتفي الأندلسيون بـ الاستقرار في المدن الكبرى أو التوسع في ضواحيها أو القيام بإصلاح وتجديف مدن أخرى، بل تعداه إلى إنشاء المراكز الحضرية الجديدة مثل مدينة البليدة، التي بنيت من طرفهم بمحاذاة المدينة القديمة خزرونة من طرف سيدى أحمد الكبير سنة 1535م، بعد أن خصص لهم خير الدين بربروس أراضيها، الذين امتدوا وتوسعوا فيها بمرور الوقت وبنوا فيها مختلف المعالم الهاامة مثل المسجد المعروف بالمسجد التركي إلى يومنا هذا⁽³⁾. كذلك مدينة القليعة الدال اسمها على الطابع الحربي المعروف عند الأندلسين، لكونه تصغير لكلمة قلعة وهي عادة معروفة عندهم، إضافة إلى استخدام مصطلح قلعة قبل اسم المكان الذي بُنيت فيه المدينة في العديد من المناطق⁽⁴⁾، ويرجع السبب إلى اهتمامهم بالجانب العسكري بصفة كبيرة،

(1)- المرجع نفسه، ص. 851.

(2)- نفسه، ص. 852.

(3)- نفسه، ص. 851.

(4)- عبد العزيز (سالم)، المساجد والقصور في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعه للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1986، ص. 156.

حيث تميزت مدنهم بطبعها العسكري لغرض دفاعي للحماية من المسيحيين⁽¹⁾. لقد أخذت مدينة القليعة تسميتها من الأندلسين، وكذلك بُنيت على يدهم بطبع عمراني أندلسي وبتصميم حدائقي رائع شبيه بتفكيرهم كونها عُرفت وازدهرت في فترة هجرتهم إليها⁽²⁾.

(1)- نفسه، ص. 155.

(2)- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، المرجع السابق، ص. 851.

خاتمة:

خرجنا من بحثنا هذا بعدة نتائج أهمها أن الارتباط بالأندلسين كان منذ العصر الوسيط، فترة ازدهار الأندلس ووصولها إلى قمة الرقي الحضاري، والذي نجم عنه في بعض الفترات اتحاد الأندلس مع المغرب العربي، مما عزز التلاحم بينهم لفترة طويلة استمرت إلى غاية سقوط غرناطة مع بداية العهد العثماني بالجزائر، والذي عرف استقبالاً لعدد كبير من المهاجرين الأندلسين. لقد بُرِزَ التأثير الأندلسي في الجزائر في عدة جوانب نذكر من ضمنها العمارة، والتي يمكن ملاحظتها من خلال مظاهر عمرانية عديدة ركزنا فيها في هذه الدراسة على بعض المدن، التي توسيعها بشكل كبير مع هجرات الأندلسين في العهد العثماني وإنشاء مدن جديدة أخرى، أدت إلى حركة عمرانية كبيرة بُرِزَ فيها النمط الأندلسي، من خلال التصاميم والزخارف وهندسة المياه والحدائق كذلك وغيرها من المظاهر، التي يمكن تخصيص بحوث أخرى معمقة لفهمها أكثر في كل مدينة نظراً لأهمية هذه الدراسات. لم يكن هذا التأثير المعماري الأندلسي على المباني الجزائرية مجرد تأثير عادي بل دلّ على تمازج ثقافتين ابتدأ مع الاتحاد والترابط الحضاري ما بينهما في العهد الوسيط، وزاد أكثر مع تغيير التركيبة السكانية للجزائر مع وفود أعداد هائلة، غيرت في طبيعة المجتمع الجزائري وأضافت ثقافة وفكراً بنائياً هاماً إلى العمارة الجزائرية، من منبع راقي وصل إلى أوج ازدهاره في الأندلس مازالت تقنياته وإبداعاته وابتكاراته تُدرّس إلى غاية يومنا هذا، والذي يمكن تخصيص أبحاث أخرى تعمق في مظاهر التأثير المعماري في الجزائر، بهدف تصنيفها كتراث ثقافي مادي عرف تمازجاً حضارياً منقطع النظير.

قائمة المصادر والمراجع:

- باللغة العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ.
- أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثيات سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- الزهرة (بوجفجوف)، "المقاربة الإثنوغرافية في المجتمعات الإفتراضية: توجه بحثي معاصر في الفضاء الاتصالي الجديد"، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد: 9، العدد: 2، 2022، ص.ص.: 276-288.
- (اندريل) باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، تر.: سامي جرجس، دار أوتولي 74 للنشر، فرنسا، 1981.
- بدران (بن لحسن)، "مفهوم الحضارة. دراسات تحليلية مقاربة عابرة للثقافات"، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد: 7، العدد: 2، 2021، ص.ص.: 158-175.
- جمال الدين (علوان). حكيم (بن الشيخ)، الهجرات الأندلسية وتأثيراتها الفنية على الجزائر (العمارة والموسيقى أنموذجاً ما بين القرنين 15-19م)، مجلة المعيار، المجلد: 27، العدد: 4، 2023، ص.ص.: 842-859.
- حياة (خميس)، "المنهج الإثنوغرافي واستخداماته في الأبحاث الأنثروبولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: 9، العدد: 2، 2022، ص.ص.: 276-288.
- عائشة (غطاس)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830. مقاربة اجتماعية-اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر.

- عبد الرحمن (ابن خلدون)، ديوان مبتدأ الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج.7، دار الفكر، بيروت، 2000.
- عبد العزيز (سالم)، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعه للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1986.
- عبد القادر (كركار)، "المigration الأندلسية إلى الجزائر وأثرها في الحفاظ على التوازن الديموغرافي في العصر الحديث"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد: 7، العدد: 2، 2023، ص.ص.: 806-823.
- عبد المجيد (البغدادي)، "أسباب انتشار اللغة العربية وسيطرتها في الأندلس"، مجلة القسم العربي، المجلد: 14، العدد: 24، 2017، ص.ص.: 273-284.
- عبد المجيد (بن يكن)، "الحضارة العربية الإسلامية وتفاعلها مع الحضارة الإنسانية"، مجلة التراث، المجلد: 1، العدد: 32، 2019، ص.ص.: 56-72.
- قانون رقم 98 - 04 مؤرخ بـ 15 جوان سنة 1998: متعلق بحماية التراث الثقافي، المادة: 67.
- محمد الطيب(عقاب) ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- مصطفى (بن حموش)، المدينة والسلطة في الإسلام. نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط. 1، دار البشائر، دمشق، 1999.
- ناجي (لخضر)، "عوامل تأثير المرابطين بالحضارة الأندلسية-فن العمارة أنموذجا-", مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد: 15، العدد: 1، 2022، ص.ص.: 523-534.

-ناجي(جلول)، التحصينات الساحلية العثمانية في ایالة تونس من القرن 16 إلى القرن 19م، ج. 1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، 1995.

- هجيرة (غراف). حدادو (بن عمر)، "القضية الأندلسية في الأسطوغرافيا الإسبانية وتداعيات تفاعل السلطة العثمانية معها على الواقع العسكري لأیالة الجزائر"، مجلة عصور الجديدة، المجلد: 10، العدد: 3، 2020، ص.ص.: 215-234.

- يمينة (تسكورت)، آثار مدينة شرشال المادية واللامادية، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2023.

باللغة الأجنبية:

- Barrucand (M.).Bednorz(A.) ; **L'architecture maure en Andalousie**, P.L.M, Italie , 1995

مظاهر الفن المعماري لمساجد الجزائر العثمانية بين النمطين العثماني والأندلسي

Architectural Features of Algerian Ottoman Mosquées between Ottoman Style and Andalusian Style

ط. د. فتحي سعاعيل

جامعة محمد بوضياف المسيلة

أستاذ متعاقد باللحقة الجامعية قصر الشلالات

جامعة ابن خلدون تيارت

ملخص

تبرز دراستنا هذه فن العمارة الدينية الذي دخل على الجزائر في العهد العثماني خاصة تصميم المساجد، فقد تدفقت على الجزائر في العهد العثماني تأثيرات معمارية متنوعة، امتزجت فيها الفنون المعمارية العثمانية بنظيرتها الأندلسية، لتbecم على نمط معماري جديد متعدد الألوان طغى على معظم تصاميم مساجد الحواضر الجزائرية، ونسلط الضوء على بعض المساجد لمختلف المدن الجزائرية والتي بنيت بنمط العمارة الدينية العثمانية أو الأندلسية.

الكلمات المفتاحية: العمارة الدينية، الفن المعماري العثماني، الفن المعماري

الأندلسي، المساجد

Summary

Our study highlights the religious architecture that emerged in Algeria during the Ottoman period, particularly the design of mosques. During this time, Algeria experienced a flow of diverse architectural influences, blending Ottoman and Andalusian styles to create a vibrant new architectural pattern that dominated the designs of mosques in various Algerian cities. We focus on several mosques built in the Ottoman or Andalusian religious architectural styles across different Algerian cities.

Keywords: Religious architecture, Ottoman architectural art, Andalusian architectural art, mosques.

عرفت الجزائر منذ القدم تعاقب عدة حضارات خلفت مؤثرات مادية بقيت شاهدة عليها وعلى مستوى تقدمها الحضاري، واتسمت الفترة العثمانية بتنوع حضاري كبير، امترج فيه الموروث العثماني والأندلسي بالموروث المحلي للبلاد، ويعد العمران إرث مادي تزخر به الجزائر ويعبر عن الحقب التاريخية التي عاشتها الجزائر على مر العصور، وساهم العثمانيون والأندلسيون في تطوير العمران والاهتمام به، وبرزت لمستهم الفنية في العمارة التي شملت المنشآت الدينية والحضارية والعسكرية. وتجلت البصمة الفنية المعمارية العثمانية والأندلسية في العمارة الدينية، خاصة المساجد عبر أغلب الحواضر الجزائرية في العهد العثماني، فبقيت آثارهم شاهدة على براعتهم الهندسية في النمط المعماري المعتمد.

من هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: فيما تجلت التأثيرات المعمارية العثمانية والأندلسية في المساجد الجزائرية؟

حاولنا معالجة الإشكالية في محورين رئисيين:

1- اهتمام العثمانيون والأندلسيون بالعمارة والفن المعماري

2- المساجد

1- اهتمام العثمانيين والأندلسيين بالعمارة والفن المعماري

تعد المعالم الأثرية والمظاهر المعمارية لجميع الشعوب تلك الذاكرة الجامعة للأمة وماضيها، والجزائر حافلة بالشواهد الأثرية التي تروي تاريخها في مختلف الحقب والعصور، ومنها ما تعود للعهد الروماني والبيزنطي والفترة الإسلامية والعهد العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

أ. العمارة والفن الزخرفي

وهي تلك الفنون الزخرفية التي تزيّن العوائق المختلفة أو تزيّن التحف المنشورة المصوّرة من الفخار والخزف أو النسيج والخشب والجاج ومن المعادن والزجاج والجلد والورق، مع الجمع بين الدقة والإتقان في الصنع والروعه والجمال، ويعتمد الفنان على عناصر في الزخرف، أولها الأشكال الهندسية من مضلعات ودوائر وأشكال نجمية، وثانيها الأشكال النباتية من أوراق مختلفة وزهور متعددة، كما استخدم الخط العربي بأنواعه المختلفة في كتابة الآيات القرآنية والحكم والأشعار.⁽¹⁾

ب. فن العمارة العثمانية

والعمارة العثمانية تصدرت الحضارة العثمانية، إذ اشتغلت إلى المعارف التقنية الضرورية ولن يست مجده دعامة للزخرفة، والفن المعماري العثماني فن إمبراطوري فحيث يقيم السلطان تبني الآثار الأكثر أهمية، وقد عرف الفن العثماني مؤثراً عدداً بيزنطية إيطالية وفارسية.⁽²⁾

والعثمانيون في بداية حكمهم لم يولوا اهتماماً كبيراً بالعمارة لانشغالهم بالجهاد البحري والتصدي للإسبان، لكن مع نهاية القرن السابع عشر اهتم الحكام وأعيان

(1) - صادق خشاب: تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي "نموذج تلمسان"، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحميد حاجيات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001/2000، ص 41.

(2) - روبيرو ماتزان: تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 351، 352.

مدينة الجزائر بالفن المعماري وجمالية المباني وزخرفتها، وهذا يعكس حالة الترف التي ميزت تلك الفترة خاصة فترة الديايات.⁽¹⁾

ت. فن العمارة الأندلسية

عند الحديث عن أنواع وطرز العمارة في أصقاع العمورة، يتادر إلى ذهن المرء مباشرة صور عديدة لروائع عمارة المسلمين في الأندلس التي ليثوا فيها زهاء ثمانية قرون يشيدون فيها الصروح المعمارية، التي لا تزال من أكبر الشواهد على عظمة حضارتهم في قارة أوروبا.⁽²⁾

يذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه الإسلام والحضارة الإنسانية مقوله مشهورة للمستشرق أدوين هول Edwin Hole عن جانب الثقافة من حضارة الإسلام في الأندلس "أن الدولة الإسلامية قد صنعت الخوارق في ترقية العقول والأذواق"،⁽³⁾ لقد أصبح الفن في الأندلس مقاييس هاما ضمن مقاييس الحضارة الإسلامية، واستطاعت الأندلس أن تثبت مكانتها الفنية في تاريخ الفن العربي الإسلامي، وذاع صيتها في المشرق والمغرب الإسلامي وأوروبا بفضل مهارة فانيهما،

(1)-معمر شعشوغ: العمارة والتراث بالجزائر خلال العهد العثماني "صور وحمامات مدينة الجزائر أنموذجاً"، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع 1، ديسمبر 2016، ص 100، 101.

(2)-بن سهلة ثاني سidi محمد: المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر - تلمسان أنموذجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف: طالب أحمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013/2014، ص 93.

(3)-عباس محمود العقاد: الإسلام والحضارة الإنسانية ومقالات أخرى، ط 2، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص 29.

(١) وزخرفة العوائط المدنية والدينية وحتى العسكرية أهم شاهد نقف عليه في زماننا إذ من خلاها تكنا من معرفة مهارة وتفوق الفنان الأندلسي الذي برع في زخرفة جدران قصور الملوك والأغنياء والمساجد بأشكال هندسية وزخارف رائعة. (٢)

وكان لحضور الأندلسية واستقرارهم بالجزائر تأثير بارز في مجال العمارة، حيث عرفت الجزائر نهضة عمرانية ترسّمت ملامحها ابتداء من القرن الخامس عشر، فقد تمكن الأندلسيون من إدخال نمط العمارة الأندلسية في المناطق التي استقروا بها مثل تنس ودلس والقليعة وشرشال وجيجل، (٣) وتمكنوا من إضفاء بصمتهم المعمارية حتى أصبحت نموذجاً متابعاً خاصة في طريقة بناء المساجد والبيوت وقنوات الري.

ويمكن أن نستشف أبرز مميزات العمارة الأندلسية من خلال:

-المبالغة بيسط مساحات الجوامع والقصور عند تصمييمها يرافق ذلك ارتفاع سملك جدرانها.

-الاهتمام برفع أسقف المساجد وعمارتها على عقود وأعمدة رخامية جميلة، مع الاهتمام برواق القبلة والبلطة الوسطى على وجه الخصوص، إلى جانب غرس صحن المسجد بأنواع الأشجار المشمرة والاستفادة منها كالظل للمصلين

-الاهتمام برفع منارات المساجد، وذلك حتى يصل صوت المؤذن إلى أقصى مسافة ممكنة، إضافة إلى اعتبارها معلماً يهتدي بها الناس إلى البلدان.

(١)-صادق خشاب: مرجع سابق، ص 38.

(٢)-نفسه: ص 41.

(٣)-ناصر الدين سعیدونی: دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 59.

- تصميم الدور الأندلسية انطلاقاً من فناء مركزي تطل عليه وحدات المنزل السفلية والعلوية، بحيث يخدم الفناء كمتنفس للمنزل مع استخدامه لزاولة العديد من الأنشطة العائلية.

- الاهتمام بالزخارف الداخلية الكتابية والنباتية والهندسية، مع الحرص على تغطية الأسقف والقباب بالقرميد.

- الحرص على استخدام المياه كعنصر جمالي إلى جانب استخداماته الوظيفية.

- بناء المنازل على أرقة ضيقة كي تستجيب لأهداف اجتماعية وأمنية شتى كالإهتمام الأسري والتكتاف الاجتماعي والأمني.⁽¹⁾

2 - مظاهر الفن المعماري للمساجد بين النمط العثماني والنمط الأندلسي:

يمكن إبراز أهم المظاهر التي تميز مساجد الجماالت العثمانية بين النمطين العثماني والأندلسي في هذا الجدول:

النمط الأندلسي	النمط العثماني	المظاهر الفنية المعمارية
تصميم يميل إلى التخطيط المستطيل مع استخدام الأروقة لخلق المساحات	تصميم المساجد ذات القبة الكبيرة لاستقبال أعداد كبيرة من المصلين	التخطيط المعماري
مستديرة لإضافة لمسة جمالية	مديبة تستخدم في التوافذ والأبواب	الأقواس
تستخدم الأشكال الهندسية والنباتية، والفصيوفسae	تستخدم النقوش والكتابات الإسلامية الغنية بالألوان	الزخارف
مرتفعة الشكل أو مثمنة في	مرفوعة ورفيعة مع وجود شرفات	المآذن

(1) - بن سهلة ثانى سيدى محمد: مرجع سابق، ص 94.

بعض الأحيان، ومزينة	متعددة	
قباب كثيرة مزخرفة ومعقدة	خشبية مزخرفة	السقف
بسيط وشكل أنيق	بديعاً ومزخرفاً بشكل كبير	الحراب
المزج بين الفنون الإسلامية المختلفة	تستخدم الألوان الغنية والمواد الفاخرة مثل الرخام	التفاصيل الفنية

2- المساجد

تعد المساجد من المظاهر والمنشآت المعمارية التي تتصدر عماره أي مدينة من المدن الإسلامية، فهي جوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، وتميزت الجزائر بكثرة المساجد وهذا لدورها الديني، الاجتماعي، والثقافي،⁽¹⁾ والاهتمام بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فلا تكاد تجد قرية أو حيَا في المدينة بدون مسجد، فقد كانت المساجد ملتقى العباد ومجتمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنشر المساكن والأسوق والكتاتيب.⁽²⁾

والملاحظ على حواضر الجزائر خلال العهد العثماني كثرة مساجدها،⁽³⁾ وتختلف الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية، وهناك بعض المدن لا تكاد المصادر

(1)-أشرف صالح محمد سيد: المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أو آخر العصر التركي، مجلة أماراتاك، ع 7، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، ص 64.

(2)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 246.

(3)-رشيدة شدري معمر: المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، مجلة معارف، ع 20، جوان 2016، ص 94.

تذكر لها إحصاء، فيذكر هايدو أن مدينة الجزائر تعد حوالي مائة مسجد منها سبعة رئيسية،⁽¹⁾ ويخصي فونتير دي باردي (Venture D.P) اثنى عشر مسجدا جاماًعاً كبيراً، وعدها من المساجد الصغيرة،⁽²⁾ أما قسنطينة فحسب الورثيلاني الذي زارها في القرن 18م، فوجد بها خمسة جوامع خطبة،⁽³⁾ في حين أحصى بها فيرو Feraud في عهد صالح باي 75 مسجدا وجاماًعاً،⁽⁴⁾ وفي الغرب الجزائري فقد أحصى إيمريت Emerit بتلمسان 50 مسجداً أغلبها صغيرة،⁽⁵⁾ وانقسمت المساجد من حيث التأسيس والإنشاء إلى ثلاثة أنواع وهي:

- 1- ما أسسه الحكام كالخلفاء والأمراء والولاة كجزء من عملهم لخدمة المجتمعات الإسلامية وكسب عطف الرعية.
- 2- ما أسسه الأثرياء وكبراء القوم للتقرب إلى الله واستهلاه بعض ثبات المجتمع وشيخ الدين.
- 3- ما أسسته الهيئات والجمعيات الخيرية الدينية والاجتماعية.⁽⁶⁾

(1)-أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 247.

(2)- VENTURE DE PARADIS: Alger au 18ème siècle, E. Fagnan, Alger, 1898, p157.

(3)-الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تج: محمد بن أبي شنب، فونتان، الجزائر، 1907، ص 685.

(4)-FERAUD (CH.):«Les anciens établissements religieux Musulmans de Constantine»,in R.A N°10, 1868, p130.

(5)-EMERIT (M): L'Algérie à L'époque d'Abd-eL Kader, La Rose, Paris, 1951, p82.

(6)-محمد حاج سعيد: مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها، دورها، وعماراتها، رسالة ماجستير، إشراف: عبد العزيز شهبي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2014 / 2015.

وأغلب المدن الجزائرية كانت تشمل على مسجد يطلق عليه اسم المسجد الكبير الذي اشتهر بين الناس إما لقدمه أو لسعته، وعلى الأغلب لقدمه فيكون قد بني في وسط المدينة القديمة أثناء نموها، والمسجد الكبير هو أهم المساجد في المدينة، فمدينة الجزائر مثلاً كان بها المسجد الأعظم أو المسجد الكبير الذي يعود تأسيسه إلى ما قبل العهد العثماني.⁽¹⁾

والفن المعماري للمساجد خلال الفترة العثمانية تميز بتعدد الألوان نتيجة التأثيرات الأندلسية والعثمانية، والتي ظهرت على المآذن وفي شكل قاعات الصلاة والمحراب والمنابر وفي السقف.⁽²⁾

أ- المساجد العثمانية

اجتهد الكثير من الحكام العثمانيين في تشييد المساجد والاعتناء بها، وهذا الموقع هذه الصرح في نفوس الأهالي، وسميت الكثير من المساجد على هؤلاء الحكام، فمن خلال سجلات البایلک نجد قائمة لشخصيات سياسية كانت أو عسكرية قاموا ببناء مساجد خدمة للدين والعلم من جهة، وللشهرة من جهة أخرى، فنذكر مثلاً مساجد مدينة الجزائر: جامع شعبان خوجة، جامع خضر باشا، جامع علي بجین، جامع عبدى باشا، جامع حسن باشا ميز مور طو، مسجد رمضان باشا.⁽³⁾

(1)- صبرينة لنوار: مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (القرنين 17-18)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع 34، العراق، 2017، ص 121.

(2)- سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، 2010، ص 25.

(3)- صبرينة لنوار: مرجع سابق، ص 120.

والنمط العثماني ظهر منذ القرن الخامس عشر في الهندسة المعمارية للمساجد وهو مستمد من الأشكال البيزنطية بالقسطنطينية، فالمساجد من هذا النوع تمتاز بقبة ضخمة فوق الصحن ومساحتها الداخلية واسعة.⁽¹⁾

تميزت مساجد العثمانيين بالأناقة ودقة البناء عكس مساجد الأهالي التي كانت متواضعة ومبنية بالجبس أو الحجر، وقائمة على عرصات ضخمة وصوامع منخفضة، ومفروشة بالحصير أو الزرابي البسيطة مع إضاءة قليلة، في حين المساجد العثمانية اتسمت بالجمال واستعمال الزليج والرخام في العرصفات والمحراب، وقناديل الزيت والثريات والزرابي والزخرفة والنقوش على الجدران، واستعمال الفسيفساء وزخرفة النوافذ والأبواب، والعناية بالعيون والإضاءة والنظافة.⁽²⁾

1. مسجد الجامع الجديد

بناء الأتراك وخصوصه بالمذهب الحنفي، تم بناءه سنة 1660م من طرف بنائين ومهندسينأتراك وجزائريين على نمط المساجد التركية في إسطنبول فهو يشبهها تمام الشبه،⁽³⁾ كانت له منارة عالية ترى عن بعد من البحر، ولها محراب مغطى بالفسيفساء، وكان ناصع البياض، فخم المنظر، لها قباب مدوره عديدة، وكانت قاعدته على رمال شاطئ البحر، يندهش القادم من المرسى لرأه، لكن بعد الاستعمال غير الفرنسيون اسمه إلى جامع الصيد البحري، واستولوا على أوقافه الكثيرة، وغيروا واجهته البحرية بعد أن مدوا شارع الإمبراطورية الموازي لسيف البحر، وغطته عن

(1)-سعاد فويال: مرجع سابق، ص 156 .

(2)-صبرينة لنوار: مرجع سابق، ص 122 .

(3)-أحمد توفيق المدنى: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الكويت، 1985 ، ص 208.

الأنظار وحجبت عنه الشمس وأصبح عبارة عن دهاليز مظلمة، بعد أن أغلقوا أيضا

باب الجنوبي الغربي، والباب الذي كان يفتح نحو البحر.⁽¹⁾

تبعد مساحة الجامع الجديد 1371م²، وطول منارته 30 مترا،⁽²⁾ وقبته المركزية على ارتفاع 24 مترا،⁽³⁾ ومنبره مكون من الرخام الأبيض المنقوش وهو من الصنع الريفي وكان مأخوذاً من مسجد السيدة، وداخله مزخرف ملون بألوان مختلفة، فمحرابه مزين بالخزف البديع، وفي مقصورة الشيخ المفتى مصحف مزخرف أهداه أحد السلاطين العثمانيين إلى باشا الجزائر في القرن السابع عشر ميلادي،⁽⁴⁾ والساعة الموجودة الآن على المئذنة كانت مئذنة قصر الجنينة تم نقلها وتركيبها على مئذنة الجامع الجديد.⁽⁵⁾

2. مسجد علي بتشنين

تم بناؤه سنة 1623م، كان مسجداً بديعاً جميلاً الشكل، متقدماً في الصناعات،⁽⁶⁾ يعد من أهم مساجد تلك الفترة، كان علي بتشنين من رؤساء البحر خلال القرن الحادي

(1)-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،

ص 33، 34.

(2)-نفسه: ص 34.

(3)-ميريم رزاق بعرة، أمال علوان: دور المساجد في التفاعل الثقافي في المجتمع الجزائري إبان العهد العثماني، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 7، ع 4، ماي 2022، ص 36.

(4)-نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006، ص 163.

(5)-ميريم رزاق بعرة، أمال علوان: مرجع سابق، ص 368.

(6)-أحمد توفيق المدنى: مرجع سابق، ص 209.

عشر الهجري / السابع عشر ميلادي، وقام بناء هذا المسجد من ماله الخاص، والذي حمل اسمه، وكان يقع في نهج باب الواد وسيدي إدريس حميدوش.⁽¹⁾

ولهذا المسجد قاعة صلاة ذات شكل مربع، تعلوه قبة مركبة واسعة تشبه طراز المسجد العثماني،⁽²⁾ وترتكز على أربعة دعائم غليظة مبنية وموضوعة على زوايا القاعة المركبة ويحيط بجوانبها الثلاثة أروقة بسيطة مغطاة بعشرين قبة صغيرة، وأما مئذنة المسجد فقد بقيت من الطراز المغربي الرباعي وهي تعلو عيناً عرفت باسم عين الشارع.

حُوِّل المسجد إلى صيدلية مركبة للجيش الفرنسي بعد الاحتلال، وفي عام 1842م حُوِّل إلى كنيسة اشتهرت بكنيسة نوتردام دي فيكتوار، ثم بعدها حُوِّل إلى كاتدرائية عام 1845م.⁽³⁾

3. جامع كتشاوة

ويعد من أشهر الجوامع التاريخية الجزائرية، تم بناءه في العهد العثماني سنة 1021هـ / 1612م، وهو يمثل تحفة معمارية عثمانية نادرة وفريدة من نوعها، وهو يقع في الساحة المسماة حالياً ساحة ابن باديس، كان يحمل اسم كتشاوة التي تعني بالتركية سوق الماعز نسبة إلى السوق التي كانت تقام في الساحة.

شكل الجامع كان مربعاً، ومظهره آنذاك عبارة عن قبة واسعة ذات ثمانية جوانب تحيط بها من ثلاثة جهات أروقة بسيطة، قوام هذه الأروقة أربعة أعمدة رخامية مستديرة مزال معظمها يدعم جناح المسجد حالياً وفي الجانب المواجه لجدار

(1)-أشرف صالح محمد سيد: مرجع سابق، ص 6 .

(2)-نفسه: ص 6 .

(3)-محمد حاج سعيد: مرجع سابق، ص 1 .

القبة يوجد رواق مزدوج،⁽¹⁾ وأظهر الزياني إعجابه بهذه القبة كثيراً فوصفها في كتابه الترجمانة الكبرى بقوله: "...وجعل هذه القبة سراجيب بأنواع البلور الذي لم ير في عصر من العصور، يكاد سناً برقة يذهب بالأبصار، ودار بهذه القبة قبب على شكل منمق كأنهن جدول موفق، من ثنائي وثلاثي ورباعي، وخمساسي وسداسي وسباعي، ومقرنص ومشجر وقاطع ومقطوع ومسطر، وداخل وخارج وبخاريات، وقصاعي وانصاف ترنجيات، وفوق ذلك من الأسباغ كل لون غريب، بتذير أهل الحل والعقد والتجريب، وكتبوا أسماء الله وءاياته، وانبية وخلفائه، تعظيمياً بالذهب الابريز والتجريب، وليس الخبر كالعيان...".⁽²⁾

ووصف الزياني المنبر بقوله: "وجعل لهذا المسجد منبراً من الرخام الشفاف، مؤلف من سبعة أصناف، من مرمر وجزع، وزبرجد وودع، وفيروزج وفاروز، كأنه اللواء المشروز، أبدع فيه كل خارط صنعة الخرط، وكل ناقش زاد على الشرط، وكل مسطر حق ما سطر، وكل مشجر أبدع فيه ما شجر، فهو كالأمير والتاج على رأسه..."، وأضاف في وصف للجدران وقاعدته: "...وكساً جدرانه بالزليج والفرفي والصيني، وفوقه الجبس الفائق المعدني، وجعل في كل جهة روشن تسقط منها الأنوار مضيئات، وسلامسل موهنة القنادل والثريات، وجعل تحت كل روشن ساعة على كرسي كالعرس، يطرب لسباعها جوامع النفوس..."، ويضيف في مقارنته بمساجد أخرى فيقول: "...فجاز بلطافة شكله ضخامة المساجد والمدارس، وجاز

(1)-محمد حاج سعيد: مرجع سابق، ص 69.

(2)-أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تج: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991، ص 377.

برقة صنعته أنوار الزارع والغارس، فلو رأته السليمانية بالقسنطينة لسلبها، ولو كلنته
ءاية صوفية ما أجابها، ولو قابله الجامع الأرهر، لتعجب من حسنها وانبهر، ولو
نظرته مساجد الشام وحلب، لاعتربوا بفضله واقروا بعجبه، ولو سمعت بتشيهه
بيعة الاشبونة تهدمت...".⁽¹⁾

جامع سيدى خضر بقسنطينة

وهو أحد منجزات العثمانيين في الشرق الجزائري، سمي بسيدى خضر نسبة
لأحد رواد هذا المسجد، فقد اعتكف فيه طويلا حتى مات وضريحه مزال موجودا به
إلى الآن.

أمر ببناء المسجد حسن باي سنة 1126هـ / 1743م، وتاريخ إنشائه مسجل
على اللوحة التأسيسية القائمة على مدخل الجامع، ويكون من خمس بلاطات عمودية
وستة أساكيب، وله محراب في غاية الروعة، ومئذنته فهي من الطراز المصلع، مشمنة
الشكل من القاعدة إلى القمة وتنتصب في الركن الشمالي الغربي من المسجد وارتفاعها
16.50 متر، وبنيت المئذنة وفق طراز معماري جديد غير مألوف في العمارة الجزائرية
⁽²⁾ الإسلامية من قبل، بل ابتكار عثماني في العمارة الجزائرية.

4. مسجد الباشا بوهران

أسسه الباشا حسن داي الجزائر بعد فتح وهران سنة 1207هـ / 1792م، وهو
المسجد الوحيد من المساجد العثمانية الذي سلم من أيدي الاستعمار الفرنسي

(1)-القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة...، مرجع سابق، ص 377، 378.

(2)-عبدالكريم عزوق: تطور المآذن في الجزائر، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2006، ص 92.

التخرسية، أو التحويل إلى كنيسة،⁽¹⁾ يتكون بيت الصلاة من خمس بلاطات وبسبعين أساكيب تتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر البلاطات اتساعاً وتحمل قبة مركزية على نمط قبة جامع القيروان، ويحيط بها اثنتا عشرة قبة صغيرة، وللمسجد محراب مزخرف بزليج حديث تقدمه قبة أصلية تزدان بتربيعات من الزليج العثماني، ويحتوي الجامع على دعامات مربعة وأعمدة مزدوجة تحمل عقود بيت الصلاة، ومدخل الصلاة يؤدي إلى غرفة مربعة مسقفة بقبة، وتنتهي هذه الغرفة بصحن المسجد الذي تتواصله نافورة مستحدثة، ويتحذ الصحن شكل نصف دائرة، وينفتح في الصحن باب يفضي إلى بيت الصلاة.

أما المئذنة فتنصب في الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد وتتكون من قاعدة مثمنة يعلوها بدن مثمن الشكل من القاعدة إلى القمة، تشمل واجهاته على أربعة قطاعات زخرفية، وهي تختلف عن طراز مئذنة جامع سيدى لحضر بقسطنطينة الخالية من الزخارف.⁽²⁾

بـ مساجد أندلسية بالجزائر

1. الجامع الكبير تلمسان

يعود بناء هذا الجامع إلى الفترة الوسيطة، وارتأينا أن نذكره في بحثنا هذا لقيمه الكبير، ولأنه يمثل بدايات الفن المعماري الأندلسي بالجزائر، فقد شيده يوسف بن تاشفين المرابطي، وأعاد بناءه وتزيينه ابنه علي بن يوسف سنة 530هـ / 1135م،

(1)- مبروك مهيريس: المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص 37.

(2)- عبد الكرييم عزوق: مرجع سابق، ص 102.

وأدخل عليه لمسة فنية أندلسية أبدع فيها المهندسون والمعماريون⁽¹⁾ الذين جلبهم الأمير علي حتى صار تحفة معمارية،⁽²⁾ وتمثلت هذه اللمسة الأندلسية خاصة في محراب المسجد الذي يشبه محراب جامع قرطبة شبيها كبيراً، كذلك في الكتابات والزخارف والسلف الخشبي والقبة، فنجد طرز الكتابة التي تغطي محراب جامع تلمسان مثل التي تظهر على محراب جامع قرطبة، إضافة إلى البائكة الرخرفية من العقود ثلاثة الفصوص التي تعلو عقد محراب جامع قرطبة في نفس موضع واجهة محراب جامع تلمسان، والظاهر تأثر مهندس جامع تلمسان بجامع قرطبة حتى في التفاصيل الصغيرة.⁽³⁾

ويبلغ طول بيت الصلاة 49.50م وعرضه 25متر ويتألف من 13 بلاطة تتوجه عمودياً على جدار القبلة ويحدها 12 صفاً من الدعائم المربعة، أما مئذنته فهي مربعة الشكل تتتألف من طابقين ترددان بزخارف متماثلة، يبلغ ارتفاعها 70.48م.⁽⁴⁾

(1)-أرسل السلطان الغرناطي أبوالوليد (713-1325هـ/1313) شريحة كبيرة من الأندلسين المهندسين والبنائين واليد العاملة الفنية، إلى مدينة تلمسان في إطار التعاون الفني والاقتصادي والعسكري، الذي كان سائداً بين تلمسان وغرناطة، فاستعملهم أبو حمو وابنه أبو تاشفين في بناء القصور والمنازل الفخمة والبساتين الظاهرة. بن سهلة ثاني سيدى محمد: مرجع سابق، ص 219.

(2)-عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج 1، موسم للنشر، الجزائر، 2002، ص 146.

(3)-السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)، ج 2، مؤسسة شباب الجامعات، الإسكندرية، 1997، ص 59.

(4)-عبدالكريم عزوق: مرجع سابق، ص ص 53، 56.

2. المسجد الكبير "مسجد مائة عرصه" بشرشال

وهو أكبر مساجد مدينة شرشال وعرف بالمسجد الجامع وله أهمية كبيرة في المدينة، تم تشييده سنة 981هـ / 1573م من طرف أبي عبد الله محمد بن سي عياد الأندلسي قاضي غرناطة، يعد تحفة فنية من الطراز الرفيع على النمط الأندلسي، فقد وصفه الرحالة الألماني هاينريش: "...بنایة المسجد القديم رائعة إلى أبعد حد، فصحونه الثلاثة تقوم على مائة عمود، ودعائمه لا تخلو من قيمة فنية، إلا أن معبده الإسلام هذا قد حول -للأسف الشديد - إلى مستشفى عسكري...", استعاد المسجد وظيفته الأصلية للعبادة في أكتوبر 1985م.⁽¹⁾

3. مسجد عبد الرحيم

يعرف بمسجد الحمامات لوقوعه بين حمامي نهج باب الجديد بالقرب من ضريح سيدى محمد شريف، وشيد هذا المسجد رجل أندلسي اسمه مصطفى بن محمد الأندلسي يلقب بابن الكرومية سنة 1089هـ / 1678م، ويقع هذا المسجد عند زاوية التقاء نهجى دامفروفيل وأبديرام شارع ياسف مقران حاليا، في القصبة العليا، وتم تجديد هذا المسجد سنة 1255هـ / 1839م في عهد الاستعمار الفرنسي رغم أن المعروف عن الاستعمار الفرنسي هو هدم المساجد.⁽²⁾

(1) -بحيري يامنة: الموروث الحضاري العثماني في شرشال في النصف الثاني من القرن 19م وببداية القرن 20م من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مجلة قضايا تاريخية، ع 8، 2017، ص 68.

(2) -محمد حاج سعيد: مرجع سابق، ص 97.

خاتمة

ختام ورقتنا البحثية هذه مجموعة من النتائج التي نوجزها في عدة نقاط على الشكل التالي:

شهدت الجزائر عبر العصور تعاقب عدة حضارات عليها خلفت موروثاً مادياً كانت العمارة جزءاً أساسياً منها، استطاعت من خلالها أن تعكس مستوى التقدم الحضاري لها.

اتسمت الفترة الحديثة (1518-1830م) في الجزائر بتنوع اجتماعي كبير، إذ مع توажд العنصر العثماني وتواجد الأندلسيين على البلاد تغيرت تركيبة المجتمع الجزائري، وانعكس على كل مجالات الحياة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. إن التفاعل بين الأفراد والمجموعات السكانية خلق نسيج عمراني كثيف ومتعدد بالجزائر، أثر في النمط العمراني العثماني امتزج فيه الفن المعماري العثماني والأندلسي والمحلية.

تميز الفن المعماري في الجزائر بنمطيه العثماني والأندلسي وخاصة العمارة الدينية بكل وحداتها من مساجد ومازن وزوايا وقباب بالبراعة والأناقة وجمالية البناء، وتجلى تأثيره في الجزائر بشكل بارز في المساجد إذ تجسد في ذلك التزاوج الفني المميز، مما يخلق تجربة معمارية فريدة تحمل في طياتها تاريخاً طويلاً من الثقافة والفن.

قائمة المراجع

المصادر

- أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تج: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991.
- الورثياني: نزهة الأنوار في فضل علم التاريخ والأخبار، تج: محمد بن أبي شنب، فونتانا، الجزائر، 1907.

المراجع

- روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، تر: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.
- أحمد توفيق المدنى: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الكويت، 1985.
- محمد طيب عقاب: قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر والتوزيع، 2007.
- عباس محمود العقاد: الإسلام والحضارة الإنسانية ومقالات أخرى، ط 2، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- ناصر الدين سعیدوی: دراسات اندلسیة مظاهر التأثير الإیسیری والوجود الاندلسی بالجزائر، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، 2010.
- نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006.

- عبد الكريم عزوق: تطور المآذن في الجزائر، ط1، مكتبة زهراء الشرق،
القاهرة، مصر، 2006.

- بروك مهيريس: المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات
الجامعة، بن عكنون، الجزائر، 2009.

- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر، الجزائر.
- السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية)،
عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

المقالات

- معمر شعشوغ: العمارة والتراث بالجزائر خلال العهد العثماني "قصور
وحمامات مدينة الجزائر أنموذجا"، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع1،
ديسمبر 2016.

- أشرف صالح محمد سيد: المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر
العصر التركي، مجلة أماراتا، ع7، الأكاديمية الأمريكية العربي للعلوم والتكنولوجيا.
- رشيدة شدرى معمر: المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م،
مجلة معارف، ع20، جوان 2016.

- صبرينة لنوار: مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (القرنين 17-18)،
مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع34،
العراق، 2017.

- مريم رزاق بعرة، أمال علوان: دور المساجد في التفاعل الثقافي في المجتمع
الجزائري إبان العهد العثماني، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج7،
ع4، ماي 2022.

-بحيري يامنة: الموروث الحضاري العثماني في شرشال في النصف الثاني من القرن 19م وبداية القرن 20م من خلال وثائق المحاكم الشرعية، مجلة قضايا تاريخية، ع، 8، 2017.

الرسائل الجامعية

-صادق خشاب: تأثير الفن الزخرفي الأندلسي على نظيره المغربي "نموذج تلمسان"، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحميد حاجيات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001 / 200.

-بن سهلة ثانى سيدى محمد: المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر -تلمسان أنموذجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف: طالب أحمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013 / 2014.

-محمد حاج سعيد: مساجد القصبة في العهد العثماني تارikhها، دورها، وعماراتها، رسالة ماجستير، إشراف: عبد العزيز شهبي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، 2014 / 2015.

المراجع الأجنبية

- VENTURE DE PARADIS: Alger au 18ème siècle, E. Fagnan, Alger, 1898, p157.
- FERAUD (CH.):«Les anciens établissements religieux Musulmans de Constantine»,in R.A N°10, 1868, p130.
- EMERIT (M): L'Algérie a L'époque d'Abd-eL Kader, La Rose, Paris, 1951, p82.

المئذنة في العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني

The minaret in the religious architecture of Algeria during the Ottoman era.

الأستاذ الدكتور موشموش محمد

جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة

mohamed.mouchmouche@univ-msila.dz

الأستاذ الدكتور سعيد بوزرينة

المركز الجامعي نور البشير بالبيض

s.bouzrina@cu-elbayadh.dz.

الملخص بالعربية:

كانت الجزائر العثمانية قد شيدت مجموعة ضخمة من المساجد والزوايا في مختلف مدنها الكبرى والホواضر، فإنّ هذه المباني الدينية – المساجد والزوايا – قد حظيت بإقامة مآذن لها، غير أنّ كثيراً من هذه المباني والمآذن امتدت لها يد الاستعمار البربرية بالتدمير إبان الاحتلال.

وقد جمعت هذه المآذن بين طرازين، المحلي والوافد، فالطراز المآذن المحلية هو طراز المآذن المربعة كالجامع الجديد وزاوية سيدي عبد الرحمن الشعالي بمدينة الجزائر وزاوية سيدي احمد بن يوسف بـ مليانة، بينما المآذن ذو الطراز الوافد نجد فيه نموذجين: النموذج الأولي هو طراز المآذن المثمنة كـ الجامع صقر بن عبد الله بمدينة

الجزائر والجامع الباشا بوهران وزاوية باش تارزي بقسنطينة، والنموذج الثاني هو طراز المآذن الأسطوانية كالجامع سيدى الكتاني بقسنطينة وجامع الباي بعنابة.
الكلمات المفتاحية: العمارة الدينية، المساجد والجوامع والزوايا، المآذن المربعة،
المآذن المثلثة، المآذن الأسطوانية.

Summary in English:

Ottoman Algeria had built a huge group of mosques and angles in its various major cities and metropolises, these religious buildings - mosques and zawiyyas - had the privilege of erecting minarets, but many of these buildings and minarets extended to them the hand of barbaric colonialism with destruction during the occupation.

These minarets combined two styles, the local and the expatriate. The local minarets are the square minarets, such as the New Mosque, and the corner of Sidi Abd al-Rahman al-Tha'albi in Algiers and the Zawiyat of Sidi Ahmed bin Yusef in Miliana. Ben Abd Allah in Algiers, the Bacha Mosque in Oran and the Zawiya Bash Tarzi in Constantine, and the second model is the style of cylindrical minarets, such as the Sidi El Kettani Mosque in Constantine and the Bey Mosque in Annaba.

Keywords: religious architecture, mosques, mosques and angles, square minarets, octagonal minarets, cylindrical minarets.

مقدمة:

تميزت عمارة المساجد عن بقية العمائر الدينية في الفترات التاريخية بتنوع العناصر الوظيفية تخطيطاً وبناءً وفناً، ومن أهم العناصر التي نالت الحظ الوافر في بناء المساجد نجد المئذنة وذلك رغم تخلف ظهورها عن بقية العناصر، حيث اهتم الأمراء وعامة الناس ببنائها وتزيينها، ثم اختلفت من حيث التخطيط من فترة تاريخية إلى أخرى ومن دولة إلى دولة إسلامية أخرى كذلك مشرقاً ومغارباً، وفي الفترة العثمانية بالإضافة إلى الطراز المحلي ظهر طراز جديد اصطلح على تسميته بالطراز الوافد، وكذلك امتزج الوافد مع المحلي في بعض المساجد الجزائرية، وسف نحاول من خلال هذا البحث أن نتطرق إلى أنواع الطرز البنائية للمئذنة بالجزائر خلال العهد العثماني ومواضع تواجدها في العمارة الدينية (المساجد والزوايا).

تعريف المئذنة وتأصيلها:

أذن بشيء إذنا وأذانه: علم، أذنها لأمر أذنه به: اعمله، والأذان: اسم مصدر من التأذين، والأذنين: النداء إلى الصلاة، والإعلام بوقتها بوجه مخصوص ومعروف⁽¹⁾. والمئذنة هي البناء المرتفع الذي يرتفع إليه المؤذن ليعلن عن أوقات الصلوات الخمس عند المسلمين ويدعوهم إلى أدائهما، مستعملاً عبارات معينة بشكل ما اصطلح على تسميته بـ "الأذان"

الأذان لغة: الإعلام وهو استيقاف من الأذن بفتحتين، وهو الاستماع، قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾⁽¹⁾ أي إعلام. كما يقول عز وجل: ﴿.. أَذْنَتُكُمْ

(1) ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003 مـ، ج 9، ص 609، 610.

عَلَى سَوَاءٍ... ﴿٢﴾ أَيْ أَعْلَمُكُمْ فَاسْتَوِنَا فِي الْعِلْمِ، وَشَرِعًا: الإِعْلَامُ بِوقْتِ الصَّلَاةِ
بِالْفَاظِ مُخْصُوصَة.

أَمّا فضله فقد روى لنا أبو هريرة رضي الله عنه، عدّة أحاديث في هذا الباب، ومن بينها ما قاله الرسول ﷺ عن فضل الأذان: "لَوْيَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفَّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَا سَتَهْمُوا..."، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَغْفِرُ لِلْمُؤْذنِ مِنْهُ أَذَانَهُ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رُطْبٍ وَيَابِسٍ سَمْعُهُ". أما سبب مشروعيته، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال: "كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَدَّمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحِينُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يَنادِي لَهَا، فَتَكَلَّمُ يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا ناقوسًا مِثْلَ ناقوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَوْلَا تَبْعَثُونَ رِجَالًا يَنادِي

بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا بَلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ" ⁽³⁾.



(1) سورة التوبه الآية 3.

(2) سورة الأنبياء الآية 109.

(3) للمزيد من التفاصيل، انظر: بن عودة حسين العوايشة، **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنّة المطهّرة**، ط 1، ج 2، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن 1423 هـ / 2002 م، ج 1، ص 359. كذلك: -ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن أبيوب الحميري البصري (توفي: 218 هـ/ 833 م)، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السيقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، ج 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج 2، ص 154، 155. كذلك: -**ابن كثير إسماعيل الدمشقي**، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود

ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ / 2003 م، ج 2، ص 243.

إذا بحثنا في المصطلحات والأسماء التي أطلقـت، أو استعملـها المؤرخون المسلمين للدلالة على المكان الذي يرفع منه الآذان في المساجد، لوجـدنا عـدة أسماء اختلفـت حسب البيـئة الجغرافية، حيث استعمل مؤرخـو العـرب كـلمـة صـومـعة للدلـلة على بـرج الـبيـعة، التي يـعيشـ فيها زـهـاد النـصـارـى.⁽¹⁾

وقد شـاع استـخدام أـهـل المـغـرب الإـسـلامـي لـكلـمة الصـومـعة للـدلـلة على المـئـذـنة، وـما تـزال كـلمـة صـومـعة هي المـصـطـلح الشـائـع في بلدـان المـغـرب الإـسـلامـي حتى وـقتـنا هـذا.⁽²⁾

وـالـواقـع أنـ هـنـاك اـرـتبـاك كـبـير في اـسـتـخدـام هـذـه الـأـفـاظ الـأـربـاعـة: صـومـعة، وـمنـارـة، وـمـئـذـنة، فـقـد اـسـتـعمل الإـدـريـسي، وـابـن عـذـارـى كـلمـتي صـومـعة وـمنـارـة في آـن وـاحـد.⁽³⁾

ولـكـي نـفسـر معـنى كـلمـة منـارـة يـسـتـلزم الـأـمـر تـفـسـير كـلمـة منـارـ، وـهـذـه الـلـفـظـة الـأـخـيـرة مشـتـقة منـ فعل أـنـارـ أيـ أـشـعل وـأـضـاءـ، وـبـالتـالـي فإنـ كـلمـة منـارـ تعـني المـكان الـذـي يـنـبـعـثـ مـنـهـ النـورـ، أوـ تـشـتـعـلـ فـيـهـ النـارـ، ثـمـ أـفـضـىـ الـأـمـرـ بـهـذـهـ الـكـلمـةـ أـنـ أـطـلـقـتـ عـلـىـ الـمـنـائـرـ وـالـمحـارـسـ، أوـ الـأـبـرـاجـ الـمـرـتفـعـةـ لـإـرـسـالـ إـلـاـشـارـاتـ عـنـ طـرـيقـ إـشـعالـ النـارـ لـلـمـراـقبـةـ، وـهـدـايـةـ مـنـ ضـلـ بـهـمـ السـيـيلـ، وـقـدـ أـسـتـخدمـ مؤـرـخـوـ جـغرـافـيـوـ المـغـربـ فيـ

(1) للمزيد من التفاصيل أنظر: - محمد موشموش، الفكر العمراني الإسلامي وأثره على المدينة وعماراتها: "مدـيـتـيـ تـلـمـسانـ وـالـجـزـائـرـ نـمـوذـجاـ"، رسـالـة دـكـتوـرـاهـ فيـ آـثـارـ إـسـلامـيـةـ، معـهـدـ الـآـثـارـ، جـامـعـةـ الـجـزـائـرـ 2015ـ، 2016ـ، صـ243ـ، 244ـ.

(2) نفسهـ.

(3) بنـ بـلـةـ خـيـرةـ، المـشـاـتـ الـديـنـيـةـ بـالـجـزـائـرـ خـلـالـ الـعـهـدـ الـعـثـانـيـ، رسـالـةـ الدـكـتوـرـاهـ فيـ الـآـثـارـ الـإـسـلامـيـةـ، معـهـدـ الـآـثـارـ، جـامـعـةـ الـجـزـائـرـ، الـجـزـائـرـ، 2007ـ/2008ـ، صـ276ـ.

أوصافهم نفس هذا اللفظ للدلالة على نفس المعنى الذي ذكرناه، فقد أطلق البكري على منار سوسة اسم منار، وأطلقها الرحالة ابن بطوطة وابن جبير على منار الإسكندرية، ومن ذلك أنَّ كلمة منار كان المقصود بها التعبير عن برج عالٍ مرتفع توقَّد فيه النيران لإرسال الإشارات، أو هداية الضالين، ويغلب الظن أنَّ هذه الكلمة انتقلت إلى المآذن لا لتشابتها لأبراج الفنارات كما يدعى بتلروتيرش، وإنما لأنَّ من وظائف المئذنة إرسال الإشارات والمراقبة والهداية كما هو الحال في منار رباط سوسة والمنستير⁽¹⁾.

لم يكن لمسجد الرسول ﷺ بالمدينة مئذنة، فإنَّ أول مؤذن هو بلال رضي الله عنه ولقد كان يصعد فوق أعلى بيت في المدينة للنداء للصلوة، ويعتقد أيضاً أنه كان في بيت عبد الله بن عمر رضي الله عنه، دعامة مربعة تقع جنوب المسجد وأنَّ بلاط رضي الله عنه كان يتسلق هاته الدعامة وينادي للصلوة لا نعلم بالتحديد تاريخ ظهور المئذنة في العمارَة العربية الإسلامية ولكن من الممكن جداً أنها ظهرت في سنة 88هـ/706م، عندما أعيد بناء مسجد المدينة من طرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك⁽²⁾.

لقد ذهب العلماء في أصل المآذن من الوجهة المعمارية، مذاهب عديدة، فقيل إنَّها مشتقة من أبراج الكنائس، أو من أبراج الحراسة والمراقبة، أو من الفنارات القديمة، أو من بعض أبراج العبادة في الهند وال العراق⁽³⁾.

(1) بن بلة خيرة... (مرجع سابق).

(2) فريد الشافعي، العمارَة العربية في مصر الإسلامية، مجلَّة 1، القاهرة، 1970، ص 34.

(3) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 144.

ذهب رأي بتلر بأنّ منار الإسكندرية هو النموذج الذي اتّخذ للمآذن المصرية، وانّ منائر المساجد المصرية كما يذكر وتصمييمها وتبالين رسومها مستلهمة من منارة سوستراتوس، فهي برج قاعدته مربعة عند الأرض ويستدير شكلها ثمّ يعلوها عند القمة⁽¹⁾.

وكان رأي كريزول معبرا عن شكل المآذن بالطابق المربع فالمثمن والمستدير، وأنّ مآذن هذا النوع قد تطورت بالتدرج من عناصر لا علاقة لها بنظام منار الإسكندرية، ويعتقد كريزول أيضاً أنّ أقدم المآذن الإسلامية بسوريا، تشبه الأبراج المسيحية المربعة التي كانت قائمة في سوريا قبل الفتح الإسلامي، كما هو الحال في أبراج المعبد الوثنى بدمشق، مستنداً في ذلك على قول المقدسي الذي ذكر فيها أنّ مآذن سوريا تتميز بأثنتها مربعة كلها⁽²⁾.

ويرى الدكتور عبد العزيز سالم أنّ عبد الرحمن الداخل الذي أسس دولة بني أمية بالأندلس هو أول من أدخل المآذن السورية في المساجد الأندلسية، فقد بني ابنه الهاشم مئذنة مربعة بجامع قرطبة عام 796 م، وبنى عبد الرحمن الأوسط مئذنة جامع الشيلية القديم، مما يثبت أنّ المآذن الإسلامية الأولى سواء في الشام أو المغرب والأندلس اشتقت من الأبراج السورية.

أما فريد الشافعي فقد اعتمد على نصوص تاريخية لمعرفة أصل المئذنة وتاريخ ظهورها، وقد ذكر أنّ أقدم ما ذكر عن مآذن المساجد، ما جاء في الكتاب فتوح البلدان

(1) عبد العزيز سالم، المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصولها وتطورها منذ الفتح العربي حتى نهاية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 706.

(2) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 807.

للمؤرخ البلاذري المتوفى سنة 245هـ / 859م عن مئذنة جامع البصرة إذ روى أنه بنيت المنارة بالحجارة لجامع البصرة في سنة 45هـ / 665م وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعيد بنائه من جديد في عهد معاوية بن أبي سفيان⁽¹⁾.

وتعتبر مئذنة جامع القیروان المتميزة بخصائص إسلامية، ناضجة من حيث التكوين المعماري وأسلوب البناء، وليس فيها شيء يمكن نسبته إلى طراز معين سابق على الإسلام إلا عنصر واحد هو عقد شكل حذوة الفرس وهذه الخصائص العربية الإسلامية الواضحة⁽²⁾.

ومهما يكن من أمر، فأغلب الطن أن جميع مآذن العالم الإسلامي في العصر المبكر كانت تتبع تكويناً معمارياً مشتركاً ومشابهاً لمئذنة جامع القیروان أو قريباً منها، والمئذنة عنصر إسلامي تطلب عمله الدين الجديد وحتمته تقاليده وفرض شكلاً خاصاً في تصميمه⁽³⁾.

فالمئذنة الشمنة هي من بين أبرز العناصر المعمارية التي دخلت من تركيا على عمارة المساجد والزوايا الجزائرية بعد التخطيط المعماري، وذلك من حيث تحظيطها وتركيبها وزخارفها.

وإذا كانت الجزائر العثمانية قد شيدت مجموعة ضخمة من المساجد والزوايا في مختلف مدنها الكبرى والحواضر، فإن هذه المباني الدينية قد حظيت بإقامة مآذن لها، غير أنّ الكثير منها امتدت لها يد الاستعمار البربرية بالتدمير الكلي إبان الاحتلال.

(1) عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 637.

(2) نفسه، ص 638.

(3) نفسه، ص 649.

وقد جمعت المآذن بين طرازين، المحلي والوافد، المعروف أنّ طراز المآذن المحلية هو طراز المآذن المربعة والذي تعد مئذنة جامع القيروان بشكلها المربع وطوابقها الثلاثة المسلوبة إلى الأعلى النموذج الأصيل له⁽¹⁾.

أما الطراز الوافد من تركيا، فقد شمل معظم المساجد والزوايا في مختلف مناطق الجزائر وخاصة مدنهما الكبرى، تمثل في المآذن المثمنة، مظهره العام الخارجي، يتكون من طابقين، طابق سفلي مضلع يتنهى بذروة على شكل طرف، غير أنّ بعض المآذن الأخرى ربما تكونت من برجين سفليين ذي شكل مثمن يتوجها جوسم، وماذن أسطوانية مخروطية.

أقسام المئذنة:

تشكل المئذنة عموماً من قاعدة وبدن حوله شرفة أو أكثر، وجوسق تعلوه قبة، أما من الداخل فهي تتكون من نواة مركزية يلتف حولها سلم صاعد: **القاعدة**: القسم الذي يرتفع فوقه جسم المئذنة، والجزء السفلي الذي ترتكز عليه المئذنة، حيث تكون أساساتها صلدة عميقة في الأرض حتى تتمكن من تحمل الثقل الناتج عن الطوابق التي تعلوها، غالباً ما تأخذ الشكل المربع⁽²⁾. **البدن**: جسم المئذنة الأساسي، وتختلف أشكاله مقطعاً بين المربع والمثمّن والمستدير.

الطبقة: أقسام البدن المتوضعة فوق بعضها، وتتعدد مقاطعها وارتفاعها.

الشرفة أو المطاف: الموضع الذي يطوف فيه المؤذن أثناء الآذان.

(1) أحمد فكري، مسجد القيروان، القاهرة، 1936، ص 112.

(2) سيف علي سعيد، مآذن مدينة صنعاء، ب.ت.، ص 145.

النافذة: فتحة في البدن كعنصر زخرفي.

الكوة: فتحة صغيرة في البدن يمر منها الضوء والهواء، وله أشكال متعددة.

الدرازبين: السياج المحيط بالشرفة، وقد يكون من الخشب أو الحديد أو الحجر.

المظلة أو ساترة المؤذن: الغطاء الواقي من الشمس والمطر فوق الشرفة.

رأس المئذنة: القسم الذي يعلو المظلة: وهو يأخذ شكلان، إما مستدير أو مصلع، ويتألف من العناصر التالية:

الجوسق: يعرف برقبة المئذنة وعنقها، وهي تسمية فارسية تعني القسم الذي يعلو المضلة ويحمل القبة أو القلنسوة أو الذروة وغيرها، وقد يحمل أعمدة، فحيثئذ يعرف باسم الجوسم المعمد⁽¹⁾، أو شكل الصنوبرة أو الذروة الصنوبرية، كما تحمل التفاحات، ويحمل أيضا القلنسوة المخروطية، وأيضا القبة التي تتوارد فوق الجوست وتتحمل الذروة الصنوبرية.

التفاحات: الكرات المعدنية التي ترفع فوق الذروة والقلنسوة أو القبة وتحمل الملال.

الملال: فوق الذروة، وقد يكون كامل الإستدارة أو مقطوع الدائرة.

الحربة: عنصر زخرفي على شكل الحرفة، يستعمل بدليلا عن التفاحات أو الملال.

العناصر الزخرفية:

الأقواس: تعلو النوافذ والعمد وتأخذ أشكالاً متعدد.

(1) بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص 278 – 280.

النواخذة: صباء أو مفتوحة أو زخرفية.

الشريفة: عنصر زخرفي على شكل شرفة صغيرة تتوضع في البدن.

الخشوة: على شكل غائر أو هيكل مفرغ مملوء بسطح أو بنقش بارز.

الحنية: عنصر مقوس غائر كالمحراب.

الشريط الزخرفي: نطاق من الزخارف يحيط بالبدن.

الشريط الكتابي: نطاق من الكتابات المنسوبة غالباً قرآنية النصوص.

القرص الزخرفي: عنصر تزييني على شكل فرص بارز أو غائر أملس أو مزخرف قد يكون منفرداً أو ضمن حشوة.

نماذج من المآذن في الجزائر خلال العصر العثماني

جمعت المآذن في الجزائر العثمانية بين طرازين، المحلي والوافد:

طراز المآذن المحلية

والمعروف أنّ هذا الطراز هو طراز المآذن المربعة⁽¹⁾، نجد هذه النموذج في كل من الجامع الجديد وزاوية سيدي عبد الرحمن الشعالي، وزاوية سيدي محمد بوقربين بمدينة الجزائر، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمبليانة.

مئذنة الجامع الجديد بمدينة الجزائر

تقع المئذنة في الركن الشمالي الشرقي، يبلغ ارتفاعها 29.50 م وهي مربعة الشكل، تتبع في ذلك نفس النظام السائد في المآذن المغربية، وهي مكونة من قسمين، قسم يضم بدن المئذنة، والقسم الآخر يضم رأسها وهي مؤخرة المئذنة، فبدنهما يتكون من أربعة أجزاء، ويفصل كل جزء عن الآخر بروز الجزء الأسفل يضم باب المئذنة من

(1) أحمد فكري، مسجد القيروان، القاهرة، 1936، ص 112.

فوق السطح وهو حال من الزخرفة، فرأس المئذنة يتكون من الجosoق، ذو المسقط المربع، ويتوسّطه عشرة شرفة، ويعلوه قببة، تتوجها ثلاث تفافيح معدنية. وبعد عمليات الردم التي قامت بها الإدارة الفرنسية هناك أصبح ارتفاعها 25 م فقط. كما وضعت أثناء ذلك ساعة كبيرة على المئذنة سنة 1853 مصنوعة في مصانع واغنر Wagner وأن الأهالي قد عارضوا بشدة إلصاق الساعة بالميذنة وأظهروا مشاعر هائجة⁽¹⁾. (صورة 1)



صورة 1 / الجامع الجديد – المئذنة المربعة

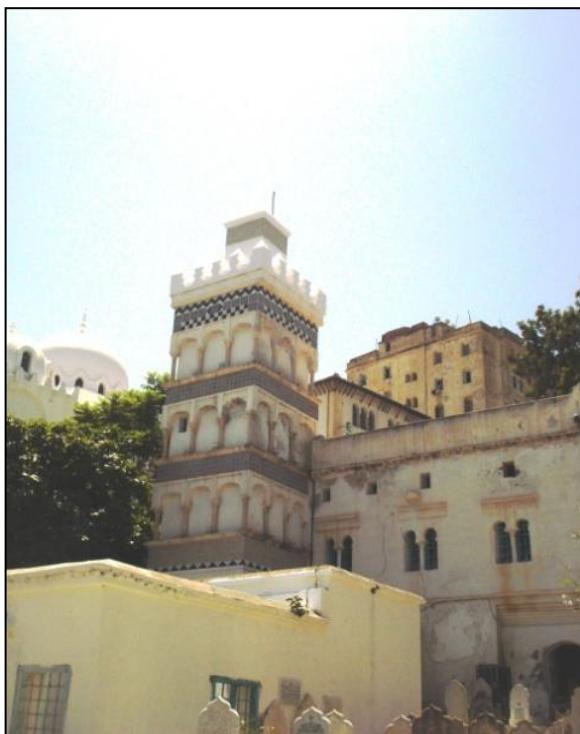
مئذنة زاوية سيدى عبد الرحمن الشعالبي بمدينة الجزائر:

توجد مئذنة زاوية سيدى عبد الرحمن الشعالبي بالركن الشمالي الشرقي، يبلغ ارتفاعها 18.12 م وهي من المربع للطراز المغربي التقليدي، تستند على قاعدة مربعة، وبدن ورأس، تزدان المئذنة بصفوف من البلاطات الخزفية ذات الزخارف والألوان.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، ج 5،

مئذنة زاوية سidi احمدبو قبرين:

تأخذ مئذنة زاوية سidi محمد الشكل المربع، ذات ارتفاع 21م، كما تتحل
موقع الركن الشمالي الغربي، وتنقسم هذه المئذنة إلى قسمين رئيسيين هما: بدن المئذنة
ورأس المئذنة. (صورة 3)



صورة 2 / زاوية سidi عبد الرحمن الثعالبي – المئذنة المربعة

مئذنة زاوية سidi أحمد بن يوسف:

تحتل مئذنة مسجد زاوية سidi أحمد بن يوسف الركن الشمالي الغربي، يبلغ
ارتفاعها 19.12 م حيث تأخذ الشكل المربع، تستند على قاعدة مربعة، وعلى بدن

وجوسق، حيث ينتهي البدن بشرافة هرمية الرأس فوق كل زاوية بين الضلعين مما نتج عنه ثمان شرفات. (صورة 4)

المآذنة المثمنة والأسطوانية:

مآذن الطراز الوافد من تركيا، والذي لم يسبق وأن عرفتها الجزائر قبل الدخول العثماني، وهو من التأثيرات المعمارية والفنية العثمانية بالجزائر.

فقد شمل معظم المساجد والزوايا في مختلف مناطق الجزائر وخاصة مدنه الكبرى، تتمثل في المآذن المثمنة والمآذن الأسطوانية.

المآذن المثمنة:



صورة 3 / زاوية سيدي محمد بو فربين – المآذنة المثمنة صورة 4 / زاوية سيدي

أحمد بن يوسف

مظهرها العام الخارجي، يتكون من طابقين، طابق سفلي مصلع يتتهي بذروة على شكل طنف، غير أن بعض المآذن الأخرى ربما تكونت من برجين سفليين ذي شكل مثمن يتوجها حوش مثل مئذنة جامع صفر بن عبد الله وجامع القصبة البراني وزاوية سيدي محمد شريف بمدينة الجزائر، وفي الغرب مئذنة جامع الباشا بوهران، ومئذنة جامع الباي محمد الكبير بمعسكر المعروف بمسجد عين البيضاء، ومئذنة باش تارزي بقسنطينة.

جامع صفر:

تحتل المئذنة الشمال الشرقي من الجامع بأضلعها الشهانية التي يبلغ عرض كل ضلعها ١٢١م وهي خالية من النوافذ إلا من فتحات صغيرة جعلت للتهوية والإضاءة وتنتهي هذه الأضلاع بشرفات مسننة، وارتفاع المئذنة عن مستوى فتحة الشرفة المسننة إلى سطح بيت الصلاة

يقدر بـ ١٥٠م، أمّا ارتفاعها من مستوى فتحة الشرفة المسننة إلى مستوى سطح رواق الصحن فيقدر بـ ١٤٠سم، وجوشق المئذنة مقسم إلى ثلاثة أجزاء، حيث يتتهي الجزء الأخير بعمود مثبت به ثلاث تفافيح. (صورة ٥)

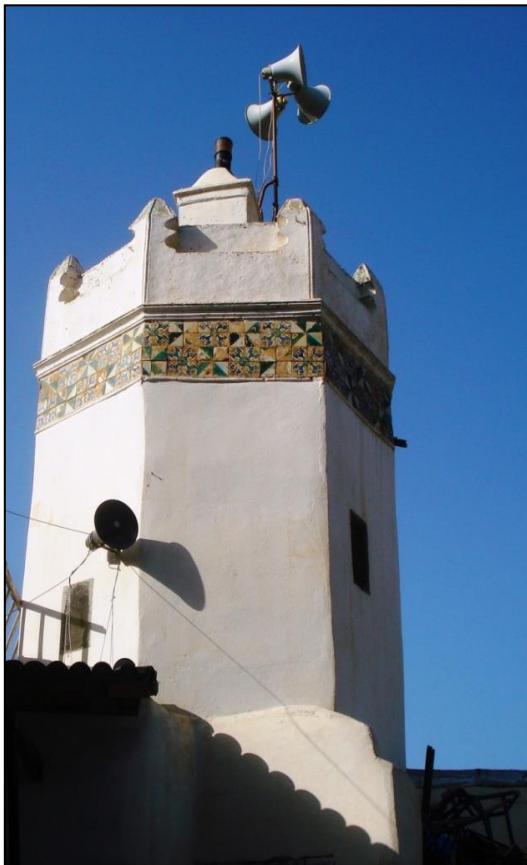
- جامع البراني:



صورة ٥ / جامع صفر (بدن المئذنة المثمنة)

نلاحظ على يمين المدخل وبزاوية معينة المئذنة شامخة في السماء تتصل بجزء من الواجهة الشرقية، بلغ ارتفاعها 85 م، ذات شكل مثمن، يقدر طول كل ضلع منها 144 م، بدنها يتخللها بعض الفتحات الصغيرة مستطيلة الشكل، ونجد فوقها

مباشرة شريطاً من البلاطات الخزفية بحيث وضعت بطريقة تتناوب فيها القطع البيضاء مع القطع الخضراء لتشكل لنا زخرفة شطرنجية بالإضافة إلى الزخرفة النباتية قوامها زهرة القرنفل المحورة.(الصورة 6).

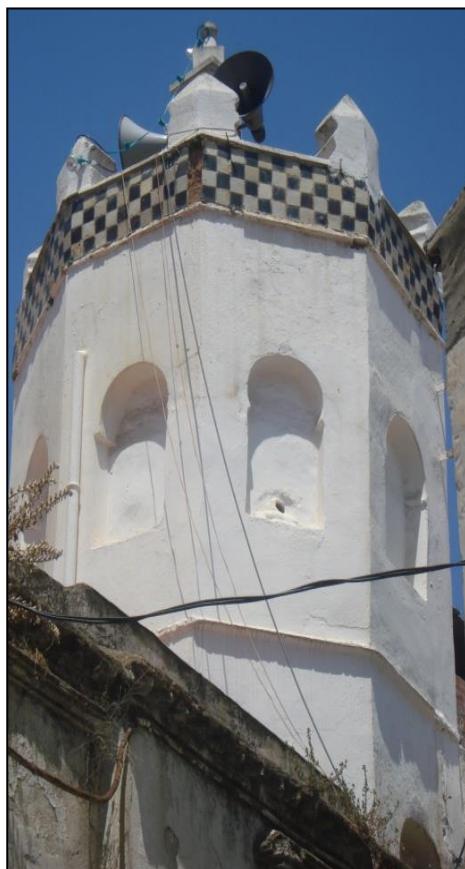


صورة 6 / جامع البراني – المئذنة المئمنة

زاوية سيدي محمد شريف بمدينة الجزائر:

توجد المئذنة بالركن الشمالي الشرقي، وبدنها من النوع المثمن، يبلغ ارتفاعها 9.5 م ويبلغ عدد درجات سلمها 17 درجة، ويخلل أصلابعه بعض المزاغل التي يزينها من أعلى إفريز من البلاطات الخزفية باللونين الأسود والأبيض، ويتهي البدن بشرافة هرمية الرأس فوق كل زاوية بين الضلعين مما نتج عنه ثمان شرفات. (صورة

.(7)



صورة 7 / زاوية سيدي محمد شريف (المئذنة المثمنة)

الجامع الباشا بوهران:

تحتل مئذنة جامع الباشا بوهران الزاوية الشرقية الجنوبية لبيت الصلاة، يبلغ ارتفاعها 32 م، وهي منفصلة عن المسجد، تتكون من قاعدة مثمنة، وبدن مثمن، ويتهيي البدن برأس المتمثل بالجوسق الذي أخذ نفس شكل المثمن، ويفصل بين كل المجموعتين قاعدة، بدن، وجوسق - شريط من البلاطات الخزفية المتناثبة الألوان بين الأبيض والأخضر. (صورة 8)



صورة 8 / جامع الباشا بوهران (المئذنة المثمنة)

جامع عين البيضاء بمعسکر:

تقع هذه المئذنة بالزاوية الشرقية الجنوبية من بيت الصلاة، بلغ ارتفاعها 6.40 م، وهي بقاعدة مربعة ويدن ثماني الأضلاع، يبلغ عدد درجات سلمها 62 درجة، أما رأس المئذنة فهو يتكون من جوسم ثماني الأضلاع، تعلوه قببة مشمنة بتفاصيل وهلال. (صورة 9)



صورة 9 / جامع عين البيضاء بمعسکر -

المئذنة المثمنة – عن: بن بلة.

زاوية باش تارزي بقسنطينة:

تأخذ مئذنة زاوية باش تارزي الشكل المثمن، تقع في الركن الشمالي الغربي، يبلغ ارتفاعها 16.12 م، ذات قاعدة وبدن مثمن، وتنتهي بجوسق رشيق به شرفة. (صورة 10)



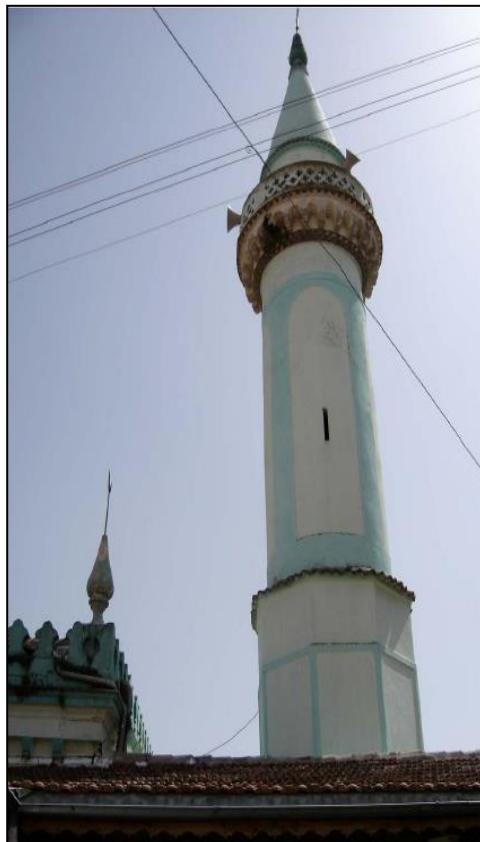
صورة 10/ زاوية باش تارزي بقسنطينة (المئذنة المثمنة)

المآذن الأسطوانية:

وجود المآذن الأسطوانية، تشبه المآذن العثمانية الموجودة في تركيا المعروفة برؤوسها التي تشبه رؤوس أفلام الرصاص، أو رمحية الشكل وهي غير مجسدة في الزوايا بالجزائر، بل نجدها في المساجد كمئذنة جامع سيدى الكتاني بقسنطينة، وجامع صالح باي بعنابة. (صورة 11)

مئذنة جامع سيدى الكتاني بقسنطينة

تقع مئذنة سيدى الكتاني في الزاوية الشمالية الشرقية، ذات قاعدة مثمنة،



وبدن أسطواني، يتنهي بدنها بشرفة دائرية، وبدرابزين محرم، رأس المئذنة رمحية الشكل، يذكرنا برؤوس المآذن العثمانية التي تشبه رؤوس أفلام الرصاص.

صورة 11 / سيدى الكتاني بقسنطينة

–المئذنة –عن: بن بلة

جامع صالح باي بعنابة:

تقع مئذنة جامع الباي بعنابة الزاوية الشمالية الغربية من بيت الصلاة، يبلغ ارتفاعها 16 م، ويكون سلم المئذنة من 59 درجة. وهي تقوم على قاعدة مضلعة من النوع الخارجي، أمّا بدنها فهو من النوع الأسطواني، يعلوها جوشق يتتهي بقبية خروطية الشكل، تشبه المآذن العثمانية المعروفة برؤوسها التي تشبه رؤوس أقلام الرصاص، أو رمحية الشكل. (صورة 12)



صورة 12 / جامع صالح باي بعنابة (المئذنة) عن: خيرة بن بلة،
المرجع السابق.

هذا الجدول يبين ما يلي⁽¹⁾:

المبني	تاريخ التأسيس	أشكال المآذن	ارتفاع	موقع المآذن
جامع صفر بمدينة الجزائر	م 1534 هـ / 490 م	مئمتة	م 16.75	الركن الشمالي الشرقي
الجامع الجديد بمدينة الجزائر	م 1660 هـ / 1070 م	مربعة	م 25	الرّكن الشمالي الشرقي
جامع البراني بمدينة الجزائر	م 1818 هـ / 1234 م	مئمتة	م 8.5	بالركن الشمالي الشرقي
جامع الباشا بوهران	م 1792 هـ / 1206 م	مئمتة	م 32	الزاوية الشرقية الجنوبية
جامع عين البيضاء بمعسكر	م 1780 هـ / 1195 م	مئمتة	م 30.40	الزاوية الشرقية الجنوبية
جامع سيدي الكتاني	م 1776 هـ / 1190 م	أسطوانية	م 14.80	الزاوية الشمالية الشرقية

-
- (1) سعيد بوزرينة، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التذكارية خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010 / 2011، ص 56 – 103 . وانظر أيضاً: بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص 276 – 295 .
- أنظر أيضاً: سعيد بوزرينة، الزوايا في الجزائر خلال العصر العثماني، رسالة الدكتوراه في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2 ، 2015 / 2016، ص 134 – 154 .

				بقسنطينة
الزاوية الشمالية الغربية	م 16	أسطوانية	1206 هـ / 1792 م	جامع صالح باي بعنابة
بالركن الشمالي الشرقي	م 9.5	مئمنة	984 هـ / 1542 م	زاوية سيدى محمد شريف بمدينة الجزائر
الزاوية الشمالية الشرقية	م 18.40	مربعة	1108 هـ / 1696 م	زاوية سيدى عبد الرحان الشعالبي بمدينة الجزائر
الركن الشمالي الغربي	م 21	مربعة	1602 هـ / 1791 م	زاوية سيدى احمد بمدينة الجزائر
الركن الشمالي الغربي	م 19.12	مربعة	1192 هـ / 1774 م	زاوية سيدى أحمد بن يوسف بمليانة
الركن الشمالي الغربي	م 16.12	مئمنة	1221 هـ / 1806 م	زاوية باش تارزي بقسنطينة

► تميزت المآذن بالارتفاع المتوسط والقليل نسبيا، وتعتبر مئذنة جامع البasha بوهران أكثر ارتفاعا، ومئذنة جامع البراني أقل ارتفاعا.

► موقع المآذن بالجواجم والزوايا بمدينة الجزائر كلها بالركن الشمالي الشرقي إلا زاوية سيدى احمد بوقربين بالركن الشمالي الغربي، وموقع المآذن بالجواجم والزوايا بالغرب الجزائري كلها بالركن الشرقي الجنوبي.

﴿ امتدت المباني - الجوامع والزوايا - بمختلف أشكال مآذنها "المربعة والمثمنة والأسطوانية" على طول مراحل الحكم العثماني بداية من جامع صفر 490هـ / 1534م، إلى جامع البراني بمدينة الجزائر 1234هـ / 1818م. 】

الخاتمة:

- إن دراسة المآذن في الجزائر خلال العهد العثماني جعلنا نستتّج النقاط التالية:
 - وجدنا ثلاثة أنواع من المآذن في الجزائر خلال العصر العثماني، وهي المربعة التي ميّزت الجامع الجديد وزاوية سيدى عبد الرحمن الشعالبي، وزاوية سيدى محمد بوقدرين بـمدينة الجزائر، وزاوية سيدى أحمد بن يوسف بـمليانة، والمثمنة (المصلعة) استعملت في جامع صفر بن عبد الله وجامع القصبة البرانى وزاوية سيدى محمد شريف بـمدينة الجزائر، وفي الغرب مئذنة جامع الباشا بوهران، ومئذنة جامع الباي محمد الكبير بـمعسكر المعروفة بـمسجد عين البيضاء، ومئذنة باش تارزي بـقسنطينة، والأسطوانية التي ميّزت مئذنة جامع سيدى الكتانى بـقسنطينة، وجامع صالح باي بـعنابة.
 - دمج المعماري الجزائري بين الأساليب والتقاليد المغربية الذي يعرف بالطراز المحلي وبين الأساليب المعمارية التي جلبها العثمانيون والذي يسمى بالطراز الوافد، حيث نجد تعايشاً بين الطرازين جنباً إلى جنب، كزاوية سيدى عبد الرحمن الشعالبي الذي له تخطيط من الطراز الوافد في قاعة الضريح، والطراز التقليدي المحلي المغربي يظهر في عنصر المئذنة المربعة، وأيضاً جامع سيدى الكتانى ذو التخطيط من طراز التقليدي المحلي المغربي والمئذنة الأسطوانية من طراز الوافد.
 - استخدام البلاطات الخزفية على نطاق واسع في المئذنة، كشرط من البلاطات الخزفية المتداويبة الألوان بين الأبيض والأخضر الذي يفصل بين كل المجموعة – قاعدة، بدن، وجوسق في مئذنة جامع الباشا بوهران، وإفريز من البلاطات

الخزفية باللونين الأسود والأبيض في أعلى بدن مئذنة زاوية سيدى محمد شريف
بمدينة الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

1. -ابن كثير إسماعيل الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي محمد معوض عادل
أحمد عبد الموجود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ /
2003 م.
2. -ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر، ط1، دار
الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ / 2003 م.
3. -ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري البصري (توفي:
218 هـ / 833 م)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السيقا، إبراهيم الأبياري عبد
الحفيف شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
4. -ابن عودة حسين العوايشة، الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب
والسنة المطهرة، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن
1423 هـ / 2002 م.
5. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي،
بيروت، 1998 م.
6. فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد 1، القاهرة، 1970 م.
7. -زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981 م.
8. عبد العزيز سالم، المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح
العربي حتى نهاية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر،
الإسكندرية.
9. -خيرية بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة الدكتوراه في
الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007 / 2008 م.

10. سعيد بوزرينة، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التذكارية خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2010 / 2011 م.
11. سعيد بوزرينة، الزوايا في الجزائر خلال العصر العثماني، رسالة الدكتوراه في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2015 / 2016 م.
12. محمد موشموش، الفكر العماني الإسلامي وأثره على المدينة وعمارتها: " مدحني تلمسان والجزائر نموذجاً" ، رسالة دكتوراه في آثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015، 2016 م.

معالم عمران المدن الأوراسية والزابية في العصر الوسيط

من خلال المصادر العربية

Architecture of Aurasian and Zabian cities in the Middle Ages through Arab sources

أ. خديجة طاهر منصور

جامعة وهران ١ أحمد بن بلة (الجزائر)

taharmansour.khadidja@univ-oran1.dz

ملخص:

تهدف دراستنا لموضوع معالم عمران المدن الأوراسية والزابية من خلال بعض المصادر العربية إلى البحث عن الآثار المادية وتقديم صورة واضحة عن المعالم العمرانية الكبرى في المنطقة عن طريق تدّارس نماذج من النصوص الإخبارية والمدونات الجغرافية، وتدرج هذه الورقة البحثية ضمن مسار الدراسات التاريخية والمعمارية لمنطقة الزاب والأوراس في الحقبة الوسيطة.

عرف الإقليبيان محل الدراسة تحولاً جذرياً في عمران المدن بعد أسلامة المنطقة، حيث انعكس الوجود الإسلامي على الوجه العماني للمدن الأوراسية والزابية من حيث هيكلتها وجماليتها.

من أهم النتائج التي أكدّت عليها المصادر العربية هي كثرة العمارة وتنوعها في منطقة الأوراس والزاب خلال العصر الوسيط.

كلمات مفتاحية: عمران المدن، الأوراس، الزاب، العصر الوسيط، المصادر

العربية.

Abstract:

Our study of the subject of history of architecture of Aurasian and Zabian cities through Arab sources aims to search for material monuments and provide a clear picture of the main urban landmarks in the region through news texts and geographical blogs.

One of the most important results confirmed by the Arab sources on which our study relied was the abundance of material monuments and the diversity of architecture in the Aures and Zab region during the Middle Ages.

Keywords: Architecture; Aures; Zab; Medieval history; Middle Maghreb.

مقدمة:

شهد إقليها الأوراس والزاب الاستقرار البشري منذ ما قبل التاريخ، وفي التاريخ القديم ازدهرت عمارة المدن في هذين الإقليمين التكاملين جغرافياً وعمانياً. من بين المصادر التي احتفظت بصورة واضحة وجليّة عن التراث الأثري في المنطقة فيما يخص عمران المدن الأوراسية والرا比ة في الحقبة الوسيطة هي المصادر العربية التاريخية والجغرافية المشرقية والمغاربية.

إنَّ هدف الكُتب الجغرافية المسالكية والماليكية وصف مظاهر العمران ومعالم المدن والطرق والمسالك، وهي من أكثر المصادر غنىًّا بالمعلومات حول إقليمي الأوراس والزاب خاصة الكتب التي اعتمد مؤلفوها على التشخيص المباشر (مصادر الرحالة)، وكذلك أمهات الكتب التاريخية الأصلية (النّصوص الإخبارية) التي ساهمت في وصف جغرافية العمران في المنطقة من خلال التاريخ لتطورات الأحداث وسرد تفاصيل العمليات العسكرية والحربيّة التي كانت أرض الأوراس والزاب مسرحًا خلال القرون الوسطى.

اخترنا البحث في "معالم عمران المدن الأوراسية والرا比ة في الفترة الوسيطة من خلال المصادر العربية"، ونسعى إلى محاولة الإجابة على الإشكالية التالية: ما قيمة المادة العلمية العمرانية الموجودة في المصادر العربية التاريخية والجغرافية التي تختص بلاد الأوراس والزاب في العصر الوسيط؟ وللإجابة على هذه الإشكالية نطرح السؤالين التاليين:

- متى بدأ تعمير إقليميّ الأوراس والزاب؟ وما هي الأسباب التي ساهمت في قيام العمران في هذه المنطقة؟ وما أنواع المعالم العمرانية الموجودة فيها، وإلى أي فترة

تعود؟، وهل حفظت لنا المصادر العربية كل معالم العمran -القديمة والواسطة- في المدن الأوراسية والزابية؟

من خلال مقالنا هذا نسعى إلى تقديم الصورة العمرانية للمدينة الأوراسية والزابية حيث أثنا نستدل بنماذج من النصوص عن: المدن وتصميمات المباني والآثار، وأنواع المعالم والمنشآت التي تميزت واشتهرت بها المنطقة، من: مراافق عامة كالحمامات والأسواق، وكذلك الطرق، والأسوار والخصون، وغيرها.

أولاً: العمran وتاريخ تمدن الأوراس والزاب:

يُعتبر ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م) مؤسس علم العمran، وهو يرى أن الإنسان مدنيّ بطبعه، ولا بد له من الاجتماع، والاجتماع: هو العمran، والعمran: هو المدينة، بقوله: "أي لا بدّ لهم من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو يعني العمran وبيانه"⁽¹⁾.

يعود تمدن الأوراس والزاب وكثرة العمارة بهما إلى العهود القديمة السابقة للإسلام، وبعد الفتح الإسلامي استحدثت المدن الجديدة –الإسلامية، وفق شروط تأسيس وهيكلة عمارة المدينة الإسلامية، كما تمظهرت وتزيّنت المدن القديمة – بعد أسلمتها بالمنشآت العمرانية الإسلامية كالمساجد؛ فوجود الإسلام انعكس على الوجه العماني للمنطقة، وساهم في التحول الجذري لتصميم المدن.

(1)- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشى والفالهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج 1، ص 54.

إنّ لعمان المدن دلالات سياسية واقتصادية واجتماعية، ونحن نبحث في النصوص التاريخية الإخبارية والجغرافية الوصفية عن ما قاله وكتبه الكثير من المؤرخين والجغرافيين والرحلة حول التراث المادي، المتمثل في معالم الأبنية المتنوعة من عمارة مدنية ودينية وعسكرية في الإقليمين محل الدراسة.

ثانياً: الحيز الجغرافي لإقليمي الأوراس والزاب خلال العصر الوسيط:

من بين أكثر المناطق تعميراً وسكنى في الجهة الشرقية من بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط منطقتين، هما: الأوراس في وسط المغرب الأوسط، والزاب في جنوب المغرب الأوسط، ونحاول في هذا العنصر حصر كل إقليم استناداً على الإسقاط الجغرافية العربية.

١- الأوراس: يُنسب هذا الإقليم الذي يشتمل مجاله الجغرافي على عدة مدن إلى جبل أوراس، وهو "قطعة متصلة من جبل درن المغرب، وهو كاللام محني للأطراف"^(١)، ويُشَتَّتُ هذا الجبل بلاد الغرب وببلاد إفريقيا، ويبلغ طوله نحو اثنين عشر يوماً؛ وفيه المياه الغزيرة، والمراعي الكثيرة، والعمارنة الدائمة المتصلة"^(٢). يقول الحسن الوزان (ت ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م) - واصفاً حدود إقليم الأوراس: "تقع الأوراس على بعد نحو ستين ميلاً من بجاية، وثمانين ميلاً من قسنطينة، وهي

(١)- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٤.

(٢)- ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، صص ٨٤-٨٥؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص ٢٦٤؛ الحميري، الروض المطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، طبع على مطبع هيدلبرغ، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤، ص ٥٦.

مفصولة عن الجبال الأخرى ومتدة على طول نحو ستين ميلاً، تُنَاخِمُ الأوراس جنوباً
صحراء نوميديا، وشماليّاً بلاد المسيلة وسطيف ونكاوس وقسنطينة⁽¹⁾.

وفي جبل أوراس عدّة بلاد، تسكنها قبائل من البربر من البتر والبرانس: لواتة،
هوارة، كتامة، وزناتة بفروعها: جراوة، بنو يفرن، وغيرها، هذا بالنسبة للعنصر
البربري؛ أمّا بقية العناصر التي سكنت الأوراس فتشير إليها لاحقاً عند ذكر مدن
الإقليم⁽²⁾.

2 - الزاب: هو "كورة عظيمة، ونهر جرّار بأرض المغرب على البرّ الأعظم،
عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة"⁽³⁾.

يقع الزاب "على أطراف الصحراء في سُمْتِ الْبَلَادِ الْجَرِيدِيَّةِ مِنْ عَمَلِ إِفْرِيقِيَّةِ،
وهو مثلها في حِرّ هُوائِهَا وَكُثْرَةِ نَخْيلِهَا، وَهُوَ مَدَنٌ كَثِيرَةٌ وَاسِعَةٌ، وَعَمَائِرٌ مَتَّصِلَةٌ فِيهَا
الْمَيَاهُ السَّائِحةُ وَالْأَنْهَارُ وَالْعَيْوَنُ الْكَثِيرَةُ"⁽⁴⁾.

إِنَّ الْمَجَالَ الْجُغرَافِيَّ لِإِقْلِيمِ الزَّابِ مُتَغَيِّرٌ حَسْبَ وَصْفِ الْجُغرَافِيِّينَ حَيْثُ كَانَ
شَاسِعًا يَشْتَمِلُ عَلَى عدّةِ مَدَنٍ فِي الْقَرْنِ 3-4هـ / 9-10م، ذَكَرَ الْيَعْقُوبِيُّ (ت
484هـ / 1084م) أَنَّ الزَّابَ "بَلْدَ وَاسِعٌ"، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِيرْوَانَ "عَشْرَ مَرَاحِلٍ"، وَيَشْمَلُ

(1)- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسيّة: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1983، ج 2، ص 102.

(2)- البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأماكنة والبقاع— وهو مختصر معجم البلدان لياقوت، 1992م، تحقيق وتعليق: علي محمد البحاوي، دار الجليل، بيروت، ط 1، 1992، ج 1، ص 130؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 75 / ج 7، ص 15، 12، 11 / ج 6، ص 156.

(3)- الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج 3، ص 124.

(4)- الحميري، المصدر السابق، ص 282.

كل من: مدينة الزاب العظمى طبنة، باغاية، تيجرس، ميلة، سطيف، نقاوس، مقرة، أحه، أربة⁽¹⁾؛ وأضاف المقدسي (ت 387 هـ / 997 م): مدينة "المسللة"، في قوله: "والزاب مديتها المسللة ولها: مقرة، طبنة، بسكرة، تهودا، طولقا، جيلا، بنطيوس، أدنة، أشير"⁽²⁾.

وفي نهاية العصر الوسيط بالضبط في القرن التاسع الهجري / 15 م تقلّصت مساحة إقليم الزاب لتشمل تقريباً مدينة بسكرة وقرها فقط، قال ابن خلدون واصفاً حدود هذا الإقليم في عصره: "حدّه من لدن قصر الدوْسَن بالغرب إلى قصور تِّومة وبادس في الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة... جبل دَرَن المُتّصل من أقصى المغرب إلى قبلة بَرْقة...، ويتصّل من شرقه بجبل أوراس المطل على بسكرة المعترض في ذلك البسيط من القبلة إلى الجوف"⁽³⁾.

ويُضيف "وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متاجورة جمعاً جمعاً، يعرف كل واحد منها بالزاب، وأوّلها زاب الدوْسَن، ثم زاب طَوْلَقَة ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى كلها"⁽⁴⁾.

إنَّ الزاب والأوراس هما من أهم أقاليم المغرب الأوسط التي عمرت عبر التاريخ، نظراً لتوفرهما على مجموعة من العوامل الطبيعية والجغرافية، والمتمثلة في:

(1)- اليعقوبي، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضيّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2002 م، صص 190-191.

(2)- المقدسي، المصدر السابق، صص 209-210 / ص 79.

(3)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 585.

(4)- نفسه، ص 585.

المياه والكلأ (المراعي) والجبال التي تعتبر حصنًا طبيعيا، - هذه العوامل هي التي شجّعت كل من الإنسان المحلي والوافد على السكن والاستقرار فيها ثم تشييد المدن. تُظهر النصوص التي سُقناها أنَّ هناك اختلاف فيما يخص تحديد مجال إقليمي الأوras والزاب ومُدنهما بين المؤرخين القدامى واللاحقين في العصر الوسيط - كابن حوقل (ت ٤٣٠هـ / ٩٩٠م) وابن خلدون مثلاً - فكل واحد منها شاهد على عصره. إنَّ الأمر ليس كما يبدو، فالاختلاف في تحديد مدن كل إقليم مُرتبط بالتفاوت الزمني وبالحالة السياسية والسلطة القائمة في كل عصر، فعصر ابن حوقل ليس كعصر ابن خلدون فقد عرف الإقليمين تعدد وتقلص عبر الأزمنة - خاصة إقليم الزاب، وحسب مجال الدول المتداولة على حكم المنطقة في بعض المراحل التاريخية في القرون الوسطى.

ثالثاً: معالم عمران المدن الأوراسية والزاوية في العصر الوسيط من خلال المصادر

العربية

١. معالم العمارة في الأوras والزاب والنصل العربي التاريخي والجغرافي:

بما أنّنا نعتمد على النصوص العربية الوسيطية المحصورة بين القرنين (٣-٩هـ / ١٦-٥٩م) لإنجاز هذا المقال، فإنَّ أول عائق هو شُح المعلومات بل انعدامها في بعض الأحيان فيما يخص الإشارة إلى حالة معالم عمران المدن الأوراسية والزاوية خلال مرحلة الفتح - أي في القرن الأول الهجري / ٧م رغم أن تقدّم المنطقة يعود إلى العصور السابقة للإسلام.

عند البحث في المصادر التاريخية المكتوبة باللغة العربية المدونة في القرون الإسلامية الأولى (٣-٩هـ / ١٥-٤٣م)، والتي اهتممت بأحداث الفتح، وبالخصوص النصوص المصدرية الإخبارية المشرقة لا نجد أي إشارة لمعالم العمارة، من: وصف

للمدن أو الحصون في إقليميّ الأوراس أو الزاب، وفيما يلي ذكر لبعض النهاذج عن تلك المصادر:

﴿ كتاب "فتح إفريقية" للواقدي (ت 207هـ / 822م)؛ وهو أقدم تاريخ لأقدم مؤرخ في تاريخ الإسلام، وأشار فيه إلى فتح بلاد الزاب، وذكر اسم بعض مدنه في قوله: "صاحب ريف وطلاقة وصاحب نقاوس وصاحب أركا وعظاماء ملوك الزاب"⁽¹⁾ أي دون الإشارة إلى المعالم العمرانية في البلاد الزاوية أو إلى إقليم الأوراس.

﴿ "تاريخ خليفة بن خياط" (المتوفى حوالي 240هـ / 854م)؛ اكتفى بالإشارة إلى إقليم "الزاب" مرتين في حديثه عن مقتل "الكافنة" سنة 74هـ / 693م، ومرة أخرى في سنة 124هـ / 741م بعد مقتل "ميسرة المطغري" حيث ذكر "الزاب" و"طبة"⁽²⁾.

﴿ "فتح مصر وافريقية" لابن عبد الحكم (ت 257هـ / 871م)؛ وأشار فقط إلى مدينة "تهودة"⁽³⁾.

(1)- الواقدي، *فتح إفريقية*، دار الكتب الوطنية، تونس، 1898 ، صص 153-154 .

(2)- خليفة بن خياط، *تاريخ خليفة بن خياط*، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشيلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995م، ص 91؛ ص 231.

(3)- ابن عبد الحكم، *فتح مصر والمغرب*، د.ت، تحقيق: عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، د.ت، ج 1، ص 267.

﴿ "تاریخ الرسل والملوک" للطبری (ت 103 هـ / 922 م): هذا الكتاب موسوعة روایات تاریخیة حسب السنوات، لم نجد فيه أي إشارة للمعلم العمرانی في إقليمي الأوراس والزاب⁽¹⁾.

هذه بعض النهاذج فقط، عن المؤلفات المشرقة الإخبارية التي أهملت بقصد أو دون قصد الإشارة إلى معلم تمدن المنطقة رغم ذكرهم لأحداث وعمليات الفتح، وربما يعود هذا الأمر إلى جهل هؤلاء المشارقة بجغرافية عمران المنطقة، بالإضافة إلى أن الكتابة التاریخیة في هذه المرحلة ما تزال في مدها حيث أنَّ تدوین التاریخ كان على شکل روایات للأحداث فقط.

وإن كان المؤرخون المشارقة قد غلب عليهم الاهتمام بذكر الواقع أكثر من وصف الأمکنة والبقاء، فما هو عذر بعض المدونات الجغرافية المشرقة التي لم تُفصِّل في ذكر بعض معلم المدن الأوراسية والزاوية؟، والتي نذكر من بينها:

﴿ "المسالك والممالك" لابن خرداذبة (ت 272 هـ / 885 م): وأشار إلى مدينة الزاب وتهودة عرضًا في إطار حديثه عن إحدى المسالك "الطريق من برقة إلى المغرب"؛ وإلى إقليمي الأوراس في ذكره للأدارسة⁽²⁾، دون التفصيل في مجال كل إقليم.

(1)- ينظر الطبری، تاریخ الرسل والملوک، تحقیق: أبو الفضل ابراهیم، دار المعارف، مصر، ط2، 1970.

(2)- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، طبع في مطبعة لیدن المحروسة، بمطبعة بربیل، 1889، صص 87-89.

▷ "المسالك والمالك" للإصطخري (ت 346هـ / 957م): لم يتحدد اطلاقاً عن الأوراس أو الزاب ولا مدنهما، رغم إيراده لكثير من مدن بلاد المغرب والأندلس⁽¹⁾.

▷ "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أو ما تسمى رحلة المقدسي: ذكر بعض أسماء المدن الأوراسية والزابية في إطار حديثه عن بلاد المغرب عامة دون التفصيل في ذكر معالم عمران المدن⁽²⁾.

إنَّ عدم ذكر مثل هذه المصادر الجغرافية المشرقة في القرنين 3 و 4هـ / 9-10 م - ما عدا "اليعقوبي" و"ابن حوقل" - لمعالم العمران ليس تجاهلاً للمنطقة، بل جهل بها وبعمارتها.

استثنينا من المشارقة كل من الرحالة اليعقوبي وابن حوقل اللذين فصلاً في كُور الإقليمين، فكلاهما صاحباً رحلة مغربية، حيث كتبها مؤلفيهما بالمشاهدة، وبذلك يعتبران مصدرًا أوليًّا للمعلومات الجغرافية التي تداولت وتوالت فيما بعد عن الزاب والأوراس في مؤلفات المشارقة والمغاربة.

إنَّ تسييقنا لهذا العنصر الذي عالجنا فيها إهمال المصادر المشرقة لذكر المعالم العمرانية في إقليمي الزاب والأوراس لا يعني أنَّنا نُحمل المصادر مسؤولية انعدام

(1) - الإصطخري، المسالك والمالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني، مراجعة شفيق غربال، قدم هذه الطبعة عبد العال عبد المنعم الشامي، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، مركز النشر الجامعي، القاهرة، 2004، ص 33.

(2) - المقدسي، رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 3 م، 2003، حررها وقدم لها: شاكر لعبيبي، دار السويدى، الإمارات العربية المتحدة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2003، صص 79-78؛ ص 209؛ صص 227-228.

المادة بل اعتبرناها من ضمن الصعوبات التي تواجه الدّارس لهذا الموضوع في القرون الأولى من العصر الوسيط.

في المقابل نؤكّد على وجود إسطوغرافيا أخرى مشرقة وغربية، جغرافية و تاريخية اهتمت بالمنطقة بحيث فصلت في مدن كل إقليم، وقدّمت صورة واضحة المعالم، وأوضحت المسار التاريخي العماني لإقليمي الأوراس والزاب؛ هذه الإسطوغرافيا هي التي اعتمدنا عليها في تقديم هذه المادة وساعدتنا في تتبع سيرورة تمدن هذين الإقليمين، وساهمت في رصد مختلف أنواع معالم العمران المدنية والعسكرية والدينية، وقد اخترنا ذكر المدن المهمة بالتفصيل في كل إقليم كنماذج لهذه الدراسة، والإكتفاء بالإشارة إلى المدن الأخرى عرضاً.

2. مدن إقليم الأوراس والزاب في العصر الوسيط من خلال النصوص العربية:

نفهم أساساً بجغرافية العمران التاريخية، لذلك نسعى إلى تحديد مدن إقليمي الأوراس والزاب من خلال النصوص العربية.

- مدينة "باغاية": مدينة كبيرة، قديمة أوليّة، تقع قرب جبل أوراس، يقول ابن حوقل: "وجبل أوراس منها [أي باغاية] على أميال..."⁽¹⁾، و"ها ماء جارٍ من وادٍ يأتיהם من القبلة ومنه شربهم مع آبار لهم عذبة، و لهم من البساتين الكثير مرحلة،... وأكثر غالتهم الحنطة والشعير".⁽²⁾.

توسّعت المدينة بعد ازدياد عدد ساكنتها حيث ظهرت الأراضي حولها، كما تواجدت بمحاذاتها القرى والمعماريات، وذلك قبل الغزو الهمالي لبلاد المغرب في القرن

(1)- ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 84 / المقدسي ، المصدر السابق ، ص 213 .

(2)- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 84 .

الخامس الهجري / ١١ م، يقول الإدريسي (المتوفى حوالي ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م): "وأما الآن فـ...الأراضي خالية بإفساد العرب لها... وكانت لها بوادي وقرى وعمارات، والآن كل ذلك قليل فيها".^(١)

وباغية بلد ببرى الباذية، من قبيلة: "هوارة"^(٢)، كما سكن فحص المدينة قبائل من "لواثة" و"ضريسة"^(٣)؛ واستقرّ بها أيضاً العرب من قبائل الجندي، وعجم من أهل خراسان، وعجم من عجم البلد من بقایا الروم^(٤).

وكانت المدينة شُرِفَ على عدّة طرق، وصف إحداها ابن حوقل، بقوله: "طريق يأخذ الآخذ على بلزمة إلى نقاوس إلى طبنة، ويتصل هذا الطريق بطريق مجانية إلى تيجس... ومن باغي إلى دوفانة قرية من جبل أوراس..، ومنها إلى دار ملول... ومنها إلى طبنة...".^(٥)

ومن المدن الأوراسية القديمة القرية من باغية، نجد: "مدينة يقال لها: تيجس، من عمل باغية حولها قوم ببر عجم"^(٦) وهي "مدينة أولية شامخة البناء

(١) - الإدريسي، المصدر السابق، صص ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) - ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٨٤ / اليعقوبي، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) - الحميري، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٤) - اليعقوبي، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٥) - ابن حوقل ، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٦) - اليعقوبي، المصدر السابق، ٢٠٠٢، ص ١٩٠.

كثيرة الكلاً والرَّبِيع⁽¹⁾، ومدينة أخرى تسمى "فاساس" أشار إليها البكري (ت 748هـ / 1098م) في كتابه "المسالك والممالك"⁽²⁾.

وأيضاً من مدن بلاد الأوراس، نجد: مدينة "بلزمة"، يقول ابن حوقل: "مدينة بلزمة حصن لطيف فيه رجال جلد..."⁽³⁾ وسمّاه البكري "بلزمة لمراتة"، ووصفه بقوله: "في بساط الأرض، كثير المزارع والقرى"⁽⁴⁾; وكذلك مدينة "دار ملول" التي كانت "مدينة عامرة وأسواقها قائمة ولها مزارع وغلالات جمّة،... وشربهم من ماء عيون بها جارية وبين دار ملول إلى القلعة ثلاثة مراحل"، وبينها وبين طبنة مرحلة كبيرة.⁽⁵⁾.

ومن الآثار القديمة القرية من مدينة باغاية "قبر مادغوس" ذكره البكري في القرن 5هـ / 11م، ووصفه الحميري (ت 750هـ / 1349م) بقوله: "بقرب باغاية قبر مادغوس، وهو قبر مثل الجبل العظيم مبني بأجر رقيق معقود بالرصاص، وبنيت فيه طبقات صغار، وصُورت فيه جميع الصور من الإنسان والطير والوحش، وهو مدرج النواحي، وقد رام كثير من الناس هدم هذا القبر فلم يقدروا على ذلك، ولا يعلم على الحقيقة ما هو؟، هل هو قبر أو هيكل؟، إنما هو بناء قديم لا يعلم له حقيقة، وهو مجمع

(1)- البكري، المسالك والممالك، 2003م، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003، ج 2، ص 232.

(2)- نفسه، ج 1، ص 227.

(3)- ابن حوقل، 1992، ص 91.

(4)- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 227.

(5)- الإدريسي، المصدر السابق، صص 26-43.

لكل طائر، ويقال إنَّ لهم هناك طلاسم⁽¹⁾ وما يزال هذا القبر موجوداً، ويعرف أيضاً بضريح إيمدغاسن (ضريح أحد الملوك النوميد).

- مدينة نقاوس: "مدينة كبيرة... قديمة أزلية، ولها مياه كثيرة وأجنحة عظيمة، وبها جميع الفواكه كاللوز والجزر والكرز ووزر عهم غزير كثير"⁽²⁾، بينما وصفها الإدريسي في القرن السادس الهجري / 12 م بالصغيرة⁽³⁾.

وكانَتْ هذه المدينة "كثيرة العمارة، بها قوم من الجن، وحواليها البربر من: مكانة بطن من زناتة، وحو لهم قوم يقال لهم: أوربة"⁽⁴⁾.

تعتبر نقاوس نقطة عبور إلى عدة مدن أخرى، يقول الإدريسي: "من مدينة طبنة إلى مدينة نقاوس مرحلتان،... ومن نقاوس إلى المسيلة أربع مراحل وقيل: ثلاث، ومن مدينة نقاوس أيضاً إلى حصن بسكرة مرحلتان"⁽⁵⁾.

ومدينة أخرى أشار إليها "البكري" بعد ذكر مدينة نقاوس وهي: "مدينة اللُّوز" الواقعة شرق نقاوس⁽⁶⁾.

- مدينة طبنة: من أعظم بلاد الزاب، تقع في وسطه، وهي "مدينة كبيرة... بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزار مرد"⁽¹⁾؛ وهي التي كان ينزلها ولاة إقليم الزاب⁽²⁾.

(1)- الحميري، المصدر السابق، ص 77.

(2)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.

(3)- الإدريسي، المصدر السابق، ص 264.

(4)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

(5)- الإدريسي، المصدر السابق، ص 264.

(6)- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 228.

وصفها ابن حوقل، بقوله: "مدينة قديمة، وكانت عظيمة، كثيرة البساتين والزروع والقطن والخنطة والشعير..، وأكثر غلاتهم السقي ويزرعون الكتان، وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة، وكانت وافرة الماشية من: البقر والغنم وسائر الكراع والنعم"⁽³⁾.

وأضاف البكري: "ليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة أكبر منها، واسم نهرها بيطام، وإذا حمل سقى جميع بسائطها، ويقول أهلها: بيطام بيت الطعام لجودة زرعها"⁽⁴⁾؛ كما وصف الإدريسي أحوالها بقوله: "بها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات، والتمر بها كثير، وكذلك سائر الفواكه"⁽⁵⁾.
وكان لطينة قصر، وأرباض واسعة⁽⁶⁾، وصف قصرها البكري بقوله: "إنَّ قصر طينة قديم أوليٌّ كير جليل، مبني بالصخر الضخم، عليه آزاج كثيرة، ينزله العمال، وهو ملاصق سور المدينة من جهة القبلة، عليه باب حديد وهو شرقي... وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها، ومنه تسقى بساتينها؛... ولها بساتين ملاصقة للرَّبض"⁽⁷⁾.



(1)- نفسه، ج 2، ص 228.

(2)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

(3)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

(4)- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 229.

(5)- الإدريسي، المصدر السابق، ص 263.

(6)- الحميري، المصدر السابق، ص 387.

(7)- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 228.

وكان "مقبرتها بشرقيها، وبقرب المقبرة غديرٌ يعرف بغدير فرغان"⁽¹⁾.

أما عن ساحتها، فقد كان بها "أخلال من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر"⁽²⁾، يقول ابن حوقل: "أهلها قبائلان عرب وبَرْقَجَانَة"⁽³⁾.
ويبدو أن عظمة طينة قد زالت في النصف الثاني من القرن 4هـ/10م بدليل ما ذكره الرحالة ابن حوقل: "فحدث بينهم [أي بين أهلها] البغي والحسد إلى أن أهلك الله بعضهم بعض، وآتى على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة إلى الضيق والذلة والصغار والشتات والقلة، مشردين في البلاد مطرّحين في كل جبل وواد..."⁽⁴⁾.

وبسبب هذا الأمر أشار إليه البكري في القرن الخامس الهجري / 11م وهو الخلاف الحاصل بين أهلها، حيث قال: "يسكنها العرب والعجم، وبينهما الاختلاف وال الحرب... وإذا كانت الحرب بين العرب والموالدين، استمد العرب بعرب مدينة تهودا وسطيف، واستمد المولدون بأهل بسكة وما والاها... ويسكن حولها: بنو زقراب"⁽⁵⁾.

ولطينة عدّة طرق تربطها بقية مدن الزاب فـ"من المسيلة إلى طينة مرحلتان"⁽⁶⁾، ومن طينة إلى مقرة مرحلة، ومن مقرة إلى المسيلة مرحلة⁽⁷⁾.

(1)- نفسه، ج 2، صص 228-229.

(2)- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

(3)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

(4)- نفسه، ص 85.

(5)- البكري، المصدر السابق، ج 2، صص 228-229.

(6)- الإدريسي، المصدر السابق، ص 263.

(7)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

ومن المدن الأهلة القريبة منها، نجد: "فج زيدان" الذي كان يطل على مدينة

طينة، و"مدينة مقرة"، و"قلعة أبي طويل".⁽¹⁾

- مدينة بسكرة: قاعدة بلاد الزاب، وتعرف ببسكرة التخيل⁽²⁾، وسمّاها

البكري: بلد بسكرة، وقال عنها: "كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة، وهي في مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الشمار...، وحولها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال، فيها أجناس التمور،... وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة، منها في الجامع بئر لا تنزف، وداخل المدينة جنان يدخل إليها الماء من النهر، وبها جبل ملح، يقطع منه الملح كالصخر الجليل...، وشرب بسكرة من نهر يجري في جوفها، منحدرٌ من جبل أوراس"⁽³⁾

ولبسكرة أرباض خارجها، وكور وقرى عامرة ومدن، ومن قراها: مَلَشُون،

وقيل: ملسون⁽⁴⁾. ؛ أما مدناً فهي: "مدينة جونة، ومدينة طولقة، ومدينة مليلي، ومدينة بنطيوس"⁽⁵⁾.

وساكنتها من المولدين، وحوّلها من قبائل البربر: سدراته وبنو مغراوة: أهل

بيت بني خزر، وبنو يزمرق⁽¹⁾.

(1)- البكري، المصدر السابق، ج 2، 229.

(2)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 585.

(3)- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 230 / 231.

(4)- نفسه، ج 2، ص 231 / مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبالد المغرب، 1985 م، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة -آفاق عربية، بغداد، 1985، ص 173.

(5)- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 231.

- مدينة تهودة: وقيل تهودا وتهودة، من بلاد الزاب بالقرب من بسكتة⁽²⁾،
وقال الحموي: "تهودة" بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، والذال معجمة: اسم لقبيلة
من البربر بناحية أفريقية، لهم أرض تعرف بهم"⁽³⁾.

ورد في كتاب "المسالك والمالك" نص يصف أحواها وعمرانها، يقول
صاحبها: "مدينة آهلة كثيرة الشمار والنخل والزرع، وتهودا مدينة أولية، بنيتها بالحجر،
ولها أموال كثيرة، وحوالها رَبَضٌ قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة،... ونهر يصبُّ
في جوفيها من جبل أوراس، سُكّانها العرب قومٌ من فريش...، وفي المدينة بئر لا
تُنزح، أولية، وآبار كثيرة طيبة...، وحواليها أزيد من عشرين قرية"⁽⁴⁾.

وفي هذه المدينة قُتل فاتح إفريقية "عقبة بن نافع" سنة 64 هـ / 683 م، ومن
الآثار المادية التي كانت لا تزال موجودة فيها في القرن 5 هـ / 11 م "قبر عقبة" الذي
أشار إليه البكري بقوله: "وقد عقبة معروف بمدينة تهودا"⁽⁵⁾.

ومن المدن الأخرى التابعة لبلاد الزاب - والتي لايسعنا في هذه الورقة البحثية
التعريف بها - حسب رأي جغرافيي العصر الوسيط، نذكر: مدينة "المسللة" التي



(1)-نفسه، ج 2، صص 230-231.

(2)-نفسه، ج 2، ص 255.

(3)-الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 6.

(4)-البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 255.

(5)-نفسه، ج 2، ص 256.

استحدثها "علي بن حمدون الأندلسي" في عهد الدولة العبيدية (296-361هـ / 908-971م)⁽¹⁾، ومدينة "أحه"، ومدينة "أربة" - آخر مدن الزاب⁽²⁾. إنَّ مصدر هذه المعلومات كما هو مُوضَّح هي المصادر العربية الجغرافية، ويُتَّضح مِمَّا سبق من وصف للسمات الحضرية للمدن الأوراسية والزابية، وذُكر لظاهر التمدن وال عمران في الإقليمين ما يلي:

- للموقع الجغرافي دور كبير في تعمير القبائل البربرية لإقليمي الأوراس والزاب.
- إنَّ عمران وتمدن مجال الأوراس والزاب قد تم سابقًا للإسلام.
- بعد الفتح الإسلامي تظاهرت أغلب المدن الأوراسية والزابية بميزة المدينة الإسلامية في العصر الوسيط خاصةً بعدما سكنتها العرب.
- تعزيز مجال مدن كل إقليم حسب العصور التاريخية والدول القائمة آنذاك.
- وجود نوعين من المدن في هذين الإقليمين: المدن الكبيرة والتي تعتبر كعاصمة وقاعدة للإقليم، والصغرى المنتشرة في مجال كل إقليم.
- كثرة الطرق الرابطة بين المدن الكبيرة والصغرى داخل الإقليمين وخارجهما.
- ظهور الأرياض والقرى حول المدن الأوراسية والزابية يؤكّد ارتفاع عدد الساكنة وزيادة عدد المساكن والدور في هذه المدن في العصر الوسيط.
- أدت الحروب والهجرات إلى خراب العمران البشري (قتل الساكنة وتهديم المدن) في الأوراس والزاب خاصةً بعد القرن 5هـ / 10م، فمثلاً مدينة باغاية خربت

(1)- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85 .

(2)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، صص 190-191 .

مرّتين: المرة الأولى من طرف الكاهنة في مرحلة الفتح، والثانية من طرف العرب الهمالية.

3. معالم عمران المدن الأوراسية والزابية في العصر الوسيط من خلال المصادر

العربية:

بعد تحديد مجال كل إقليم ووصف شامل للمدن، نتطرق في هذا العنصر بالتفصيل إلى معالم العمran بهدف رسم صورة لمباني كل مدينة في إقليمي الراب والأورس من خلال المصادر العربية التاريخية والجغرافية، وقد اخترنا أن تكون على شكل جداول.

الجدول رقم 1: الجوامع والمساجد

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
(البكري، ج 2، ص 255)	" بها جامع جليل، ومساجد كثيرة "	تهودة
- (البكري، ج 2، ص 228 - 229)	" وداخل القصر جامع " " مصلأ العيد "	طبلة
(البكري، ج 2، ص 230)	" بها جامع ومساجد كثيرة "	بسكرة
(الورثيلاني ⁽¹⁾ ، ص 122)	قال الورثيلاني: " وقبره - أي عقبة - بالبسط الذي تحت جبل أوراس الذي قتل به وهو مشهور يزار وعليه مسجد عجيب ... وفي مسجده مئذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء وفي أعلاها عمود ... وفي حجة سنة 96 ... وغالب	

(1) - الورثيلاني، نزهة الأنوار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، اعنى به: محمد خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت،

<https://books.google.dz/books?id=BfhHDwAAQBAJ&pg=PA122&lpg=PA122>

	من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه ويكتب اسمه".	
--	--	--

الجدول رقم 2: الأسواق والفنادق

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
(ابن حوقل، ص 84)	"ولها ربع عليه سور والأسوق فيه، وكانت الأسواق قد يها في المدينة فنُقلت"	باغاية
(البكري، ج 2، ص 255)	"أسواق وفنادق"	تهودة
(البكري، ج 2، ص 228)	"بها أسواق كثيرة"	طينة
(الحموي، ج 1، ص 422)	"ذات أسواق"	بسكرة
(الإدريسي، ص 264)	"فيها سوق قائمة ومعايش كثيرة"	نقاؤس

الجدول رقم 3: الحمامات

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
(الحموي، ج 1، ص 422) /(الحميري، ص 113)	"وحمامات"	بسكرة

الجدول رقم 4: الأبواب

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
(البكري، ج 2، ص 228)	"المدينة طينة من الأبواب: باب خاقان، مبني بالحجر، عليه باب حديد سري، وباب الفتح: غربي باب حديد أيضاً، وباب تهودا: قبلي، عليه باب حديد، وهو سري أيضاً، والباب الجديد: حديداً أيضاً، وباب كُتمة: جوفي".	طينة
(البكري، ج 2، ص 230)	"لها من الأبواب: باب المقبرة، وباب الحمام، وباب ثالث"	بسكرة

الجدول رقم 5: الأسوار

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
--------	-----------------------------	---------

(ابن حوقل، ص 84)	"عليها سور أزلي من حجارة، ولها ربيض عليه سور"	
(المقدسي، ص 213)	"كبيرة مسورة..."	
(الإدريسي، ص 276 - 277)	"مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، وربيض عليه سور".	باغية (باغاي)
(الحميري، ص 76)	"مدينة... عليها سوران من حجر، وربيض عليه سور"	
(الحموي، ج 1، ص 422)	"وهي مدينة مسورة"	بسكرة
(الحميري، ص 113)	"وعليها سور"	
(ابن حوقل، ص 85)	"ولها سور من طابية مرحلة"	
(البكري، ج 2، ص 228 - 229)	"سورهااليوم من بناء المنصور أبي الدّوانيق... وسورها مبني بالطوب" "خارج المدينة بإزاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبة: بناء عمر بن حفص هزار مرد".	طبة
(الإدريسي، ص 263)	"وهي مدينة مسورة... وعليها سور من تراب"	
(الحميري، ج 1، ص 142)	"بنيتها بالحجر الجليل، وعليها سور عظيم"	تهودة
(ابن حوقل، ص 91)	"عليها سور من حجارة قديمة أزلية"	نقاوس
(ابن حوقل، ص 85)	"عليها سور حصين من طوب"	المسللة

الجدول رقم 6: الحصون

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
(الحميري، ص 77)	"إلى مدينة باغية لجا البربر والروم، وبها تحصنوا من عقبة بن نافع القرشي... هزمهم عقبة وجا	باغية

	فالم إلى الحصن...".	
(الحميري، ص 65)	"... فنزلت [الكافنة] مدينة باغاي فأخرجت من بها وظننت أن حسان يريد حصنناً يتحصن به".	
(الحميري، ص 66)	"... فوجئت [الكافنة] البربر يقطعون الشجر ويهدمون الحصون".	
(الإدريسي، ص 264)	"و منه إلى حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل أوراس ثلاث مراحل وهو حسن عامر بأهله"	جبل أوراس
(الإدريسي، ص 263 - 264)	"فيها حصن مطل، فيه مرصد من البلد، ينظر إلى مجال العرب في بلادهم، ويتطلع منه إلى ما بعده من الأرض"	دار ملول
(الاستبصار، ص 173)	"حواليها حصون كثيرة"	
(الإدريسي، ص 277)	"أما حصن بشر، فهو قلعة عامرة من أعمار بسكرة، وهو في ذاته حصن جليل ومعقل جميل وله عبارات"	بسكرة
(الإدريسي، ص 264)	"حصن بسكرة... وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة"	
(الحميري، ص 387)	"لها حصن قديم عليه سور من حجر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأول".	طبة
(اليعقوبي، ص 191)	"لها حصون كثيرة... ومنها إلى حصون تسمى برحلس وطلمة وحررور"	مقرة
(ابن حوقل، ص 91)	"حصن لطيف فيه رجال جلد..."	بلزمة

(البكري، ج 2، ص 227)	"بلزمة لزاتة: حصن أولي... وفي قراؤه حصون كثيرة"	
-------------------------	--	--

- الجدول رقم 7: الخنادق

المصدر	النصوص التاريخية والجغرافية	المدينة
(البكري، ج 2، ص 230)	"هي مدينة مُسَوَّرة عليها خندق"	بسكرة
(الحميري، ص 113)	"وخرنادق"	

بناءً على ما تقدم ذكره فإن الدراسة تشمل مساحة جغرافية و زمنية طويلة، لذلك لم يكن هناك خيار أمامنا سوى اتخاذ بعض الكتب التاريخية والجغرافية كنهاذج لأخذ إشارات عن التكوين المعماري لهذين الإقليمين في العصر الوسيط.

من خلال هذه الجداول نؤكد على تنوع المعالم العمرانية في المدن الأوراسية والزابية خلال العصر الوسيط، من: معالم العمارة المدنية الحضرية مثل: الحمامات التي ساهمت في حفظ الصحة العامة، والعمارة الاقتصادية التي تساهم في صيانة للهال، كالأسواق، والعمارة الدينية التي عملت على حماية الدين مثل الجوامع والمساجد، والعمارة العسكرية الأكثر انتشاراً في الإقليمين - والتي كانت غايتها الحفاظ على الأمن والاستقرار وسلامة الساكنة فأغلب مدن الأوراس والزاب كانت محاطة بأسوار وحصون وخنادق بالإضافة إلى تعدد مداخلها - الأبواب كونها منطقة آهلة منذ التاريخ القديم.

خاتمة:

عالجنا في هذا الموضوع المعالم العمرانية الكبرى في إقليمي الأوراس والزاب من خلال الاستعارة بنماذج من النصوص المتنوعة مشرقية ومغاربية تاريخية وجغرافية كمحاولة لرسم صورة واضحة للمعلم لتمدن الإقليمين، وخلصنا في نهاية هذه المداخلة إلى ما يلي:

- أثبتت هذه الدراسة أنَّ أغلب المصادر التي أشارت إلى بعض جوانب العمران ذات منظور جغرافي عمراني - أي المدونة الجغرافية وكتب الرحلة، وهي التي يُسهل من خلالها رصد الملامح العمرانية ومعرفة أنماط العمران خلال الحقبة الوسيطة.
- إنَّ تاريخ عمران بلاد الأوراس والزاب من خلال المصادر العربية من الموضوعات المهمة كونها ترصد مظاهر العمارة انتلاقاً من نصوص تصف المدن.
- وُجد التراث المادي المعماري في المنطقة المدروسة قبل القرن الأول الهجري / 7م، ومجيء الإسلام أحدث تحولاً عمرانياً ذا طابع إسلامي، وما تزال بعض الآثار العمرانية قائمة والتي تعود إلى الفترة القديمة أو الوسيطة.
- وفي الأخير فإننا ندعو إلى الحفاظ على التراث المعماري الموجود في منطقة الأوراس والصحراء الشرقية كونه إرث حضاري يُساهم في بناء الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية ويعمل على تشييد وحدتها وإبراز هويتها.

دراسة مخطوط كتاب اختصار الصباغ على شرح الزواوي على الوجليسيّة

الباحث في المخطوط أ.أحمد أبو بكر ضيف الجزائري

مقدمة:

تزرع الأمة الإسلامية بتراثها المخطوط الذي هو نتاج الحضارة العربية الإسلامية التي علّمت المسلمين كيفية إقامة الدين القويم وتسير شؤونهم الدينية والدينوية، وإحياءً للتراث الفقهي لأمتنا الإسلامية، فقد قام العلماء بالتأليف في جميع الفنون النقلية والعقلية وبقي هذا التراث محفوظاً في مكتبات وخزائن العالم إلى يوم الناس هذا، فبادرت عقول وفker الباحثين بتحقيقه وتنقيحه وإخراجه ونفض الغبار عنه في شتى العلوم والفنون، ونخص بالذكر هنا مخطوطات علماء الفقه الإسلامي الذين علموا المسلمين كيفية تسخير أمور حياتهم في الدنيا والآخرة:

تفقه فإنّ الفقه أفضّل قائد
إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
وكن مستفيداً كل يوم زيادة
من الفقه وأسبح في بحور الفوائد
فإنّ فقهياً واحداً متورعاً
أشدّ على الرحمن من ألف عابد

والفقه هو الفهم لأحكام الشريعة من أدلةها التفصيلية وفي عرف الفقهاء خطاب الشّارع الحكيم المتعلقة بأفعال العباد الحسية والمعنوية حيث يهدف الفقه لمعرفة المخلوق بخالقه وعلاقته بسائر المخلوقات في هذا الكون الفسيح والحكمة تقول: فأين كانت المصلحة فشمّ شرع الله، والفقه هو الذي يعرّفنا أمور ديننا وحياتنا اليومية من معاملات وعبادات، وقد قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين).

ومن خلال هذا الحديث الشريف الذي سطّر للمسلمين تعليم دينهم أنه خير شيء هو الفهم في الدين، فبادر العلماء بالاهتمام بعلم الفقه والتّدوين والكتابة

والتصنيف فيه، ارتأينا وبادرنا نحن إلى تحقيق هذه المخطوطة في علم الفقه على مذهب إمام المدينة الإمام مالك - رحمة الله - وهو: "اختصار عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان" للشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن الصياغ الذي اختصر فيه كتاب الشيخ العلامة أبو محمد بن علي بن عبد الكريم الزواوي المغيلي والذي سماه "عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان"، وهو على المتن المسمى بنـ "المقدمة الوغليسية" المنسوبة لأبي زيد عبد الرحمن الوغليسي البجائي، وقد بين الشيخ الصياغ سبب اختصاره لهذا الكتاب حيث قال: (...فطلب مني شيخنا وبركاتنا سيدنا يحيى - العيدلي البجائي المشار إليه فيما تقدم أن اختصاره اختصاراً سالماً من إكثار العلل والاختصار المخلّ، فكان ما طلب من النظر السديد والرأي الرشيد، فأجبته وإجابته حثّها ومساعدة مراده غنّماً وسعداً...)، وقد وضح وبين الشيخ الصياغ سبب الاختصار مرة أخرى حيث قال: (... وقد تعرض - رحمة الله - - أي الشيخ عبد الكريم الزواوي - لشرح هذا الكتاب متّحراً لنقل الصواب، لكن - رحمة الله - بسط الكتاب يدًا وأورده بالنقل زندًا، وربما كان ذلك داعياً إلى العلل فيقل الانتفاع به لاسيّما وقد اعنى بقراءاته في وقتنا جماعة من المرابطين، ومن الطلبة المبتدئين، وقد اعذر - رحمة الله - عن هذا الإطّناب بأنه فقير عادم للكتب...).

ومن خلال تحقيقنا تبيّن لنا أن الشيخ الصياغ كان اختصاره ملماً ومبسطاً وبسيطاً حيث يسوغ المسائل الفقهية ويحررها تحريراً فقهياً ويرجح الأقوال ويذكر الخلاف مع ذكر بعض أقوال المذاهب الأخرى كأبي حنيفة، والشافعى، وأحمد ابن حنبل، معتمداً في ذلك على كثير من كتب المذهب المالكى التي ذكرها في اختصاره هذا مع التبيين والتوضيح والوعظ والإرشاد. فجاء اختصاره هذا مهماً لقراء الفقه المالكى والمدرسين له، فنسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل عملنا وتحقيقنا هذا فائدة وإضافة جديدة

لكتب وتراث الفقه المالكي وخصوصاً أنه عالم من علماء بجاية من أرض الجزائر، كما أننا كذلك بادرنا إلى تحقيق الكتاب الذي اختره الشيخ الصباغ على الشيخ أبو محمد بن علي بن عبد الكريم الرواوي المغيلي الذي سبق ذكره وذلك على نسختين خطيتين وفعلاً فقد وجدنا كتابه كثیر الحجم يحتاج إلى وقت لتأريخ آياته وأحاديثه وأقواله وأشعاره وكتبه وسبب كتابته وشرحه للمقدمة الوجليسية التي لها شهرة كبيرة في أوساط علماء المذهب المالكي.

وأخيراً ادعوا الله عزّ وجلّ أن يمنحك التوفيق و يجعلنا وإياكم من أهل التحقيق والتحقيق، وصلّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَاحْبِهِ وَسَلَّمَ تسلیماً إلى يوم الدين.

أولاً: الكلام على الوجليسية وترجمة مقدمتها واعتناء العلماء بشرحها.

ثانياً: في الكلام على اختصار شرح الوجليسية وترجمة مؤلفها ومنهج المؤلف واختصاره.

ثالثاً: في الكلام على الشرح الكبير وترجمة مؤلفه، وسبب شرحه للوجليسية.

رابعاً: في وصف النسخ المعتمدة في التحقيق وعملنا ومنهجنا في التحقيق

ونماذج من الألواح الأولى والأخيرة للنسخ الخطية المعتمدة في التحقيق.

أولاً: الكلام على الوجلسيّة وشهرتها وترجمة صاحبها، واعتناء العلماء

بشر حها.

1. ترجمة الشيخ عبد الرحمن الوجليسي⁽¹⁾ صاحب "متن الوجلسيّة في الفقه المالكي" (ت 786هـ)

اعتماداً على المعلومات التاريخية للبحث عن ترجمته فإن المصادر وكتب الطبقات والترجم تكاد تنعدم وذلك لعدم معرفته معرفة دقيقة حول نشأته ورحلاته وتأليفه ومساهمته في الحياة الاجتماعية والعلمية.

نسبة:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله الوجليسي البجائي الزواوي نسبته إلى قبيلته التي تسمى آث وغليس جنوب مدينة بجاية.

مولده:

ولد عبد الرحمن الوجليسي في بداية القرن الثامن الهجري نحو عام 702هـ حيث كان معاصرًا للدولة الحفصية التي حكمت بجاية في وقته.

حث ذاع صيته وذلك بسبب تواجده في حاضرة علمية سواءً من الدولة الحفصية أو مدينة بجاية التي اكتسبت شيوخًا معروضون وكانت مدينة بجاية مهبط العلماء، حيث درس مترجمنا على أحد الشيوخ الكبار وهو العلامة أحمد بن إدريس

(1) - ينظر ترجمته في المصادر والمراجع: الإمام أبو زيد عبد الرحمن الوجليسي آثاره وأراؤه افقيهة جمع ودراسة حفيظة بلميهدوب، ونيل الابتهاج بتطريز الدبياج ص 142، والوفيات لابن قنفذ ص 372، وشجرة النور الزكية 1 / 237، وتعريف الخلف برجال السلف ص 73، ومعلمـة الفقه المالكي ص 130 . ومعجم المؤلفين 5 / 123 ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان 2 / 250 ، ومعجم أ، لام الجزائر ص 83 ، ومعجم مشاهير المغاربة ص 550 ، وكشف الظنون 2 / 1166 . وفهرست معلمـة التراث الجزائري 2 / 134 . ، والدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي ص 319 .

الإيلولي (ت 760هـ)، كما درس سيدى أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي مع أكابر العلماء في وقته وزمانه مثل محمد بن عبد الصمد المشذبى (ت 486هـ) والد بلقاسم المشذبى (ت 770هـ)، وأبو علي المشذبى (ت 781هـ)، وعائلة المشذبة معروفةون بعلمهم وأدبهم وتصانيفهم، وكذلك أبو العباس الغبريني (ت 704هـ) وهو صاحب كتاب "عنوان الدراسة" فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بـ"بجایة" وغيرهم الكثير.

شهرة الوغليسي:

انتشرت شهرة أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي من خلال متنه في الفقه المالكي الذي تصدى لشرحه ثلاثة من العلماء كالشيخ العلامة عبد الكريم الزواوي والذي سمي كتابه بـ"عمدة البيان في فرائض الأعيان". وقد شرحه أيضًا العلامة زروق البرنسى (ت 846هـ)، وشرحه أيضًا العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ)، وغيرهم الكثير، وكذلك اشتهر من خلال فتاويه التي ذكرت في كتب النوازل مثل نوازل "الدر المكنونة في نوازل مازونة" لـمحمد بن أبي عمران المازوني (ت 333هـ)، وكذلك نوازل "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد الونشريسي (ت 914هـ). و"الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من فتاوى جبال غمارة" للزياتي (ت 1055هـ) وذكره كذلك الشيخ أبو محمد بن القاسم الغرناطي (ت 741هـ) في نوزاله، كما ذكره الثعالبي (ت 876هـ)، أيام دخوله مدينة بجایة حيث قال:... فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم أصحاب سيدى عبد الرحمن الوغليسي متوازرين وحضرت مجالسهم....

وقال أيضًا في كتابه "الجامع":... ولقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع أصحاب الشيخ الفقيه الزّاهد أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوعليسي وهم يومئذ متوافرون....

شيوخه:

تلقي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن العلم بجایة على يد علماء وشيوخ كبار منهم:

- العلّامة أبو العباس أحمد بن إدريس وهو من العلماء الأجلاء حيث أخذ عنه الوعليسي.

- أحمد بن عيسى البجائي.

أشهر تلامذته:

- أبو محمد علي بن عبد الكريم الزّواوي المعيل (القرن السّابع والثامن الهجري) اعتبرته من تلامذته لأنّه شرح الوعليسيّة في وقته.

- علي المنجلاطي (ت 158هـ)

- بلقاسم المشذالي (770هـ).

- محمد الهواري (ت 751هـ) عالم وهران

- الحسن بن مخلوف الرّاشدي.

مؤلفاته:

- مقدّمة الوعليسيّة

- رسالة الإيماء والإسلام⁽¹⁾

وفاته:

كانت وفاة سيدى أبو زيد عبد الرحمن الوعليسي سنة 786هـ.

(1) - تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ج 2 ص 250 ذكرها أنها موجودة في القيروان - تونس -

2. اهتماء العلماء بشرح متن الوجليسي في الفقه المالكي:

اهتم كثير من علماء المالكية بشرح متن الوجليسي لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوجليسي حيث قلنا أتّها لها شهرة كبيرة في أواسط علماء الفقه المالكي وقد اهتم العلماء بهذا المتن من بينهم:

الأول: شرح الشيخ أبو محمد بن علي بن عبد الكريم الزواوي والذي سمي شرحاً بـ " عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان "، وقد قال في ديباجة شرحة: (... الحمد لله المبدىء المعيد المصرف لجميع خلقه فيما يريده السابق حكمه وقضاءه فيهم بالشقي والسعيد، فله الشكر على ملة الإسلام والتوحيد شرعاً يقيد النعم عن الزوال ويمنعها من التغير وتبدل الأحوال ويبتغي به المزيد من الأفضال، وصلى الله على سيدنا محمد وآل خير آل صلاة دائمة بالغدو والآصال والرضى خصوصاً عن الخلفاء الراشدين وعموماً عن باقي الصحابة وتابعهم إلى يوم الدين أمّا بعد: وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه وغفر لنا ولكم من الخطايا والمأثم ما قر علمه وأحصاه لا موجود إلا هو ولا موجود لنا سواه ، فقد سبق من كلام علمائنا رضي الله عنهم ما يعني عن كلام مثلي ، ولكن حملني على هذا التقيد أمور: أحدها: ما سبق به علمه وأمضاه إذ لا قول ولا عمل إلا وقد قضاه.

الثاني: الدّعاء الصالح من الإخوان وفي مثل ذلك غرض لي، سألكم بالله ثم بأحمد شفيع الورى إلّا ما هو تم لنا المتولى وعساه بغفران يمن ورحمة ويسكتنا من جنة الخلد في أعلى، فإنّ من مولانا الكريم بفضلـه عظيم علينا وهو أهل لما أولى). كما بينَ الشيخ عبد الكريم الزواوي سبب كتابته لهذا الشرح الكبير حيث قال: (... مما ينبغي لكل ذي عقل سليم ومتمسك بمنصف قويم وغايتها، وقد وقع عدم الابتهاج لكثير من الناس إلّا من ساعده العناية ومصدق ذلك قوله عليه الصّلاة

والسلام: (من سأله بالله ولم يحجب جاء يوم القيمة ووجهه عظم بلا لحم)، وقد نقل ابن رشد والشيخ أبي الحسن الصغير قضية الخضر عليه السلام أول كتاب التفليس وحاصلها أن الخضر عليه السلام سئل بالله في قانيق فلم يجده فمكث نفسه من البيع لما سئل بالله ، ثم كان عنقه من أجل السؤال بالله وذلك لأن مشتريه لما رأى من أحواه ما خرج عن مقدور البشر سأله بالله عن سبب بيته فقص عليه الخبر فاعتقه.

بقال لأني وجدت أكثر نسخها غير صحيحة وعلى الناسخ لهذا الشرح أن يكتبه بقلم مخالف في الغلط والرقة لكلام المؤلف ليحصل المرام والمقصود على التمام، فسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل ما نسعى فيه جيئنا من هذا الشرح خالصاً لوجهه مبلغاً لمرضاته لا رب لنا سواه.

كما حدد الشيخ عبد الكريم الزّواوي الكتب التي اعتمد عليها وهي كثيرة حيث يقول: (... وقد اعتمدت على كتاب "الذخيرة" للقرافي لأنّه قال اعتمد في النقل على كتب خمسة "المدونة" ، و "الجلّاب" ، و "الجواهر" ، و "التلقين" ، واعتمدت على "تلخيص" الحضرمي وهو عجيب، وقد قال أيضًا: إنّي اقتضيت جميع ما تيسر لي من ستة من الدوائيين معلومة مشهورة وفي العلم والتحري مذكورة كتاب "النوادر" لأبي محمد بن أبي زيد الحائز قصب السبق والتأييد، و"المتنقى" للإمام القاضي الباجي أبي الوليد، وكتاب الإمام الأجل أبي عبد الله محمد بن يونس ذي التحرى بالرأي السّديد، وكتاب "المقدمة" للإمام أبي عبد الله محمد بن رشد المرشد الرشدي، وكتاب "القبس" للإمام أبي بكر بن العربي المقدم في فنون العلوم والجديد، فكفونا مؤنة هذه الأمهات فإنّها لا تيسّر لكل أحد فجزاهم الله خير المُنى وجعل مأواهم إلّا ضلّ ما يتّسّنى، واعتمدت أيضًا على "شرح التلقين" للإمام المازرييّ وعلى غير ذلك مما ذكرنا مضيّقاً الأقوال إلى قائلها ما أمكن ليعلم الناظر التفاوت بين القولين بحسب القائلين بخلاف ما يفعله بعض الأصحاب فيقول في المسألة قولهان من غير تعين فلا يدرى الائتمان من يجعل بينه وبين الله تعالى، ولعلّ قائلهما واحد.

كما أنّ الشيخ عبد الكريم الزّواوي أضاف على متن الوجليسيّة بابين وهما: باب الأذان وباب الزّكاة، وباب الحجّ لكن باب الحجّ لم يتطرق له عبد الكريم الزّواوي بالشرح وتبعه ابن الصّياغ في اختصاره له.

الثاني: شرح العلّامة أَحمد زُرْوَق البُرْنَسِي (ت 999هـ)⁽¹⁾ الذي يقول في ديباجة كتابه: (...الحمد لله حمد عاجز عن حمده إِلَّا بحمده، والشكر له على عمي نعمه وعظيم رفده، وأستعينه في مبدأ الأمر وقصده، وأستغفره من هزل العمل وجده والصلة والتسليم على محمد نبّيه وعبدّه، وعلى آله وأصحابه وكافة أهله ودّه أمّا بعد: فهذا إن شاء الله يختصر على "المقدمة الوغلييسية" نذكر فيه ما تيسّر من معانٍها ومناخيها التقديسية حسب الوُسْع والتيسير، وقدر ما انتهى إليه فهمي القاصر وعلمي القصير، ملتزمًا ما يحتاج إليه الفقير الناصح، وعاملاً على ما لا بد منه من الأمر الواضح، وللفقيه العذر، ومن فضله القبول، وعلى الفقير تحقيق ما تحويه من معقول ومنقول، وهذا حين أبتدئ وعلى الله أعتمد وإلى الله أستند ومن فضله أستمد وهو حسبنا ونعم الوكيل).

الثالث: وله أيضًا "تقيد من شرح الوغلييسية" لأَحمد زُرْوَق البُرْنَسِي السابق الذّكر يوجد في الخزانة الحسينية النّاصريّة⁽²⁾.

الرابع: اختصار العلّامة الشّيخ عبد الرحمن الصّباغ على شرح الشّيخ عبد الكريـم الزـواـوي السـابـق الذـكـرـ والمـسمـى بـ"عـمـدةـ الـبـيـانـ فـيـ فـرـائـضـ بـعـضـ الـأـعـيـانـ"ـ وهذا الأـخـيرـ وـهـوـ الـذـيـ نـقـدـمـهـ بـيـنـ يـدـيـ الـقـارـيـءـ مـحـقـقاـ وـقـدـ بـيـنـ فـيـ الشـيـخـ عـبـدـ الرـحـمـنـ سـبـبـ اـخـتـصـارـهـ لـهـذـاـ الـكـتـابـ حـيـثـ يـقـولـ (...أـلـهـ لـمـ كـانـ الـكـتـابـ المـسـمـىـ بـ"ـالـوـغـلـيـيـسـيـةـ"ـ الـذـيـ وـضـعـهـ الـعـلـامـ الـعـلـمـ الرـاسـخـ فـيـ مـرـضـاتـ اللـهـ الـقـدـيمـ،ـ الـذـيـ عـمـتـ

(1) - حققه الشّيخ محفوظ بوكراع والشّيخ عمـار بـسـطـةـ وـطـبعـ فـيـ دـارـ اـبـنـ حـزمـ سـنـةـ 1431هــ بـيـرـوـتـ لـبـنـانـ.

(2) - ينظر الدليل التاريني لمـؤـلـفـاتـ المـذـهـبـ الـمـالـكـيـ صـ 176ـ - مـؤـلـفـاتـ الـمـالـكـيـةـ عـلـىـ الـوـغـلـيـيـسـيـةـ.

أنواره ولم تزل ظاهرة آثاره، الصالح الزّاهد المتبّع، سيدنا أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي بربّ الله ضريحه، واسكنه من أعلى الفردوس فسيحه، مستملاً على المهم من أمور الدّيانت مخلصاً من شوائب الاختلافات، بادية أسراره، مشرقة أنواره، أعشى بقراءته والعمل بما فيه من نور الله بصيرته وحسن سيرته، فكيس من حل أنواره، وظهر عليه من برّكت أسراره، شيخنا المشتهر بالعلم بين الأنام الذي ألف الله ببركاته بين قلوب العباد، وأحيى ببركاته ما اندرست أعلامه من البلاد وظهرت برّكاته على من لاذ بحماءه، وتحصنّ بحمد الله من الغين من تمسك بعراء سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدنا أبو زكرياء يحيى بن الشيخ المقدّس المرحوم سدي أبو العباس أحمد العيدلي أعلا الله في الدّارين قدره ورفع ذكره ، ومنهم الشيخ الصالح الورع سيدنا أبو محمد عبد الكري姆 بن علي الزّواوي تغمده الله برحمته وأسكنه أعلى جنته، وقد تعرض - رحمه الله - لشرح هذا الكتاب متحرياً لنقل الصواب، لكن - رحمه الله - بسط الكتاب يدأ، وأوردته بالنقل زندأً، وربما كان ذلك داعياً إلى العلل، فيقلّ الانتفاع به لاسيئها وقد اعنى بقراءته في وقتنا جماعة من المرابطين، ومن الطلبة المبتدئين، وقد اعذر - رحمه الله - عن هذا الأطنااب بأنه فقير عادم للكتب، والشيخ فجمع هذا الجمع ليتّفع به، فطلب مني شيخنا وبرّكاتنا سيدنا يحيى المشار إليه فيما تقدّم أن اختصره اختصاراً سالماً من إكثار العلل والاختصار المخلّ، فكان ما طلب من النظر السّديد والرأي الرّشيد، فأجبته وإجابته حتّماً، ومساعدة مراده غنّماً وسعداً...)

الخامس: شرح الوغليسيّة لـ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب عبد الله الحسني السنوسي (895هـ)، وهذا الشرح كما قال صاحب "نيل الابتهاج بتطريز

الديباج": (أَنَّهُ لَمْ يَكُمِلْهُ)⁽¹⁾، وَقَالَ الْمَلَائِي تَلَمِيذُهُ: وَشَرَحَ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا وَلَمْ يَكُمِلْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُثْرَةِ الشَّوَّاغِلِ الَّتِي تَشْغِلُهُ عَنْ إِكْمَالِهِ وَإِكْمَالِ غَيْرِهِ.

السادس: شرح على الوغليسية لأبي علي الحسين بن علي بن طلحة الشوشاوي السُّمَلَّاَيِّ (ت 899 هـ).

ثانياً: في الكلام على اختصار شرح الوغليسية وترجمة مؤلفها ومعها نظرة في منهج المؤلف في سبب اختصاره، ونسبة الكتاب مؤلفه والمصطلحات التي استعملها الصباغ في اختصاره لشرح الوغليسية.

١. ترجمة الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الصباغ⁽²⁾ (بعد 875 هـ)

لم تسعفنا كتب التراث بترجمة الشّيخ عبد الرّحمن الصّباغ سوى ما ذكره الشّيخ الحسين الورثيلاني في رحلته "نَزَهَةُ الْأَنْظَارِ" ، ييد أنه لم يذكر عنه سوى معلومات قليلة لا تشفي غليل الباحث عن ترجمة الصّباغ.

والظّاهُرُ أَنَّ الشّيخَ عبدَ الرّحْمَنَ الصّباغَ نَشَأَ فِي مَنْطَقَةِ بَنِيِّ وَغَلِيْسِ - جنوب بجاية - وأَخْذَ الْعِلْمَ عَنِ الشّيخِ الْوَلِيِّ يَحِيَّى بْنِ أَحْمَدَ الْعِيدَلِيِّ ت (881 هـ) وَذَلِكَ بِزاوِيَتِهِ الشَّهِيرَةِ بِبَلْدَةِ ثَمُورَةِ⁽³⁾ وَقَدْ أَثْنَى المُتَرَجِّمُ عَلَى شَيْخِهِ ثَنَاءً عَظِيمًا ، قَالَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - : (شِيخُنَا الْمُشْتَهِرُ بِالْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ بَيْنَ الْأَنَامِ... سَيِّدُنَا وَوَسْلِيْتُنَا إِلَى رَبِّنَا سَيِّدِيْ أَبُو

(1) - ينظر نيل الابتهاج 260 / 2.

(2) - ذكر في المصادر والمراجع التالية: نَزَهَةُ الْأَنْظَارِ في فضل علم التاريخ والأخبار ص 80.. وفهرست معلمة التراث الجزائري ج 3 ص 34 ، وشوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار ص 33 ، والإمام أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي آثاره وآراؤه الفقهية ص 135.

(3) - ثمورة: بلدة تبعد عن بلدة أقبو بنحو 37 كلم - ولاية بجاية - الجزائر -

ذكرىء يحيى بن الشّيخ المقدّس المرحوم أبي العباس أحمد العيدلي، أعلى الله في الدّارين مقامه، ورفع ذكره⁽¹⁾.

ومن مشايخ الشّيخ الصّياغ: العلّامة أبو زيد عبد الرّحمن بن محمد الشّعالي (786هـ) والظاهر أنه أخذ العلم عنه بزاويته بحاضرة الجزائر، قال الشّيخ الصّياغ: (وسمعت شيخنا ومولانا الشيخ العالم الصالح سidi عبد الرحمن الشّعالي - رحمه الله - في أواخر ذو القعدة سنة خمس وسبعين وثمان مائة يقول...)⁽²⁾

ومن مشايخه كذلك الشيخ أبو محمد بن علي بن عبد الكريم الزّواوي (كان حياً سنة 820)، وذكر هذا في كتابه المختصر الذي نقوم بتحقيقه حيث يقول الصّياغ في مختصره هذا: قال شخنا عبد الكريم...

ومن مشايخه أيضًا الشيخ يحيى العيدلي⁽³⁾ (ت 881هـ) وقد ذكر هذا في ديباجة مقدمته في اختصاره لكتاب الشيخ عبد الكريم الزّواوي على الوعليية حيث قال: (... سيدنا أبو زكريا يحيى بن الشّيخ المقدّس المرحوم سidi أبو العباس أحمد العيدلي أعلى الله في الدّارين قدره ورفع ذكره... فطلب مني شيخنا وبركاتنا سidi يحيى المشار إليه فيها تقدم أن أختصره اختصاراً سالماً من إكثار العلل والاختصار المخل⁽⁴⁾).

(1) - مخطوطة "اختصار عمدة البيان" اللوح 8.

(2) مخطوطة "اختصار عمدة البيان" اللوح 6.

(3) - ينظر شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشّيخ العارف بالله النراس المختار ص

. 63 / 15

(4) - وينظر أيضًا مقال ألقى في الملتقى الأول في حول علماء بجاية بتاريخ 3/11/1996 م مداخلة يعنان: حياة الشّيخ يحيى العيدلي للشيخ الطاهر أيت علجان.

ولا نستبعد أنّ المترجم أيام دراسته على الشّيخ العيدلي بزاوته بلدة ثمرة قد تزامن مع بعض تلامذة شيخه المذكور و منهم:
العلامة أحمد زروق البرنسى (٨٤٦هـ / ٩٩٩هـ).
الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري (٩٦٣هـ).
الشيخ الولي أحمد بن يوسف الملياني (٨٤٠هـ / ٩٣١هـ)، وهذا الأخير من العلماء كذلك له تلميذ يعرف بابن الصّباغ القلعيّ وهو غير هذا الذي نترجم له.
ولا ريب أنّ الشّيخ عبد الرحمن الصّباغ تصدر للتدريس بزاوي شيخه يحيى العيدلي.

ولما رأى الشّيخ العيدلي وقور علم تلميذه الصّباغ طلب منه اختصار شرح الشيخ عبد الكريم الزّواوي على متن الوجليسيّة المسمّى: "عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان".

قال الشّيخ الصّباغ بعد ذكره وثنائه على شرح الشّيخ عبد الكريم بن علي الزّواوي على الوجليسيّة: (... فطلب مني شيخنا وبركاتنا سيدِي يحيى المشار إليه فيما سبق أن اختصره اختصاراً سالماً من الإكثار المُملّ والاختصار المُخلّ فكان ما طلبه من النّظر السّديد والرأي الرّشيد فأجبته وإجابته حَتْمٌ ومساعدة مُراده غنم....)^(١)
وأمّا تأليف الشّيخ عبد الرحمن الصّباغ فلم يرد ذكر لها سوى في الرحلة الوراثلانية، ولا ريب أنّه ترك تأليف عديدة يدلّ على ذلك قول الشّيخ الحسين الوراثلاني (الشّيخ الولي الصّالح ذو التّصانيف المفيدة سيدِي عبد الرحمن

(١) - اختصار عمدة البيان اللوح 2.

الصَّبَاغ...)⁽¹⁾. وقوله أيضًا (أمَا سِيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّبَاغِ فَتَالِيفُهُ تُنبِئُ عَنْهُ، وَكَلَامُهُ يَدَلُّ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الشَّأْنِ وَالتَّصْرِيفِ، وَهُوَ مِنْ قَرْنَاتِ التَّاسِعِ)⁽²⁾.

ولا ريب أنَّ أشهر تأليف المترجم:

- مختصر عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان، وقد ذكرناه سابقًا، وهو الذي نقدمهاليوم محققاً للقراء الكرام.

- اختيار اللباب في أربعين حديثاً وهو يوجد ضمن مجموع في المسجد النبوى الشريف تحت رقم 35 / 80 ومعها كتابه الذي يقوم بتحقيقه مختصر عمدة البيان في شرح فرائض الأعيان، ويقول في هذه التأليف: (.. إِنِّي لَمَّا وَقَطْتُ عَلَى الْكَلَامِ الطَّيِّبِ وَاسْتَمْطَرْتُ سَحَابَ غَيْثِهِ الطَّيِّبِ أَفْتَ فِيهِ أَرْبَعينَ حَدِيثًا... هَذِهِ الْوَرَقَاتُ وَسَمِيتُهَا: اخْتِيَارَ الْلَّبَابِ وَذَلِكَ لِكُثْرَةِ دُورَانِهَا عَلَى الْلِّسَانِ وَعَظِيمُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمَسْؤُلُ وَهُوَ خَيْرُ مَأْمُولٍ...)⁽³⁾

وذكر الشَّيخُ الْحَسِينُ الْوَرَثِيلَانيُ تَالِيفًا أَخْرَى لِلْمُتَرَجِّمِ وَهُوَ: مختصر شرح البردة لابن مرزوق التلمساني، قال الورثيلاني (الشَّيخُ الْوَلِيُ الصَّالِحُ ذُو التَّصَانِيفِ الْمُفَيَّدَةِ سِيدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّبَاغِ شَارِحُ الْوَغْلِيسِيَّةِ، وَقَدْ شَرَحَ الْبَرَدَةَ أَيْضًا بِأَنَّهُ مُخْتَصَرٌ شَرَحُ الْإِمَامِ ابْنِ مَرْزُوقِ التَّلْمَسَانِيِّ عَلَيْهَا بِعِلْمَوْنَ سَبْعَةٍ⁽⁴⁾، وَرَثَاهُ عَنْدَ مَوْتِهِ بِقَصِيَّةٍ عَظِيمَةٍ)،

(1) - نزهة الأنوار في فضل علم التاريخ والأخبار ص 8.

(2) - اختصار عمدة البيان اللوح 27.

(3) - يبدو أنَّ مفهرس مخطوطات المسجد النبوى الشريف لم يتبع إلى مختصر عمدة البيان في شرح فرائض الأعيان للشيخ عبد الرحمن الصباغ المجموع ضمن اختياراته الحديثية.

(4) - المقصود بالعلوم السبعة هي: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبدىع.

والمقصود بشرح البردة: هو كتاب: إظهار صدق الموَدَّة في شرح البردة للعلامة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني (42 هـ).⁽¹⁾

وللمترجم مرثية حليلة في شيخه يحيى العيدلي ذكرها الشيخ الورثيلاني أيضاً قال: (ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة)⁽²⁾، والمرثية ذكرها الدكتور محمد الشريف قاهر - رحمه الله - والدكتور إدیر مشنان - حفظهما الله تعالى - في تحقيقهما لوظيفة ومناقب سيدي يحيى العيدلي - رحمه الله -⁽³⁾، حيث قالا: أنها تكون من 91 بيتاً تضمنت مادة تاريخية ومعلومات حول حياة شيخه السابق الذكر، وهذه نماذج من مرثية الشيخ عبد الرحمن الصباغ:

يُلَاطِفُنِي لُطْفَ الْمَحِبِّ حَبِيبِهِ
مُغَازِلَةً مِنْهُ لِقْصِدِ الْمَوَدَّةِ
كُلِّفْتُ حَيَّاتِي قَبْلَ تَلْكَ الْمَسَرَّةِ
نَسِيْتُ بِهِ أَهْلِي وَرَهْطِي وَمَنْ بِهِ
وَقَلْتُ كَمَا قَالَ الْذِي حَلَّ جَنَّةً
أَيَا لَيْتَ يَعْلَمُونَ كَرَامَتِي

وقال الشيخ عبد الرحمن الصباغ وهو يتذكر تلك الرحلات المتكررة إليه صيفاً وشتاءً وكلما رحل إليه طلبه استقبلهم بكل المحبة والترحاب حيث يقول:
أَيْئَاهُ أَحْيَانًا مُشَاةً عَلَى الثَّرَى
رَحَلْنَا إِلَيْهِ فِي مَصِيفٍ وَشَتْوَةٍ⁽⁴⁾

(1) - نزهة الأنوار ص 8

(2) - نزهة الأنوار ص 8

(3) - ينظر: شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشیخ العارف بالله النبراس المختار ص 609

(4) - ينظر شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشیخ العارف بالله النبراس المختار ص 31

وذكر الشيخ عبد الرحمن الصباغ من كرامات شيخه الشيخ سيدي يحيى العيدلي
البجائي ضمن هذه المرثية:

يُكافِفُ الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ كَتَمْتَهُ
وَيُخْبِرُ بِالْأَمْرِ الْمُهَمِّ وَإِنْ خَفَّا

ويقول أيضًا في شيخه سيدي يحيى العيدلي:

أَتَى بَعْدَمَا غَلَبَ الضَّلَالُ عَلَى الْوَرَى
وَبَعْدَ فَسَادِ الدِّينِ وَالنَّاسُ فِي عَمَّى

ويقول أيضًا:

أَتَاكُمْ غِيَاثٌ جَامِعٌ لِشَتَاتِكُمْ
وَيُمْحُو ضَلَالَةَ الْجَهَالَةِ وَالْعَمَى

وما يميز شخصية المترجم أنه رائد من رواد اختصار الشرح وهذا منهج قلل
من نهجه من العلماء.

هذا ما وقفت عليه من ترجمة الشيخ عبد الرحمن الصباغ والله الموفق للصواب
واهادي إلى سبيل الرشاد.

(1) - ينظر شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشیخ العارف بالله النبراس المختار ص

43

(2) - ينظر شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار لوظيفة الشیخ العارف بالله النبراس المختار ص

46

2. المصطلحات التي استعملها الشيخ الصباغ في ختصره على عدة البيان في

معرفة فرائض الأعيان

قال (المصنف): يقصد به متن الشيخ عبدالرحمن الوعليسي.

علي: علي بن زياد تلميذ مالك وأحياناً يطلق عليه ابن زياد.

أبو إسحاق: يطلق على ابن شعبان.

ابن أبي زيد: أبو محمد عبد الله القيرواني.

الجَلَّاب: في كتابه التفريع.

النكت: هو النكت والفرق للصلقي.

ابن القصار: أبو الحسن علي بن عمر قاضي بغداد وكتابه "عيون الأدلة في مسائل الخلاف".

ابن العربي: هو القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي. القبس أو المسالك.

القاضي عياض: في كتابه: التنبieات المستنبطة، أو: المعلم بفوائد مسلم، أو في قواعده.

القاضي أبو محمد: عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي.

الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف صاحب كتاب "المنتقى".

محمد: محمد بن مواز صاحب الموازية.

الأبهري: أبو بكر.

أبو عمران: هو الفاسي نزيل القيروان.

الصائغ: عبد الحميد شيخ المازري.

ابن بشير: يقصد به كتابه "التنبيه على مبادئ التوجيه".

المازري: في كتابه "شرح التلقين" و"المعلم بفوائد مسلم".

ابن شاس: يقصد كتابه "عقد الجوادر الشمية في مذهب عالم المدينة" ويسميه اختصاراً "الجوادر".

العتبة: المستخرجة لأبي عبد الله العتبى الأندرلسي.

الأمهات: المدونة.

المدونة: يقصد بها التهذيب في اختصار المدونة للبراذعي، وكذلك الجامع لمسائل المدونة لأبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي.

السليمانية: لسليمان بن سالم القطان المعروف بابن الكحالة.

الزروق: زروق البرنسى فى كتابه "شرح رسالة أبي زيد القىروانى"، وأحياناً "شرح الوجليسيه"، وأحياناً شرح المقدمة القرطبية.

خليل: في كتابه المختصر والتوضيح.

ابن يونس: في كتابه الجامع لمسائل المدونة.

ابن عرفة: في كتابه "المختصر الفقهي".

ابن الحاجب: في كتابه "جامع الأمهات".

ابن ناجي: التنوخي في "شرحه على الرسالة" أو "شرح الحلال".

البيان: هو "البيان والتحصيل" لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.

اللخمي: في كتابه "التبصرة".

المبسوتة: ليحيى بن إسحاق الليثي

المبسوط: للقاضي إسماعيل بن إسحاق

المجموعه: لابن عدوس.

قال الشارح: يقصد به أبي محمد عبد الكريم الزواوي المغيلي صاحب كتاب "عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان".

3. نسبة الكتاب مؤلفه

تثبت كل المصادر على أنه كتاب اختصار شرح الوغليسي للصباغ...
ثالثاً: في الكلام على الشرح الكبير وترجمة مؤلفه وسبب شرحه للوغليسية

1. سبب شرحه للوغليسية:

إن دوافع البحث والتأليف عند الشيخ أبي محمد بن علي بن عبد الكريم الزواوي لشرحه مقدمة الوغليسي حيث بين في ديباجة شرحه إذ قال: (...وفقنا الله وإياكم لما فيه رضاه وغفر لنا ولكم من الخطايا والمآثم ما قر علمه وأحصاه لا موجود إلا هو ولا موجود لنا سواه ، فقد سبق من كلام علمائنا رضي الله عنهم ما يغني عن كلام مثلي، ولكن حملني على هذا التقييد أمور: أحدها: ما سبق به علمه وأمضاه، إذ لا قول ولا عمل إلا وقد قضاه.

الثاني: الدّعاء الصالح من الإخوان وفي مثل ذلك غرض لي، سألكم بالله ثم بأحمد شفيع الورى إلّا ما هو تم لنا المتولى وعساه بغران يمن ورحمة ويسكتنا من جنة الخلد في أعلى، فإنّ من مولانا الكريم بفضله عظيم علينا وهو أهل لما أولى).

كما بين كذلك الشيخ عبد الكريم الزّواوي سبب كتابته لهذا الشرح الكبير لمقدمة الوغليسي حيث قال: (... مما ينبغي لكل ذي عقل سليم ومتمسك بمنصف قويم وغايته، وقد وقع عدم الابتهاج لكثير من الناس إلّا من ساعده العناية ومصدق ذلك قوله عليه الصّلاة والسلام: (من سأّل بالله ولم يجِب جاء يوم القيمة ووجهه عظم بلا لحم)، وقد نقل ابن رشد والشيخ أبي الحسن الصّغير قضية الخضر عليه السلام أول كتاب التعليس وحاصلها أن الخضر عليه السلام سئل بالله في قانيق فلم يجده فممكن نفسه من البيع لما سئل بالله ، ثم كان عتقه من أجل السؤال بالله وذلك أن مشتريه لما

رأى من أحواله ما خرج عن مقدور البشر سأله بالله عن سبب بيعه فقص عليه الخبر فاعتقه.

العرش الكريم أن يجعل ما نسعى فيه جمعينا من هذا الشرح خالصاً لوجهه مبلغاً لمرضاته لا رب لنا سواه.

كما حدد الشيخ عبد الكريم الزّواوي الكتب التي اعتمد عليها في شرحه وهي كثيرة حيث يقول: (... وقد اعتمدت على كتاب "الذخيرة" للقرافي لأنّه قال اعتمد في النقل على كتب خمسة "المدونة"، و "الجلاب"، و "الجواهر"، و "التلقين"، واعتمدت على "تلخيص" الحضرمي وهو عجيب، وقد قال أيضًا: إنّي اقتضيت جميع ما تيسر لي من ستة من الدواعين معلومة مشهورة وفي العلم والتحري مذكورة كتاب "النوادر" لأبي محمد بن أبي زيد الحائز قصب السبق والتأييد، و "المتنقى" للإمام القاضي الباجي أبي الوليد، وكتاب الإمام الأجل أبي عبد الله محمد بن يونس ذي التحرى بالرأي السديد، وكتاب "المقدمة" للإمام أبي عبد الله محمد بن رشد المرشد الرشد، وكتاب "القبس" للإمام أبي بكر بن العربي المقدم في فنون العلوم والجديد، فكفونا مؤنة هذه الأمهات فإنّها لا تتيسر لكل أحد فجزاهم الله خير المُنى وجعل مأواهم إلّا ضلّ ما يتّسنى، واعتمدت أيضًا على "شرح التلقين" للإمام المازري وعلى غير ذلك مما ذكرنا مضيّقاً الأقوال إلى قائلها ما أمكن ليعلم الناظر التفاوت بين القولين بحسب القائلين بخلاف ما يفعله بعض الأصحاب فيقول في المسألة قوله من غير تعين فلا يدرى الاتهام من يجعل بينه وبين الله تعالى، ولعلّ قائلهما واحد.

كما أنّ الشيخ عبد الكريم الزّواوي أضاف على متن الوجليسيّة بابين وهما: باب الأذان وباب الزّكاة، وباب الحجّ لكن باب الحجّ لم يتطرق له عبد الكريم الزّواوي بالشرح وتبعه ابن الصّباغ في اختصاره له.

2. ترجمة الشيخ الكري姆 الزواوي (كان حيًا 820هـ).

لم تسفنا الترجم و المصادر لمعرفة ترجمته إلّا أننا وأنباء تحقيقينا لشرحه الكبير على الوغليسيّة وجدنا في باب الزكاة....

رابعاً: في منهجنا وعملنا في تحقيق النسخ المخطوطة، ووصف النسخ المعتمدة

في التحقيق ونماذج من الألواح الأولى والأخيرة للمخطوطات المعتمدة في التحقيق

1. منهّجنا وعملنا في تحقيق النسخ المخطوطة:

يتلخص عملنا في تحقيق كتاب "اختصار الصباغ على شرح الزواوي على الوغليسيّة" فيما يلي:

1. كتبنا النص بالرسم الإمامي للحديث، وراعينا قدر الإمكان علامات الترقيم.

2. ضبطنا نص الكتاب بالشكل التام.

3. اعتمدنا على عدّة نسخ خطية: نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، ونسخة مكتبة الشيخ أو لحبيب في بجاية، ونسخة المسجد النبوى الشريف.

4. جعلت نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية نسخة أم وذلك لقدم نسخها ورمزت لها بحرف (أ)، ورمزت لنسخة مكتبة أو لحبيب في بجاية بحرف (ب) وتأتي في المرتبة الثانية وذلك من حيث تاريخ النسخ. ورمزت لنسخة المسجد النبوى الشريف بحرف والتي تأتي بعدهما من حيث تاريخ النسخ (ج) حيث جعلت النسخة (ب) و(ج) للمقارنة والمقابلة.

5. وضعنا ما بين معقوفتين هكذا [] نوضح فيه ما هو ساقط من أصل النص المخطوط.

6. وضعنا ترجمة مختصرة عن الشيخ عبد الرحمن الصباغ ولذلك لندرجها وشحّ المصادر والمراجع إلّا ما ذكره الشيخ الحسين الورثيلاني في رحلته..

7. وضعنا ترجمة مختصرة لصاحب المتن الفقهي الشيخ عبد الرحمن الوغليسي وذلك لشهرته وشهرة متنه الفقهي.
8. اعتمدنا على مصادر ومراجع توفرت عندنا.
9. خرجنا الآيات القرآنية، وأشارنا إلى السورة، ورقم الآية، في النصّ بنفس الخط؛ ولكن بحجم أصغر مع إخراج الآيات القرآنية ووضعها في الفهارس العامة.
10. خرجنا الأحاديث والآثار الواردة في النصّ قدر الإمكان، ووضعها في الفهارس العامة.
11. خرجنا من استطعنا من أقوال العلماء الفقهية وغيرها في هامش النص.
12. خرجنا الكتب والمصادر المعتمدة داخل النص المخطوط ووضعها في الفهارس العامة.
13. خرجنا الآيات والأشعار المعتمدة داخل النص المخطوط
14. ضبطنا نص متن الوغليسي بالشكل التام.
15. ترجمنا لأغلب الأعلام.
16. حاولنا قدر الإمكان عزو الأقوال - التي رتب فيها الشيخ الصابع كتابه عمن سبقه - إلى مصادرها الأصلية، وخاصة التي أكثر منها النقل.
17. جعلنا في نهاية الكتاب ثباتاً بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في التحقيق.
18. جعلنا فهرساً محتواً للمواضيع التوضيحية.

2. وصف النسخ المخطوطة

(أ)، (ب)، (ج)

اعتمدنا في تحقيقنا على عدة نسخ خطية، وقد رتبنا النسخ حسب تاريخ نسخ المخطوطات:

► النسخة (1): وهي نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية وتقع تحت رقم: وت تكون

من:

بداية المخطوطة: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومواناً محمد وسلام تسلينا الحمد لله الذي أعلا معلم الإسلام، وبين لعياده بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام، حلية ما أحلّ، وحرمة ما هو حرام. والصلاحة والسلام على نبيه وحبيبه محمد ﷺ أزكي الصلاة وأزكي التسليم وأصحابه وأزواجهم وذراته ما لمع بارق ورسوخ غمام، أمّا بعد: أنّه لما كان الكتاب المسمى بـ: (الوغليسيّة) الذي وضعه العلامة العلم الراسخ في مرضات الله القديم، الذي عمّت أنواره ولم تزل ظاهرة آثاره، الصالح الراهد المتابع، سيدنا أبو زيد عبد الرحمن الوغليسيي برد الله ضريحه، واسكه من أعلى الفردوس فسيحه....).

نهاية المخطوطة: (...كمل يحمد الله وحسن عونه على يد العبد الحقير الذليل المرتجى عفو مولاه وغفرانه عمر بن علي بن محمد بن قاسم الوجاني القبيلة الأوراسي الدار غفر الله له ولوالديه ولأславافه ولأشياخه ولإخوانه نسباً ولإخوانه المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

نسخه لنفسه ولمن شاء الله بعده، وكان الفراغ من نسخه قبل الزوال يوم الخميس في أوائل شهر الله الأعظم جاد الثاني سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، وصلى الله على سيدنا ومواناً محمد آلـه وصحبه وسلم كثيراً كثيراً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

► النسخة (2): نسخة الأزهرية التي تقع تحت رقم: 95241، عدد الواحها: 98

في كل صفحة: 31 سطراً، طولاً: 26 سم، وعرضها: 21، عليها ختم المكتبة الأزهرية نسخت سنة: 1038هـ. ومعها رسالة "الدرة المفردة في شرح

المرشدة" مؤلفها الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل الأموي عرف بالنقاش، ناسخ المخطوطتين هو محمد بن الفقيه فتح الله ابن الولي الصالح قطب زمانه سيدى سالم الأبي نسباً المالكى مذهبأ.

﴿النسخة (3): وهي نسخة المسجد النبوى الشريف تقع تحت رقم: 035 عدد ألواحها:... في كل صفحة: 27 سطراً نسخت سنة 1166 هـ و معها رسالة منسوبة للشيخ عبد الرحمن الصباغ بعنوان "اختيار أربعين حديثاً"، ناسخ المخطوطتين هو: محمد بن مبارك بن أحمد بن علي الخلفي نسباً و مسكنًا بني امليكس الكائن في بني بترورن عند أولاد سيدى أبو الفضل.

﴿النسخة (4): وهي نسخة مكتبة أولحبيب في بجاية الجزائر عدد ألواحها: 80 لوح في كل صفحة: 25 سطراً نسخها: محمد بن القاسم اليعمرى سنة 1191 هـ..

﴿النسخة (5): وهي نسخة المسجد النبوى الشريف والتي تقع تحت رقم: 2172 / 130 عدد ألواحها: 155 لوحًا: في صفحة: 25 سطراً، طولها: 21 سم، وعرضها: 16 سم، جاءت عناوين المتن باللون الأحمر وخطها مغربي مقروء، نسخها: إبراهيم الشريف بن محمد الشريف سنة 1194 هـ.

﴿النسخة (6): نسخة الأزهرية التي تقع تحت رقم: 95243 عدد ألواحها: 132 في كل صفحة: 31 سطراً، طولها: 22 سم، وعرضها: 15 سم بدون تاريخ نسخ نسخها السيد: بلقاسم بن علي الملحي نسباً نسخه للسيد: سليمان بن أحمد....

﴿النسخة (7): نسخة أخرى من الأزهرية وهي ناقصة الآخر، تقع تحت رقم: 95244 عدد ألواحها: 121 لوحًا، في كل صفحة: 29 سطراً، طولها: 22 سم

، عرضها: 16 سم، عليها ختم المكتبة الأزهرية في أول الصفحة وأخرها وعناوين الكتاب مكتوبة باللون الأحمر وخطها مغربي مقروء.

النسخة (8): نسخة عائلة محمد الصغير بن شاعة بالأغواط الجزائر تقع تحت رقم: 01 / 24 عدد ألواحها: 74 لوح في كل صفحة: 34 سطراً نسخها: عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله، قام بفهرستها ابننا أحمد أبو بكر ضيف مع مركز "تيكا بتركيا".

بداية المخطوطة: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا وموانا محمد وسلم تسلیمًا الحمد لله الذي أعلا معالما الإسلام، وبين لعياده بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام، حلية ما أحلّ، وحرمة ما هو حرام. والصلاوة والسلام على نبيه وحبيبه محمد ﷺ أذكى الصلاة وأذكى التسليم وأصحابه وأزواجه وذراته مالع بارق ورسخ غمام، أمّا بعد: آنَه لَمَا كَانَ الْكِتَابُ مُسْمَىً بِـ(الوغليسيّة) الَّذِي وَضَعَهُ الْعَالَمُ الْعَلِمُ الرَّاسِخُ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ الْقَدِيمِ، الَّذِي عَمِّتْ أَنْوَارَهُ وَلَمْ تَزُلْ ظَاهِرَةُ آثَارِهِ، الصَّالِحُ الرَّاهِدُ الْمُتَّبِعُ، سَيِّدُنَا أَبُو زِيدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَغْلِيسيِّ بِرَدَ اللَّهِ ضَرِيحِهِ، وَاسْكَنَهُ مِنْ أَعْلَى الْفَرْدَوْسِ فَسِيقِهِ....).

نهاية المخطوطة: (...كمل بحمد الله وحسن عونه على يد ناسخه لنفسه ثم ملئ شاء بعده محمد] [بن بلقاسم [نسباً اليعري موطنًا المالكي مذهبًا الأشعري اعتقاداً غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولقرابته ولجيرانه ولأحبته ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك مجيب الدعوات، وصلى الله على من إليه أذعنـتـ الجبارـةـ والعصـاةـ، وعلـىـ آلهـ وصـحبـهـ الواصـفـ هـمـ بـأـنـهـمـ هـدـاـةـ صـلاـةـ لاـ تـنـقـطـعـ أـنـاءـ اللـيـلـ وـالـنـهـارـ وـسـائـرـ الـأـوقـاتـ، وـكـانـ الفـرـاغـ مـنـ نـسـخـهـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ

في شهر الله المعلم ربى الثاني عند الزوال سنة ١١٩٥هـ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

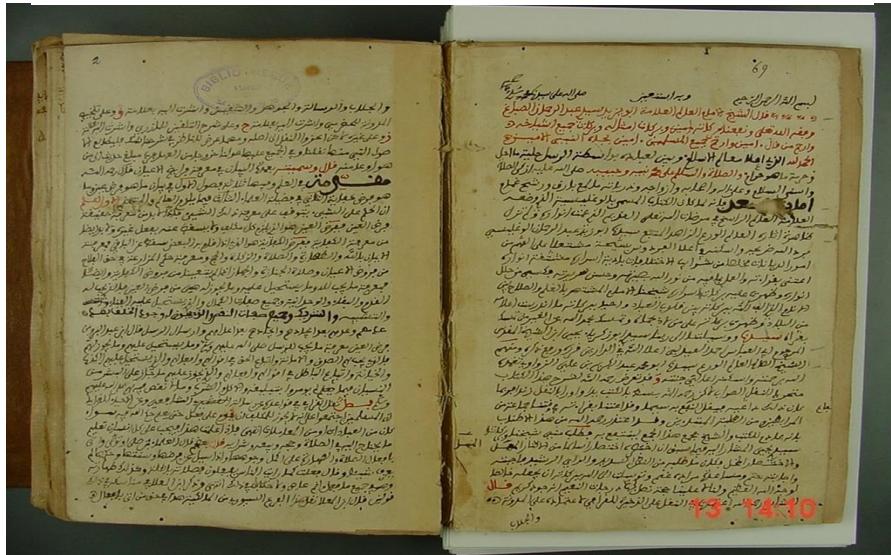
► النسخة (ج): وهي نسخة المسجد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأزكي التسليم وتقع تحت رقم

بداية المخطوطة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَمُ مِعَالَمَ الْإِسْلَامِ، وَبَيْنَ لَعْبَادِهِ بِوَاسْطَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِم
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَلِيَّةُ مَا أَحَلَّ، وَحَرْمَةُ مَا هُوَ حَرَامٌ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ
مُحَمَّدَ ﷺ أَزْكَى الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذَرِيَّتِهِ مَا لَمْ يَعْلَمْ بَارِقُ وَرَسْخُ
غَمَامٌ، أَمَّا بَعْدُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْكِتَابُ مُسَمَّى بِـ(الْوَغْلِيسِيَّةِ) الَّذِي وَضَعَهُ الْعَالَمُ الْعُلَمَاءُ
الرَّاسِخُ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ الْقَدِيمِ، الَّذِي عَمَّتْ أَنْوَارُهُ وَلَمْ تَزُلْ ظَاهِرَةُ آثَارِهِ، الصَّالِحُ
الرَّازِّا هُدُّوْهُ الْمُتَبَعُ، سَيِّدُنَا أَبُو زِيدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْوَغْلِيسِيِّ بَرْدَ اللَّهِ ضَرِيْحِهِ، وَاسْكَنَهُ مِنْ أَعْلَى

نهاية المخطوطة: (... فهذا ما وجدناه في هذا التأليف المبارك والحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا وموانا محمد النبي الكريم والرسول العظيم وعلى آله وصحبه وسلم تسلّيماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ووافق الفراغ من نسخه يوم السبت خلف من شهر حجة الحرام خمسة أيام عند صلاة العصر على يد عبد الله وأقل عبيده الحاج إبراهيم الشريفي بن المرحوم برحة الحي القديوم الحاج محمد الشريفي العيدلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين المؤمنات الأحياء منهم والأموات، وصلى الله على سيدنا محمد وآلته وصحبه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين وقل ربي زدني علماً سنة 1194هـ).

نماذج من صور المخطوطات (أ) و (ج)

المخطوطة (أ)



اللوح الأول من النسخة (أ) نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية



اللوح الأخير من النسخة (أ) نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية

المخطوطة (ج)

الحمد لله الرحمن الرحيم وصل اللهم سلاماً واملاً المأمور فتسليماً

اللوح الأول من النسخة (ج) نسخة المسجد النبوي الشريف ﷺ.

رسوخ ياربي العزيم ع زمانه سبب مصاريب الديانة بشقرا وخدش
وخرق خطاياها وفاحشتها وغلوها ولهذه الخروج فالدين الاسلام يهدى به وله
أشدّ حدة وأمّر بالمعروف ونهى عن المنهل وعزم على تحصينه وتأمينه في
المسكوكه له ولهم **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**
والله رب العالمين **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**
والله رب العالمين **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**
آمين **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**
وأنا أدعكم بالله رب العالمين **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**
وأنا أدعكم بالله رب العالمين **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**
وأنا أدعكم بالله رب العالمين **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين** **آمين**

اللوح الأخير من النسخة (ج) نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية

مخطوط ينشر لأول مرة عدة ملوك أولاد جلان

A Manuscript Published for the First Time

Several Kings, Sons of Jalan

أ. أحلام لغريب

جامعة محمد بوضياف، المسيلة

ahlam.leghib@univ-msila.dz

ملخص:

إن هذه النبذة التاريخية حول عدة ملوك أولاد جلان (وارجلان) هي جزء من مجموع، مؤلف معاصر لفترة حكمهم مجهول لم يدون اسمه، وهي ذات أهمية لأنها تتناول تاريخ ملوك أولاد جلان خلال الفترة الحديثة، وتتجلى أهميتها في كونها تقيد للملوك بالإضافة لرصدها لرحلاتهم إلى الحج، والذي يجعلنا نسلم بأهمية هذه المخطوطة أن تاريخ نسخها يعود 1265 هـ (كما ورد في المجموع)، وأخر تاريخ ذكر في سلسة هؤلاء الملوك 1249 هـ (حسب المخطوطة التي بين أيدينا).

Abstract:

This historical overview of several kings from the lineage of Jalaan (or Wargalan) is part of a collection by an unknown contemporary author from their period of rule, whose name was not recorded. Its significance lies in documenting the history of the Kings of Jalaan. It is valuable not only for its record of these rulers but also for chronicling their pilgrimage journeys. The importance of this manuscript is underscored by the fact that it was copied in 1265 AH (as noted in the collection), with the last date mentioned in this series of kings being 1249 AH

"الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم⁽¹⁾

هذه عدة ملوك أولاد جلان وتواريختهم من الشيخ سليمان إلى أولاه وبني عمه. فأولهم الشيخ سليمان تولى المملكة في بلاد تقرت من بعد أهله الأوائل وعمر البلاد، وقهر أهل البغي والفساد، وركب من الخيل نحو خمسينية ونحوه، وبقي من السنتين ماسك الملك الجحود، فلما صار عمره وانفرط، وأراد الله به النقلة إلى دار الرضا، جعل سبب موته على يد امرأة يقال لها أم تهاني بنت البلاطي حين خطبها في ابنته، بعثت له بخبر يعتليها، فلما قدم إليها هو وخدماته فقتلته رحمة الله عليه وهو اليوم مدفون في سير بن خليل.

وتولى من بعده الشيخ محمد بن سليمان وبقي في المملكة ما شاء الله فلما كان في بن السير نافقوا عليه أهل البلاد وأرادوا خلعه فقتل بضربة خطأ، وتولى من بعده الشيخ محمد الأكمل وبقي ما شاء الله فنافقوا عليه عاما فقتلوه رحمة الله، وتولى من بعده أخوه وبقي ما شاء الله ثم مات رحمة الله ثم تولى من بعده الشيخ إبراهيم وبقي مده ثم خرج إلى أرض الحجاز وخلف أولاده وهم الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد فخر جوا من البلاد بعد أبيهم، رجع إلى البلاد الشيخ خالد وبقي ما شاء الله وخرج ومات بورقة، ثم الشيخ عبد القادر بن إبراهيم سنة 1137 فمكث في المملكة سبع سنين ثم مات رحمة الله، وخلف من بعده خمسة من الذكور وهم الشيخ عمر والشيخ جلاب أولاد الضواية والشيخ عمران بن شويخه بنت الشيخ عمران.

(1) هذه العدة توجد ضمن مجموع ضمن مخطوطه تحمل رقم 1588، يعود تاريخ نسخه إلى 1265 هـ بمكتبة الوطنية الجزائرية. وقد وجدت نسخة من هذه العدة في مكتبة ليدن (هولندا) تحمل عنوان "تقييد ولاية بعض ملوك أولاد أعلاهم بوارجلان"، تحمل رقم IV - 14.012.

ثم تولى من بعده الشيخ أحمد بن إبراهيم سنة 1144 وبقي في المملكة تسعة سنين ثم خرج ومات رحمه الله ببلاد اماس وخلف أربعة ذكور اثنان قتلهم الشيخ عمر وبقي الشيخ محمد الأخضر هربته أمه إلى غدامس والرابع وهو الشيخ محمد مهساس خر جوه أخوه ألا ولاد صوله.

وتولى الدولة الشيخ عمر سنة 1153 وبقي في الدولة سبع عشرة سنة ثم بعد ذلك قتل إخوانه وهم علي ياسر والشيخ أحمد حين خر جوا إلى سيد خالد فمدهم بالأمان فلما قدموا تلقوهم في الشوشة التي تسمى بشوشة السلاطين وهي بإزاء بلاد القصور وقبورهم الآن ببلاد المغاريب الغربية في سيدي مسعود. ثم خرج الشيخ عمر وتولى من بعده الشيخ محمد سنة 1170 وبقي في الدولة أربع سنين ثم خرج وتولى من بعده الشيخ عمران وبقي في الدولة تسعة أشهر فخرج ثم مات في الواد ببلاد سوف وخلف ابنه الشيخ الكلاني ولم يرده له المملكة.

وأما الشيخ جلاب فإنه مات بسوف وخلف ابنه الشيخ إبراهيم ثم رجع الشيخ عمر سنة 1175 وبقي في المملكة خمس سنين فمات رحمه الله، وتولى ابنه من بعده المملكة على رأس العام التاسع والسبعين وبقي في المملكة سبعة أشهر ورجع من بعده الشيخ عمر فبقي في المملكة خمسة أشهر ثم خرج فمات رحمه الله في سidi خالد وخلف ثلاثة ذكور ومنهم الشيخ عبد القادر والشيخ فرات والشيخ أحمد ثم رجع الشيخ أحمد من بعد الشيخ عمر سنة ومكث في المملكة ستة عشر سنة وخرج فمات رحمه الله بمكة، وخلف أربعة ذكورا وهم الشيخ محمد والشيخ إبراهيم والشيخ عبد الرحمن والشيخ علي، أما الشيخ علي فمات رحمه الله صغيرا في دولة الشيخ إبراهيم، وأما الشيخ إبراهيم فمات في دولة أخيه الشيخ محمد.

وتولى من بعد الشيخ أحمد الشیخ عبد القادر ابن عمر سنة 1195 وبقی فی المملكة عاما ثم مات، وتولى من بعده أخوه الشيخ فرات سنة 1197 وبقی فی المملكة عشر سنین ثم خرج فمات بالواد، وخلف ابنه الشیخ الخازن وتولى من بعده الشیخ إبراهیم سنة 1203 وبقی فی المملكة سنة فخر ج عنه أهل البلاد فخر ج وتولى من بعده إبراهیم بن الحاج بن قانة وبقی سنة ثم خرج، وتولى من بعده ابن أخيه علي بن الفیروم وبقی سنة ثم خرج فرجع الشیخ إبراهیم سنة 1210 وبقی فی المملكة اثنتي عشر سنین ثم خرج الشیخ إبراهیم ودخل الشیخ الخازن آخر سنین العشرين بعد المائتين. فدخل الشیخ محمد سنة 1221 فقتل الشیخ وبقی فی المملكة سبعة عشر عاما وخمسة أشهر ثم مات رحمة الله، وتولى من بعده الشیخ عمر سنة 1238 فمات رحمة الله وتولى من بعده أخوه الشیخ إبراهیم سنة 1247 وبقی فی المملكة ستين وخرج إلى بلاد الحجاز وتولى من بعده الشیخ علي سنة 1249 فعقدوا عليه التسعة في شهر الله رب جمادى في 20 خلون منه.

وأما ابن الشیخ إبراهیم وهو الشیخ أحمد فإنه ولی بعد أبيه حين خرج إلى الحجاز في 3 قعده الحرام يوم السبت".

صور من المخطوطة:

الحر لة ، وصالحة على مير و داله و
هـ زعزع ملوجه او لام جلاله
وقواريفهم من الشیخ سلیمان طحان او راهه
وینعمه **فأول لهم** الشیخ سلیمان نعمی
الملکة يللا في نظرت من بعده اغلهه او ابلهه
وغير الیاده ، وفقاً هناللهم والبقاء
وزکه من الخليل نحو حلقة مدحه وزاده
وبعده من السیر ما شاء اللہ اجمعوا
علیاً حارثه وانقضط ، وأراده الله به
الذفالة لدار الرضا ، خلق سیره مؤمنه على
بن امراء يغال المقام ، فعله بن البدی
حیر حکیم وابن عیند ، فعنہ لة
بز بعیند ، فلما فتح العیند نعوم خراهم
بعقلته رحمة الله عليه ويعوايزهم مدحه
بـ سیری خليل **وتفعل** من بعده الشیخ
محتری سلام ويفی بالملکة ما شاء
الله **فلم اکار** بعده السیر نلطفوا

الملكة **وَامِّا** الشیع جل جل ایه
بسو و خلب ایه الشیع ایه
رم الشیع **مُحَمَّد** و بقیعی الملة
هم سیر فان ریمه الله و توی ایه
ر بعی الملة علی راس العالم التراس
والسیر و بقیعی الملة سبعه آصم
وَبِحِ بعی الشیع **مُحَمَّد** قیفری
الملة هسته اشریم **مُحَمَّد** فیان ریمه
الله سیر خال و خلب تلاته کور
و بعی الشیع **مُحَمَّد** والشیع همان
و الشیع **أَهْمَم** رم الشیع **أَهْمَم** بر
الشیع **مُحَمَّد** هسته و مکنیه الملة
سمه هسته و خرم **مُحَمَّد** فیان ریمه الله
نکه و خلب ایه کورا و هم
الشیع **مُحَمَّد** والشیع ایه
بیل الهر و الشیع **مُحَمَّد** ایه الشیع **مُحَمَّد**
بریان ریمه الله هسته دویعی دویعی
ایه ایه **وَامِّا** الشیع ایه همان

دویعی ایه الشیع **مُحَمَّد** و **قَنْوَلی** همان
ر بعی الشیع ایه الشیع **مُحَمَّد** الفار
بریان **مُحَمَّد** هسته و بقیعی الملة عمالا
نم ما **قَنْوَلی** هسته و بقیعی الملة عمالا
بریان **مُحَمَّد** هسته و بقیعی الملة عمالا
سیر شیخ جهان بالواه و خلب ایه
الشیع **أَهْمَم** **قَنْوَلی** هسته و بقیعی الشیع
ایه ایه **مُحَمَّد** هسته و بقیعی الملة
سنہ بخیریه اهل البداء مجیح **قَنْوَلی**
مر بعی ایه ایه **مُحَمَّد** راجح رفان
و بقیعی هسته **مُحَمَّد** **قَنْوَلی** هسته
ایه ایه علی الفیدون و بقیعی هسته
جیح **مُحَمَّد** الشیع ایه ایه هسته
و بقیعی الملة اشیع هسته هسته
الشیع ایه ایه **وَهَلِ** **الشیع** **أَهْمَم**
ایه هسته **مُحَمَّد** دعا ایه هسته
بریان **مُحَمَّد** هسته و بقیعی هسته
الشیع و بقیعی الملة سبعه هسته

عاماً وخمسة أشهر ثم مات رحمة الله
وتوى مربع الشیخ عمر ١٣٣٨
عما رحمة الله وتوى مربع افروز
الغنة اب اهيم ١٣٤٢
بالمملكة سير وفن ان بلاد الحجاز
وتوى مربع الشیخ عمر ١٣٤٢
بعضوا عليه التسعة وشیع الله رحمة
ابي دبب خلوا منه **واما** الشیخ
اب اهيم ودعا الشیخ عمر اهيم وانه
ولم يصل به مير فن ان الحجاز
فعن الحجاز بين النسبتا



فقه العمران الريفي والحضري بالغرب الأوسط

من خلال خطوط «المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق»

لأبي عمران موسى المازوني (ت بعد 874 هـ / 1469 م)

دراسة وتحقيق لمسائل متفرقة في مقاصده

د. إسماعيل بركات

أستاذ حاضر «أ» - قسم التاريخ

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الملخص:

تعكس هذه الورقة البحثية أوجه ما سطره أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت بعد 874 هـ / 1430 م) في خطوطه «المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق» فيما يتعلق بمسائل فقه العمران الريفي والحضري بالغرب الأوسط الوسيط، من الوقوف على معلم الإصلاح التي لامس فيها محاولة النظر والتأمل ل مختلف مسائل التنظيم والترشيد العماني عبر مضامين نصوصه وقضاياها الشاكلة، نجد أنه كفيل برصد مختلف الصور والتصورات للإشكالات الواقعية آنذاك ذات الصبغة العمرانية، وما كان منها إنتاج فقهي في إطار التأثير والتاثير بالتحولات الحضارية التي عرفها المجتمع الزياني، ومعرفة مدى توافق هذه النصوص الفقهية والخصوصيات التي كان تطرح عليه كفقيه وقاضي، خاصة منها ما تعلق بالأضرار الناجمة عن راحة وسلامة المسكن ومكان العمل الخاص، من منطلق فقه العمران الذي يقوم على أساس قاعدة «نفي الضرر»، بما تضمنه من مساواة بين الأطراف

وترتيب الأولويات حسب نوعية المسألة ومكان تواجدها، وكذا طبيعة النشاط المزاول بخصوصها.

الكلمات المفتاحية: التوثيق، فقه العمران، العمران الريفي، العمران الحضري، المقاصد، المغرب الأوسط.

Abstract:

This research paper reflects the aspects of what Abu Imran Musa bin Issa Al-Maghili Al-Mazouni (d. after 874 AH / 1430 AD) wrote in his manuscript « Al-Muhadhdhab Al-Ra'iq fi Tadrib Al-Nashi' Min Al-Qudat Wa Ahl Al-Watha'iq » regarding the issues of rural and urban urban jurisprudence in the middle Maghreb, from standing on the features of the reform in which he touched on the attempt to consider and contemplate the various issues of urban organization and rationalization through the contents of his texts and his various issues. We find that he is capable of monitoring the various images and perceptions of the problems that occurred at that time with an urban character, and what was from them a jurisprudential production within the framework of the influence and being influenced by the civilizational transformations that the Zayyanid society experienced, and knowing the extent of the compatibility of these jurisprudential texts and the disputes that were presented to him as a jurist and judge, especially those related to the damages resulting from the comfort and safety of the residence and the private workplace, from the standpoint of urban jurisprudence that is based on the rule of “negating harm”, including what it includes of equality between the parties and arranging priorities according to the type of issue and its location, as well as the nature of The activity carried out in relation to it.

Keywords: Documentation, urban jurisprudence, rural urbanism, urbanism, objectives, Middle Maghreb.

يفتح البحث في التراكم المعرفي الذي يوفره التراث الفقهي بالمغرب الأوسط الوسيط، ما يفيد فهم مقاصد فقه العمران، بدءً بكتب فقه الأحكام والتوثيق التي تبرز أهميتها فيما يتعلق بآليات ضبط النزاعات في مسائل البناء وتدبيرها، في إطار سعي الفقهاء لحل الخلافات الدينية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة عنها، استهدافاً لحماية المصلحة العامة، وإقراراً لقاعدة «نفي الضرر»، وما يُعزى إلى مقاصد الفقه المالكي في المغرب الأوسط من قواعد وأسس نظرية، وما له صلة بالأعراف، ذلك أن العمران - حسب التعبير الخلدوني⁽¹⁾ اقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش بالأمصال والقرى والمدن للاعتماد بها والتحصن بجدرانها.

ومن المؤلفات التي تعكس ذهنية مجتمع المغرب الأوسط فيما يتعلق بالأحكام الفقهية التي تستقصي مجموعة من القضايا ذات الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، التي تعود بالنفع على الفرد والجماعة، كانت مسائل فقه العمران الريفي والحضري ضمن مخطوط «المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق»⁽²⁾، مؤلفه أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني؛ إحدى كتب الوثائق المهمة في دراسة تاريخ

(1) ابن خلدون أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م)، مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش، ج 2، ط 1، دار يعرب، دمشق، 2004، ص 132.

(2) توجد نسخة مخطوطة منه بـ«المتحف البريطاني»، تحت رقم: 242، ونسخة بـ«مكتبة الطاهر بن عاشور» بتونس تحت رقم: 307 ف أ / 275، تحتوي على 335 ورقة، في أولها فهرس شامل لأبواب الكتاب، وفصوله بخط الشيخ إسماعيل التميمي، أما نسخة «متحف سيرتا» بقسنطينة تحت رقم: 14، فهي النسخة المعتمدة عندنا في الدراسة والتحقيق.

المغرب الأوسط الاجتماعي والاقتصادي في العصر الزياني المتأخر، فهو يقدم لنا مادة علمية وفيرة وقيمة في التاريخ لبعض المساحات المهمشة، إذ يعتبر حلقة علمية هامة أنتجت لنا مواد أساسية فقهية ساهمت في التأسيس للعديد من القضايا التي ترتبط بالشؤون العامة لمجتمعه، إذ يتكشف من خلال استقراء مسائله أهمية قضايا البنية، بين ما يقره الشعور وما يقيمه العرف من تعاملات، شأنها فهم طبيعة التحولات التاريخية التي صنعت مجتمع ذلك العصر.

وبناءً على ما ورد في هذا المصنف من الوقوف على معالم الإصلاح التي لامس فيها أبي عمران محاولة النظر والتأمل لمختلف مسائل التنظيم والترشيد العمراني عبر مضامين نصوصه وقضاياها الشاكلة، نجد أنه كفيل برصد مختلف الصور والتصورات للإشكالات الواقعية آنذاك ذات الصبغة العمرانية، وما كان منها إنتاج فقهي في إطار التأثير والتأثير بالتحولات الحضارية التي عرفها المجتمع الزياني، ومعرفة مدى توافق هذه النصوص الفقهية والخصوصيات التي كان تطرح عليه كفقيه وقاضي، خاصة منها ما تعلق بالأضرار الناجمة عن راحة وسلامة المسكن ومكان العمل الخاص، من منطلق فقه العمران الذي يقوم على أساس قاعدة «نفي الضرر»، بما تضمنه من مساواة بين الأطراف وترتيب الأولويات حسب نوعية المسألة ومكان تواجدها، وكذا طبيعة النشاط المزاول بخصوصها.

فهل كان لقيمة المخطوط ما يحفز على تقييمه وتقويمه للاستفادة من مخرجهاته الإيجابية فيما يتعلق بفقه العمران الريفي والحضري بالمغرب الأوسط الوسيط؛ فيمكّنا في اعتماد أهميته النظرية تطبيقياً في علاج العديد من المسائل؟

كل ما سبق تأكي شروحه النظرية والتطبيقية، وفق خطة ثنائية ارتأينا أن تكون في شكل محورين؛ الأول؛ تناول الجانب التعريفي بالمؤلف والمخطوط، والثاني؛ تقصي

مختلف المقاصد المرجوة من نفي الضرر المتعلق بالعمران في مسائل متفرقة منه كتبته
يحد من فكرة التعدي، كون أن المقصود قائم ويتحقق غايته من أجل استبعاد الخصومات
ذات العلاقة بهذه المسائل المختارة.

المحور الأول: الإطار التعريفي للمؤلف والمخطوط

1. أبي عمران موسى المازوني:

الفقيه القاضي موسى بن عيسى المغيلي المازوني، يكنى بأبي عمران⁽¹⁾، من قبيلة
مغيلة البتيرية إحدى بطون قبيلة زناتة، من أسرة علم وفقه، درس في قريته وبها تولى
خطبة القضاء التي توارثها أباً عن جد، فوالده عيسى كان قاضياً بها.⁽²⁾
وبعد أن تمكن أبي عمران من علوم عصره، وخصوصاً الفقه والتوثيق، بعد
تحصيله على يد والده القاضي عيسى (كان حياً سنة 791 هـ / 1833 م)⁽¹⁾، وبعض

(1) الثابت في بعض مصنفاته كـ «قلادة التسجيلات»، بالإضافة إلى بعض مصادر ترجمته هو «أبي عمران». ينظر: أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت 833 هـ / 1430 م)، قلادة التسجيلات والعقود وتصريف القاضي والشهود، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2016 - 2017، ص 86. التبكري أحمد بابا (ت 1036 هـ / 1626 م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: المرامنة عبد الحميد عبد الله، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا، 1989، ص 605. كفاية المحجاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: علي عمر، ج 2، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص 243. الحفناوي أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي (ت 1391 هـ / 1941 م)، تعريف الخلف ب الرجال السلف، ج 2، مؤسسة الرسالة والمكتبة العتيقة، تونس، 1985، ص 572.

(2) ذكر المؤلف في «قلادة التسجيلات»، أن والده كان قاضياً يقوله: «وناهيك أني ما وقفت لهم قطٌ على تسجيل شيء ما يملئه عليهم والذي أيام قضائه». ينظر: قلادة التسجيلات، ص 43.

فقهاء عصره⁽²⁾، تولى التدريس بمدرسة أبي ماتع بمازونة، حيث وصف بالفقية الأجل المدرس المحقق، يشار له بالبنان في بلدة مازونة وحتى خارجها⁽³⁾، من خلال مشاركته العديد من العلوم والمعارف، ومكاتبة وراسلة شيوخ وقته، مع مراجعتهم في مسائل الاختلاف، وتحرزه في ضبط أحكام.⁽⁴⁾

(1) يقول المؤلف: « وفرغت منه بعد تعطيل في بعض الأيام، في ربيع الأول من عام أحد وتسعين وسبعيناً عرفنا الله خيره، وعرضت منه أماكن على سيدي الوالد متعمي الله برضاه فاستحسنها ». ينظر: قلادة التسجيلات، ورقة ١٧٠. قوله: « قال لي رحمة الله عن شيخه القاضي أبي محمد عبد الحق الملياني وكان من يقول على قوله لمعرفته ودينه ». ينظر: المذهب الرائق، ورقة ٤٩٤.

(2) كأبي عثمان سعيد بن محمد العقاباني (ت ٨١١هـ / ١٤٠٨م)، وأبو مهدي عيسى بن محمد الغبريني (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م)، والقاضي أبو عبد الله الشريفي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، وأبو الفضل قاسم بن سعيد العقاباني (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م)، وأبو عبد الله بن العباس (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م)، والقاضي أحمد بن الفضل، وأبي زكريا يحيى بن عمر.

(3) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٦٠٥. الحفناوي، تعريف الخلف، ج ٢، ص ٥٨٣.

(4) يقوله: « وأن من الأشياخ من قال أنه لا اختلاف في ذلك بين المسلمين وقد كتبه إلى بعض أشياخي أعزه الله في هذه المسألة بأثر كلام وقع فيها ». ينظر: المذهب الرائق، ورقة ٥٤٥.

وقد ترك أبي عمران عدداً من التأليف بين مخطوط ومحفوظ، وما حُقِّقَ، أو في طريق التحقيق، يمكن حصرها فيما يلي:

- «المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق».⁽¹⁾
- «ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار». ⁽²⁾
- «صلحاء وادي الشلف». ⁽³⁾
- «حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه». ⁽⁴⁾
- «تحلية الذهب في علم القضاء والأدب». ⁽⁵⁾
- «فريدة الاقتباس في كيفية النظر في الأحباس». ⁽¹⁾

(1) محل الدراسة والتحقيق، وقد تم تحقيقه من طرف (أحمد بن جمعان العمري، من أول الكتاب إلى نهاية كتاب الأحباس، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431 - 1432 هـ)، (عبد الله بن عيسى بن محمد عايضي، من أول كتاب البيوع إلى نهاية الكتاب، أطروحة دكتوراه، 1434 - 1435 هـ).

(2) توجد نسخة من هذا الكتاب بخزانة الشيخ المهدى البواعظى بوهران. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافى، ط 1، ج 1، دار الغرب الإسلامى، بيروت، 1998، ص 45.

(3) تحقيق: عبد القادر بوبایة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2019.

(4) في حكم المفقود. ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 45.

(5) لا يزال مخطوطاً بخزانة زاوية علي بن عمر، الزاوية العثمانية - طولقة، بسكرة، وقد تم تحقيق بعض من لوحاته في إطار البحوث المكملة لمطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية (فقه مقارن وأصوله)، بجامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي، معهد العلوم الإسلامية، قسم الشريعة (الأولى من اللوحة 3 إلى اللوحة 13 من إعداد الطالب: سالم الياني)، والثانية (من اللوحة 25 إلى اللوحة 36 من إعداد الطالب: الصغير زقوني)، برسم السنة الجامعية: 2021 - 2022.

ـ «قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود».⁽²⁾
 وعن تاريخ وفاته ما يفيد أنه توفي بعد سنة 833 هـ / 1429 م⁽³⁾، ما قاله المؤلف في «تحلية الذهب»: «وسائل الفقيه سيدى أحمد الونشريسي في عام أربعة وسبعين وثمانمائة...»⁽⁴⁾، فتكون وفاته مخصوصة بين سنتي 874 هـ / 1469 م، و 883 هـ / 1478 م، تاريخ وفاة ابنه أبي زكريا يحيى، حيث صرّح بوفاة والده في نوازله.⁽⁵⁾

2. التعريف بالمخطوط وتصيفه:

هو عبارة عن فقه لأحكام القضاء والتوثيق، مغلباً فيه الجانب النظري على التطبيقي العملي، وهو قاعدة لتدريب القضاة والموثقين - كما سمّاه - على مزاولة



(1) في حكم المفقود، وقد ذكره المؤلف بقوله: «ومن أراد الشفاء من ذلك فليلتمسه في كتابنا: فريدة الاقتباس في كيفية النظر في الأحباس». ينظر: *المذهب الرائق*، ورقة 926 ظ.

(2) تحقيق: أحمد لشمب.

(3) المرجع نفسه، ص 54، 55.

(4) أبي عمران موسى، *تحلية الذهب في علم القضاء والأدب*، مخ، خزانة زاوية علي بن عمر، الزاوية العثمانية - طولقية، بسكرة، ورقة 49 و.

(5) أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت 883 هـ / 1478 م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: برگات إسماعيل، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2، 2010، ص 224.

مهتهم، وما يحتاج إليه كل واحد منها من فقه ومعرفة لأحكام خطته، وعدته إحدى الأبحاث⁽¹⁾ حلقة مفردة في المنظومة القانونية الفقهية الواقعية في إصلاح القضاء.

وقد تضمنت فهرسته تراجم عامة؛ قائمة مقام الكتب والأبواب كما هو المألف في غالب العادات، وترجم خاصه؛ قائمة مقام الفصول، مع الإلامع والتنبيه إلى بعض فوائدها الغريبة، متراوحة بين العدل في بُعده الفقهي، وبين العدل في بُعده العماني، ومرتبة أحسن ترتيب، وهو دليل على مستوى النضج الذي انتقل إليه فقه نظام القضاء في فكره حتى أصبح ضرورة وليس حاجة فقط.

استمد مادته من الأحكام الشرعية والمقررات الفقهية والاجتهدات القضائية، وأخذ في ترتيبه بعقلية القاضي الفقيه، والعرف الذي جرى به عمل القضاة من غير إغفال عرف الناس وعاداتهم، وعناصر كل اتفاقية معقودة بين شخصين أو عدة أشخاص يضمن استمرارها وأثر مفعولها، وحاسماً لمادة النزاع بين الأطراف المتعاقدة موضحاً لكل من العاقد له والمعقود عليه، ما له وما عليه، وموضحاً في الوقت نفسه دور القضاء في الضرب على أيدي المفسدين، ومؤصلاً للقواعد القانونية التي تحكم المجتمع وتؤمن حياته ومتلكاته وتصون حقوقه، فكان مشروعه جامعاً بين التفاصيل والجزئيات المرتبطة بالأحكام الفقهية، بالتجمیع والاختصار والتجدید، من خلال

(1) أحصت إحدى الأبحاث من هذا النوع 16 مؤلفاً فقط لعلماء المغرب الأوسط طوال العصر الوسيط ما زالت قيد الدراسة، وهي - حسب رأيه - لم يشهد ازدهار هذا النمط من الكتابة الفقهية قبل عصر المؤلف عكس ما يشاع. ينظر: رفيق خليفي، "خطوط المذهب الرائق لأبي عمران موسى المازوني وأهميته التوثيقية في تاريخ المغرب الأوسط أواخر العصر الوسيط"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 4، ع 1، جامعة حمة لحضر، الوادي، 2018، ص 230، 243.

مقاييس جديدة تحاول التوفيق بين النظرية الشرعية وبين الواقع وتطوره، ببراعة فقهية في النقول والأسلوب والتبويب.

١.٢ . نسبته إلى مؤلفه:

ما يصل إلى حد القطع والجزم ما أثبتته المصادر المترجمة له، فقد نسبه إليه كل من التنبكتي في نيله بقوله: « ولصاحب الترجمة تأليف في الوثائق سماه المذهب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق في مجلد»^(١) ، ونفسه عند الحفناوي في تعريف الخلف، وعادل نويهض في معجمه، والخطيب البغدادي في إيضاح المكنون^(٢).

٢.٢ . موضوعه:

هو تلك الأحكام من حيث الكتابة في الفقه وعلم الوثائق، استقاها من أمهات مصادر المذهب، وأخذ بعضها من العادات والأمور الاستحسانية، من حيث كون ترتيبها موافقاً لقوانين الشعع، وربما من فروع الأدب لاعتبار تحسين ألفاظها، وهي خطوة من المؤلف تقرب مضمون ما حضر من إصلاح لمشاريع القضاء، في قراءة تصل إلى التعبير عن الكائن والممكن فيها وفق اختيارات المذهب المالكي، وقد ابتدأه ببيان أهمية القضاء، وصفة القاضي، وأرذاق القضاة، وكتب القضاة إلى القضاة، ثم ما يتعلق بالشاهد من أحكام، ومراتب الشهادات، ثم ضمنه أحكاماً تتناول أبواب الفقه كالنکاح والبيع والصلح والإقرار والسلم والإجارة والمساقات وغير ذلك.

(١) التنبكتي، نيل الاتهاج، ص ٦٠٦.

(٢) البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين مير سليم (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م)، إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٦٠٨.

أما القصد من تأليفه هو الفقه والأحكام الضابطة للوثائق من خلال شروط توقي خطة القضاء، إذ لم يعن المصنف ببيان تقييد الوثائق، وما ورد من نماذج للوثائق قليل جدًا جاء في معرض التمثيل والتوضيح، فاصلًا به الطلبة والمتدربين المبتدئين في مجال التوثيق والقضاء، يعودون إليه في أحکامهم، ودافعه في ذلك أن خطة القضاء في عصره تسلط عليها الجهة وإخوان السوق المتفقهين⁽¹⁾، ناهيك عن ثبات العقل الفقهي وتوقفه عن الاجتهاد⁽²⁾، وحاجة الفقه وأبوابه إلى التجديد، خاصة في مجالاته التطبيقية، بل الأكثر من ذلك دخول الخطط الفقهية في حالة من الاختلال والقصور تجلت في فساد منظومة القضاء والتوثيق، خصوصًا قضاة الادية الذين طالهم نقده.⁽³⁾

3.2 . مصادر:

منح أبي عمران « مذهبه » أهمية بالغة لضبط نصوصه وتوثيقه بمصادر أصلية، حيث نجده قد أغناه بحسن توظيفه لأمهات كتب الفقه المالكي، وكتب التوثيق والشروط، ناقلاً عنها أبرز آراء العلماء المعتمدين في المذهب، مع الاهتمام القليل بظاهرة التمثل بالنص القرآني والحديث النبوي الشريف، ومن أبرز المصادر التي

(1) المصدر نفسه، ورقة 14 و.

ويراجع: ملاك لين، علم التوثيق في المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2014 - 2015، ص 77، 78.

(2) بوبه مجاني، " كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي - العصر الزياني أنمودجا "، أعمال الملتقى الدولي « التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور »، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري - قسنطينة، 2001، ص 147، 148.

(3) المذهب الرائق، ورقة 99 و.

اعتمد عليها في التأليف بناءً على المسائل المختارة للدراسة والتحقيق «مسائل الغائب»، نجدها في سماع عيسى، وفي سماع ابن القاسم «نوازل أصبع»، و«المدونة الكبرى»، و«الواضحة في السنن والفقه» لابن حبيب، و«العتيبة» لأبي عبد الله القرطبي، و«وثائق ابن مزين»، و«منتخب الأحكام» لابن أبي زمین، و«البيان والتحصيل» لابن رشد، و«الذخيرة» للقرافي، ونوازل ابن سهل، ونوازل أبي عبد الله التجيبي.

3. وصف النسخة المعتمدة في التحقيق ونماذج منها:

1.3 . وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

عنوان المخطوط: المذهب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق.

مؤلف المخطوط: أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت بعد

1674هـ / 1874م).

ناسخ المخطوط: /

تاريخ النسخ: 1248هـ / 1832م.

عدد الأوراق: 243 ورقة.

المقياس: 12 × 27 سم.

المسطرة: 31 سطر

عدد الكلمات في السطر:

نوع الخط: مغربي نسخي.

مكان المخطوط: متحف سيرتا - قسنطينة (الجزائر).

بداية المخطوط: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

وآله وصحبه وسلم، قال الشيخ الإمام الورع الفاضل أبو يحيى موسى بن عيسى بن
يحيى المغيلي المازوني رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين آمين، الحمد لله الذي صفا بواسط

العلماء من الجهة، وحال ظواهرها بأنوار التعظيم والجلالة، وأطلع على قلوبهم شمس اليقين، وأوضح لهم آثار المهددين، والصلوة التامة والسلام الأكمان على رسوله المصطفى الأمين، وعلى آله وأصحابه الأكرمين صلاة تامة زاكية إلى يوم الدين، أما بعد فإن معرفة الأحكام الشرعية أعلى بضاعة، والتحلي بحلية التوفيق لمن توفرت فيه شروطه أرفع صناعة، فإن العلم لخلاص طلبه أفضل الأعمال...».

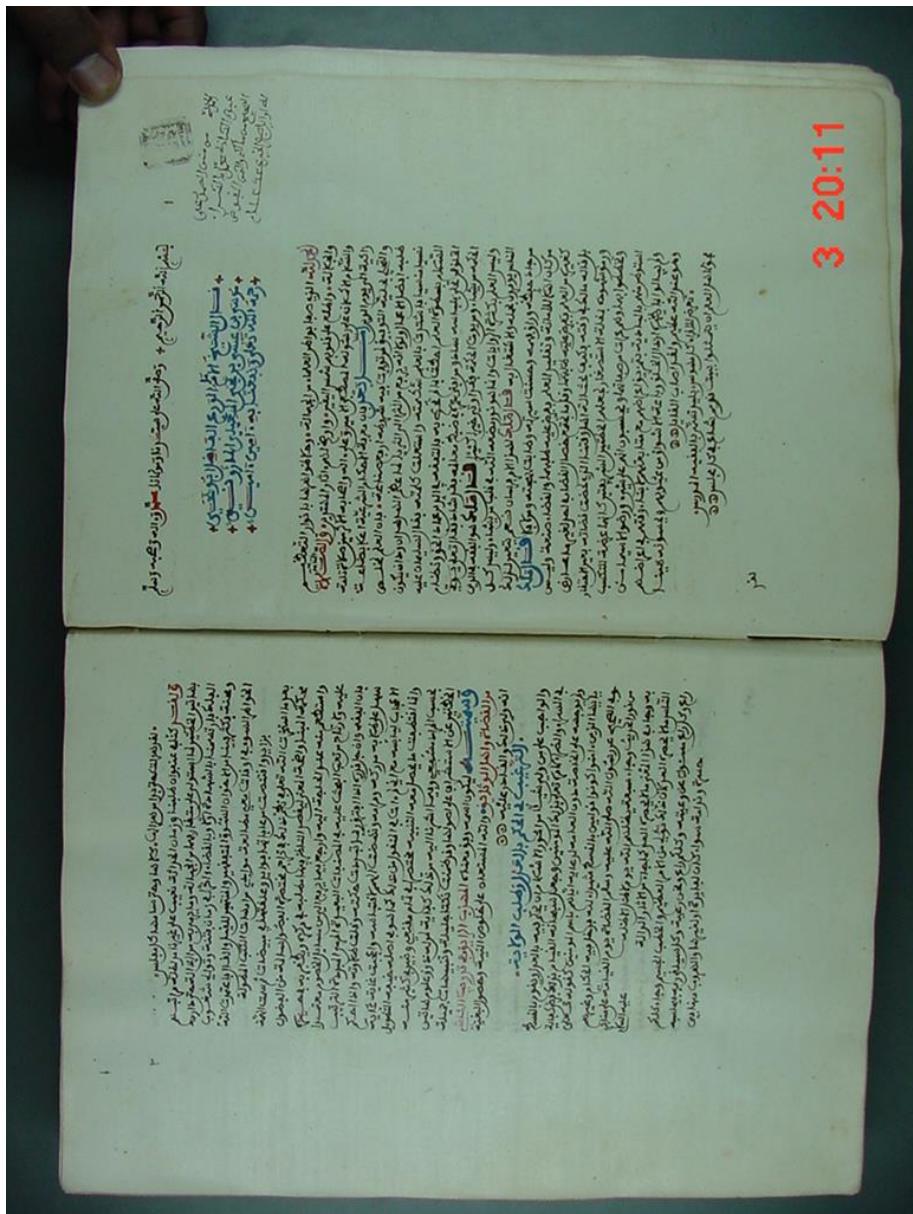
نهاية المخطوط: «... وهكذا ينبغي إذا أقررت هي ولم يعلم منه إنكار أنه يرثها وفي توريثها بغير الطاري خلاف، إلا أن يكون معها ولد وأقر بنكاحها وأن هذا ولدي فيرثانه معًا، لأن استلحاقه له قاطع للتهمة ورافع لها عن عندهم أبو عمرو في الإقرار بوارث غير الزوج والولد قوله، انتهى والله الموفق للصواب، انتهى الكتاب بإعانته الملك الوهاب، وصلى الله على سيدنا وموانا محمد أفضل من أوفي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم المثاب والحمد لله رب العالمين».

ملاحظات: تمليك لشخص يدعى ابن الشاذلي اشتراه بثمن معلوم سنة

1294هـ / 1877م.

3.2. نماذج من مسائل النسخة المعتمدة في التحقيق:

20:11

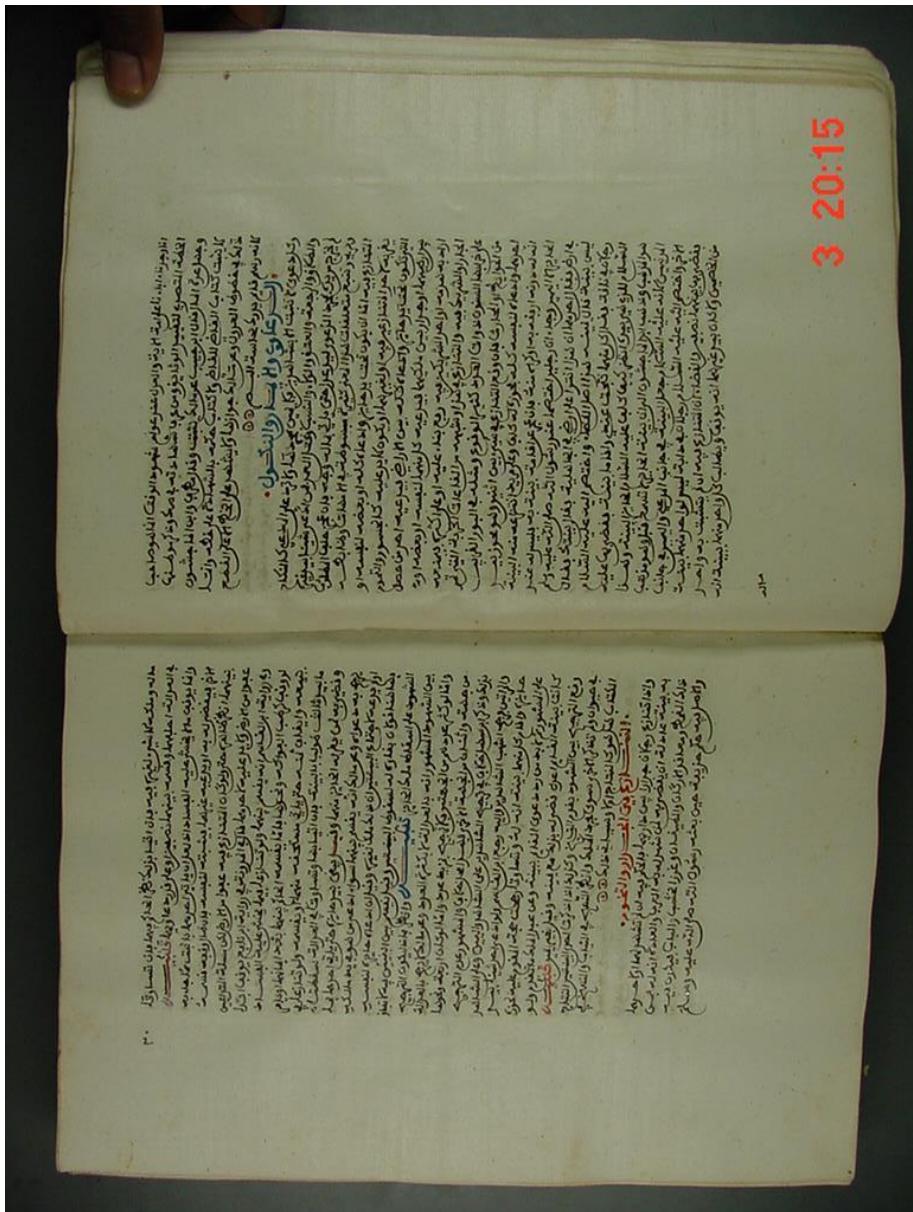


مقدمة المخطوط

لـ**الـمـلـكـ،ـالـمـهـمـ،ـوـالـسـلـاـمـ،ـوـالـحـلـمـ**
ـعـلـىـهـنـأـوـكـلـيـةـالـمـهـمـ،ـوـالـسـلـاـمـ،ـوـالـحـلـمـ

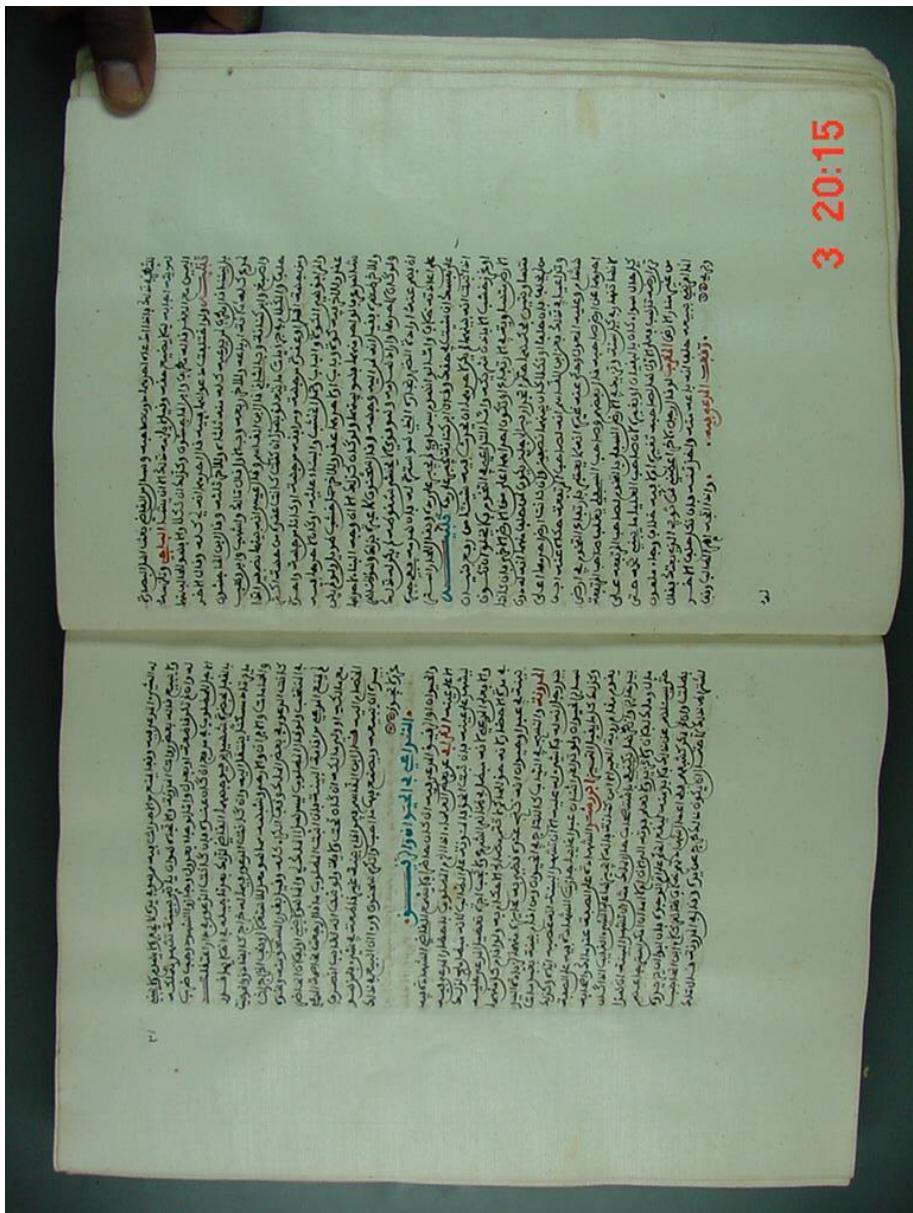
مکتبہ اسلامیہ دہلی

خاتمة المخطوط



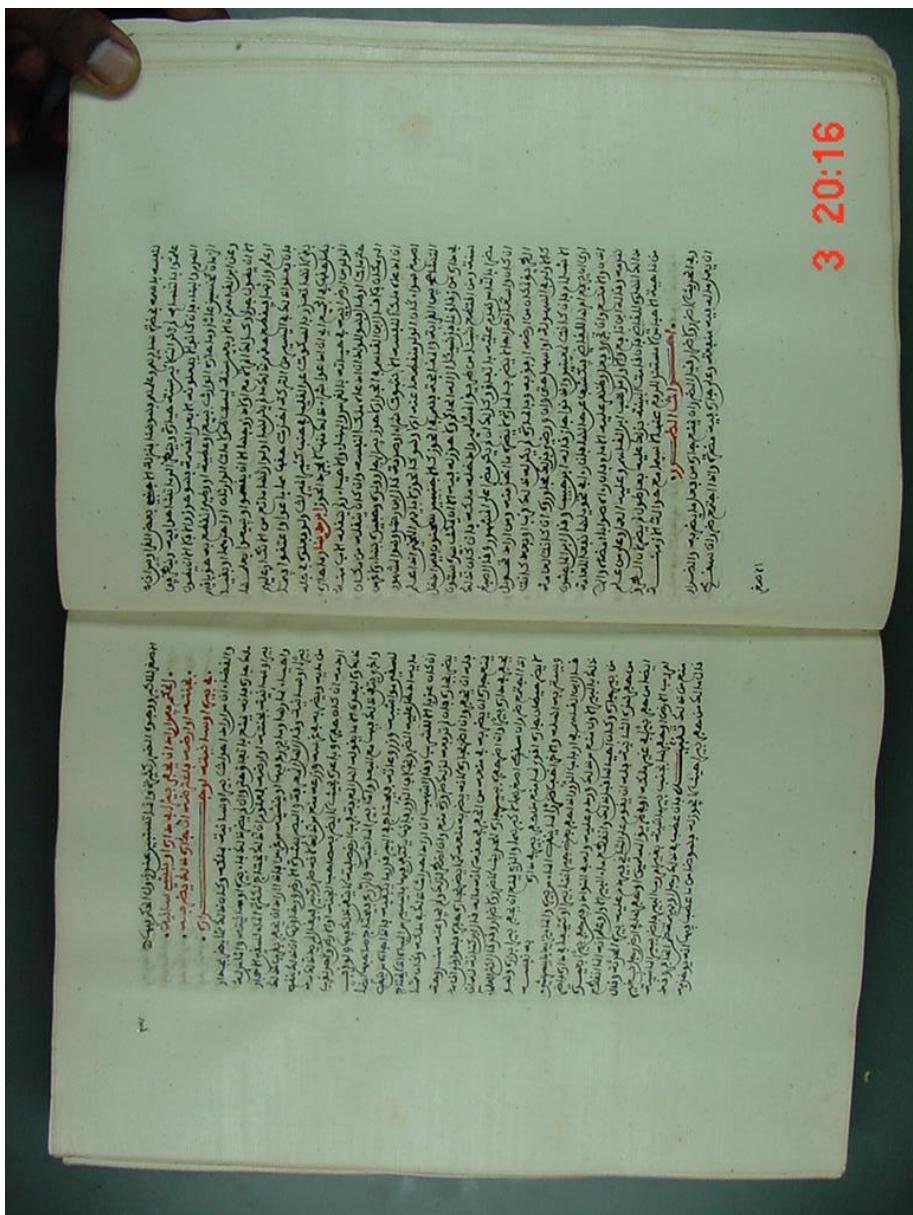
الورقة 26 و [مسألة] : التنازع في الجدار والتخوم

3 20:15



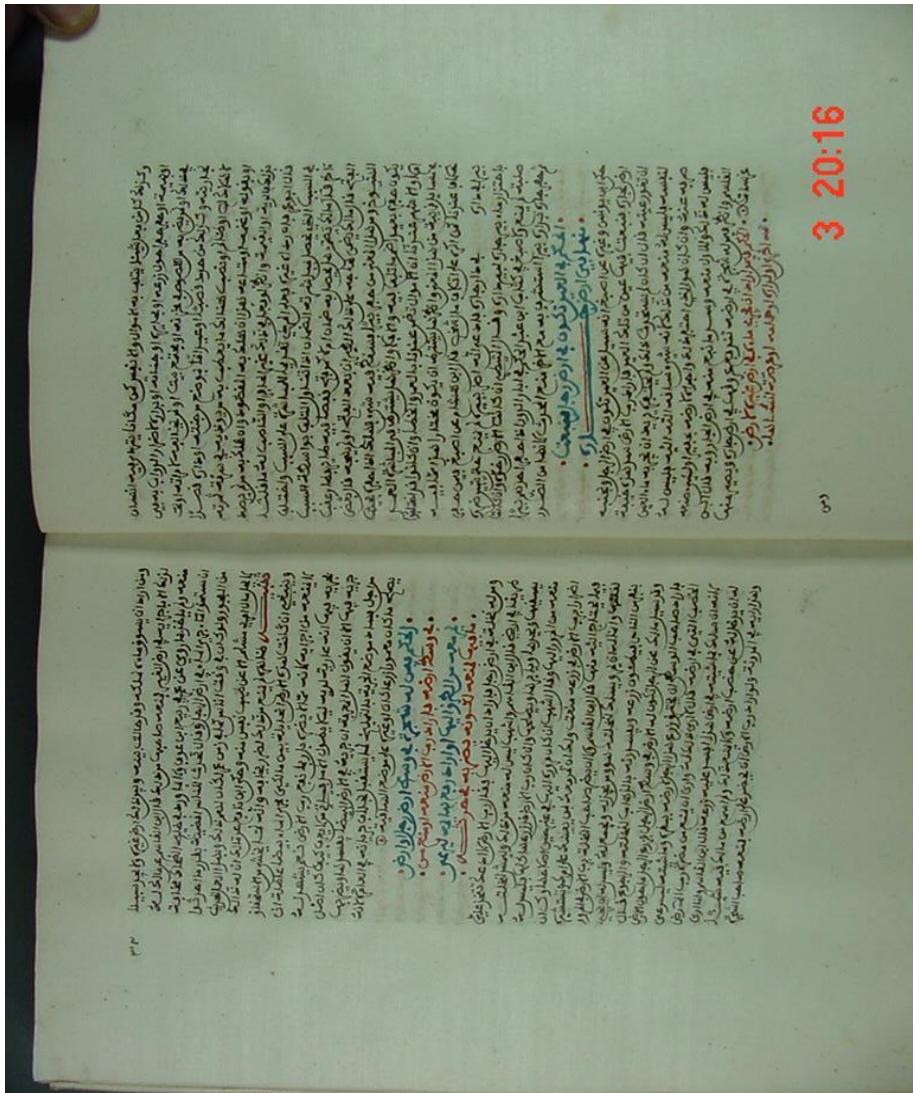
الورقة 26 ظ [نهاية مسألة]: التنازع في الجدار والتخوم

3 20:16



الورقة 37 و [مسألة]: الحكم فيمن أراد أن يحفر بئراً في داره أو ينشئ سانية

بجنته أو أرضه فاعتراضه جاره أن ذلك يضر به في بئره أو سانيته أو جداره



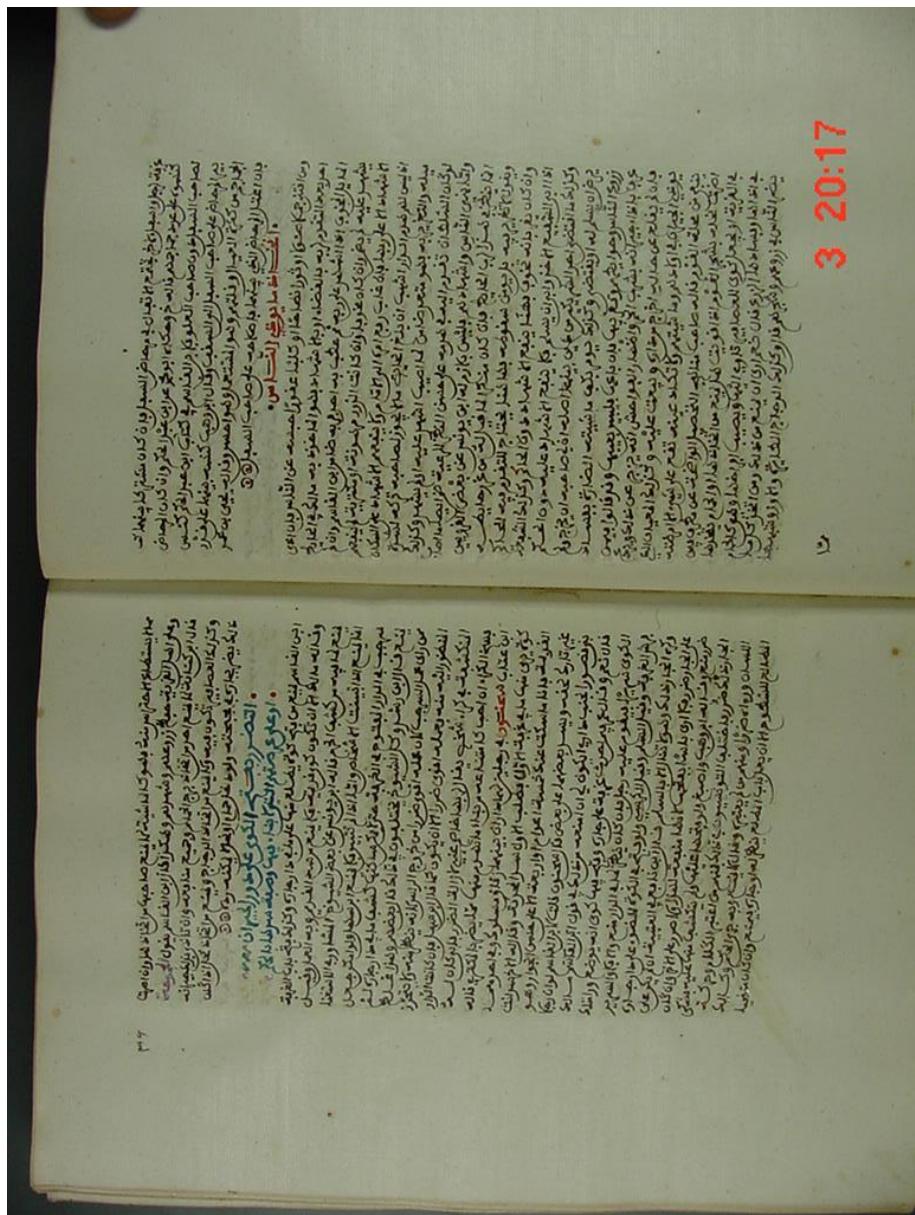
الورقة ٣٧ ظ [نهاية مسألة]: الحكم فيمن أراد أن يحفر بئراً في داره أو ينشئ سانية بجنته أو أرضه فاعترضه جاره أن ذلك يضر به في بئره أو سانيته أو جداره و[مسألة]: الحكم في العين تكون في أرض جار فبعت منها في أرض جاره

فَلِلَّهِ الْحُكْمُ وَالْمُرْسَلُونَ

3
2

الورقة 39 و [مسألة]: ما يحاز من الضرر وما يجب قطعه

الكتاب



**الورقة ٤٠ و [مسألة]: التضرر بفتح الكوى على دور الجiran أو على
عرصهم التي لا بناء فيها وصفة سدّها بالحكم**

3 20:17

فِي الْكُلُّ لِمَنْ يَرِيدُ
وَالْمُؤْمِنُونَ مُهَاجِرُونَ
أَعْلَمُ بِمَا هُنَّ عَلَىٰ
أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ
أَنْتُمْ أَعْلَمُ
بِمَا تَرِدُونَ

سُورَةُ الْأَنْتَرَاءِ

الْأَنْتَرَاءُ

فِي الْكُلُّ لِمَنْ يَرِيدُ
وَالْمُؤْمِنُونَ مُهَاجِرُونَ
أَعْلَمُ بِمَا هُنَّ عَلَىٰ
أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ
أَنْتُمْ أَعْلَمُ
بِمَا تَرِدُونَ

الورقة 2 ظ [مسألة]: فِيمَنْ فَتَحَ بَابًا أَوْ حَانُوتًا قَبْلَةَ بَابِ جَارِهِ

3 و [مسألة]: الإِحْدَادُ فِي الْطَرِيقِ

الورقة 3 و [مسألة] : التضرر بالأشجار

المحور الثاني: تحقيق المسائل المختارة

[مسألة]: التنازع في الجدار والتخوم⁽¹⁾

وإذا تنازع رجالان جداراً بين داريهما، فالحكم فيه إن لم تشهد لها أو لأحدهما به بُيّنة عادلة، أن يقضي به من شهد له بالعرف والعادة أنه له، فمن ذلك القُمط⁽²⁾

(1) بضم أوله وثانية (جمع: قُمْطُ)، وهو حد الأرض. ينظر: الفيومي أحمد بن محمد المقرئ (770 هـ / 1368 م)، *المصباح المنير*، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، 1987، ص 42.

(2) واحدها قساط، ومعناه: الشَّدُّ، ومنه قَمَطَ الصَّبِيُّ: لفَّه في الخرق. ينظر: الزبيدي مرتضى محمد بن محمد الحسيني (ت 1205 هـ / 1790 م)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق: علي هلاي، مراجعة: مصطفى حجازي وآخرون، ج 20، ط 1، الكويت، 2001، ص 54.

وسر بعضهم بأنه ما يُشَدُّ به وجه الحائط ويمنعه من الانتشار، وقيل: السواري تبني في الحائط. ينظر: الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي (914 هـ / 1508 م)، إياض المسالك إلى قواعد الإمام مالك، تحقيق: أحمد بوظاهر الخطابي، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، 1980، ص 392. المنجور أحمد بن علي المنجور (ت 995 هـ / 1586 م)، *شرح المنهج* المنتخب إلى قواعد المذهب، تحقيق: محمد الشيخ الأمين، دار عبد الله الشنقيطي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص 444. مياره الفاسي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (ت 1072 هـ / 1661 م)، *الإنقاذ والإحکام شرح تحفة الحکام*، تحقيق: محمد عبد السلام محمد سالم، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 460، 461. النفراوي أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا الأزهري المالكي (ت 1126 هـ / 1714 م)، *الفواكه الدواني* على رسالة ابن أبي زيد القبرواني، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد الوارث محمد علي، ج 2، ط 1، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1997، ص 386. التسولي أبي الحسن علي بن عبد السلام (1258 هـ / 1844 م)، *البهجة في شرح التحفة*، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، ج 2، ط 1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1998، 1999.

ومعاقد الأركان والطيقان وغرز الخشب⁽¹⁾ والباب فيكون فيه، والأصل فيه حكم حذيفة [بن اليمان]⁽²⁾ حين يعثه رسول الله ﷺ / 26 و / للنظر في ذلك⁽³⁾، فإذا ادعاه



. 340، 341 ص

(1) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا يمنع أحدكم جاره أن يغرس خشبته في داره ». أخرجه: مسلم في صحيحه [كتاب المسافة / باب: غرز الخشب في جدار الجار]، حديث رقم: 1609 . 136 ص

قال النووي: « واختلف العلماء في معنى الحديث هل هو على الندب إلى تكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره أم على الإيجاب؟ وفيه قولان للشافعي وأصحابه مالك أصحابها في المذهبين: الندب؛ وبه قال أبو حنيفة والковيون، والثاني: الإيجاب؛ وبه قال أحمد وأبو ثور وأصحاب الحديث، وهو ظاهر الحديث ». ينظر: النووي أبو زكريا محي الدين بيبي بن شرف الشافعي (ت 476هـ / 1277م)، شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1929، ص 47، 48.

(2) أبو عبد الله حذيفة بن حسيل بن جابر العبسي الياني الأزدي، من أعيان المهاجرين، حدث عنه زيد بن وهب، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وهمام بن الحارث وغيرهم، له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم سبعة عشر حديثاً، توفي بالمدائن بعد عثمان. له ترجمة في: الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله عثمان (ت 748هـ / 1374م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1996، ص 391 - 369 .
الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، قدم له وقرظه: محمد عبد المنعم البري وآخرون، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995 ، ص 40 . ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852هـ / 1448م)، تهذيب التهذيب، ج 1 ، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 367 .

(3) من حديث نمران بن جاري عن أبيه أن قوماً اختصموا إلى النبي ﷺ في خصّ كان بينهم فبعث حذيفة يقضي بينهم، فقضى للذين يليهم القُمُطُ، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبره فقال: أصبت

أحد هما دون صاحبه، وسائل من القاضي؟ بعث أهل البصارة لرؤيته، أجابه لئلا يضيع حقه، وقيل: لا يلزمه ذلك إلا أن يشاً، الباقي⁽¹⁾: وتلزمه اليمين مع العقد، قاله مُطرف⁽²⁾ وابن الماجشون⁽³⁾، وكذلك إن نكلا، وإن فهو للحالف منها.



وأحسنت. أخرجه: ابن ماجه في سنته [كتاب: الأحكام / باب: الرجالان يدعيان في خصّ]، حديث رقم: 2343، ص 433. والبزار في مسنده (مسند جارية بن ظفر الحنفي)، حديث رقم: 3791، ج 9، ص 251.

(1) الباقي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أبي يوب المالكي الأندلسي (ت 494هـ / 1100م)، المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، ج 5، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 235.

(2) أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن سليمان بن يسار الملالي المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وهو ابن أخت مالك بن أنس، روى عن مالك وابن أبي الزناد وابن الماجشون وغيرهم، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم، والبخاري في الصحيح، توفي في صفر سنة 220هـ / 835م، وقيل: 214هـ / 829م. له ترجمة في: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ / 869م)، التاريخ الكبير، مراقبة: محمد عبد المغني خان، ج 7، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 397. عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ / 1149م)، ترتيب المدارك وتقرير بالمسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 358. الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 772هـ / 1370م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 147.

(3) أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون المدني، اسمه ميمون، ولقبه أبي سلمة، والماجشون صيغ يكون بالمدينة، تفقه على يد والده والإمام مالك وإبراهيم بن سعد، وروى عنه سليمان بن داود المصري وعمرو بن علي، توفي سنة 212هـ / 827م. له ترجمة في:

ولو اختلفت دعواهما فيه، قال أحدهما: أنه لي كله، وقال الآخر: بل بيننا، قال مُطْرِفٌ: مَنْ يَدْعُهُ مِنْهُ ثَنَاهُ وَلِلآخرَ ثُلَّهُ، وقال ابن الماجشون: مَدْعُ كُلِّهِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ وَلِلآخرِ رَبْعُهُ، وبالأول قال مالك وأشبـه⁽¹⁾ وابن وهـب⁽²⁾ وأصيـغ⁽³⁾ وابن كنانـة⁽¹⁾،



البخاري، التاريخ الكبير، ج 5، ص 424. عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 1، ص 36. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 6، ص 408.

(1) أبو عمرو وأشبـه بن مسـكـينـ بن داودـ الـقـيـسيـ بن إبرـاهـيمـ المعـافـريـ الجـعـديـ منـ ولـدـ جـعـدةـ بنـ كـلـابـ بنـ رـبيـعةـ بنـ عـامـرـ، اسـمـهـ مـسـكـينـ، وأـشـبـهـ لـقـبـهـ، ولـدـ سـنةـ 140ـ هـ / 757ـ مـ، وـقـيلـ سـنةـ 150ـ هـ / 767ـ مـ، روـىـ عنـ مـالـكـ وـالـلـيـثـ وـالـمـنـذـرـ بنـ عـبـدـ اللهـ الـخـازـاميـ، وـرـوـىـ عنـهـ بنـ عـبـدـ الـحـكـمـ وـسـجـنـونـ بنـ سـعـيدـ، كـانـتـ لـهـ رـئـاسـةـ الـمـذـهـبـ بـعـدـ اـبـنـ الـقـاسـمـ، تـوـفـيـ بـمـصـرـ فـيـ رـجـبـ سـنةـ 204ـ هـ / 819ـ مـ، وـقـيلـ سـنةـ 203ـ هـ / 820ـ مـ، مـنـ تـصـانـيـفـهـ: «ـكـتـابـ فـيـ اـخـتـالـفـ الـقـسـامـةـ»ـ، «ـكـتـابـ فـيـ فـضـائـلـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ»ـ. لـهـ تـرـجـمـةـ فـيـ: عـيـاضـ الـقـاضـيـ، تـرـتـيبـ الـمـارـكـ، جـ 1ـ، صـ 447ـ.

البخاري، التاريخ الكبير، ج 2، ص 57. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 1، ص 359.

(2) أبو محمد عبد الله بن وهـبـ بن مـسـلـمـ الـفـهـرـيـ الـمـصـرـيـ، مـنـ أـصـحـاحـ مـالـكـ، جـمـعـ بـيـنـ الـفـقـهـ وـالـحـدـيـثـ وـالـعـبـادـةـ. لـهـ تـرـجـمـةـ فـيـ: الـذـهـبـيـ، تـذـكـرـةـ الـحـفـاظـ، جـ 1ـ، صـ 279ـ. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 6، ص 7.

وابن فـرـحـونـ بـرهـانـ الدـيـنـ إـبـراهـيمـ بـنـ عـلـيـ (ـتـ 1396ـ هـ / 799ـ مـ)، الـدـيـاجـ الـمـذـهـبـ فـيـ مـعـرـفـةـ أـعـيـانـ الـمـذـهـبـ، تـحـقـيقـ: عـلـيـ عـمـرـ، طـ 1ـ، مـكـتـبـةـ الـثـقـافـةـ الـدـينـيـةـ، الـقـاهـرـةـ، 2006ـ، صـ 132ـ.

(3) أبو عبد الله أصـيـغـ بنـ الفـرجـ بنـ سـعـدـ، سـكـنـ الـفـسـطـاطـ، روـىـ عنـ الدـراـورـيـ، وـعـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ زـيـدـ عـنـ أـسـلـمـ وـغـيرـهـماـ، وـعـنـهـ الـبـخـارـيـ وـالـذـهـلـيـ وـغـيرـهـماـ، وـعـلـيـهـ تـفـقـهـ اـبـنـ الـمـواـزـ، وـابـنـ حـبـيـبـ وـغـيرـهـماـ، تـوـفـيـ سـنةـ 225ـ هـ / 839ـ مـ، مـنـ مـصـنـفـاتـهـ: «ـكـتـابـ الـأـصـوـلـ»ـ، «ـغـرـبـ الـمـوـطـأـ وـالـرـدـ عـلـىـ

وبالثاني قال ابن القاسم⁽²⁾، وقال عيسى [بن دينار]⁽³⁾: «أنه بينهما نصفين إذا حلفا»⁽⁴⁾، والكلام في جزئيات ما يتعلق بهذا إن كانوا عقدة من جهة أكثر ومن جهة أقل، أو عقدة من جهة ومرافقه من جهة، أو كانوا من جهة واحدة، والمرافق هي



أهل الأهواء». له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 2، ص 56. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 1، ص 327، 328.

(1) عثمان بن عيسى بن كنانة المدني، لازم الإمام مالك وجلس في مجلسه بعد وفاته، توفي سنة 198هـ / 813م، وقيل سنة 186هـ / 802م. له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 1، ص 292، 293. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 146.

(2) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، عرف بابن القاسم، تفقه بالإمام مالك واللبيث بن سعد ومسلم بن خالد وغيرهم، وعنه أصيغ وسخنون وابن عبد الحكم ويحيى بن يحيى اللبيسي، توفي بمصر سنة 191هـ / 806م، روى المدونة عن مالك. له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 6، ص 252. عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 2، ص 433. والذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ / 1347م)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 356، 357.

(3) أبو محمد عيسى بن دينار بن وهب القرطبي، الفقيه العابد، لم يسمع من مالك، وسمع من ابن القاسم وصحابه، وله عشرون كتاباً في سماعه عنه، توفي سنة 212هـ / 823م له ترجمة في: ابن فرحون، الدبياج المذهب، ج 2، ص 6.

ومخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360هـ / 1941م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد الحميد خيالي، ج 2 ن 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003، ص 66.

(4) التطيلي عيسى بن موسى (386هـ / 996م)، كتاب الجدار، دراسة وتحقيق: إبراهيم بن محمد الفايز، ط 1، دار روائع الكتب للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1996، ص 227.

الكُوَّة⁽¹⁾ والباب وحمل الخشب والبناء عليه، أو كان لأحد هما فيه عقد وللآخر فيه كوة وباب، أو لأحد هما وللآخر حمل خشب طويل، ولو لم يكن شاهد عرف لواحد منها، فهو بينهما ولو كان كذلك، إلا أن وجه البناء لأحد هما وللآخر ظهره، فقيل: أنه لمن إليه وجهه، وقال سحنون⁽²⁾: لا عبرة بذلك وهو ظاهر ولو كان لأحد هما وأراد هدمه وهو قوي لا يخشى سقوطه لم يكن له ذلك إن فهم عنه إرادة الضر وبجراه الذي هو سترة له، فإن هدمه ففي جبره على إعادته خلاف، وأما لو انهدم بساوي لم يجبر على ردءه، ويقال للجار: أستر على نفسك إن شئت في حركك، وقال ابن كنانة: يجبر على

(3) ردء.

(1) جمعها كَوَافٌ وَكِوَافٌ وَكُوَّي، والكُوَّة: الخرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء. ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، جمهورية مصر العربية، 2004، ص 806.

(2) أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني، ولد بالقيروان سنة 160 هـ / 776 م، رحل إلى المدينة فصحح الأسدية (أجوبة ابن القاسم لابن الفرات)، فكانت المدونة الجامعة لآراء مالك وابن القاسم، توفي سنة 240 هـ / 854 م. من تصانيفه: «المدونة الكبرى»، «التنبيه على مبادئ التوجيه»، «المقدمات المهدات»، «الشرح الصغير على تهذيب البرادعي». له ترجمة في: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص 132، 133.

وابن العميد أبو الفلاح عبد الحفي (ت 1085 هـ / 1674 م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 2، دار المسيرة، بيروت، 1979، ص 94. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 453 هـ / 1061 م)، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القиروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: البكوش بشير، مراجعة: المطوي محمد العروسي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1983، ص 249.

(3) ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 220، 221.

وابن أبي زيد القيرواني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 386 هـ / 996 م)، النوادر والزيادات

إذا ثبت أنه بينهما لم يكن لأحدهما أن يحدث فيه شيئاً من رفع بنيان، أو غرز خشب إلا بإذن شريكه، وأما التداعي في التخوم فلا يخلو أن تكون الأرض متساوية في الارتفاع، أو تكون إحداهما أعلى من الأرض الأخرى، فإن كانتا متساويتين، فحكمهما حكم الجدار بين الرجلين يكون من حلف منها أنه دون من لم يحلف، فإن حَلَّا أو نَكَلاً كان بينهما نصفين⁽¹⁾، وإن كانت أرض أحدهما أعلى وتداعياً في ذلك، فعن ابن القاسم: أنه لصاحب المترفة، حكاه عنه ابن هشام وعليه المعول، وحكى عنه غيره: أنه لا يعتبر بارتفاع التخوم في أرض أحدهما عن أرض صاحبه، قال بعضهم: وصاحب السفل يطلب صاحب المترفة، لأنها تنهار في كل سنة، وتزيد في الأرض السفل بالتخوم لصاحب المترفة على كل حال، سواءً كان بالبنيان أو بغيره، لأن صاحب العليا ما يبني تخمه حتى ترى أرضه تذهب، فعلى الأول هل لصاحبه تغیره أم لا؟ فيه خلاف، وجاء ملعون من غير منار الأرض⁽²⁾، المقرب: لو قال رجل



على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ج 11، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 103.

(1) ابن أبي زيد القيرواني، النواذر والزيادات، ج 11، ص 103.

(2) عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ملعونٌ من غير تخوم الأرض». أخرجه: الحاكم في مستدركه (كتاب: الحدود)، حديث رقم: 8052، ج 4، ص 396. وابن حبان في صحيحه [كتاب: الحدود / باب: الزنى وحده]، حديث رقم: 4417، ج 10، ص 265، 266. والهيثمي في جمجم الزوائد [كتاب: الإبيان / باب: في الكبائر]، حديث رقم: 384، ج 1، ص 505، 506.

لآخر أعطني ثمن ثوبي الذي بعتك، فقال: إنما أمرتني ببيعه حلف أنه باعه منه وأخذ ثمنه، فإن نكل حلف الآخر وبرئ.⁽¹⁾

وقف المدعى فيه:

وإذا اتجه أمر الطالب، وقف / 26 ظ / له الشيء المدعى فيه وقفًا يمنع من الإحداث فيه من هو في يده، لا يحفر ولا يهدم ولا يبني ولا يبيع، قاله بعض رواة المدونة، وإن تجده هو أن يأتي ببيئة تشهد بتملكه له، وإن لم تكن له قاطعة، أو بعدل، وأما لو جاء بعدول وجازوا الشهود، وجب ضرب الأجل للمطلوب في مدفع إن كان عنده، فإن كانت الدعوى في دار اعتقلت بالقفل بحضور سيدين يوجههما القاضي لذلك بعد تأجيله في إخلائهما، فرد ما يرتاد مسكنًا يتقل إلية، وإن كانت الدعوى فيما له خراج، كالفنادق والحوانيت والحمامات والأفران⁽²⁾ والأرحى، وشبهه مما هو معد للاستغلال، وقف الخراج إن كانت الدعوى في بعض الملك، وقف الكراء كله، وقيل:

(1) ذهب ابن العطار إلى أن الثوب إن كان بأيديها يتاجذبها، يقول الواحدلي نصفه، والثاني له كله، حلفاً وقسم بينهما، لأن مدعى النصف نصفه بيده، والجدار بأيديها، وإن كان الثوب بيد غيرهما كان مدعى النصف ربعه، وللمدعى الكل ثلاثة أرباعه بعد أبيهانها، لأن مدعى الكل يقول لمدعى النصف أنت مقر لي بالنصف ولا تنازعني فيه، وانا أنازعك فيه، فيقسم بينهما النصف الثاني بعد أبيهانها. ينظر: ابن العطار محمد بن أحمد الأموي (ت 399 هـ / 1009 م)، كتاب الوثائق والسجلات، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب. شاليتا وف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدرید، 1983، ص 122.

وانظر: ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 14، ص 189. التسولي، البهجة، ج 2، ص 141.

(2) الذي يُخبِّز عليه غير التنور، والفرني الخبز نفسه، وقيل: الفرن الخبزة، ينظر: الفيومي، المصباح المير، ص 179.

بقدر المستحق منه، ونحوه في المنتخب⁽¹⁾، ولو قال المطلوب: ليس هذا الملك لي، وإنما هو لابني وللأبناء الحاضر لم يمنع المدعى من إقامة البينة، فإن أثبت المطلوب ما قال، رجعت لخاصة المدعى مع مالكه، أوولي مالكه إن كان تحت ولاية، ولو ثبت أنه لغائب انصرف الخصم إليه، قال ابن القاسم: فيمن أقام ببينة غير قاطعة في شيء بشمن هو بيده أن يبيعه ويصنع فيها ما أحب وأنكره سخون، ورأى أن البيع في ذلك غرر لا يجوز.⁽²⁾

[مسألة]: الحكم فيما أراد أن يحفر بئراً في داره أو ينشئ سانية⁽³⁾ بجنته أو

أرضه فاعتراضه جاره أن ذلك يضر به في بئره أو سانيته أو جداره

والقضاء أن من أراد إحداث بئر أو سانية بملكه، وكان ذلك مما يضر بجدار ملك جاره، فإنه منع باتفاق، حتى وإن لم يضر ذلك بماء بئره أو سانيته، وأما من له بئر، أو سانية بجنته، أو أرضه، فمعلوم أن ذلك يحتاج لكترة الماء لسقي الأشجار وإحياء ثمارها وما يزرع فيها، أو ينشئه من غرس، فإذا أراد أن يحفر بقرب ذلك بئراً أو سانية، وقال أهل المعرفة والبصر بشدة الأرض ورخائها، أن ذلك ينقص من مائه ويضر به في غرسه وزرعه منع من ذلك، لأنه ضرر كبير، فيقال لمزيد ذلك أردمه إن كان حفره،

(1) ابن أبي زمين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى (ت 399هـ / 1008م)، منتخب الأحكام، تحقيق: عبد الله بن عطية الرداد الغامدي، ط 1، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، 1998، ص 249، 250.

(2) المدونة، ج 5، ص 187.

(3) بمعنى: الساقية، وهي الغرب وأداته، والنافقة يسمى عليها. ينظر: الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ / 1414م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ج 4، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص 345.

وباعده بحيث لا يضر به صاحب الجنة أو الأرض، ولا حد لقرب ذلك ولا لبعده، إلا ما يقوله أهل المعرفة، فرب أرض صلبة لا يتقى ذلك فيها ولو قرب، وأخرى يتقى ذلك فيها مع البعد، وأما بئر الماشية والزرع فيحتاج صاحبها أيضًا لسقي مواشيه وزروعاته، فيحتاج في البئر قدر ما يكتفي، فإذا جاءه من ينقصه ماءه أدخل عليه الضرر، وبخلاف الدور فإنها يكتفي باليسير من المياه، إذ لا يحتاج إن كان عذبًا إلا للشرب، قال أشهب: إن أراد إحداث ذلك في ملكه وكان مما يضر بجاره، لم تدفعه لذلك ضرورة منع إن اضطر لذلك ولم يجده منه مندودة، فله أن يحفر وإن أضر بجاره لأنه يضر به منعه كما يضر بجاره حفره، فهو أولى أن يمنع جاره أن يضر به في منعه من الحفر في حقه لأنه ماله، قال ابن كنانة: له أن يحفر في داره بئرًا، وإن أضر حفره بئر جاره للحديث: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارٌ»⁽¹⁾، وقد قال أكثر العلماء: إذا اجتمع ضرaran سقط أصغرهما لأكبرهما⁽²⁾، والذي يمنع أن يحفر بداره وهو لا يضر حيطان جاره أقوى لما منع من حفر بئر في داره به نفسه ويستر به أهله، والآخر أخف ضررًا لما ينقص الماء من بئره والماء يزيد بآيسير شيء، قال ابن القاسم في أرباب الدور: إذا حفر بعض جيراننا بئرًا أو كنيفًا في داره فأضر ذلك بالبئر الأولى منع من ذلك وردم عليه،

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [كتاب: إحياء الموات / باب: من قضى فيما بين الناس بما فيه صلاحهم ودفع الضرر عنهم على الاجتهاد]، حديث رقم: 11878، ج 6، ص 258. وابن ماجه في سننه [كتاب: الأحكام / باب: من بنى في حقه ما يضر جاره]، حديث رقم: 2340، ص 432.

ومالك في الموطأ [كتاب: الأقضية / باب: القضاء في المرفق]، حديث رقم: 2171، ص 290.

(2) ابن تيمية أبو العباس تقى الدين أحمد عبد الحليم الحراني (ت 728هـ / 1327م)، مجموع الفتاوى، ج 23، ط 3، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 2005، ص 343.

وله في النوادر⁽¹⁾: فيمن حفر بئراً بعيدة من بئر جاره، وكان أحيا لها قبل ذلك، وانقطع ماء البئر الأول، وعلم أنه إنما انقطع من حفر هذه الثانية، فله أن يقوم على الثاني، فيردم عليه بئره المحدثة، وقال أيضاً: من حفر بئراً في غير ملكه أو في طريق المسلمين، أو حفرها في أرض رجل بغير أمر رب الأرض، أو حفرها بجنب بئر ماشية بغير أمر رب البئر فأضر بئر ماشية من ذلك.⁽²⁾

تبليغ:

فإن عطب في ذلك رجل أو بهيمة ضمن الحافر، وقد قال مالك⁽³⁾: من حفر بئراً حيث لا يجوز له، فهو ضامن ما عطب فيها أنه يؤخذ به / 37 و / وكذلك كل من فعل شيئاً يتلف به الأموال والأنفس، كمن [حفر] مكاناً يتزدري فيه إنسان أو بهيمة، أو حفر حفراً حول زرعه أو بحائمه أو جناته أو بداره لإضرار الدواب به في ذلك، أو لمريض به من اللصوص في مخزنه، أو مجتمع بيته، أو من يخالفه لامراته أو لجاريته، وكذلك من حدد قصباً أو عيداناً بوضع من جنته، أو دراه قصداً لإهلاكه، أو ظالم، أو نصب هنالك ما يعطب به من يؤذيه في سرقة ثمرته، أو بقوله أو غنمها أو متاعه هذا إن هلك به المقصود وإن علمك به من لم يرصد بذلك فالدية أو القيمة، وانظر لو فعل في ذلك غير الحافر أو الناصب له ما قلنا، قال أبو عمر: «إإن رداه غيره فعل المredi

(1) ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، ج 11، ص 14.

(2) المصدر نفسه، ج 11، ص 24.

وانظر: المدونة [كتاب: حريم الآبار / باب: فيمن حفر بئراً إلى جانب بئر جاره]، ج 15، ص 196.

(3) المدونة [كتاب: الديات / باب: ما جاء في رجل حفر بئراً على طريق المسلمين]، ج 15،

ص 245.

تقديمياً للمباشرة على السبب»⁽¹⁾، وخالف في السبب الذي يحصل ب مباشرته الضمان إذا تناول التلف بواسطة سبب تأخر، قال مالك: يضمن هل يحصل به ضمان أم لا؟ كمن فتح قفصاً فيه طائر فطار عقب الفتح، قال مالك: يضمن لها جهه على ذلك الطيران بعد الفتح أو لم ينجه، قال بعض الشيوخ: ومن هذا المعنى من حفر بئراً فسقط فيه شيء فهلك إذا حفره، بحيث يكون حفره بعيداً ضمن ما تلف فيه وإلا جلي، وانظر هل يشترط في المباشرة العمد أم لا؟ والأشهر عندنا أن الأموال تضمن عندنا بالعمد والخطأ، وإن كانوا قد اختلفوا في مسائل قريبة من هذا المعنى، وانظر هل يشترط أن يكون مختاراً؟ هذا ما فيه خلاف عندنا، كمن أكره على إتلاف مال شخص⁽²⁾، قال ابن هشام عن أصيبح: فيمن حفر بئراً في داره [بياض] في دار جاره، فادعى أنه أضر بيئره لم يمنع، حتى يتبين ضرره باحتراز ماء بئر جاره لبيع داره، وقال المتيطي⁽³⁾: إن كانت

(1) الرافعي أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني (ت 623هـ / 1226 م)، الشرح الكبير، تحقيق: علي محمد عوض وعتداً أحمد عبد الموجود، ج 5، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1997، ص 399.

(2) ابن رشد أبي الوليد محمد بن أحمد المالكي القرطبي (ت 520هـ / 1126 م)، بداية المجتهد ونهاية المقتضى، تحقيق: علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2015، ص 137.

(3) القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، يعرف بالمتطيقي السبتي الفاسي، أخذ عن أبي الحجاج المتطيقي وأبي محمد بن القاضي وغيرهما، له كتاب كبير في الوثائق يعرف بالمتطيقة، اعتنى به جماعة من أهل العلم، توفي سنة 570هـ / 1174 م. له ترجمة في: التنبيكتي، نيل الابتهاج، ص 314. كفاية المحتاج، ص 255. 2004. مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 163.

وابن القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن أبي العافية المكناسي (ت 1025هـ / 1616 م)، جذوة

الأرض رخوة، وإن كانت صلبة لم يمنع، ولأصبح في كتاب ابن عبد الحكم⁽¹⁾ في آبار الدور: إذا حفر أحدهم بئراً ثم حفر جاره بداره بئراً، استشرف به مع الآخر منع الحدث لأنها من الضرر.⁽²⁾

[مسألة]: الحكم في العين تكون في أرض جار فنبعت منها في أرض جاره

حكى ابن يونس⁽³⁾ وغيره عن أصيغ، أنه سئل عن العين تكون في أرض الرجل ونجبه أرض لجاره، فنبعت فيها عين من تلك العين، فأراد رب الأرض سد هذه



الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج 2، دار المنصور للطباعة والوراق، الرباط، 1973، ص 480.

(1) أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث المصري، سمع مالك والليث وغيرهما، كان صديقاً للشافعي، توفي سنة 214 هـ / 829 م، من مصنفاته: «المختصر الكبير»، «القضاء في البنيان»، «المناسك». له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 2، ص 523. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 5، ص 256. مخلوف، شجرة التور الزكية، ج 2، ص 59.

(2) ابن عبد الحكم، المختصر الكبير، ص 306، 307.

(3) أبو بكر (وقيل: أبو عبد الله) محمد بن عبد الله بن يونس، قميي النسب، اشتهر علىأسنة شرّاح خليل وأصحاب الحواشى عليه بابن يونس، أخذ عن ابن الحصائرى، وأبو الحسن القابسي، وأبو عمران الفاسى، وعنه عبد الكريم الصقلى، وعمر بن الخطاء القيسى، من تصانيفه: كتاب الجامع، كتاب الفرائض، توفي سنة 451 هـ / 1059 م. له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 8، ص 114. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 2، ص 369، 370. ابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ 1182 م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وادبائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ج 2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010.

خيفة أن تغور عينه، قال: إن كان لم يستحدث ذلك ولم يحترفه، يريد أن يجربه ماء العين لنفسه، فليس له منعه من ذلك، لأنه شيء ساقه الله إليه، فليس له صرفه عنه وإن كان هو الذي احتضر ذلك، وأجراه لأرضه بحفيه، أو لشيء صنعه فليس له ذلك، وللأول منعه وسد ما نبع منه في أرض الجار، وبه قال ابن القاسم، وانظر فيما له شجرة أرضه تندفع عروقها في أرض جاره، ويصير منها غرسات.⁽¹⁾

[مسألة]: الحكم فيما أراد أن يجري ماءه في أرض غيره لأرض له أخرى أو

لداره أو حمامه أو عرصة⁽²⁾ أنشأها / 37 ظ

ومن أراد أن يسوق ماءه لملكه، وقد حالت بينه وبين ذلك أرض غيره، ولا يجد سبيلاً لذلك إلا بإجرائه في أرض الغير فمنعه صاحبها من ذلك، قال ابن القاسم عن مالك: له منعه، ولم يأخذ بما روي عن عمر في ربيع بن عوف⁽³⁾، ولا بما ورد في خليج الضحاك⁽⁴⁾ مخافة أن استحق جري الماء في أرض الرجل⁽¹⁾، وقال: «تُحدَث للناس

(1) ابن رشد، *البيان والتحصيل*، ج 9، ص 409، 410.

(2) عرصة الدار: ساحتها، والجمع عراس، وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء. ينظر: الفيومي، *المصباح المنير*، ص 153.

(3) عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أنه قال: كان في حائط جدي ربيع عبد الرحمن بن عوف، فأراد أن يحوله إلى ناحية من الحائط هي أقرب إلى أرضه، فمنعه صاحب الحائط، فكلم عمر بن الخطاب، فقضى عبد الرحمن بن عوف بتحويله. ينظر: مالك، *الموطأ* (كتاب: الأقضية)، حديث رقم: 1563، ج 3، ص 575. البيهقي، *معرفة السنن والآثار*، ج 4، ص 541. بداية المجتهد، ج 4، ص 133.

(4) أبو عبد الرحمن الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن واشق بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر الفهري، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه الحسن البصري، ومحمد بن سوقة،

أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور⁽²⁾، ولو كان في وقت أناس كما في زمن عمر لكان لهم ذلك، وبهذا العمل حديث: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبٍ نَفْسٍ مِنْهُ»⁽¹⁾، وحكى ابن نافع⁽²⁾ عن مالك أن له ذلك.



وأبو إسحاق السبيسي، وتميم بن طرفة وغيرهم، توفي سنة 64 هـ / 683 م. له ترجمة في: الإصابة، ج 3، ص 387، 388.

(1) عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه: أن الضحاك بن قيس ساق خليجاً له من العريض، فأرادوا أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة، فأبى محمد، فقال له الضحاك: أنت تعنيني وهو لك منفعة، تسقي منه أولاً وأخراً ولا يضرك؟ فأبى محمد، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب، فدعا عمر محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلي سبيله، قال محمد: لا، فقال عمر: لا تمنع أخاك ما ينفعه ولا يضرك، فقال محمد: لا، فقال عمر: والله ليُمَرِّنَ ولو على بطنك، فأمر عمر أن يمر به، ففعل الضحاك. أخرجه: مالك، الموطأ (كتاب: الأقضية)، حديث رقم: 1562، ج 3، ص 575. البهقى، معرفة السنن والآثار، ج 4، ص 541. السنن الكبرى [كتاب: إحياء الأموات / باب: من قضى فيها بين الناس بما فيه صلاحهم]، حديث رقم: 11882، ج 6، ص 259. بداية المجتهد، ج 4، ص 133.

(2) ابن سهل أبي الأصبع عيسى بن عبد الله الأسدى الجياني (ت 486 هـ / 1093 م)، الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكماء، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص 168. ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1987، ص 961، 762. الشاطبىء أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790 هـ / 1388 م)، الاعتصام، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، ج 1، مكتبة التوحيد، د، ت، ص 301. البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت 841 هـ / 1437 م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لانزل من القضايا بالفتين والحكماء، تحقيق: محمد الحبيب الهيئة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ظاهره لم يمنع من ذلك لضرر يخافه، وأنه لما يخشى من الاستحقاق⁽³⁾، وينبغي إن كانت هذه الأرض الحائلة بين مالكي مجرى المياه بيضاء عاطلة، أن لا يمنعه من إجرائه لأنه مما لا يضره، بل ربما نفع رب الأرض، نعم يشهد له بجريه فيها أنه عارية لديه لئلاً يطول الأمد، فيأتي من لا يعرف كيف كان أصل جريه فيها، إلا أن يقول أهل المعرفة أن جريه في الأرض البيضاء يفسدتها أو يضر بها من أجل فساد موضع الجريمة



2002، ص 93. القرافي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي (684هـ / 1285م)، الذخيرة، تحقيق: محمد بوخبزة، ج 12، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 122.

(1) أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى [كتاب: الغصب / باب: لا يملك أحد بالجناية شيئاً جنى عليه إلا أن يشاء هو والمالك]، حديث رقم: ، ج 6، ص 160.

(2) أبو محمد عبد الله بن نافع مولىبني خزوم، المعروف بابن الصائغ، روى عن مالك وتفقه به، وكان مفتياً بالمدينة بعده، توفي سنة 186هـ / 802م، من مصنفاته: «تفسير الموطأ». له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 6، ص 48. ابن فرحون، الديجاج المذهب، ج 1، ص 409.

(3) استحقه: استوجبه، وهو رفع ملك شيء بشبوث ملك قبله، أو حرية كذلك بغير عوض. ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج 4، ص 229. وانظر: الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت 894هـ / 1489م)، شرح حدود ابن عرفة: المداية الكافية الشافية لبيان حقوق الإمام ابن عرفة الواقية، تحقيق: أبو الأجنفان محمد والمعموري الطاهر، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

. 470، ص 1993

بالتسليخ⁽¹⁾ لما يستقبل بخلاف جريانه في العامرة، لأنه يصلح ما كان معموراً زرعًا
كان أو غيره على موضع الساقية.

[مسألة]: ما يحاز من الضرر وما يجب قطعه

ولا يستحق الضرر بالقدم إلا أن يكون أقدم من المتأخر، ولا تكون الحيازة في
أفعال الضرر حيازة تقوى به حجة محدثة، بل لا يزيد تقادمه إلاّ ظلماً، وإنما اختلف
الفقهاء في حيازة الضرر المحدث إذا سكت المتضرر به بعد علمه مدة تحاز بها الأموال
على ملاكها، مع صرف الموانع من صغر أو سفه أو خوف المحدث مثل أن يكون له
سلطان يمتنع به، أو له عليه دين يخاف أن يسجنه فيه ونحو ذلك مما يتضح فيه العذر
المشهور من المذهب أن يسجنه ونحو ذلك عشرة أعوام حيازة في ذلك، وبه قال
أشهب وابن نافع، وقيل: خمسة عشر، وقيل: عشرين، وبه قال أصيغ، قال ابن حبيب:
لا يحاز أصلاً، ابن مزین⁽²⁾: ما كان منه يبقى على حالة واحدة، ولا يتزيد كفتح

(1) المراد انتزاع النخل، قال في القاموس: « وامتلخه: انتزعه ». ينظر: الفيروزآبادي، القاموس
المحيط، ج 1، ص 180.

(2) أبو زكريا يحيى بن مزین مولى رملة بنت عثمان بن عفان، أصله من طليطلة، وانتقل إلى قرطبة
روى عن عيسى بن دينار، ومحمد بن عيسى الأعشى، ويحيى بن يحيى وغيرهم، ورحل إلى المشرق
ولقى مُطرف بن عبد الله، وروى عنه الموطا، وسمع بمصر أصيغ بن الفرج، وعنده روى سعيد بن
جميد، وسعید بن عثمان وغيرهما، توفي سنة 259هـ / 872م. له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب
المدارك، ج 4، ص 238، 239.

والضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ / 1203م)، بغية الملتمس في رجال أهل
الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج 2، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني -
بيروت، 1999، ص 178.

الأبواب والكوى على الجار ونحوه، فهذا يستحق بها تستحق به الأملالك إذا علم به الشيخ ابن لبابة⁽¹⁾ العشر سنين في الضرر في الطرق، وقيل رواه عن أصبع، المعروف من قول أصبع، وما أفتى به جميع المفتين بقرطبة أنه لا يستحق بالعشرين سنة إلا بما زاد عليها، قاله بعض الأشياخ الضرر القديم بها كان به قيل المتأذى لا يغير عن حاله، وإن أضر بجيرانه باتفاق، لأنه ضرر دخل عليه، وما كان منه بعد المتأذى به وطال زمانه، فمنه ما يستحق وإن طال زمانه، فالذى لا يستحق وإن طال زمانه؛ دخان الحمامات والأفران وغبار الأندر⁽²⁾ وتنق دباغ الدباغين، قال ابن هشام: ويقال لحدثه احتل له وإن فاقطعه قدماً كان أو محدثاً، سحنون: في قناة جرت على دار رجل سنة ذلك قليل، والأربع سنين والخمس لك حيارة واستحقاق، وفي سماع ابن عاصم: إذا رأى جاره يفعل ما عليه فيه ضرر فسكت حتى تمت نفقةه وبناءه فهو رضى

(1) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة، مولى عثمان بن عبيدة الله بن عثمان، من أهل قرطبة، كان إماماً في الفقه، مقدماً على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، ولد سنة 839هـ / 2225 م، وأخذ عن عثمان بن أبي أيوب بن أبي الصلت القرطبي، والقاسم بن مالك بن أبي جعفر المزني، وأبان بن عيسى بن دينار وغيرهم، وعن خالد بن وهب الصغير التيمي، وأحمد بن محمد بن زياد اللخمي، ويحيى بن عبد الله بن يحيى الليبي وغيرهم، توفي سنة 926هـ / 314 م. له ترجمة في: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 495. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 2، ص 189.

وابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ / 1012 م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج 2، ط 1، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1989، ص 56.

(2) البيدر: وهو المكان الذي تُداس فيه الحبوب، وجمعه: الأنادر. ينظر: الفيوبي، المصباح المتير، ص 228. الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 825.

منه، قال القاضي ابن عبد الربيع⁽¹⁾: من قام على من أحدث عليه بنياناً أو غيره مما يضر به عند فراغ مقصده منه حلف أن سكوته لم يكن إسقاطاً لحقه ويقطع الضرر عنه، وسائل أصعب عن بناء غرفة في داره وفتح فيها كوة يطل منها على جيرانه، ويفتح باباً في فناء غيره، وصاحب الفناء ينظر إليه، أو يعمل أندرًا يضر برجل في داره أو جناه أو يسيء عليه ميزاباً⁽²⁾ ثم يقام عليه ولا حجة له عليهم أكثر من معرفتهم بما يصنعه، هل ينفعه ذلك ويقطع به حجتهم أم لا ينفعه ذلك؟ وكم الوقت الذي تقطع فيه حجتهم حتى يكون سكوته فيه كالإذن له، وهل ذلك عنده بمنزلة من بنى عرصه غيره

(1) قاضي الجماعة بتونس أبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الربيع الربعي التونسي المالكي، ولد سنة 396 هـ / 1241 م، باشر الخطابة بجامع الزيتونة، وكان يلقب بمفتى المسلمين، واشتهر بفتواه في نفي ثبوت الشرف من جهة الأم،أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي، وأبي محمد ابن حوط الله، وأبي عمرو عثمان بن سفيان التميمي ابن الشقر، وعن محمد بن جابر الوادي آشي، وابن مرزوق التلمساني، توفي سنة 733 هـ / 1332 م، من مصنفاته: «تجريد المسائل الأجنبية الواقعية في غير تراجمها من المدونة»، «السهل البديع في شرح التفريع»، «معين الحكم على القضايا والاحكام» له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني الدرر الكامنة في أعيان المائة العاشرة، ج 1، دار الجليل، بيروت، 1993، ص 23. ابن قند أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني (ت 810 هـ / 1408 م)، كتاب الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، ط 3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 345. الوادي آشي محمد بن جابر، برنامج الوادي آشي، تحقيق: محمد محفوظ، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980، ص 45.

(2) جمع ميازيب وموازيب (فارسية)، أنبوب أو مجرب من معدن أو حجر أو خشبة ناتئ من أعلى البناء، يثبت أحد طرفيه عمودياً على الجدار، ويميل الطرف الآخر قليلاً إلى أسفل، يخرج منه ماء المطر الذي يتتساقط على السطح. ينظر: عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارنة الإسلامية، ط 1، بيروت - لبنان، 1998، ص 313.

وصاحبها ينظر إليه ثم أراد أن يقوم عليه في ذلك بعد سنتين؟ فإن ابن القاسم رأى أن له القيام بعد ست سنتين وينفع وجعله غاصباً، وهل قوله هذا عندك حسن؟ قال: لا حجة لهذا ولا منفعة له فيه ولا ضرر عليهم فيه، وله أن يقطعوه ويبيطلوه، إذ ذاك حقاً من حقوقهم لو قاموا به / ٣٩ / أولاً لكان لهم فيها نرى، ولا يلزمهم، وهذا وذلك سواء، وليس هذا برضى ولا حيازة ولا يلزم في هذا إلا ما حاز فيه الرضي البين والتسليم والتصريح والإقرار والبينة القاطعة على شيء في ذلك، وليس في هذا أحد محدود يقطع إليه قيامهم إلا أن يطول الدهر الكثير جداً، الذي يرى أنه رضي وحيازة وليس الخمس سنتين في هذا شيء، ولا العشر بعد إحلافهم على ذلك أنه لم يكن رضي منهم^(١)، ابن مزین: وما أحدث من الكنف بالقرب من الجدار، أو الحفر التي يستنقع فيها الماء والمطامر والأبار وشبه ذلك، فلا يستحق بطول زمان، لأن كل ما طال زمانه تزايد ضرره، ولو اختلف في قدم الضرر وحدوده، فهو على الحدث وبه القضاء، سخون: هو على القدم.

[مسألة]: القضاء في كنس^(٢) البئر والكنيف^(٣)

الواضحة: سألت مُطرف عن شركاء في دار يحتاج بئرهم، أو كنيفهم للكنس، فيستأجرون في كراء ذلك، أيحمل عليهم منه على قدر مالكم منهما؟ أم على الجماع؟

(١) التُّطيلي، كتاب الجدار، ص ٢٠٥ - ٢٠٧.

(٢) كنسـتـ الـبـيـتـ كـنـسـاـ منـ بـابـ قـتـلـ،ـ وـالـمـكـنـسـةـ (ـبـكـسـرـ الـيـمـ)ـ:ـ الـآـلـةـ،ـ وـالـكـنـاسـةـ (ـبـالـضـمـ)ـ ماـ يـكـنـسـ وهيـ الزـبـالـةـ.ـ يـنـظـرـ:ـ الـفـيـوـمـيـ،ـ الـمـصـبـاحـ الـمـنـيرـ،ـ صـ ٢٠٧ـ.

(٣) الـكـنـيفـ:ـ الـحـظـيرـةـ،ـ وـالـكـنـيفـ السـاتـرـ،ـ وـسـمـيـ الـتـرـسـ كـنـيفـاـ لـأـنـهـ يـسـترـ صـاحـبـهـ،ـ وـقـيلـ:ـ لـلـمـرـاحـضـ كـنـيفـ لـأـنـهـ يـسـترـ قـاضـيـ الـحـاجـةـ.ـ يـنـظـرـ:ـ الـفـيـوـمـيـ،ـ الـمـصـبـاحـ الـمـنـيرـ،ـ صـ ٢٠٧ـ.

قال: على الجماجم، لأنه قد يكون على العدد الكبير في البيت الواحد ليس لهم من الدار غيره، ويكون الرجل بخدمته أو امرأته في العدة من البيوت يكون لهم من الدار، فلو كان على قدر مالهم منها، لكان على هذا أكثر مما على أولئك، وإنما كنسُ الكنيف ككنس الزبول⁽¹⁾ يجتمع في دارهم، فعلى كل قوم كنسُ الزبول، قلت له: فعلى من كنس الكنيف وقمامنة الدار وطرحها وما يجتمع فيها من الزبول؟ قال: على المكتري الساكن، ويحملان في كنس الكنيف على سنة البلد، وأخبرني أصيغ عن ابن القاسم وأشهب؛ أن الزبول وكنس الكنيف على المتکاري، ابن حبيب⁽²⁾: الأول أحب إلى وبه أقول، أنظر على من كنس زبول الفنادق هل على أربابها أو على المتکارين؟ ولو ترك رب الكنيف كنسه فأضررت رائحته بمن جاوره، فعليه تنقيته، ويجبر على ذلك ولو كانت / 46 و/ غرفة لرجل وأسفل الآخر تجتمع الأتفال في مرحاض⁽³⁾ السفل، فإن كان مشترگاً بينهما كنسوه على عدد جمجمه، وحکاه أبو محمد عن ابن عبد الحكم، وإن كان المرحاض لصاحب السفل دون صاحب العلو، فلا بن القاسم في كتاب ابن الحكم:

(1) الزبـل: السرجـين، وموضـعه مـزبـلة وـمزـبـلة. يـنظر: الصـحـاحـ، جـ 4ـ، صـ 1715ـ. الفـيـروـزـابـاديـ، القـامـوسـ الـمـحيـطـ، جـ 3ـ، صـ 398ـ.

(2) أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي، أصله من طليطلة، سمع ابن الماجشون، ومطرف، وأصيغ وغيرهم، عين مفتياً لقرطبة مع يحيى بن يحيى الليثي، ثم انفرد بالإفتاء بعد وفاته، توفي سنة 238هـ / 852م، من أشهر مصنفاته «الواضحـةـ». له ترجمـةـ في: عـيـاضـ القـاضـيـ، تـرـتـيـبـ المـارـاكـ، جـ 1ـ، صـ 30ـ - 48ـ. ابن فـرـحـونـ، الـدـيـيـاجـ الـذـهـبـ، صـ 154ـ - 156ـ.

(3) الجـمـعـ: مـراـحـضـ وـمـراـحـيـضـ، وـهـوـ المـغـتـسـلـ كـمـاـ فـيـ الصـحـاحـ، وـالـمـرـاحـضـ مـوـضـعـ الرـحـضـوـ، وـقـدـ يـكـنـىـ بـهـ عـنـ مـطـرـحـ العـذـرـةـ، وـالـمـرـاحـضـةـ كـمـكـنـسـةـ: شـيـءـ يـتوـضـأـ فـيـهـ، وـفـيـ الـأـسـاسـ: الـمـيـضـأـ. يـنـظـرـ: الـزـبـيـديـ، تـاجـ الـعـرـوـسـ، جـ 18ـ، صـ 342ـ.

كنس بئر المرحاض على صاحب السفل إلى السقف، وقال ابن وهب: كنسه بينهما على
قدر الجماجم من كثرة العيال وقلتّهم وهو المستعمل وهو أحسن و قاله يحيى بن عمر⁽¹⁾،
فإن اعتل المرحاض الذي بينهما فإصلاحه على صاحب السفل.⁽²⁾

[مسألة]: التضرر بفتح الكوى على دور الجيران أو على عرصهم التي لا بناء

فيها وصفة سدّها بالحكم

ابن القاسم: يمنع من فتح كوة يطلع منها على ما في دار جاره، وكذلك فتح باب الغرفة، إلا أن تكون كوى قديمة فلا يمنع من سد القديم، وقيل: يمنع لما فيه من كشف الحرم، قاله ابن يونس عن بعض الشيوخ المشاور في الاستغاء إنما يمنع إذا تبيّنت الأشخاص، وإذا لم تتبّيّن فلا يمنع ابن سهل⁽³⁾ ولو أمكن جعل سرج في الدار المفتوح في الخرق، حتى لا يمكن ساكنها كشف ما في دار جاره لم يمنع، قال ابن رشد⁽⁴⁾: وكل الشيوخ يختلفون في ذلك، قال بعضهم: وهذا غلط، من رأى عمل

(1) أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكنافى الأندلسي الأصل، الأفريقي الموطن، من أبرز علماء المذهب المالكي، كانت نشأته الأولى بقرطبة، ارتحل وسمع بإفريقية من سحنون وأبي زكريا الحفري، وعون بن يوسف، وسمع بمصر من يحيى بن بُكير، وحرملة، وابن رمح، وسكن القironان وكان حافظاً للفروع، ضابطاً لكتبه، وأخذ عنه أحمد بن خالد الحافظ، وجماعة من أهل القironان، توفي سنة 85 هـ / 704 م له ترجمة في: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 13، ص 463، 462. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 377، 378. المالكي، رياض النقوس، ج 1، ص 396 - 406.

(2) ابن أبي زيد القironاني، النوادر والزيادات، ج 11، ص 18، 19، 107. ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 67، 68، 283، 284.

(3) ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص 658.

(4) ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 362.

السر جب، لأن عمله أقوى ضرراً من خروج الرأس لأنه ينظر منه، ولا يتحرز المنظور إليه منه، فعمله أقوى ضرراً إلا أن يكون كما قال ابن سهل⁽¹⁾، فإن كانت الدار المنكشفة في كراء شخص يقال لربها خاصم عني لإزالة الضرر فأبى، كان له فسخ الكراء إن أحب كامتناعه من بناء ما تهدم منها مما يضر بالمتني قاله ابن عتاب، سحنون: في رجلين لها داران بينهما زقاق⁽²⁾ مسلوك وفي أحدهما كوة يرى منها ما في غرفة الأول، فطلب الأول سد المحدثة، وقال له الآخر سد أنت القديمة، فأنا ما سكت عنك خمسة أعوام أو أربعة إلا على حسن الجوار⁽³⁾، وهو غير تارك لحقه ويسد بعضهما على بعض، قال سحنون: قلت لابن القاسم لو أن رجلاً بني قصوراً لجنب داري ليكون لي أن أمنعه من ذلك في قول ابن القاسم؟ مالك قال: نعم [يُمنع من ذلك]⁽⁴⁾، وقال عمر فيمن أحدث غرفة على جاره وفتح فيها كوى، أنه يوضع وراء تلك الكوى سريراً فيقوم عليه رجل، فإن كان ينظر لما في الدار منع وإلا فلا⁽⁵⁾،

(1) ينظر: ابن سهل، *الإعلام بنوازل الأحكام*، ص 63.

(2) جمعه: *أَرْقَة*، وهو الطريق الضيق دون السكة نافذاً كان أو غير نافذ. ينظر: ابن منظور، *لسان العرب*، ج 6، ص 59. *الفيومي*، *المصباح المنير*، ص 97.

(3) ابن أبي زيد القير沃اني، *النوادر والزيادات*، ج 11، ص 41.

(4) المدونة [كتاب: حريم الآبار / باب: فيمن حفر بئراً إلى جانب بئر جاره]، ج 15، ص 197.

(5) المصدر نفسه [كتاب: حريم الآبار / باب: فيمن حفر بئراً إلى جانب بئر جاره]، ج 15، ص 197. قال ابن الحاج في نوازله: «وإن كان الاطلاع لا يمكن إلا بواسطة مثل سلم أو كرسي أو ما أشبه ذلك فلا يهدم موضع الاطلاع ولا يطمس ويمنع أن لا يطلع منه». ينظر: ابن الحاج التجيبي أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 529هـ / 1134م)، *نوازل ابن الحاج التجيبي*، دراسة

والسرير فرش الغرفة، وقيل: السلم، وقيل: الكرسي، ولو فتح في الكوّة الضوء على دار جاره وكره الجار ذلك وهو لا تناول إلا بالسلم، قال ابن نافع في العتبية⁽¹⁾: إن لم يكن على الجار ضرر فلا أرى بأساً يفتحها لأنها منفعة لهذا ولا ضرر على الآخر، وإن كان ضرر منع، قاله ابن وهب وأصيغ، ولو فتحها عليها ولم يتمكشـف منها عليه فشكـى الجار ذلك ضرر⁽²⁾، فاختـلـف التونسيـون في ذلك فمنـهم من اعتبر الكلام وحركة اللسان وراءه ضرـراً، ومنـهم من لم يعتـبره، وقال: لا يمنع، وبـه جـريـ الحـكمـ، وكـذـلكـ المـطـالـعـ لـلـسـطـوـحـ إـلـاـ أـنـ يـعـمـلـ بـابـ المـطـلـعـ يـنـظـرـ لـهـ أـوـ جـارـهـ فـيـمـنـعـ، وإنـ كـانـ مـتـنـحـيـاـ / 42 وـ عنهـ لمـ يـمـنـعـ، وـ سـئـلـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ بـنـ الـغـامـرـ عـمـاـ تـحدـثـ النـاسـ فـيـ كـرـوـمـهـ مـنـ الـبـرـاجـمـ، وـ يـتـخـذـونـ الـكـوـيـ لـلـفـرـجـةـ وـ يـتـكـشـفـونـ مـنـهـاـ عـلـىـ مـوـاضـعـ غـيرـهـ مـنـ الـجـانـةـ،ـ هلـ يـمـنـعـ مـنـ اـتـخـاذـ ذـلـكـ أـمـ لـاـ؟ـ قـالـ:ـ إـنـ كـانـ جـنـانـاـ فـيـ بـنـاءـ لـلـسـكـنـيـ فـحـكـمـهـ عـنـديـ حـكـمـ الدـورـ تـسـدـ كـلـ مـاـ اـتـخـذـ عـلـيـهـ مـنـ الـكـوـيـ،ـ اـبـنـ القـاسـمـ:ـ كـلـ مـنـ فـتـحـ عـلـيـهـ كـوـةـ تـبـيـنـ إـلـيـهـ تـغـيـيرـهـ بـحـكـمـ،ـ فـطـلـبـ أـنـ يـبـيـنـ فـيـ حـقـهـ مـاـ يـسـدـهـ بـهـ فـذـلـكـ لـهـ،ـ كـمـاـ لـاـ يـمـنـعـ رـفـعـ بـنـاءـ حـيـثـ شـاءـ،ـ وـ إـنـ سـتـرـ عـنـهـ الـرـيـحـ وـالـشـمـسـ،ـ أـوـ سـتـرـ بـهـ الضـوءـ،ـ وـمـنـ لـهـ عـرـصـةـ بـجـنـبـ عـرـصـةـ رـجـلـ،ـ فـبـنـيـ فـيـ عـرـصـتـهـ وـفـتـحـ أـبـوـابـاـ وـكـوـيـ فـيـ بـنـائـهـ لـجـهـةـ عـرـصـةـ الجـارـ،ـ فـأـرـادـ رـبـ الـعـرـصـةـ مـنـعـهـ لـمـ يـكـنـ لـهـ ذـلـكـ،ـ إـنـ قـالـ أـرـيدـ أـنـ أـبـنـيـ لـأـنـهـ حـقـ سـبـقـ إـلـيـهـ،ـ قـالـ اـبـنـ الـمـاجـشـونـ:ـ وـمـنـ سـبـقـ لـمـنـفـعـةـ شـيـءـ فـهـوـ أـحـقـ بـهـ،ـ وـقـالـ أـصـيـغـ وـمـطـرـفـ وـابـنـ حـيـبـ:



وتحقيق: أحمد شعيب اليوسفـيـ، جـ3ـ، الجمعـيـةـ الـمـغـرـبـيـةـ لـلـدـرـاسـاتـ الـأـنـدـلـسـيـةـ، طـوـانـ، 2018ـ، صـ541ـ.

(1) ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، 399، 400.

(2) التُّطْلِيَّيُّ، كتاب الجدار، ص 172.

له منعه لأنَّه حقه يذب عنه ما يضر به، وذكره عيسى في الجدار⁽¹⁾ قال: له منعه قبل البناء وبعدِه، مطرف: لو أرفقه بفتحها على أنه متى شاء سدَّها عليه جاز، سحنون: إذا أقضى بسد الكوى لم يكن لحدثها سدَّها من وراء بابها ويلزم بقلع ذلك وتغييره، حتى لا يبقى له أثر يدل عليه بعد اليوم، وكذلك الأبواب المحدثة تقلع أبوابها وعتبها وتتنزع عضادها لما يتوقع من بقاء عتبها لطول الزمان أن يحتاج به محدثه، قال بعض الشيوخ: والمشهود في الكوة القديمة بقاوتها على حالها، وفي المحدثة السد على المشهور، قال أشهب وابن الماجشون والمخرزومي⁽²⁾: لا يمنع أحد من فتح الأبواب والكوى والغرف، ويقال للمتضرر به أستر على نفسك، وليس به عمل نقله ابن رشد⁽³⁾، ومن أحدث كوى يرى منها ما في أسطوان⁽⁴⁾ جاره قاله ابن الهندي⁽¹⁾، ظاهره حتى ولو كان

(1) المصدر نفسه، ص 175.

(2) أبو هاشم المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث المخرزومي، كان مدار الفتوى بعد مالك عليه وهو محمد بن دينار، صحاب مالكاً، أخذ عن هشام بن عروة، وأبي الزناد وغيرهما، وعنده مصعب بن عبد الله وغيره، توفي سنة 188هـ / 805م، وقيل: 186هـ / 803م. له ترجمة في: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 10، ص 256. ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 2، ص 343. مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 84.

(3) قال ابن رشد: «ومنه ضرر الاطلاع، مثل أن يُحدث كوة أو باباً يطلع منه على دار جاره، أو يتخذ عليه قصبة يشرف منها على عياله، وفي هذا اختلاف شاذ، قيل: إنه لا يمنع، ويقال لجاره أستر على نفسك في حركك إن شئت، روى ذلك عن أشهب وابن الماجشون ومحمد بن مسلمة المخرزومي، ومحمد بن صدفة الفدكي من أصحاب مالك». ينظر: ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 402.

(4) بضم الهمزة وبعدها سين مهملة ساكنة، وفي عُرف المغاربة هو دهليز (بكسر الدال المهملة) الدار في عُرف المشارقة. ينظر: تبصرة الحكام، ج 2، ص 262.

بينهما سكة نافذة كثيرة المارة، ولا حجة له أن يقول أنا في النظر والمدار سواه، قاله جماعة من الشيوخ.

[مسألة]: فِيمَنْ فَحَ بَابًا أَوْ حَانُوتًا قَبْلَةَ بَابِ جَارِهِ

ابن سحنون عن أبيه يؤمر من فتح باباً قبلة باب جاره أن ينكف عنه بذراع أو ذراعين قدر ما يرى زوال الضرر، وكذلك قال في الدرس الكبير غير النافذة إن كان في الدرس زنقة⁽²⁾ في ناحية منه غير نافذة ولرجل في أقصاها باب، فأراد أن يقدمه لطرف الزنقة، لكن لأهل الدرس منعه، ولا يحركه على موضعه إلا برضاهم⁽³⁾، وكذلك كل دار مشتركة ليس لأحد الشركين فتح باب فيها، ولا إحداث شيء إلا بإذن الشرك، التحصيل قال ابن رشد⁽⁴⁾: في فتح الرجل بباباً أو حانوتاً قبلة باب جاره في الزقاق



(1) ابن سلمون أبي محمد عبد الله بن عبد الله الكناني (ت 741هـ / 1340م)، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، عناية وتعليق: محمد عبد الرحمن الشاغول، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص 446. (وابن الهندي هو أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمذاني، أخذ عن أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، وروى عن قاسم بن أصيغ و وهب بن مسرة وعبد الله بن أبي دليم ولقي أبا إسماعيل بن القاسم البغدادي وأخذ عنه وتأدب به، وكان مقدمًا عند القاضي محمد بن السليم، ألف كتاباً في الشروط مفيدهاً جامعاً يحتوي على علم كثير عليه اعتماد المؤثرين والحكام، توفي سنة 399هـ / 1008م. له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 4، ص 650 - 656. ابن فرحون، الدبياج المذهب، ص 364، 365. خلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 151).

(2) السكة الضيقة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 93.

(3) التُّلْطِيلِي، كتاب الجدار، ص 189.

(4) ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 404، 405.

النافذ ثلاثة أقوال؛ الجواز ابن القاسم في المدونة، وأشهدب وسحنون المنع، إلا أن ينكب⁽¹⁾ على ذلك / 42 ظ / ابن وهب: له ذلك إن كانت السكة واسعة كسبعة أذرع فأكثر⁽²⁾ ويتحصل في فتحه باباً، وتحويله عن موضعه في زقاق وليس بنافذ ثلاثة أقوال؛ المنع إلا بإذن الجميع، وإليه ذهب ابن زرب⁽³⁾ أقامه من المدونة⁽⁴⁾: في الدارين تكون لأحدهما في جوف الأخرى، ولأهل الداخلة المر في الخارج، فيقسم أهل الداخلة دارهم وأراد كل منهم فتح باب لنصبيه في الخارج ليس لواحد منهم، وإنما لهم المر، وبه جرى العمل بقرطبة، ولا بن القاسم في المدونة⁽⁵⁾: له ذلك فيما لم يقابل باب جاره

(1) أي يعدل ويتنحى. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج 4، ص 178.

(2) لما جاء من حديث رسول الله ﷺ: «الطريق الميتاء سبعة أذرع». أخرجه: البخاري في صحيحه [كتاب: المظالم / باب: إذا اختلفوا في الطريق الميتاء]، حديث رقم: 2473، ص 599. ومسلم في صحيحه [كتاب: المسافة / باب: قدر الطريق إذا اختلفوا فيه]، حديث رقم: 1613، ج، ص 60. والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم: 11806، ج 11، ص 302.

(3) أبو بكر محمد بن يَعْقُوبَ بن زرب القرطبي، قاضي الجماعة بقرطبة، كان في أوائل الدولة العاميرية، وكان له حظ كبير من علم الإعراب والفقه، أخذ عن القاسم بن أصبغ ومحمد بن دليم واللؤلؤي وغيرهم، وعن ابن مغيث وابن الحذاء، توفي سنة 381 هـ / 991 م، من تصانيفه: «كتاب الخصال في الفقه على مذهب مالك» (عارض به كتاب الخصال لابن كابس الحنفي). له ترجمة في: عياض، ترتيب المدارك، ج 2، ص 30. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 411.

والحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت 488 هـ / 1095 م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف ومحمد بشّار عواد، ط 1، دار الغرب

الإسلامي، تونس، 2009، ص 93.

(4) المدونة، ج 15، ص 237، 238.

(5) المصدر نفسه، ج 4، 274.

ولا قرب منه فقطع به عنه مرفقاً، وقاله ابن وهب في سماع زونان⁽¹⁾ من كتاب السلطان من العتبية⁽²⁾، وقال أشهب: له تحويله على هذه الصفة إذا سد الأول، وليس له أن يفتح فيه باباً لم يكن قبل بحال.⁽³⁾

[مسألة]: الإحداث في الطرق

وقد قضى عمر رضي الله عنه بالأفنيه⁽⁴⁾ لأرباب الدور في انتفاعهم بها للمرابط⁽⁵⁾ وال المجالس والمسابط⁽¹⁾، وجلوس الباعة فيها للبيع الخفيف إلا أن تحاز بالبناء⁽²⁾،

(1) أبو مروان عبد الملك بن الحسن بن محمد بن زريق بن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، كان الأغلب عليه الفقه ولم يكن من أهل الحديث، سمع عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وابن وهب وغيرهم، أفتى أيام هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم وابنه عبد الرحمن بن الحكم، توفي في شعبان سنة 232هـ / 846م. له ترجمة في: عياض القاضي، ترتيب المدارك، ج 4، ص 110، 111. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 407.

وابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ / 1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج 2، ط 1، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1989، ص 458، 459.

(2) ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 404.

(3) الخطاب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المالكي (ت 954هـ / 1547م)، مواهب الخليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: زكريا عميرات، ج 7، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995، ص 137.

(4) جمع فناء، وهو سعة امام البيت، وقيل: ما امتد من جوانبه. ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ص 183.

(5) جمه: رُبُط ورباطات، وهي ما يربط بها القرية وغيرها، والرابط الذي يبني للفقراء مولده. ينظر: الفيومي، المصباح المنير، ص 82. والمراد هنا مكان ربط الدواب.

ويمنع من الإحداث المضرة بالسكك كفتح ماء الشروب عليها، وإلقاء الزبول، وكل ما فيه ضرر، ويشتد القاضي في قطع ذلك أو الموكل بالمصلحة، ويتقدم إلى الصناع في جلوس النساء عندهم، المغامي⁽³⁾ في الدروب الغير النافذة وشبيهها ذلك كله منافع مشتركة بين ساكنيه، ليس لهم أن يحذثوا في ظاهر الزقاق ولا في باطن إحداث، إلا في اجتئاعهم في فتح باب أو إخراج عساكر أو رفوف أو أجنحة أو حفرة يحفرونها أو يوارونها، الواضحة: قلت لطرف وابن الماجشون، الكُفُّ تُتَّخذ في الطرق يحفرها الرجل فيها لصق جداره ثم يواريها، أيمنع من ذلك؟ قالا: إذا واراها وأحكمن غطاها وسوها بالطريق حتى لا يضر مكانها بأحد⁽⁴⁾، ولو كانت له جريمة ماء في بستان شخص، أو مجراه راحضه في دار رجل لم يمنع من الدخول لإصلاحه⁽⁵⁾، سحنون ولا من الدخول لضر حائطه، ومن أخلّ من طريق المسلمين ما يضر بهم في مهرهم، هدم



(1) جمعها: سَوَابِيطُ وسَابِاطَاتُ، والسَّابَاطُ: سقيفة بين دارين، أو بين حائطين تحتها طريق نافذ.

ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج 19، ص 332.

(2) ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص 42. ابن أبي زيد القير沃اني، النواذر والزيادات، ج 11،

ص 47.

(3) أبو عمر يوسف بن يحيى الأزدي المغامي (قرية من أعمال طليطلة)، سمع من يحيى بن يحيى،

وسعيد بن يسار، ورحل إلى المشرق فسمع بمصر من يوسف بن يزيد القراطيسى وغيره، وعن محمد

بن فطيس، وسعيد بن فحلون، اختص عبد الملك بن حبيب وروى عنه الواضحة، توفي بالقيروان

سنة 283 هـ / 896 م، وقيل: 285 هـ / 898 م. له ترجمة في: الحميدي، جذوة المقتبس، ص 373.

الضبي، بغية الملتمس، ج 2، ص 667.

(4) ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص 41.

(5) النطيلي، كتاب الجدار، ص 280.

عليهم قل ذلك أو كثر باتفاق، وفيما لا يضر إذا كانت السكة واسعة جدًا خلاف بين الأشياخ؛ حكاه ابن سهل⁽¹⁾ وغيره⁽²⁾، والأصل المنع للحديث: من اقتطع من طريق المسلمين أو أبنائهم أو من أرض ليست لهم⁽³⁾ أو بيت حداد كيرًا⁽⁴⁾ في السوق، فأمر عمر بهدمه⁽⁵⁾، وهدم على أبي سفيان حين أخذ بأساسه شيئاً من الطريق، وأبو سفيان من هو في علو قدره، قال أشهب: ويأمر القاضي بهدمه وعنه خلافه، قال ابن وهب [عن ربيعة في المجموعة]: سألت مالكًا عمن بنى مسجداً في طائفة من داره، ثم أراد أن يزيد فيه شيئاً من طريق المسلمين، قال: إن كان لا يضر بهم فلا أرى بذلك بأساً⁽⁶⁾، وأما تدريب الأزقة فلو أراد أحد في دور مجتمعة في دخلة غير نافذة أن يبني دربًا في

(1) ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص 642، 643.

(2) التطيلي، كتاب الجدار، ص 281.

(3) لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ، وقد ورد في الصحاح والسنن من حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أن رسول الله قال: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلمًا طوقة الله إياه يوم القيمة من سبع أرضين». أخرجه: مسلم في صحيحه [كتاب المساقاة / باب: غرز الخشب في جدار الحار]، حديث رقم: 1610، ص 791. والحاكم في مستدركه (كتاب الآيام والندور)، حديث رقم: 7807، ج 4، ص 329. والبيهقي في السنن الكبرى [كتاب الغصب / باب: التشديد في غصب الأرضي وتضمينها بالغصب]، حديث رقم: 11532، ج 6، ص 162.

(4) الكير: زق الحداد الذي ينفع فيه، ويكون من جلد غليظ ذي حافات، وأما المبني من الطين، وهو المراد هنا كما يظهر. ينظر: الفيومي، المصبح المثير، ص 208. ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 200.

(5) قال عمر بن الخطاب رض لحداد بنى كيرًا في طريق المسلمين: لقد استهضمتم سوق المسلمين ثم أمر بهدمه. ينظر: ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص 636.

(6) المصدر نفسه، ص 643.

أولها، لم يكن له ذلك إلا برضى جميعهم / 43 قاله ابن هشام، وأفتقى ابن عتاب في
الдорب يتفق الجيران على إصلاحه، ويأبى بعضهم من ذلك هل يجب على أداء ما يجب
عليه في إصلاحه معهم، وانظر لو خاف أهل قرية أو حض على أنفسهم من غارة
العدو، واتفقوا على إنشاء باب لغلق ذلك، أو سور، أو بناء ما تهدم منه، وأبى بعضهم
ذلك، هل يجب عليه لأنها منفعة عامة أو لا؟ وكذلك لو أرادوا بناء مسجد في القرية
لإقامة جماعة، أو استئجار إمام، أو مؤذن، فأبى من ذلك بعضهم، هل يجب أم لا؟
وهذه ضروريات كثيرة ما تقع عندنا، وكذلك لو اتفق الجيران على استئجار من يحرس
جنتهم أو زروعاتهم فيأباه بعضهم، في نوازل أبي عبد الله بن الحاج⁽¹⁾: أنه يجب على
الاستئجار، وأما لو ضاق المسجد بأهله جبر من جاوره على بيع داره لتزداد فيه.

[مسألة]: التضرر بالأشجار

ولا يمنع أحد من الصعود ليجني ثمر شجر داره إن كان يطلع منها على جاره،
نعم يؤذنه في ذلك، حدثة أو كانت قديمة، بخلاف الغرفة، قاله أصبع ومطرف وابن
الماجشون في الواضحة⁽²⁾، يعني أن اطلاع الغرفة مداوم وصعود الشجرة نادر، قال
عيسي: ليس عليه أن يأذنهم⁽³⁾، أنظر هل عليه يقضى بقطعها إذا خاف أن يطرقه منه
اللصوص؟ ولو أضرت الشجرة بالجوار قاله مطرف إن كانت أقدم منه على حال ما هي
عليه اليوم من الانتشار، وإنما بني الجدار بعدها وهي كذلك لم تقطع، إلا أن تحدث لها

(1) التجيبي، النوازل، ص 541.

(2) ابن أبي زيد القيرواني، النوازل والزيادات، ج 11، ص 43، 108. ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 408.

(3) النطيلي، كتاب الجدار، ص 338.

أغصان بعد إقامة الجدار أضرت به فيشرف منها كلها أضر منها مما حدث بعد بنائه، ابن الماجشون: إن كانت أقدم منه تركت، وما حدث من أغصانها وزاد في انتشارها وإن أضر بها، إذ قد علم هذا من شأن الشجر، وقاله أصيغ، وبه أخذ ابن حبيب، وقالوا: إن كانت محدثة بعده قطع منها كلها أضر مما أحدث بعد بنائه قل أو كثر، ومن أنشأ غراساً فانتشرت أغصانها فأضلت على أرض جاره، فله قطع ما دخل من ذلك في حقه وهواء ولو سكت عنه، مع العلم بذلك من غير مانع مدة يكون في مثلها الحوز، ثم أراد قطعه لم يكن له ذلك على الخلاف المتقدم في حيازة الضرر والمحدث، والتزم قطع ذلك ضمانته أنه يلزمته، ثم علم أنه لا يلزمته ففي إلزامه ما التزم خلاف، وهذا جار في كل من التزم ما لا يلزمته، بحكم ظننا منه أنه يلزمته، ذكره ابن سهل في آخر أحكامه⁽¹⁾، قال بعضهم: فيمن له شجرة فامتدت فروعها حتى أضرت بجاره في أرضه إن كان غصتها ارتياحاً في الهواء، فأضلت بأرض جاره أو داره لا تقطع، لأنها كالبيان يعني الرجل بأرضه أو داره فيمنع منه جاره الشمس والرياح، فلا كلام للجار في ذلك، وكذلك الشجر مالم تتدلى هواء صاحبه هواء جاره، ولا أعلم فيه خلافاً / 43 ظ / وختلف إذا خرجت الفروع هواء جاره.⁽²⁾

(1) ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام، ص 670، 671

(2) ابن رشد، البيان والتحصيل، ج 9، ص 409، 410. ابن سليمون، العقد المنظم، ص 452

الخاتمة:

برزت على امتداد هذه الدراسة والتحقيق متفرقات من مسائل فقه العمران الريفي والحضري بال المغرب الأوسط عبر مضمون مخطوط «المذهب الرائق في تدريب الناشر من القضاة وأهل الوثائق»، لأبي عمران موسى المازوني، جملة من المخرجات:

- يمثل المخطوط مرحلة مهمة من مراحل نضج الكتابة الفقهية التي عرفها المغرب الأوسط في مرحلته المتأخرة من الناحية النظرية والتطبيقية، بدليل المقومات الوثائقية التي استند إليها المؤلف، والتي هي في الأساس من منطق مدونات فقهاء المذهب المالكي، وضع فوقها سائر أبنية المنهاجية والمعرفية في التأكيد على تجربته في فقه الوثائق، تحقيقاً ونقداً.
- للخطوط أهمية جد بالغة تحاكي قوة النظر لمسائل فقه العمران على أرض الواقع بحسب تلك الفترة الزمنية، أثراء منهاج المؤلف من خلال عمله في ميدان التوثيق ثم القضاء بحسب الأصل والأنجع في الحلول لكل مسائله.
- أبرز المخطوط مجال مهم من التطبيق لقاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، في استخدامه لهذا الأصل للحكم على تصرفات الفرق التي تضيع البيئة من جهة؛ فقد يقوم الأفراد بتغيير البيئة بشكل يضر بالجيران، مدعماً ذلك بأصول أخرى كالاستحسان والضرورة وسد الذرائع والمصالح المرسلة وغيرها، ومن جهة ثانية حماية السلوك الإنساني اتجاه البناء المعماري؛ بمراعاة شروط الحياة الاجتماعية والصحية، خاصة ما تعلق بالإحداث في الطرق والدور والأفنية.
- أن مسائل العمران التي أبرزها المخطوط؛ كانت الأصل فيها جرى به العمل، لتحقيق المصالح ودرء المفاسد، ومسايرة لصواليح الأعراف ومحاسن العادات.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاًً: المخطوطات

- 1 - أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت بعد 874 هـ / 1669 م)،
المهذب الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق، مخ، متحف سيرتا -
قسطنطينية، رقم: 14.
- 2 - أبي عمران، تحلية الذهب في علم القضاء والأدب، مخ، خزانة زاوية علي بن
عمر، الزاوية العثمانية - طولقة، بسكرة.

ثانياً: المصادر المطبوعة

- 1 . - الباقي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أبي يوب المالكي الأندلسي (ت
494 هـ / 1100 م)، المتقدى شرح موطأ الإمام مالك، ج 5، ط 3، دار الكتاب
العربي، بيروت، 1983.
- 2 . - البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ / 869 م)، التاريخ
الكبير، مراقبة: محمد عبد المغني خان، ج 5، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- 3 . - البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي (ت 292 هـ / 904 م)،
البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط 1،
مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، 1993.
- 4 . - ابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ / 1182 م)، الصلة
في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم، حققه وضبط
نحوه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ج 2، دار الغرب الإسلامي، تونس،
2010.

5. - البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين مير سليم (ت 1339هـ / 1920م)،
إيضاح المكتون في الذيل عن كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2،
دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1992.
6. - بوبة مجاني، "كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي - العصر
الزياني أنموذجاً"، أعمال الملتقى الدولي «التغيرات الاجتماعية في البلدان
المغاربية عبر العصور»، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة
متورى - قسنطينة، 2001.
7. - البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458هـ / 1065م)، السنن
الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 4، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، 2003.
8. - التسولي أبي الحسن علي بن عبد السلام (1258هـ / 1844م)، البهجة في
شرح التحفة، ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، ج 2، ط 1، منشورات
محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1998.
9. - التطليعي عيسى بن موسى (386هـ / 996م)، كتاب الجدار، دراسة وتحقيق:
إبراهيم بن محمد الفايز، ط 1، دار روائع الكتب للنشر والتوزيع، المملكة
العربية السعودية، 1996.
10. - التنكтиكي أحمد بابا (ت 1036هـ / 1626م)، نيل الابتهاج بتطریز الديباج،
إشراف وتقديم: المرامي عبد الحميد عبد الله، ط 1، منشورات كلية الدعوة
الإسلامية، طرابلس - ليبيا، 1989.

11. - كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدياج، تحقيق: علي عمر، ج 2، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.
12. - ابن الحاج التجيبي أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 529هـ / 1134م)، نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة وتحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، ج 3، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 2018.
13. - الحكم أبو عبد الله محمد بن بن عبد الله النيسابوري (ت 405هـ / 1014م)، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط 2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2002.
14. - ابن حبان أبي حاتم محمد البستي (ت 354هـ / 965م)، الإحسان في تقرير صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج 2، ط 1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998.
15. - ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852هـ / 1448م)، تهذيب التهذيب، ج 1، دار صادر، بيروت، د.ت.
16. - أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ / 874م)، صحيح مسلم، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحیحه وترقیمه وعد کتبه وأحادیثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.
17. - الخطاب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المالكي (ت 954هـ / 1547م)، مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، ضبطه وخرج آياته

- وأحاديثه: زكريا عميرات، ج 7، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995.
18. - الحفناوي أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي (ت 1391هـ / 1941م)، *تعريف الخلف ب الرجال السلف*، ج 2، مؤسسة الرسالة والمكتبة العتيقة، تونس، 1985.
19. - الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت 488هـ / 1095م)، *جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس*، حقيقه وعلق عليه: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009.
20. - الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1374م)، *تذكرة الحفاظ*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
21. - سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1996.
22. - الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، قدم له وقرظه: محمد عبد المنعم البري وأخرون، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995.
23. - ابن رشد أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المالكي القرطبي (ت 520هـ / 1126م)، *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليق في مسائل المستخرجة*، تحقيق: أحمد الحبابي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1988.

24. - فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1987.
25. - رفيق خليفي، "خطوط المذهب الرايق لأبي عمران موسى المازوني وأهميته التوثيقية في تاريخ المغرب الأوسط أواخر العصر الوسيط"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 4، ع 1، جامعة حمة لحضر، الوادي، 2018.
26. - الزبيدي مرتضى محمد بن محمد الحسيني (ت 1205هـ / 1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي، مراجعة: مصطفى حجازي وآخران، ج 20، ط 1، الكويت، 2001.
27. - أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت 883هـ / 1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: بركات إسماعيل، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2، 2010-2011.
28. - ابن أبي زمنين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى (ت 399هـ / 1008م)، منتخب الأحكام، تحقيق: عبد الله بن عطية الرداد الغامدي، ط 1، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، 1998.
29. - ابن أبي زيد القيرواني أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت 386هـ / 996م)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق: عبد الفتاح محمد الخلو، ج 11، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

30. - ابن سلمون أبي محمد عبد الله بن عبد الله الكناني (ت 741هـ / 1340م)، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، عناية وتعليق: محمد عبد الرحمن الشاغول، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
31. - الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790هـ / 1388م)، الاعتصام، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، ج 1، مكتبة التوحيد، د، ت.
32. - الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360هـ / 970م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ج 1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
33. - عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط 1، بيروت - لبنان، 1998.
34. - ابن العطار محمد بن أحمد الأموي (ت 399هـ / 1009م)، كتاب الوثائق والسجلات، اعتنى بتحقيقه ونشره: ب. شالميتا وف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1983.
35. - ابن العماد أبو الفلاح عبد الحفي (ت 1085هـ / 1674م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 2، دار المسيرة، بيروت، 1979.
36. - أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت 833هـ / 1430م)، قلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2016-2017.

37. - عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ / 1149 م)، ترتيب المدارك وتقرير بالمسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
38. - ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت 403 هـ / 1012 م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأ[اري، ج 2، ط 1، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1989 .
39. - الفيومي أحمد بن محمد المقري (ت 770 هـ / 1366 م)، المصباح المغير، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، 1987 .
40. - ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273 هـ / 886 م)،**السُّنن**، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وآخران، ط 1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009 .
41. - مالك بن أنس أبو عبد الله بن مالك الأصبحي المدني (ت 179 هـ / 795 م)، المدونة الكبرى، برواية: سحنون بن سعيد التنوخي المالكي (ت 240 هـ / 854 م)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف للدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د.ت.
42. - الموطأ، برواية يحيى بن يحيى الليبي (ت 923 هـ / 1517 م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج 2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
43. - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، جمهورية مصر العربية، 2004 .

44. - مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360هـ / 1941م)، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، خرّج حواشيه وعلق عليه: عبد الحميد خيالي، ج 2 ن ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003.
45. - ملاك لمين، *علم التوثيق في المغرب الأوسط*، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2، 2014 - 2015.
46. - المنجور أحمد بن علي المنجور (ت 995هـ / 1586م)، *شرح المنهج المتلخص إلى قواعد المذهب*، تحقيق: محمد الشيخ الأمين، دار عبد الله الشنقيطي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
47. - ميارة الفاسي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (ت 1072هـ / 1661م)، *الإتقان والإحكام شرح تحفة الحكماء*، تحقيق: محمد عبد السلام محمد سالم، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
48. - النفراوي أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا الأزهري المالكي (ت 1126هـ / 1714م)، *الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني*، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد الوارث محمد علي، ج 2، ط 1، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1997.
49. - النووي أبو زكريا محى الدين يحيى بن شرف الشافعي (ت 676هـ / 1277م)، *شرح صحيح مسلم*، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1929.
50. - الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان المصري (ت 807هـ / 1404م)، *جمع الروايد ومنبع الفوائد*، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا،

ط 1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،

.2001

٥٥. - الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي
(٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، تحقيق: أحمد بوظاهر الخطابي، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، ١٩٨٠.

التركيبة الإثنية للمجتمع بمدينة بجاية وتأثيراتها على النشاط الحرفى والتجارى خلال القرنين 56هـ / 11و12م

ط.د صباح طرهيبة

قسم التاريخ

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الملخص:

يعالج المقال جانباً مهماً من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة بجاية خلال العهد الحمادي، والمتمثل في التركيبة الإثنية للمجتمع البجائي وتأثيراتها على الأنشطة الاقتصادية، خاصة منها النشاط الحرفى والتجارى، ونحاول من خلال هذه الدراسة تحديد الملامح العامة للموضوع رغم بعض الصعوبات المتعلقة بشح المادة الخبرية في المصادر الوسيطية، إلا أنه وأمام هذا الأمر حاولنا الاعتماد على ما توفر من اشارات مصدرية، بالإضافة إلى اعتماد اسلوب المقارنة لمدينة بجاية بقية مدن المغرب الأوسط في إطار المجال الجغرافي الواحد، وبالتالي هدفنا من هذه الدراسة هو الحفر في إحدى الجوانب المهمة من تاريخ مدينة بجاية وما خلفته العناصر البشرية التي استقرت بها خلال الفترة الحمادية من تراث حضاري وعمراني وتنوع فكري وثقافي لإرساء دورها في البناء الحضاري بالمدينة الحمادية.

الكلمات المفتاحية: التركيبة الإثنية، بجاية، العهد الحمادي، الحرف، التجارة.

Abstract:

The article deals with an important aspect of the social and economic life in the city of Bejaia during the Hammadid era, which is the ethnic composition of the Beja community and its effects on economic activities, especially craft and commercial activities. Through this study, we try to determine the general features of the subject despite some difficulties related to the scarcity of news material in intermediate sources. However, in light of this matter, we tried to rely on the available source references, in addition to adopting the approach method for the city of Bejaia with the rest of the cities of central Morocco within the framework of a single geographical area. Therefore, our goal in this study is to delve into one of the important aspects of the history of the city of Bejaia and what the human elements that settled there during the Hammadid period left behind in terms of a civilizational and urban heritage and intellectual and cultural diversity to establish their role in the civilizational construction of the Hammadid city.

Keywords: Ethnic Composition, Béjaïa, Hammadid Period, Crafts, Trade.

مقدمة:

برزت أهمية مدينة بجاية كإحدى الحواضر الثقافية والماراكز الاقتصادية الرئيسية بالغرب الإسلامي في الفترة الحمدادية، وذلك من خلال موقعها الاستراتيجي على ساحل البحر الأبيض المتوسط، والذي يمثل نقطة التقاء هامة للتجار والحرفيين والصناع من مختلف أرجاء العالم الإسلامي والمتوسطي.

وعليه فدراسة التركيبة الإثنية للمجتمع الحرف في هذه المدينة خلال الفترة الحمدادية يفتح نافذة على فهم كيفية التأثير والتفاعل بين مختلف المجموعات الثقافية والاثنية على النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمدينة، خاصة وان بجاية كانت قد شهدت خلال القرنين (5 و 6 هـ / 11 و 12 م) تزايداً ملحوظاً في التنوع الاثني بفضل سياسة التسامح الديني والتعايش الاجتماعي التي حرص أصحاب القرار على رأس السلطة الحمدادية على توفيرها مما أدى الى تدفق مجموعات مختلفة من الإثنيات، كالأندلسيين واليهود والسيحيون من مختلف الجنسيات، على غرار البربر السكان الأصليين، والعرب المتواجدين بها منذ الفتح الإسلامي.

هذا التنوع البشري لم يكن مجرد مزيج من الثقافات بل كان له تأثيرات عميقة على جميع جوانب الحياة الاقتصادية بالمدينة، بدءاً من تطوير الحرف وادخال تقنيات وأساليب صناعية جديدة وصولاً إلى تشكيل الهويات الاجتماعية وتغيير بنية السوق المحلية.

تعد دراسة التركيبة الإثنية للمجتمع الحرف في بجاية الحمدادية من المواضيع الحيوية لفهم الديناميات الاجتماعية والاقتصادية في فترة تاريخية متميزة بالعاصمة الحمدادية الثانية، باعتبارها مدينة تجارية وحاضرة ثقافية هامة في الغرب الإسلامي

ككل، فقد شهدت عدة تفاعلات معقدة بين مختلف المجموعات الإثنية التي أسهمت في تطوير الحرف والمهن، ومن خلال دراسة التركيبة الإثنية يمكننا فهم كيف أثرت الاختلافات الثقافية والعرقية والدينية على الأنشطة الحرفية والتجارية، وكيف ساهمت هذه الأنشطة في تشكيل الهوية الاجتماعية والاقتصادية للمدينة.

تسعى هذه الدراسة للوصول الى تحليل التركيبة الإثنية للمجتمع الحرفي في بجایة الحمادیة، وذلك بتحديد المجموعات الإثنية الرئيسية التي كانت نشطة في مجال الحرف والمهن، وتقديم نظرة شاملة عن أدوارهم ومساهماتهم، واستكشاف تفاعلاتهم في المجال الحضري، وكيف أثر هذا التفاعل على الابتكار وتبادل المعرفة في المجالات الحرفية المختلفة؟، بالإضافة الى تقييم تأثيرات التنوع الاثني على البناء الحضاري بالمدينة في جوانبه الاقتصادية والفنية والعمانية.

ومن هذا المنطلق تتمحور الاشكالية الرئيسية للموضوع حول دراسة كيفية تأثير التركيبة الإثنية المتنوعة للمجتمع الحرفي في بجایة على طبيعة وأداء الحرف والمهن خلال القرنين 5 و 6 هـ / 11 و 12 م، فكيف أثرت الخلفيات الثقافية والعرقية والدينية المختلفة على تفاعل الحرفيين؟ وكيف ساهم ذلك في تشكيل بنية الاقتصاد المحلي وتطوير الحرف؟ وما هي التأثيرات الاقتصادية والفنية والعمانية الناتجة عن هذا التنوع؟

وبالتالي اعتمدت هذه الدراسة على منهجية بحث تاريخية وتحليلية اساسها المنهج التاريخي الوصفي الملائم للموضوع.

وقد حاولنا الاحاطة قدر الامکان بالموضوع من جميع جوانبه وفق خطة ثنائية تقوم على توضیح التركيبة الإثنية للمجتمع الحرفی في بجایة، مع التركیز على

المجموعات الإثنية المختلفة وأدوارها في الانشطة الحرفية والصناعية أو لاثم استنتاج التأثيرات في المجال الاقتصادي والفنى والعمانى بجایة الحمادية.

أولاً: التركيبة الإثنية للمجتمع في مدينة بجایة خلال القرنين 5 و 6 هـ / 11

و 12 م:

تُعدُّ مدينة بجایة من اهم حواضر المغرب الاسلامي خلال القرون الوسطى، فقد لعبت دوراً هاماً ومحورياً في تاريخ الدولة الحمادية بفضل موقعها الاستراتيجي وازدهارها الاقتصادي مما ساهم في استقطابها للعديد من العناصر البشرية من مختلف الجنسيات، على غرار السكان الاصليين حيث تعكس التركيبة الإثنية لمجتمعها تنوعاً دينياً وثقافياً وعرقياً معدداً، أسهم في تشكيل ديناميات الاقتصاد المحلي وتطوير أساليب العمل.

1. البربر:

شكل البربر بتركيبتهم الثقافية الفريدة، جزءاً أساسياً من نسيج المجتمع الحمادي في مدينة بجایة، وبالتالي كان العنصر البربري هو الغالب على العناصر السكانية التي استوطنت المغرب الاوسط منذ زمان بعيد فشكلوا اهم عناصر المجتمع الحمادي⁽¹⁾.

2. العرب:

يرجع تواجد العنصر العربي بالمغرب الاوسط الى ایام الفتح الاسلاميمنذ القرن 2 هـ / 7 م، ليزداد عقب خراب مدينة القironan وهزيمة المعز بن باديس امام

(1) بودالية تواتية، الانتهاء الحرفى لاهل الصناعات في المغرب الاوسط، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسکر، ع: 04، جوان 2013، ص 257.

الهجمة الهمالية فكانت مدينة بجاية الملجأ الذي فر اليه كثير من الهاربين من افريقيـة⁽¹⁾، ليستمر وابعدها في التوسيـع والانتشار والتـأثير في المنطقة، فـكانوا من العناصر الاساسـية المـدعـمة لـحركة النـمو الـديـمـغـرـافـي بمـدـيـنـة بـجاـيـة كـبـقـيـة مـدنـ الـمـغـرـبـ الـاسـلـامـيـ خـاصـة مع بدـايـةـ المـتـصـفـ الثـانـيـ لـلـقـرنـ 5ـ هـ / 11ـ مـ⁽²⁾، ما سـاـهـمـ في تـغـيـيرـ الـبـيـنـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـاقـتصـادـيـةـ لـلـمـدـيـنـةـ.

أما العناصر الشرقـيةـ بـمـخـتـلـفـ جـنـسـيـاتـهاـ فقدـ استـمـرـتـ فيـ التـدـفـقـ عـلـىـ المـغـرـبـ الـاوـسـطـ مـنـذـ عـهـدـ الـولـاـةـ مـنـ الحـجـازـ وـالـعـرـاقـ وـمـصـرـ وـالـشـامـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ القـبـائـلـ الـهـمـالـيـةـ⁽³⁾ـ الـتـيـ اـجـتـاحـ الـمـنـطـقـةـ بـدـايـةـ مـنـ النـصـفـ الثـانـيـ مـنـ الـقـرنـ 5ـ هـ / 11ـ مـ⁽⁴⁾ـ، إـلـاـ انـهـ لمـ تـمـكـنـ مـنـ دـخـولـ عـاصـمـةـ الـحـمـادـيـنـ الـثـانـيـةـ بـجاـيـةـ لـوـقـوعـهـاـ فيـ "ـمـنـعـةـ الـجـبـالـ"ـ وـتـوـعـرـ مـسـالـكـهاـ عـلـىـ رـوـاحـلـهـمـ"⁽⁵⁾ـ، وـلـاـ شـكـ فيـ انـ الـبعـضـ مـنـ الـعـربـ الـهـمـالـيـنـ قدـ استـقـرـواـ فيـ الـمـدـيـنـةـ فـيـمـاـ بـعـدـ خـاصـةـ فيـ اوـقـاتـ الـاـزـمـاتـ وـالـكـوارـثـ الـطـبـيـعـيـةـ الـتـيـ حلـتـ

(1) عبد الحليم عويس، بجاية الجزائرية وريـةـ الـقـيـروـانـ وـحـاضـرـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبيـ لـثـلـاثـةـ قـرـونـ، مجلـةـ الدـارـةـ، مجـ: 03ـ، عـ: 08ـ، جـلـنـيـ 1983ـ، صـ 163ـ.

(2) بوتشيش اميـةـ، بـجاـيـةـ مـنـ الـعـهـدـ الـحـمـادـيـ إـلـىـ الـغـزوـ الـاسـبـانـيـ درـاسـةـ تـارـيـخـيـةـ وـحـضـارـيـةـ، اـطـرـوـحةـ دـكـتوـرـاهـ فيـ تـارـيـخـ الـمـغـرـبـ الـاسـلـامـيـ الوـسـيـطـ، اـشـرافـ:ـ بـلـحـاجـ مـعـرـوفـ، قـسـمـ الـعـلـومـ الـاـنسـانـيـةـ، كـلـيـةـ الـعـلـومـ الـاـنسـانـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ، جـامـعـةـ تـلـمسـانـ، 2015ـ / 2016ـ، صـ 110ـ.

(3) بـوـدـالـيـةـ، المـرـجـعـ نـفـسـهـ، صـ 257ـ.

(4) ابن خـلـدونـ عبدـ الرـحـمانـ (تـ732ـهـ / 808ـمـ)، العـبرـ وـدـيـوـانـ الـمـبـداـ وـالـخـبـرـ فيـ تـارـيـخـ الـعـرـبـ وـالـبـرـ وـمـنـ عـاصـرـهـمـ مـنـ ذـوـيـ الشـانـ الـاـكـبـرـ، مـراـ:ـ سـهـيلـ زـكارـ، جـ 6ـ، طـ 1ـ، دـارـ الـفـكـرـ، بـيـرـوـتـ، لـبـنـانـ، 1981ـ، جـ 6ـ، صـ 27ـ.

(5) ابن خـلـدونـ، المـصـدرـ السـابـقـ، صـ 27ـ.

بالمغرب الأوسط فترة الدراسة حيث كانت المدن تمثل ملاداً آمناً للفارين من تداعيات الحروب والکوارث.

وقد شكل العرب المغاربة اهم طبقات المجتمع الحمادي التي كان لها شخصيتها الثقافية والاجتماعية والفكرية التي تميزها عن بقية الجنسيات البشرية في الدولة الحمادية⁽¹⁾.

3. الأندلسيون:

أشار البكري إلى استقرار الجالية الأندلسية بمدينة بجاية قبيل سنة 460 هـ / 1067 م، حيث ذكر بأنها: «كانت عامرة بأهل الأندلس⁽²⁾»، قبيل تأسيسها من طرف الناصر بن علناس (454 - 461 هـ / 1062 - 1088 م)، وبقيت هجرة الاندلسيين متواصلة فيها بعد نتيجة التناحر على السلطة من قبل ملوك الطوائف، فاستقطبت مدن المغرب الأوسط خاصة حاضرة بجاية عدداً كبيراً من الجالية الأندلسية من التجار والحرفيين والصناع والفقهاء والعلماء، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: " وأما أهل الاندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتحلبت عليهم امم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب .. وشاركوا أهل العمran بما لديهم من الصنائع وتعلقو باذیال الدولة"⁽³⁾، ويذكر صاحب الاستبصار ان بجاية

(1) عويس، دولة بنى حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 02، دار الصحوة، القاهرة، مصر، 1991، ص 236.

(2) البكري أبو عبيد (ت 487 هـ / 1094 م)، المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 757.

(3) ابن خلدون، العبر، ج 1، ص 528، 529.

كانت ملحةً للعديد منهم بقوله: "...وكان فيها بقية صنهاجة الموتورين جعلوا يدخلون امثالهم من وترت دنياه وأحراء كاهل مiorقة المنقطعين فيها من ابناء جنسهم فدهم بجایة منهم"⁽¹⁾ وذلك في اشارة الى هجرة الاندلسيين من صنهاجة المرابطين الفارين نحو بجاية والمطاردين من قبل الموحدين، وكانوا قد حضيوا بمكانة مرموقة في المجتمع الحمادي الى جانب البربر البحاوين⁽²⁾.

شكل هؤلاء الاندلسيون أساس الاقتصاد في المغرب الاوسط من خلال ممارسة الاعمال الحرفية والتجارية والزراعية التي جلبوها معهم من موطنهم الاصلي الاندلس⁽³⁾، وظلت الجاليات الاندلسية تشكل فئة متميزة في المجتمع الحمادي من خلال تنظيماتها وثقافتها، وكان لها رئيس يمثلها يطلق عليه لقب "شيخ الجماعة الاندلسية"⁽⁴⁾.

4. أقلية أخرى:

كانت هناك أقلية أخرى استوطنت مدينة بجاية تمثلت في اليهود واليسوعيون الذين شكلوا جزءاً هاماً من النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمدينة، فكان لهم دور مهم في التجارة واحتكروا العديد من الحرف المتخصصة.

(1) مؤلف مجهول (عاش خلال القرن 6هـ / 12م)، الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت.ن، ص 131.

(2) عويس، المرجع نفسه، ص 237.

(3) بودالية، المرجع السابق، ص 258.

(4) الياس حاج عيسى، الحياة الاجتماعية في المغرب الاوسط خلال العهد الحمادي (398 - 547هـ / 1007 - 1152م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف: عبد العزيز لعرج، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2018/2019م، ص 165.

أما الجالية المسيحية التي استوطنت مدينة بجایة فكانت غالبيتها من فئات الاسرى والتجار ورجال الدين والعبيد⁽¹⁾، واستقرت فئة أخرى من الحرفيين النصارى مؤقتاً بالمدينة ففي عهد الامير المنصور (481 - 498 هـ / 1084 - 1104 م) دعمته مدينة جنوة بحرفيين متخصصين في مختلف فنون العمارة من أجل تزيين أحد قصور بجایة⁽²⁾، كما أورد المؤرخ الفرنسي لوران شارل فيرو (L. charles Féraud) بأن الامير الحمادي المنصور حافظ على صلاته الودية مع البابا بروما، وطلب منه أن يرسل إليه أحسن المهندسين الحرفيين المتخصصين في أشغال البناء والزخرفة المعمارية وذلك لمواصلة أشغال البناء والتزيين بقصور مدينة بجایة، فأرسل إليه البابا حوالي ألفاً ومائة حرفياً في مختلف الأعمال التي تخص صناعة البناء⁽³⁾، وقد حظيت هذه الجالية بوضعية دينية واقتصادية مرحبحة بفضل التسامح الديني وحسن التعامل والحرية خاصة منهم من احترفوا التجارة وذلك تسهيلاً لهم تجارة⁽⁴⁾. وبالتالي يمكن القول إن فئة المسيحيين في الفترة الحمادية لا تُذكر إلا عرضاً كأفراد وليس كجماعات فلم تكن هذه الفئة تأثير كبير في مجال الانشطة الحرافية والصناعية، ولم تلبث أن انصرفت في المجتمع الحمادي.

(1) عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص 27.

(2) حاج عيسى، المرجع نفسه، ص 174.

(3) L , charles Féraud , Histoire Des Ville de La Province de Constantine , Bougie , constantine ,typographie et litographie 1 ,arnolet , 1869 , p 76.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب لإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، 1994 م، ص 94 .

كما شكلت فئة العبيد جزءا هاما من النسيج الاجتماعي لمدينة بجاية، اذ اعتمدت الحياة الاقتصادية في المدن والحقول على اليد العاملة من العبيد الذين كانوا يجلبون من بلاد السودان وازداد الطلب عليهم لقدرتهم الجسدية على العمل، بالإضافة الى الرقيق الأبيض، وحسب ما ذكره الغربيني فإن بجاية عرفت انتشارا واسعا للعبيد، فقد كان القراضنة البجائيون يغزون السواحل الجنوبية الاوربية ويحصلون على "النبي الكثير منها وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح من جهة ربضها، وهناك يخمس ويقع الفصل فيه، ولم يزل الحال على ذلك، وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين ان يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوحوش"⁽¹⁾، ولا شك ان المجتمع الحمادي قد ضم طوائف كثيرة من الروم والزنوج وغيرها من الطوائف الذين عاشوا في بجاية كعبيد او كأجراء⁽²⁾.

وإلى جانب هذه الجنسيات والديانات والأعراق وجدت طوائف مذهبية اسلامية متداخلة من سنة مالكية وأحناف وشيعة الى خارجين إباضية⁽³⁾، فباعتبار بجاية مدينة متوسطية فقد ضمت العديد من الطوائف المذهبية والأجناس المختلفة

(1) الغربيني ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت 714هـ / 1314م)، عنوان الدراسة في مين عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تتح: عادل نويهض، ط 2، دار الافق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979، ص 45.

(2) عويس، دولة بنى حماد، ص ص 237، 238.

(3) المرجع نفسه، ص 241.

الاصل والانتهاء⁽¹⁾، والتي تفاعلت فيما بينها اجتماعياً واقتصادياً وامتزجت ثقافاتها وأفكارها لتساهم مجتمعة في بناء حضارة الحماديين.

وانطلاقاً من هذه التركيبة الاثنية لمدينة بجاية الحمادية نجد أن هذه العناصر السكانية من الأندلسين والنصارى واليهود وحتى العرب لعبوا دوراً هاماً في تطور النشاط الحرفى وتمازج حضارة المغرب الأوسط بحضارات أخرى، وقد أشار الادريسي إلى ذلك بقوله: "بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد"⁽²⁾.

ثانياً: تأثيرات التركيبة الاثنية على الأنشطة الحرفية والتجارية في مدينة بجاية

خلال القرنين 5 و 6 هـ / 11 و 12 م:

قمنا خلال المبحث الأول بتحليل التركيبة الاثنية للمجتمع الحرفى في بجاية خلال القرنين 5 و 6 هـ / 11 و 12 م، مع التركيز على المجموعات الاثنية الرئيسية وأدوارها في النشاط الحرفى والمهنى، بينما يُعنى هذا المبحث بدراسة التأثيرات الناجمة عن هذا التنوع الاثنى على الأنشطة الحرفية والاقتصادية لمدينة.

1. التأثيرات الاقتصادية (تنوع الحرف والمهن حسب الخلفية الإثنية):

يعكس التنوع الاثنى والثقافي في مدينة بجاية تبايناً في التخصصات الحرفية والمهنية اذ يوجد "بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد"⁽³⁾، و"بها من

(1) عويس، دولةبني حماد، ص 239.

(2) الادريسي ابو عبدالله محمد بن محمد بن ادريس (عاش خلال القرن 6 هـ / 12 م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت ن، ص 260.

(3) المصدر نفسه.

الصناعات كل غريبة ولطيفة"⁽¹⁾ وهذا ما يدل على وفرة اليد العاملة الحرفية والفنية الخيرية في شتى المجالات الصناعية والتي لا تتوفر في غيرها من مدن المغرب الاسلامي، وقد تحلى ذلك في وجود صناعات غريبة ولطيفة وبالتالي تنوع السلع والبضائع بأسواق المدينة، ذلك ان المجتمع البجائي كان مفتوحا يتلقى كل المبدعين في مختلف المجالات الباحثين عن مرافق آمن⁽²⁾.

فيينا اشتغل السكان الاصليون من البربر والعرب في مختلف الحرف التي اشتهرت بها المدينة كصناعة، الأسلحة والسفن، والحرف اليدوية التقليدية كعصر الزيتون والنسيج وصناعة الفخار، والنسيج وغيرها من الحرف الضرورية، شكلت الحالية الاندلسية الفتنة فاعلة في مختلف الانشطة الاقتصادية بججية خاصة منها النشاط التجاري البحري، والذي بدأ في التراجع مع نهاية العهد الحمادي في النصف الاول من القرن 6هـ / 12م⁽³⁾، ويؤكد الادرسيي ذلك بقوله: "ان اهلها كانوا يجالسون تجار المغرب الاقصى وتتجار الصحراء وتتجار المشرق، وبها تحل الشدود وتبيع البضائع بالأموال المقنطرة"⁽⁴⁾، كما تخصص الاندلسيون في عدة حرف اخرى على غرار حرف الزراعة والبستنة والبناء.

(1) المصدر نفسه.

(2) عويس، بججية وريثة القيروان، ص 164.

(3) AllAoua Amara, Retour à La Broblématique de Déclin économique, p17.

(4) الادرسيي، المصدر السابق، ص 260.

كما حوت الفئة الاندلسية عدداً كبيراً من الحرفيين والصناع والبنائين فعرفت بفضلهم مدينة بجاية صنائع جديدة كدباغة الجلود، وصناعة الخزف⁽¹⁾، وقد وصف المقرى حذق أهل الاندلس بقوله: "صينيون في اتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية"⁽²⁾

لكن الملاحظ ان المصادر الاخبارية الوسيطية ركزت على اظهار الدور السياسي والعلمي للأندلسيين الوافدين الى بلاد المغرب الاوسط وبال مقابل لم تذكر دورهم العمراني والحرفي إلا عرضاً⁽³⁾، وبالتالي فان البحث في الموضوع شكّل نوعاً من الصعوبة التي حاولنا تذليلها بالاعتماد على الاشارات المتناثرة في شتات المصادر الوسيطية.

أما اهل الذمة من اليهود والمسيحيين فقد شكلوا شريحة اجتماعية لها وزنها في المجتمع الحمادي بمدينة بجاية، اذ كان لها تأثير كبير على مختلف الجوانب الحياتية للمدينة، وخاصة في النشاط الحرفي والتجاري لكونها العاصمة السياسية والخاصة العلمية والمدينة الاقتصادية والتجارية، ولو ان المسيحيون كانوا أقل تأثيراً مقارنة مع

(1) بوتشيش امينة، المرجع السابق، ص 114، 115 .

(2) المقرى شهاب الدين احمد بن محمد(ت 1041هـ / 1631م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ترجمة احسان عباس، ج 3، ط 01، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997، ص 151 .

(3) علاوة عمارة، الهجرة الاندلسية الى بلاد المغرب الاوسط وأثرها في العمارة، ضمن كتاب الهجرة المغاربية المغاربية وبعادها السوسيو تاريخية، سلسلة اعمال وملتقيات خبر الدراسات والأبحاث حول لرحمة والهجرة، اشراف: كمال فيلايلي، جامعة قسنطينة، ديسمبر 2014، ص 50 .

اليهود الذين احتكروا العديد من الحرف على غرار الصياغة والصباغة والدباغة وصناعة الحرير والصيروف والترجمة والطب وبرعوا في التجارة⁽¹⁾.

فقد كان لليهود دور كبير في ازدهار الصناعات المعدنية الثمينة كصناعة الخلي الفضية والذهبية التي تعتبر صناعة يهودية جلبوها معهم من المشرق إلى بلاد المغرب⁽²⁾، واحتكروها نظراً لامتناع المسلمين عن العمل فيها اجتناباً للشبهات⁽³⁾، وقد بين الوزان سبب ذلك بقوله: "لا يمكن لأي مسلم أن يمارس مهنة صائغ، إذ يقال أن بيع المصوغات الذهبية والفضية بثمن أعلى مما يساويه وزناً يعتبر ربا، ولكن الملوك يسمحون لليهود بالقيام بهذا العمل"⁽⁴⁾، بالإضافة إلى احتكارهم للصناعات النحاسية خاصة منها النحاس الأصفر الذي صنعوا منه أدوات العبادة كالشمعدان الذي يرمز لشجرة الحياة في ديانتهم⁽⁵⁾.

(1) حسن محمد، المدينة والبادية بأفريقيا في العهد الحفصي، ج 1، اوريبيس للطباعة، تونس، 1999، ص 156، 157.

(2) برنشفيك روبار، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي (ق 13 - 15 م)، تر: حمادي الساحلي، ج 01، طار الغرب الاسلامي، لبنان، 1988، ص 442.

(3) روجيه لوتورونو، فاس في عصر بنى مرين، مرا: نيكولا زيادة، مكتبة لبنان، لبنان، 1967، ص 153.

(4) الوزان الحسن بن محمد (ت 957هـ / 1552م)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي و محمد الاخضر، ط 02، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983، ص 283.

(5) بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي (22 - 642هـ / 1070 - 642م)، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2011، ص 94.

كما امتهنوا حرفة الحياكة وتخصصوا في صناعة الحرير والاتجاه به خاماً ومصنعاً⁽¹⁾، واحتكروا صناعة الحرير الموسى بالذهب⁽²⁾، بالإضافة إلى احتكارهم لصناعة القطن حتى أنه وجدت بمختلف بلاد المغرب الأوسط عائلات يهودية اطلق عليها تسميات المشغلين في صناعة القطن كالحلاج والنداف⁽³⁾، واستغلوا في تنظيف المجاري⁽⁴⁾، واحتكروا حرفة الصباغة والصباغة واستغلوا في تجليد الكتب والترجمة والصيغة والسمسرة..⁽⁵⁾، كما تخصصوا في صناعة الزجاج والأواني الزجاجية⁽⁶⁾، وأحدثوا في المغرب الأوسط صناعة السلال التي كانت الحاجة ماسة إليها في عمليات النقل البحري⁽⁷⁾، وانصرفو للعمل في التجارة المتوسطية وأعمال القرصنة، فبرعوا في التجارة الداخلية والخارجية واستغلوا كوسطاء بين التجار المسلمين والتجار

(1) جواتيابن س. د، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعریف وتحقيق: عطية القوصي، "٠١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٦٨.

محمد هدية، اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٨، ص ١٤٢.

(3) الياس هبال، دور اليهود في النشاط الحرفي والصناعي في بلاد المغرب (من ق ٦ - ق ٩ هـ)، مجلة انتروبولوجيا الاديان، مج: ١٩، ع: ٠١، ماي ٢٠٢٣، ص ٢١٠.

(4) جواتيابن، المرجع نفسه، ص ١٧١.

(5) حسن، المرجع السابق، ص ص ١٥٦، ١٥٧.

(6) جواتيابن، المرجع السابق، ص ١٦٨.

(7) سميرة نميش، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني (من القر ١٦ م)، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، اشراف: عبداليل حضر، جامعة تلمسان، ٢٠١٣ / ٢٠١٤، ص ٥٧.

الاوربيين خاصة منهم تجارة ارغون، وتصدرت تجارة الاسلحة والتوابيل والعيديد والحرير⁽¹⁾، والى جانب امتهانهم الحرف اليدوية برعوا كذلك في مجال الطب وصناعة الادوية⁽²⁾، كما احتكروا الى جانب النصارى صناعة الخمور وبيعها نظرا لتحريرها على المسلمين⁽³⁾، فكانت الخمور تباع في اسواق المغرب الاوسط مطلع القرن 6هـ/
 12م⁽⁴⁾ على يد اهل الذمة من اليهود والنصارى⁽⁵⁾.

أما المسيحيون فقد اشتغلوا في التجارة اذ كان الكثير منهم ممثلين لمؤسسات تجارية بعدة مدن حمادية على غرار بجاية⁽⁶⁾، فلعبوا بذلك دورا هاما في تنشيط التجارة الداخلية والخارجية للدولة الحمادية، وقد تميز نشاطهم التجاري الداخلي بتجارة

(1) ميخوت بودواية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الاوسط في العهد الزياني، جامعة تلمسان، ص 57 . سميرة نميش، الحضور اليهودي بالمغرب الاوسط وانعكاساته الحضارية (7 - 9هـ / 13 - 16 م، يهود الاندلس انموذجا)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثرية في شمال افريقيا، مج: 04 ، ع:02، سبتمبر 2021، ص 442.

(2) حسن، المرجع نفسه، ص 156 .

(3) الونشريسي احمد بن بحبي (ت 1491هـ / 1508م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء باشراف: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، د ت ن، ج 6، ص 418 .

(4) عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط 01، دار الشروق، لبنان، 1983، ص 241 .

(5) روجي ادريس، الدولة الصنهاجية، تر: حمادي الساحلي، ج 02 ، ط 01 ، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992 ، ص 201 .

(6) حاج عيسى، المرجع السابق، ص 177 .

الاموال وتجارة التجزئة خاصة انهم كانوا يكسبون قوتهم من نشاطهم التجاري عن طريق الحرف التي احتكروها⁽¹⁾، اما نشاطهم التجاري الخارجي فتمثل في التجارة البحرية فعملوا على الاتجار بالأسلحة والمعادن كالرصاص والحديد الذي كان يستعمل في الصناعات العسكرية⁽²⁾، وقد ساعدت العلاقات التجارية التي قامت الدولة الحمدانية بربطها مع المالك المسيحية وعلى رأسها روما والمدن الايطالية الثلاث ومرسيليا على توطيد العلاقات التجارية، مما ادى الى انشاء مراكز تجارية ودور سكة لجاليات هذه المدن، كما كان للبيزنطيين قنصل دائم في المدينة يشرف على مصالحهم⁽³⁾.

وبالتالي نستنتج ان الحرف التي مارسها اهل الذمة من اليهود والمسيحيون بمدينة بجاية ضمنت لهم النفوذ الاقتصادي والسياسي خاصة منها الحرف الرفيعة التي قربتهم من الطبقة الحاكمة كالطبع والتجارة والصيغة وصناعة الخل والثمينة، هذا بالإضافة الى كونهم يقومون بدفع الجزية فكانوا يشكلون موردا هاما لبيت المال. في حين شكلت فئة الرقيق الابيض والأسود القوة المنتجة الاساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي اذ كانوا يعملون في الارياف كرعاة وفي اشغال الفلاحة، بالإضافة الى الاعتماد عليهم في الاعمال الشاقة بالمناجم ومقالع الحجارة، كما استغلوا ايضا في حراسة القوافل التجارية وفي اعمال البناء وكمعاونين في الاوراش والمصانع

(1) برونشفيك، المرجع السابق، ج 01، ص 433.

(2) نميش، مذكرة، ص 75.

(3) صالح ابو دياك، مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع الى القرن الثامن للهجرة، مجلة ابحاث اليرموك سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مج: 12، ع: 02، جامعة اليرموك، الاردن، 1996، ص 226.

بالمدن وفي الاعمال المنزلية⁽¹⁾، وقد اكد ذلك ابو العباس الغبريني في سياق ترجمته لأحد فقهاء المدينة بقوله: "..احدى السوداوات من غسالات الثياب"⁽²⁾، وقد كان لهذه الفئة تأثير كبير على الاقتصاد الحمادي الذي كان قائماً على قوتهم البدنية، حتى ان الحياة اليومية للمجتمع الحمادي اعتمدت على وجودهم بشكل اساسي فكانت الحاجة ماسة اليهم.

2. التفاعل بين المجموعات الاثنية داخل المجتمع الحرفى:

شكل سكان مدينة بجاية تنظيمات وطوائف حرفية وكانت الأصناف مفتوحة لختلف الأديان والأجناس، كما وجدت طوائف حرفية موحدة مهنياً ودينياً شديدة الاتصال بدينيها لحماية افرادها من المنافسات الخارجية⁽³⁾، كالطائفة اليهودية التي احتكرت العديد من الحرف والصناعات، ولا شك في انه كان يحدث التعاون والتكمال بين مختلف هذه التنظيمات والمجموعات الاثنية بالمجتمع الحرفى داخل مدينة بجاية خاصة في المشاريع الحرفية والصناعية المشتركة، فقد ساهمت المجموعات الاثنية المختلفة في تنفيذ مشاريع حرفية الكبرى كانجاز المنشآت التجارية والصناعية التي تطلبت تضامن الجهد بين مختلف المجموعات والطوائف الحرفية كصناعة السفن، والأسلحة، وبناء قنوات المياه والمجاري، وشق الطرق، وبناء القصور والمساجد، هذا التعاون القائم بين الحرفيين من مختلف المجموعات الاثنية ساهم في

(1) الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الاسلامي، سلسلة عالم المعرفة 319، الكويت، 2005، ص 86.

(2) الغبريني، المصدر السابق، ص 178.

(3) جوتيان، المرجع السابق، ص 175.

تبادل المهارات والتقنيات، ووطد العلاقات الاجتماعية وأدى إلى تعزيز التنوع الثقافي في المدينة.

كما أسهم التنوع الثقافي والاثني بتجاهي في تبادل المعرفة والابتكارات بين الحرفيين من خلفيات اثنية مختلفة، إلا أنه وبالرغم من التعاون كان هناك أحياناً منافسة بين الحرفيين خاصة بالنسبة لتسويق المنتاج.

فشكل مجتمع البجائي قوة حرفية انتاجية تنوعت نشاطاتها بفضل تنوعها الاثني واختلاف انتهايات حرفيتها، وتم بفضل انتقال العناصر الوافدة عليها من مختلف الاقطارات والتي كانت تحمل معها موروثها الحضاري الذي امتزج وتجانس مع موروث العناصر المحلية ليفتح المجال للإبداع ولا بتكار في مختلف الفنون والحرف.

3. التأثير الفني والعمري:

استطاعت الفنون الحمادية نتيجة استقبال الوافدين عليها أن تتبادل التأثير والتأثير في المجال الفني والعمري خاصة مع الاندلس ومع المشرق العربي محفوظة لنفسها بخصائص ابداعية تميزها خاصة في فن الهندسة المعمارية والزخرفة⁽¹⁾، فقد ادخل الاندلسيون انماطاً جديدة في فن التزويق والفصيوفسae والأشكال الهندسية المختلفة، كما ساهموا في مجال البناء والعمارة اذ قاموا ببناء قنوات المياه وتدعيم ساحات القصور بنوافير تزين احواض ومنياها، بالإضافة الى انشاءهم الحمامات التي وفرت مناصب عمل جديدة بالمدينة⁽²⁾، كما قاموا بإنشاء احياء سكنية بنمط معماري خاص

(1) عويس، بجاية ورثة القيروان، ص 164.

(2) بوتشيش امينة، المرجع السابق، ص 114، 115.

بهم، على غرار اهل الذمة من اليهود وال المسيحيين الذين اقيمت لهم احياء خاصة في

(¹) مدينة بجاية

وقد بُرِزَ فن زخرفة الخزفيات المنشورة كالأوانى والمصابيح والمحابر وزجاجات العطور، وفي الزخرفة المعمارية على السقوف المخصصة على هيئة مربعات وفي البلاطات ذات الاشكال المختلفة بالقصور والمساجد، وفي التحف الذهبية والفضية في كل ذلك كفن متقدم ذي ملامح اسلامية وعربية وبربرية مما يدل على تقدم هذا الفن كغيره من الفنون كالنحت والرسم والاحفر والنقش⁽²⁾.

وبالتالي يمكن القول ان الاندلسيون ساهموا من خلال منظومتهم الفكرية والذهنية في نقل الخبرات والمهارات الى المغرب الاوسط وقاموا بالدفع بحواره على غرار بجاية وتلمسان في طريق التمدن والتحضر والابتعاد اكثر عن صفة البداوة التي عادة ما اتصف بها مجال المغرب الاوسط⁽³⁾، فقد كان المنصور الحمادي قد جعل بلاطه اندلسيا تشبه فيه صاحبه بملوك الاندلس فعاش هذا الامير عيشا المترف المولع بالنساء⁽⁴⁾، وكان للجاليات الاندلسية التي ظلت تتواجد على مدينة بجاية دور حضاري وتأثير قوي على جميع الاصعدة خاصة منها الصعيد الفني والعمرياني. وعليه يمكن القول انه كان للتنوع الاثني بمدينة بجاية تأثير كبير على المجال الاقتصادي والعمرياني وعلى سكانها من عرب وبربر بسبب الانبهار بالحضارة

(1) عويس، المرجع نفسه، ص 167.

(2) عويس، بجاية وريثة القيروان، ص 166.

(3) حاج عيسى، المرجع السابق، ص 168.

(4) عويس، المرجع نفسه، ص 164.

الأندلسية خاصة وما وصلت إليه من مظاهر الترف والبذخ فكان الانقياد والتقليد في عديد الجوانب الحضارية بالمدينة⁽¹⁾، وما لا شك فيه أن الجالية المسيحية واليهودية التي عاشت تحت ظلال الحمادين قد تأثرت وأثرت في المجتمع الحمادي أيضاً⁽²⁾، ويؤكد الأدريسي ذلك بقوله: "وَهَا مِن الصناعاتِ وَالصُّنْعَانِ مَا لَيْسَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْبَلَادِ.. وَهَا مِن الصناعاتِ كُلِّ غُرْبَةٍ وَطَرِيقَةٍ"⁽³⁾، مما يدل على توفر الخصوبة الفكرية والمهنية التي ولدت مجتمعاً متنوعاً ثقافياً ومهنياً⁽⁴⁾، فلقد عاشت هذه الطوائف والاثنيات وغيرها حياة مستقرة بفضل التسامح والحرية الاقتصادية فانعكس ذلك على مظاهر العطاء العمراني والحضاري بالمدينة⁽⁵⁾.

(1) عويس، دولة بنى حماد، ص 242.

(2) عويس، المرجع نفسه، ص 239.

(3) الأدريسي، المصدر السابق، ص 260.

(4) أبو دياك، المرجع السابق، ص 225.

(5) عويس، المرجع نفسه، ص 239.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة يتضح لنا أن التركيبة الإثنية لمجتمع مدينة بجاية خلال العهد الحمادي لعبت دوراً محورياً في تشكيل الأنشطة الحرفية والتجارية التي ازدهرت في تلك الفترة، فقد ساهمت التركيبة الإثنية في المدينة في خلق بيئة ثقافية وحرفية متنوعة، وأضافت كل مجموعة إثنية إلى النسيج الاجتماعي والاقتصادي مهاراتها وابتكاراتها التي تميزها.

إن استعراض هذه الدراسة لموضوع تأثير التركيبة الإثنية على النشاط الحرفي والتجاري بمدينة بجاية الحمادية يعكس كيف أن التفاعل بين مختلف المجموعات الإثنية يمكن أن يسهم في تطوير وتحويم مدينة صغيرة إلى مركز تجاري وثقافي مزدهر يضاهي كبريات العواصم الإسلامية في وقتها، ولا تزال الحاجة لمزيد من الدراسات العمقة والبحث في المصادر التاريخية الأخرى لتوسيع المعرفة لهذا الجانب الهام من تاريخ المدينة.

ومن خلال تحليل التركيبة الإثنية وتأثيراتها على الحرف والتجارة، تم التوصل إلى النتائج التالية:

- ١ - التنوع الثنائي وتعزيز الحرف: أسهم في إثراء البيئة الحرفية في بجاية من خلال تبادل المعرفة بين المجموعات المختلفة، وأدى هذا التفاعل إلى تحسين جودة الانتاج مما انعكس إيجاباً على الاقتصاد المحلي وادى الى التنويع في الصادرات.

- 2 - التحولات الاجتماعية: ساهم التنوع الثقافي في تشكيل هويات اجتماعية وثقافية جديدة، وعزز العلاقات بين الأفراد من خلفيات مختلفة، كما اثر ايجابيا على العلاقات الخارجية للدولة الحمادية.
- 3 - ابان التنوع الاثني بمدينة بجایة جانبا حضاريا هاما ميز الدولة الحمادية عن غيرها من الدول والذي تمثل في التسامح الديني والتعايش الاجتماعي الذي كان له الفضل في استمراريتها رغم الاوضاع المضطربة التي كانت تحيط بها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

1. ابن خلدون عبد الرحمن (ت 732هـ / 808م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر، مرا: سهيل زكار، ج 6، ط 1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981، ج 6.
2. ابن خلدون، العبر، ج 1.
3. الادريسي ابو عبدالله محمد بن محمد بن ادريس (عاش خلال القرن 6هـ / 12م)، نزهة المشتاق في اختراق الافق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت ن.
4. البكري أبو عبيد (ت 487هـ / 1094م)، المسالك والمالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
5. الغبريني ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله (ت 714هـ / 1314م)، عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية، تح: عادل نويهض، ط 2، دار الافق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979.
6. المقري شهاب الدين احمد بن محمد (ت 1041هـ / 1631م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ج 3، ط 01، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997.
7. مؤلف مجهول (عاش خلال القرن 6هـ / 12م)، الاستبصر في عجائب الامصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، دت ن.

8. الوزان الحسن بن محمد (ت 957هـ / 1552م)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي و محمد الاخضر، ط 02، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1983.
9. الونشريسي احمد بن بحبي (ت 914هـ / 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من العلماء باشراف: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، دت ن، ج 6.
- ثانياً: المراجع باللغة العربية:
- أ/ الكتب:
1. إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب لإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط 1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، 1994 م.
 2. برنشفيك روبار، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي (ق 13 - 15م)، تر: حمادي الساحلي، ج 01، ط 01، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1988.
 3. عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي (22-462هـ / 642-1070م)، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2011.
 4. جواتيابن س. د، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعریب وتحقيق: عطية القوصي، "01، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.
 5. الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الاسلامي، سلسلة عالم المعرفة 319، الكويت، 2005.
 6. روجي ادريس، الدولة الصنهاجية، تر: حمادي الساحلي، ج 02، ط 01، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992.

7. روجيه لوتورنو، فاس في عصر بنى مرين، مرا: نيكولا زيادة، مكتبة لبنان، لبنان، 1967.
8. عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار المدى، عين مليلة، الجزائر، 2014.
9. عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط 01، دار الشروق، لبنان، 1983.
10. عويس، دولةبني حماد صحفة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 02، دار الصحوة، القاهرة، مصر، 1991.
11. محمد حسن، المدينة والبادية بأفريقيا في العهد الحفصي، ج 1، اوربيس للطباعة، تونس، 1999.
12. محمود هدية، اقتصاد النسيج في المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، مصر، 2018.
- ب/ الاطاريج والمذكرات:
1. الياس حاج عيسى، الحياة الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (398 - 547هـ / 1152 - 1007م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف: عبد العزيز لعرج، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2018/2019م.
2. سميرة نميش، دور اهل الذمة بال المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (من القرن 16م)، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي في العصر

الوسيط، قسم التاريخ وعلم الاثار، اشراف: عبدالخضر، جامعة تلمسان،
2013/2014.

3. بوتشيش امينة، بجاية من العهد الحمادي الى الغزو الاسباني دراسة تاريخية
وحضارية، اطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط، اشراف:
بلحاج معروف، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،
جامعة تلمسان، 2015/2016.

ج/ المجالات:

1. بودالية تواتية، الاتماء الحرفي لأهل الصناعات في المغرب الاوسط، مجلة مخبر
البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسکر، ع: 04، جوان 2013.

2. الياس هبالي، دور اليهود في النشاط الحرفي والصناعي في بلاد المغرب (من ق 6
- ق 9هـ)، مجلة انثروبولوجيا الاديان، مج: 19، ع: 01، ماي 2023.

3. مبخوت بودواية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الاوسعفي العهد الزياني، جامعة
تلمسان.

4. سميرة نميش، الحضور اليهودي بالمغرب الاوسط وانعكاساته الحضارية (7-
9هـ / 13 - 16 م، يهود الاندلس انموذجا)، مجلة العبر للدراسات التاريخية
والاثرية في شمال افريقيا، مج: 04، ع: 02، سبتمبر 2021.

5. علاوة عمارة، الهجرة الاندلسية الى بلاد المغرب الاوسط وأثرها في العمارة،
ضمن كتاب الهجرة المغاربية المعاصرة وبعادها السوسيوتاريخية، سلسلة اعمال
وملتقيات مخبر الدراسات والابحاث حول لرحمة والهجرة، اشراف: كمال
فيلالي، جامعة قسنطينة، ديسمبر 2014.

6. صالح ابو دياك، مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع الى القرن الثامن للهجرة، مجلة ابحاث اليرموك سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مج: 12، ع: 02، جامعة اليرموك، الاردن، 1996.

7. عبد الحليم عويس، بجاية الجزائرية ورثة القبروان وحاضرة المغرب العربي لثلاثة قرون، مجلة الدار، مج: 08، ع: 03، جانفي 1983

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية:

1. AllAoua Amara, Retour à La Broblématique de Déclin économique.
2. L , charles Féraud , Histoire Des Ville de La Province de Constantine , Bougie , constantine ,typographie et litiiographie,arnolet , 1869.

الفهرس

فهرس المحتويات

4.....	إهداء
5	تقديم وتصدير
7.....	كلمة في ذكرى رحيل زميلنا البروفيسور بوطارن مبارك أ.د. أحمد مريوش
9.....	شهادات عن المرحوم الدكتور مبارك بوطارن رحمه الله.....
11	قراءة في السيرة الذاتية للأستاذ المرحوم: مبارك بوطارن (1960-2023) أ.د. عبد الغني حروز
29.....	البروفيسور بوطارن مبارك كما عرفناه أ.د. أحمد مريوش
37.....	أبحاث ودراسات تاريخية.....
39.....	الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي أ.د. مبارك بوطارن (رحمه الله)
	د. مرزاق بومداح
109.....	إرهاصات الحراك الرحلاتي بجزائر العهد العثماني أ.د. البشير بو قاعدة
155	التعدد الاثني وأثره على المجتمع الجزائري في العهد العثماني ط.د. ثريا بن الزاوي
185	رؤيه نفسية اجتماعية للهجرة ط.د. موشموش بدر الدين

النشاط السياسي والعسكري للجبهة الجنوبية وأبعاده الاستراتيجية 201	أ.د. عبد الله مقلاتي
مقططفات وانطباعات من كتاب "الثورة الجزائرية في عامها الأول والمتقفوون الجزائريون 223	د. فاتح بلعمري
العمراء الدينية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني 243	ط.د. خيرة بوصوار
أهمية مراقب المياه ومنتشراتها بالمدينة المغربية من خلال نوازل كتاب المعيار للونشريسي 283	د. هشام بن سالم
التأثير الأندلسي على العمارة الجزائرية 319	أ. زبير سالمي
مظاهر الفن المعماري لمساجد الجزائر العثمانية بين النمطين العثماني والأندلسي 343	د. سامية بن قويدر
المئذنة في العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني 365	ط.د. فتحي إسماعيل
معالم عمران المدن الأوروasiية والزابية في العصر الوسيط 395	أ. د. موشموش محمد
	أ. سعيد بوزينة

دراسة مخطوط كتاب اختصار الصياغ على شرح الزواوي على الوجلية 421	
	أ. أحمد بو بكر ضيف الجزائرى
مخطوط ينشر لأول مرة عدة ملوك أولاد جلان 451	
	أ. أحلام لغريب
فقه العمران الريفي والحضري بالغرب الأوسط 459	
	د. إسماعيل برकات
التركيبة الإثنية للمجتمع بمدينة بجاية وتأثيراتها على النشاط الحرفي والتجاري خلال القرنين 5 و 6 هـ / 11 و 12 م 525	
	ط.د. صباح طرهيوة
فهرس المحتويات 555	



الأستاذ الدكتور مبارك بوطارن

رحمه الله
(م 1960-2023)

هذا الكتاب

لا يجادل اثنان في كون رحيل الإنسان أكبر خسارة يمني بها محبوه، فقد ألف الله تعالى بين قلوب الناس على نحو جعل الروابط فيما بينهم تبني على الألفة والمحبة والمصالح المشتركة، حتى إذا انفطرت عقد مجموعة بشرية معينة بفعل موت أحد其ا أو بعضها ساد الحزن والتفسع والإحساس بما يشبه الخسارة، قد تفوق الخسارة المادية التي يحرض الإنسان كل الحرص على تفاديهما.

هذا الوضع هو الذي عاشه الأساتذة و الطلبة الذين عرفوا الأستاذ الفقيد مبارك بوطارن، الذي فارق الحياة بشكل مفجع ومفاجئ يوم 4 سبتمبر 2023 ليترك آثارا لا تمحي في نفوسهم، لهذا فكر زملاؤه وأصدقاؤه وطلبه في دعوة الذين عرقوه على مستوى قسم التاريخ و الجغرافيا بالمدرسة العليا للأساتذة بوزراعة الجزائر و كذا قسم التاريخ بجامعة مجد بوضياف بالمسيلة، وعلى مستوى مختلف جامعات الوطن وخارجها، ومن مختلف التخصصات الإنسانية والاجتماعية إلى للمساهمة في الاستكتاب الجماعي لإنجاز كتاب أعمال مهداة للأستاذ مبارك بوطارن، تكريما له ولمساره البيداغوجي والعلمي، الذي ساهم من خلاله في تخريج عدة دفعات، ومناقشة وتأطير عدد هائل من الطلبة المُتخريجين، بالمدرسة العليا للأساتذة منذ بداية عمله بها و إلى غاية وفاته رحمه الله.

ISBN: 978-9969-553-91-8

